الجزء الثاني من حسن المحاضرة
في أخبار مصر والقاهرة تأليف
العالم العلامة فريد دهره ووحيد
عصره الإمام السيوطي نفعنا الله
به وبعلومه آمين

م

ن المجنون في البشر كلما شحى له م ذكا حسان ثم بيلا
فلاموه على ما كان منه ثم قالوا لم اتلفت الكلام ثم بيلا
فقال دعوا الملامة ان عيني اراه مرة في حبي ليلا

وما المجنون في البشر كلها — المجنون لي حره

الحمد لله اللهم صل وسلم على محمد وآله وصحبه
مؤلف هذا الكتاب هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي
ولد سنة ٨٤٩ وتوفي بمصر ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة
سنة ٩١١ عن ٦٢ سنة وبلغت مؤلفاته ٥٠٠ مؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



رضي الله عنه ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الفسطاط واسفل الارض وولى
عبد الله بن سعد بن ابي سرح على الصعيد الى الفيوم اخرج ابن عبد الحكم عن انس
قال اتى رجل من اهل مصر الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا امير المومنين عايذ
بك من الظلم قال عذت معاذا قال سابقت عمرو بن العاصي فسبقته فجعل يضربني
بالسوط ويقول انا ابن الاكرمين فكتب عمر الى عمرو يامره بالقدوم عليه ويقدم
بابنه معه فقدم فقال عمر بن الخطاب للمصري خذ السوط فاضربه فجعل يضربه
بالسوط ويقول عمر اضرب ابن الالامين ثم قال للمصري ضع على صلعة عمرو فقال
يا امير المومنين انما اضربه الذي ضربني وقد اشتفيت منه فقال عمر لعمرو الى
متى كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا قال يا امير المومنين لم اعلم ولم
ياتني و اخرج ابن عبد الحكم عن نافع مولى ابن عمر ان صبيغا العراقي جعل يسال
عن اشياء من القران في اجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن
العاصي الى عمر بن الخطاب فضربه ونفاه الى الكوفة وكتب الى ابي موسى الاشعري
لا يجالسه احد من المسلمين و قال ابراهيم بن الحسن بن ديزيل في كتابه
حدثنا عبد الله بن صالح حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب ان عمرو
ابن العاصي استعمل قبطيا من قبط مصر وانه استقر عنده انه كان يطلع
الروم على عورات المسلمين يكتب اليهم بذلك فاستخرج منه بضعا وخمسين
اردبا دنانير قال ابو صالح والاردب ست ويبات وعددنا الويبة تسعة وثلاثين
الف دينار قال الحافظ عماد الدين بن كثير فعلى هذا يكون مبلغ ما اخذ من
هذا القبطي يقارب ثلاثة عشر الف الف دينار قال ابن عبد الحكم توفي عمر
ومصر على اميرين عمرو بن العاصي باسفل الارض وعبد الله بن سعد على الصعيد
فلما استخلف عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاصي وولى عبد الله بن سعد امرا

على مصر كلها وذلك في سنة خمس وعشرين و قال الواقدي وابو معشر في سنة
سبع وعشرين فانتقل عمرو بن العاصي الى المدينة وفي نفسه من عثمان امر كبير
وجعل عمرو بن العاصي يواسي الناس وكره اهل مصر عبد الله بن سعد بعد عمرو بن
العاصي واشتغل عبد الله بن سعد عنهم بقتال اهل المغرب وفتح بلاد البربر والاند
لس وافريقية ونشا بمصر طايفة من اولاد الصحابة يولهون الناس على حرب عثمان
والانكار عليه في عزله عمرو بن العاصي وتوليته من دونه مسندا الى محمد بن ابي بكر
ومحمد بن ابي حذيفة حتى انتشر نحو من ستماية راكب يذهبون الى المدينة لينكروا
على عثمان فساروا اليها وسالوه ان يعزل عنهم ابن ابي سرح ويولي محمد بن ابي بكر
فاجابهم الى ذلك فلما رجعوا اذا هم براكب فاخذوه وفتشوه فاذا في اداوته
كتاب الى ابن ابي سرح على لسان عثمان بقتل محمد بن ابي بكر وجماعة معه فرجعوا
وداروا بالكتاب على الصحابة فلام الناس عثمان على ذلك فحلف ما له علم بذلك وثبت
انه زوره على لسانه مروان بن الحكم وزوره على خاتمه وكان ذلك سبب تحريض المصريين
على قتل عثمان حتى حصروه وقتلوه وكان الذي باشر قتله رجلا من اهل مصر من كندة
يسمى اسود بن حمران ويكنى ابا رومان ويلقب حمارا و قيل اسمه رومان وقيل اسمه
سودان بن رومان المرادي وكان اشقر ازرق وقتل هو ايضا في الحال لعنه الله ورضي عن
عثمان امير المومنين وعدلوا الى بيت المال فاخذوا ما فيه شيء كثير وذلك في ذي
الحجة سنة خمس وثلاثين و اخرج الواقدي عن عبد الرحمن بن الحارث قال الذي قتل
عثمان كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي حتى قال القايل الا ان خير الناس بعد ثلاثة
قتيل التجيبي الذي جاء من مصر و اخرج ابن عساكر عن سعيد بن المسيب قال كانت
المراة تجيء في زمن عثمان الى بيت المال فتحمل وقرها وتقول اللهم بدل اللهم غير فلما
قتل عثمان قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

فلتموا ابن اخيه لتموه به ＊ سنه حر وحركا الذهب
ما انفتم من ثياب خلقه ＊ وعيبة واماء وذهب

و روى محمد بن عايذ عن اسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن
ابن جبير قال سمع عبد الله بن سلام رجلا يقول لاخر قتل عثمان بن عفان فلم

ينتطح فيها عنزان فقال ابن سلام اجل ان البقر والغنم لا تنتطح في قتل الخليفة
ولكن ينتطح فيه الرجال بالسلاح والله ليقتلن به اقوام انهم لفي اصلاب ابائهم
ما ولدوا بعد وبقيت المدينة خمسة ايام بلا خليفة والمصريون يلحون على علي
ان يبايعوه وهو يهرب منهم ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه والبصريون
طلحة فلا يجيبهم فقالوا فيما بينهم لا نولي احدا من هؤلاء الثلاثة فمضوا الى سعد
ابن ابي وقاص فلم يقبل منهم ثم جاءوا الى ابن عمر فابى عليهم فحاروا في امرهم
وقالوا ان نحن رجعنا عن قتل عثمان عن غير امرة اختلف الناس فرجعوا الى علي
فالحوا عليه فبايعوا فاشار عليه ابن عباس باستمرار نواب عثمان في البلاد
الى حين فابى ثم ابى عليه وعزل عبد الله بن سعد بن ابي سرح فجاءه الخبر في
الطريق بقتل عثمان فذهب الى الشام فاخبر معاوية بما كان من امره في ديار
مصر وان محمد بن ابي حذيفة قد استحوذ عليها فسار معاوية وعمرو بن العاصي
ليخرجاه منها فعالجا دخول مصر فلم يقدرا فلم يزالا به حتى خرج الى العريش
في الف رجل فتحصن بها وجاء عمرو بن العاصي فنصب عليه المنجنيق حتى نزل
في ثلاثين من اصحابه فقتلوا ذكر ذلك ابن جرير ثم سار الى مصر قيس بن
سعد بن عبادة بولاية من علي فدخل مصر في سبعة نفر فرقى المنبر وقرا
عليهم كتاب امير المؤمنين علي فبايعوه واستقامت له طاعة بلاد مصر سوى
قرية منها يقال لها خربتا فيها اناس قد اعظموا قتل عثمان وكانوا سادة
الناس ووجوههم وكانوا في نحو من عشرة الاف منهم بسر بن ارطاة ومسلمة
ابن مخلد ومعاوية بن خديج وجماعة من الاكابر وعليهم رجل يقال له يزيد بن
الحارث المدلجي وبعثوا الى قيس بن سعد فوادعهم وضبط مصر وسار فيها
سيرة حسنة قال ابن عبد الحكم لما ولي قيس مصرا اختط بها دارا قبل الجامع
فلما عزل كان الناس يقولون انها له فقال انما لك ابنيتها من مال المسلمين
لا حق له فيها و يقال ان قيسا اوصى لما حضرته الوفاة فقال اني كنت بنيت
دارا بمصر وانا وليها واستعنت فيها بمعونة المسلمين فهي للمسلمين ينزلها
ولاتهم وكانت ولاية قيس مصر في صفر سنة ست وثلاثين فكتب معاوية الى

قيس

قيس يدعوه الى القيام بطلب دم عثمان وان يكون موازرا له على ما هو بصدده من
القيام في ذلك ووعده ان يكون نائبه على العراقين اذا تم له الامر فلما بلغه الكتاب
وكان قيس رجلا حازما فلم يخالفه ولم يوافقه بل بعث يلاطف معه الامر وذلك لبعده
عن علي وقربه من بلاد الشام وما مع معاوية من الجنود فسالمه قيس وتاركه
فاشاع بعض اهل الشام ان قيس بن سعد يكاتبهم في الباطن ويميل اليهم على اهل
العراق و روى ابن جرير انه جاء من جهته كتاب مزور بمبايعته معاوية فلما
بلغ ذلك عليا اتهمه وكتب اليه ان يغزو اهل خربتا الذين تخلفوا عن البيعة فبعث
يعتذر اليه انهم كثير عددهم وهم وجوه الناس وكتب اليه ان كنت انما امرتني
بهذا لتختبرني فانك اتهمتني فابعث على عملك بمصر غيري فولى علي على مصر
محمد بن ابي بكر وارتحل قيس الى المدينة ثم ركب الى علي واعتذر اليه وشهد معه
صفين فلم يزل محمد بن ابي بكر بمصر قائم الامر مهيبا بالديار المصرية حتى كانت
وقعة صفين وبلغ اهل مصر خبر معاوية ومن معه من اهل الشام على قتال اهل العراق
وصاروا الى التحكيم فطمع اهل مصر في محمد بن ابي بكر واجترؤوا عليه وبارزوه
بالعداوة وندم علي بن ابي طالب على عزل قيس عن مصر لانه كان كفوا لمعاوية وعمرو
فلما فرغ علي من صفين وبلغه ان اهل مصر استخفوا بمحمد بن ابي بكر لكونه شابا
ابن ست وعشرين او نحو ذلك عزم الى رد مصر الى قيس بن سعد ثم انه ولى
عليها الاشتر النخعي فلما بلغ معاوية تولية الاشتر ديار مصر عظم عليه لانه
كان طمع في انتزاعها من محمد بن ابي بكر وعلم ان الاشتر سيمنعها منه لحزمه وشجا
عته فلما سار الاشتر اليها وانتهى الى القلزم استقبله الجاسار وهو المقدم على
الخراج فقدم اليه طعاما وسقاه شرابا من عسل فمات منه فلما بلغ ذلك معاوية
واهل الشام قالوا ان لله جندا من عسل و قيل ان معاوية كان تقدم الى هذا
الرجل في ان يحتال على الاشتر ليقتله ففعل ذكر ذلك ابن جرير فلما بلغ عليا وفاة الاشتر
تاسف عليه لشجاعته وكتب الى محمد بن ابي بكر باستقراره واستمراره بديار
مصر وكان ضعف جانبه مع ما كان فيه من الخلاف عليه من العثمانية الذين ببلد
خربتا وقد كانوا استفحل امرهم وكان اهل الشام حين انقضت الحكومة سلموا

على معاوية بالخلافة وقوي امرهم جدا فعند ذلك جمع معاوية امراءه واستشا
رهم في المسير الى مصر فاستجابوا له وعيّن نيابتها لعمرو بن العاصي اذا هو
فتحها فخرج فذلك عمرو فكتب معاوية الى مسلمة بن مخلد ومعاوية بن
خديج وهما رأسا العثمانية ببلاد مصر يخبرهم بقدوم الجيش اليهم سريعا ف
فاجابوه فجهز معاوية عمرو بن العاصي في ستة آلاف فسار اليها واجتمعت عليه
العثمانية وهم عشرة آلاف فكتب عمرو الى محمد بن ابي بكر ان تنحّ عني بدمك
فاني احب ان لا يصيبك مني ظفر فان الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك ف
فاغلظ محمد بن ابي بكر لعمرو في الجواب وركب في الفي فارس من المصريين فاقبل
عليه الشاميون فاحاطوا به من كل جانب وتفرق عنه المصريون وهرب هو فاختفى
في خربة ودخل عمرو بن العاصي فسطاط مصر ثمّ دلّ على محمد بن ابي بكر فجيء به
وقد كاد يموت عطشا فقدمه معاوية بن خديج فقتله ثمّ جعله في جثة
حمار فاحرقه بالنار وذلك في صفر سنة ثمان وثلاثين وكتب عمرو بن العاصي الى
معاوية يخبره بما كان من الامور وان الله قد فتح عليه بلاد مصر فاقام عمرو
اميرا بمصر الى ان مات بها ليلة عيد الفطر سنة ثلاث واربعين على المشهور
ودفن بالمقطم من ناحية الفج وكان طريق الناس يومئذ الى الحجاز فاحبّ ان يدعو
له من مرّ به وهو اول امير مات بمصر وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبير

الم تر انّ الدهر احسه ... على عمرو السهمي تجبى له مصر
فاضحى رهينا بالعراء وضللت ... مكايده عنه واموال الدثر
ولم يغن عنه جمعه المال انفا ... حتى اناخ له الدهر

فلمّا مات عمرو بن العاصي ولى معاوية على ديار مصر ولده عبد الله بن عمرو بن
العاصي **قال** الواقدي فعمل له عليها سنتين وقال غيره بل اشهر ثمّ عزله وولى
عقبة بن ابي سفيان ثمّ عزله وولى عقبة بن عامر سنة اربع واربعين فعزله
وولى مسلمة بن مخلد وجمعت له مصر والمغرب وهو اول امير جمعت له ذلك قال
ابن عبد الحكم حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن بعض شيوخ
اهل مصر قال اول كنيسة بنيت بفسطاط مصر الكنيسة التي خلف القنطرة

ايام

ايام مسلمة بن مخلد فانكر ذلك الجند على مسلمة وقالوا له تقرهم ان يبنوا ا
الكنائس حتّى كاد يقع بينهم وبينه شر فاحتج عليهم مسلمة فسكتوا عنه
ذلك وكان عبد الرحمن بن عثمان بن ربيعة الثقفي المشهور بابن ام الحكم وام الحكم
هي اخت معاوية اميرا على الكوفة فاساء السيرة في اهلها فاخرجوه من بين
اظهرهم طريدا فرجع الى خاله معاوية فقال لاولينّك مصر خيرا منها فولاه
مصر فلما سار اليها تلقاه معاوية بن خديج على مرحلتين من مصر فقال ارجع الى
خالك فلعمري لا تسير فينا سيرتك في اهل الكوفة فرجع ابن ام الحكم ولحقه ا
معاوية بن خديج وافدا على معاوية فلما دخل عليه وجد عنده اخته ام الحكم
وهي ام عبد الرحمن الذي طرده عن مصر فلمّا رآه معاوية قال بخ بخ هذا معاوية
ابن خديج فقالت ام الحكم اما والله لقد تزوجته فما اكرمت وولدت فما انجبت اردت
ان يلي ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في اهل الكوفة فما كان الله ليريه
ذلك ولو فعل لضربنا ابنك ضربا يطاطئ وان كره هذا الجالس فالتفت اليها معاوية
فقال كفى فاستمر مسلمة على امرة مصر الى ان مات في خلافة يزيد في ذي الحجة
سنة اثنتين وستين فولى بعده سعيد بن يزيد بن علقمة الازدي فلما ولي ابن
الزبير الخلافة بعد موت يزيد وذلك في سنة اربع وستين استناب على مصر عبد
الرحمن بن جحدم القرشي الفهري فقصد مروان مصر ومعه عمرو بن سعيد الاشدق
فقاتله عبد الرحمن فهزم عبد الرحمن وهرب ودخل مروان الى مصر فتملكها ا
وجعل عليها ولده عبد العزيز وذلك في سنة خمس وستين فلم يزل اميرا
بها عشرين سنة وكان ابوه جعل له عقد الخلافة بعد عبد الملك فكتب اليه
عبد الملك ليستنزله عن العهد الذي من بعده لولده فابى عليه ثمّ انّه مات
من عامه **قال** ابن عبد الحكم وقع الطاعون بالفسطاط فخرج عبد العزيز الى
حلوان وكان ابن خديج يرسل اليه في كل يوم بخبر ما يحدث في البلد من موت وغيره
فارسل اليه ذات يوم رسولا فاتاه فقال له عبد العزيز ما اسمك فقال ابو
طالب فثقل ذلك على عبد العزيز وغاظه فقال اسالك عن اسمك فتقول ابو طالب
ما اسمك فقال مدرك فتفاءل عبد العزيز بذلك فمرض فدخل نصيب الشاعر فانشا يقول

ونزور سيدنا وسيد غيرنا ... ليت التشكي كان بالعواد

لو كان يقبل فدية لفديته ... بالمصطفى من طارفي وتلادي

فامر له بالف دينار ثم مات عبد العزيز بحلوان فحمل في البحر الى الفسطاط ودفن بمقبرتها وكانت وفاته ليلة الاثنين ثاني عشر جمادى الاولى سنة ست وثمانين

وكتب على قبره رحمه الله تعالى

اين رب القصر الذي شيد القصر ... واين العبيد والاجناد

اين تلك الجموع والامر والنهي ... واعيانهم واين السواد

وقال عمرو بن ابي الحويرا الجهاني يرثي عبد العزيز بن مروان وابنه ابا زبان

ابعدك يا عبد العزيز لحاجة ... وبعد ابا زبان يستعتب الدهر

فلا طمحت مصر لحي سواكما ... ولا سقيت بالنيل بعدكما مصر

فامر بعده عبد الملك فاقام شهرا الا ليلة ثم صرف وولي بعده ابنه عبد الله ابن امير المومنين عبد الملك قال الليث بن سعد وكان حدثنا وكان اهل مصر يسمونه بكيسر وهو اول من نقل الدواوين الى العربية وهو اول من نهى الناس عن لباس البرانس فاقام الى التسعين فعزله اخوه الوليد وولي قرة بن شريك العبسي فقدمها يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الاول وفي ذلك يقول الشاعر

عجبت ما عجبت حين اتانا ... ان قد امرت قرة بن شريك

وعزلت الفتى المبارك عنا ... ثم فلت فيه راي ابيك

وكان قرة ظلوما غشوما قبل كان يدعو بالخمر والملاهي في جامع مصر اخرج ابو نعيم في الحلية قال قال عمر بن عبد العزيز امر الوليد بالشام والحجاج بالعراق وقرة بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز امتلات والله الارض جورا وقال ابن عبد الحكم حدثنا سعيد بن عفير ان عمال الوليد بن عبد الملك كتبوا اليه ان بيوت المال قد ضاقت من مال الخمس فكتب اليهم ابنوا المساجد فاول مسجد بني بفسطاط مصر المسجد الذي في اصل حصن الروم عند باب الريحان قبالة الموضع الذي يعرف بالفالوسي يعرف بمسجد القبلة فاقام قرة واليا بمصر الى ان مات سنة ست وتسعين فولي بعده عبد الملك بن رفاعة الفهمي فاقام الى سنة تسع وتسعين

ثم ولي ايوب بن شرحبيل الاصبحي فاقام الى سنة احدى ومائة ثم ولي بشر بن صفوان الكلبي فاقام الى سنة ثلاث ومائة ثم ولي اخوه حنظلة فاقام الى سنة خمس ومائة ثم ولي محمد بن عبد الملك الخليفة ثم تولى الحر بن يوسف ثم ولي حفص بن الوليد فاقام الى اخر سنة ثمان ومائة وولي بعده سنة تسع ومائة عبد الملك بن رفاعة وصرف في السنة وولي اخوه الوليد فاقام الى ان توفي سنة تسع عشرة ومائة وولي بعده عبد الرحمن بن خالد الفهمي فاقام سبعة اشهر وصرف واعيد حنظلة بن صفوان في سنة عشرين ثم صرف واعيد حفص بن الوليد فاقام ثلاث سنين ثم صرف وولي بعده سنة سبع وعشرين حسان بن عتاهية التجيبي ثم اعيد حفص بن الوليد وعزل عتاهية بسنة ثمان وعشرين وولي الحوثرة بن سهل الباهلي ثم ولي المغيرة بن عبيد الفزاري سنة احدى وثلاثين ثم ولي عبد الملك بن مروان سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم لما قامت الدولة العباسية وقام السفاح وانهزم مروان الحمار وهرب الى الديار المصرية ولي السفاح ولاية الشام ومصر صالح بن علي بن عبد الله بن عباس فسار صالح حتى قتل مروان ببوصير في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم رجع الى الشام واستخلف على مصر ابا عون عبد الملك بن ابي يزيد الازدي فاقام الى سنة ست وثلاثين ثم اعيد صالح بن علي ثم صرف واعيد فيها ابو عون سنة سبع وثلاثين فاقام الى سنة احدى واربعين ثم ولي بعده موسى بن كعب التميمي فاقام سبعة اشهر ومات وولي محمد بن الاشعث الخزاعي ثم عزل وولي بسنة اثنتين واربعين نوفل بن الفرات ثم عزل نوفل وولي حميد بن قحطبة الطائي ثم صرف سنة اربع واربعين وولي يزيد بن حاتم المهلبي فاقام الى سنة اثنتين وخمسين فعزل وولي محمد بن سعيد فاقام الى ان استخلف المهدي فعزل في سنة تسع وخمسين وولي ابا ضمرة محمد بن سليمان كذا في تاريخ ابن كثير واما الجزار فقال انه ولي بعد يزيد بن حاتم عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج التجيبي ثم ولي بعده اخوه فاقام الى سنة احدى وستين ثم ولي عيسى بن اللخمي ثم ولي واضح مولى المنصور سنة اثنتين وستين ثم صرف من عامه وولي منصور بن

يزيد الحميري ثم ولي بعده يحيى بن داود ابو صالح الخرسي ثم ولي سالم
ابن سوادة التميمي سنة اربع وستين ثم ولي ابراهيم بن صالح العباسي
سنة خمس وستين ثم ولي موسى بن مصعب مولى خثعم ثم ولي الفضل بن
صالح العباسي سنة تسع وستين ومائة ثم ولي علي بن سليمان العباسي
من السنة ثم ولي موسى بن عيسى العباسي ثم عزل سنة اثنين وسبعين
وولي مسلمة بن يحيى ثم ولي محمد بن زهير الازدي سنة ثلاث وسبعين
ثم ولي داود بن يزيد المهلبي سنة اربع وسبعين ثم اعيد موسى بن
عيسى سنة خمس وسبعين ثم عزله الرشيد سنة ست وسبعين وولي
عليها جعفر بن يحيى البرمكي فاستناب عليها عمر بن مهران وكان شنيع
في الشكل احول وكان سبب ذلك ان الرشيد بلغه ان موسى بن عيسى عزم
على خلعه فقال والله لاولين عليها اخس الناس فاستدعى عمر بن مهران وولاه
عليها نيابة عن جعفر فسار عمر اليها على بغل وغلامه ابو درة على بغل اخر
فدخلها كذلك فانتهى الى مجلس موسى بن عيسى فجلس عليه في اخريات
الناس حتى انفضوا فقال له موسى بن عيسى وهو لا يعرف من هو فقال
ابك حاجة يا شيخ قال نعم اصلح الله الامير ثم قام بالكتب فدفعها اليه
فلما قراها قال انت عمر بن مهران قال نعم قال لعن الله فرعون حين قال اليس
لي ملك مصر ثم سلم اليه العمل وارتحل منها ثم في سنة سبع وسبعين عزل
الرشيد جعفر عن مصر وولي عليها اسحاق بن سليمان كذا في تاريخ ابن كثير وغيره
و ذكر الاديب ابو الحسن الجزار في ارجوزته في امراء مصر خلاف ذلك فانه
قال اعيد موسى بن عيسى سنة خمس وسبعين ثم اعيد ابراهيم بن صالح
العباسي سنة ست وسبعين ثم ولي عبد الله بن المسيب الضبي ثم ولي اسحاق
ابن سليمان العباسي سنة سبع وسبعين كذا قال والله اعلم ثم عزل اسحاق
سنة ثمان وسبعين وولي هرثمة بن اعين فاقام نحوا من شهر ثم عزل وولي عبد
الملك بن صالح العباسي فاقام الى سلخ سنة ثمان وسبعين وولي عبد الله بن
المهدي العباسي سنة تسع وسبعين ثم اعيد موسى بن عيسى سنة

ثمانين

ثمانين ثم اعيد عبيد الله بن المهدي وصرف في رمضان سنة احدى وثمانين
وولي اسماعيل بن صالح العباسي ثم ولي اسماعيل بن عيسى سنة اثنين وثمانين ثم
صرف وولي الليث سنة سبع وثمانين ثم ولي عبد الله بن محمد بن العباسي
ثم ولي الحسين بن جميل الازدي سنة تسعين ثم ولي مالك بن دلهم الكلبي
سنة اثنين وتسعين ثم ولي الحسن سنة ثلاث وتسعين ثم ولي حاتم بن
هرثمة بن اعين ثم صرف في سنة خمس وتسعين وولي جابر بن الاشعث الطائي
ثم ولي عباد بن نصر الكندي سنة ست وتسعين ثم ولي المطلب بن عبد الله
الخزاعي سنة ثمان وتسعين ثم ولي العباس بن موسى في السنة ثم اعيد
المطلب سنة تسع وتسعين ثم ولي السري بن الحكم في سنة مائتين ثم ولي
سليمان بن غالب سنة احدى ومائتين ثم اعيد السري بن الحكم في السنة ثم
مات في سنة خمس ومائتين فولي بعده ابو نصر محمد بن السري ثم تغلب عليها
عبد الله بن السري في سنة ست فاقام بها الى سنة عشر فوجه اليها المامون
عبد الله بن طاهر فاستنقذها منه بعد حروب يطول ذكرها و قد ذكر
الوزير ابو القاسم المغربي ان البطيخ العبدلاوي الذي بمصر منسوب الى عبد الله
ابن طاهر هذا قال ابن خلكان اما انه كان يستطيبه اولانه اول من زرعه بها
ثم ولي بعده عيسى بن يزيد الجلودي ثم في ثلاث عشرة ومائتين ثار رجلان
بمصر وهما عبد السلام وابن جليس فخلعا المامون واستحوذا على الديار المصرية
وبايعهما طايفة من التميمية واليمانية فولى المامون اخاه ابا اسحاق بن الرشيد
نيابة مصر مضافة الى الشام فقدمها سنة اربع عشرة ومائتين وافتتحها وقتل
عبد السلام وابن جليس واقام بمصر ثم ولي عليها عمير بن الوليد التميمي ثم
صرف واعيد عيسى بن يزيد الجلودي ثم عبدويه بن جبلة سنة خمس عشرة ثم
ولي عيسى بن منصور مولى بني نصر وفي ايامه قدم المامون مصر في سنة ست
عيسى
عشرة ثم ولي ابن كيدر السعدي سنة تسع عشرة ثم ولي المظفر ثم ولي
ابن ابي العباس الحنفي ثم ولي مالك بن كيدر سنة خمس وعشرين ومائتين ثم
اعيد عيسى بن منصور ثانية في السنة فاقام شهرا ثم ولي علي بن يحيى

سنة اربع وثلاثين ثم ولي اخوه اسحاق الجبلي سنة خمس وثلاثين ثم ولي
عبد الواحد بن يحيى مولى خزاعة سنة ست وثلاثين ثم ولي عنبسة بن
اسحاق الضبي سنة ثمان وثلاثين ثم عزل وولي يزيد بن عبد الله بن الوالي
سنة اثنتين واربعين ثم ولي مزاحم بن خاقان سنة ثلاث وخمسين ثم ولي
ابنه احمد في السنة ثم ولي ارخور التركي في السنة ثم صرف عنها ايضا ثم
ولي احمد بن طولون التركي ثم اضيف اليه نيابة الشام والعواصم والثغور
وافريقية فاقام مدة طويلة وفتح مدينة انطاكية وبنى بمصر جامعه
المشهور وكان ابوه طولون من الاتراك الذين اهداهم نوح بن اسد الساماني
عامل بخارى الى المامون سنة مائتين و يقال الى الرشيد في سنة تسعين
ومائة وولد ابنه احمد في سنة اربع عشرة وقيل سنة عشرين ومائتين ومات
طولون سنة ثلاثين وقيل سنة اربعين و حكى ابن عساكر عن بعض مشايخ
مصر ان طولون لم يكن ابا احمد وانما تبناه وامه جارية تركية اسمها هاشم
وكان الاتراك طلبوا منه ان يقتل المستعين ويعطوه واسطا فابى وقال والله لا
اجترات على قتل اولاد الخلفاء فلما ولي مصر قال الله وعدني الاتراك ان قتلت
المستعين ان يولوني واسطا فخفت الله ولم افعل فعوضني ولاية مصر والشام
وسعة الاحوال قال محمد بن عبد الملك الهمداني في كتاب عنوان السير قال
بعض اهل مصر جلسنا في دكان ومعنا اعمى يدعي علم الملاحم وذلك قبل دخول
احمد بن طولون بساعة فسالناه عما يجده في الكتب لاجله فقال هذا رجل
من صفته كذا وكذا يتقلده هو وولده قريبا من اربعين سنة فما تم كلامه حتى
اجتاز احمد فكانت صفته وولايته وولاية ولده كما قال و قال بعض اصحابه الزيني
ابن طولون صدقاته وكانت كثيرة فقلت له يوما ربما امتدت الي اليد المطوقة
بالجوهر والمعصم ذو السوار والكم الناعم افامنع هذه الطبقة فقال هؤلاء
المستورون الذين يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف احذر ترد يدا امتدت اليك
واعط من استعطاك فعلى الله تعالى اجري وكان يتصدق في كل اسبوع بثلاثة
الاف دينار سوى الراتب ويجري على اهل المساجد في كل شهر الف دينار وحمل

الى

الى بغداد في مدة ايامه وما فرق على العلماء والصالحين الفي الف دينار ومائتي
الف دينار وكان خراج مصر في ايامه اربعة الاف الف دينار وثلاثمائة الف دينار
وكان لابن طولون ما بين رحبة مالك بن طوق الى اقصى المغرب واستمر ابن طولون
اميرا بمصر الى ان مات بها ليلة الاحد لعشر خلون من ذي القعدة سنة سبعين
ومائتين وخلف سبعة عشر ابنا وقال بعض الصوفية رايته في المنام بعد وفاته
بحال حسنة فقال ما ينبغي لمن سكن الدنيا ان يحقر حسنة فيدعها ولا سيئة
فياتيها عدل بي عن النار الى الجنة بتثبتي على متظلم عيي اللسان شديد
التهيب فسمعت منه وصبرت عليه حتى قامت حجته وتقدمت بانصافه وما
في الاخرة اشد على روساء الدنيا من الحجاب لملتمس الانصاف وولي بعده ابنه
ابو الجيوش خمارويه واقام ايضا مدة طويلة ثم في ذي الحجة سنة اثنتين
وثمانين قدم البريد فاخبر المعتضد بالله ان خمارويه ذبحه بعض خدمه على
فراشه وولوا بعده ولده جيشا فاقام تسعة اشهر ثم قتلوه ونهبوا داره
وولوا هارون بن خمارويه وقرر التزم في كل سنة بالف الف دينار وخمسمائة
الف دينار تحمل الى باب الخليفة فاقره المعتضد على ذلك فلم يزل الى صفر سنة
اثنتين وتسعين ودخل عليه عماه شيبان وعدي ابنا احمد بن طولون وهو
ثمل فقتلاه وولي عمه ابو المغانم شيبان فورد بعد اثني عشر يوما من ولايته
من قبل المكتفي ولاية محمد بن سليمان الواثقي فسلم اليه شيبان الامر واسـ
واستصفى اموال الطولونيين وانقضت مدة الطولونية عن الديار المصرية واقام
محمد بن سليمان بمصر اربعة اشهر وولي عليها بعده عيسى بن محمد النوشري
فاقام واليا عليها خمس سنين وشهرين ونصفا ومات سنة سبع وتسعين
ومائتين فولي المقتدر ابا منصور تكين الخاصة ثم صرف في سنة ثلاث وثلاثمائة
وولي ذكا ابو الحسن ثم صرف واعيد تكين الخاصة فاقام الى ان مات سنة
احدى وعشرين وثلاثمائة وورد الخبر بموته الى بغداد وان ابنه محمدا قد قام
بالامر من بعده فسير اليه القاهر الخلع بتقليده الولاية واستقرارها ثم صرف
وولي ابو بكر محمد بن طغج الملقب بالاخشيد ثم صرف من عامه واعيد احمد

ابن كيغلغ ثم صرف سنة ثلاث وعشرين وولي ابو عبد الله محمد بن طغج وفي هذا الوقت
كان تغلب اصحاب الاطراف عليها لضعف امر الخلافة وبطل معنى الوزارة وصارت
الدواوين تحت حكم امير الامراء محمد بن رايق وصارت الدنيا في ايدي عمالها فكانت
مصر والشام في ايدي الاخشيد والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في
ايدي بني حمدان وفارس في يد علي بن بويه وخراسان في يد نصر بن احمد
وواسط والبصرة والاهواز في يد البريدي وكرمان في يد محمد بن الياس والري
واصبهان والجبل في يد الحسن بن بويه والمغرب وافريقية في يد ابي عمرو القا
يم وطبرستان وجرجان في يد الديلم والبحرين واليمامة وهجر في يد ابي طاهر
القرمطي فاقام محمد بن طغج في مصر الى ان مات في ذي الحجة سنة اربع وثلاثين
وثلاثمائة واقام ابنه ابو القاسم بن جور قال الذهبي في العبر ومعناه
بالعربية محمود فقام مقامه وكان صغيرا فاقيم كافور الاخشيدي الخادم الاسود
اتابكا له فكان يدبر المملكة فاستمر الى سنة تسع واربعين فمات ابو جور
وقام بعده اخوه علي فاستمر الى ان مات سنة خمس وخمسين فاستقرت المملكة
باسم كافور فدعي له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية والحجاز فاقام
سنتين واربعة اشهر ومات بمصر في جمادى الاولى سنة سبع وخمسين قال
الذهبي كان كافور خصيا حبشيا اشتراه الاخشيد من بعض اهل مصر بثمانية
عشر دينارا ثم تقدم عنده بعقله ورايه الى ان صار من كبار القواد ثم لما
مات استاذه كان اتابك ولده ابو جور وكان صبيا فغلب كافور على الامور وصار
الاسم للولد والدست لكافور فالامر ولم يبلغ احد من الخصيان ما بلغ كافور ومونس
المظفري الذي ولي سلطنة العراق ومدحه المتنبي بقوله

قواصد كافور توارك غيره ٭ ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت بنا انسان عين زمانه ٭ وخلت بياضا خلفها وماقيا

وهجاه بقوله ٭ من علم الاسود الخصي مكرمة ٭ اقومه البيض ام اباؤه الصيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة ٭ عن الجميل فكيف الخصية السود

قال محمد بن عبد الملك الهمداني كان بمصر واعظ يقص على الناس فقال يوما في

قصصه

قصصه انظروا الى هوان الدنيا على الله تعالى فانه اعطاها المقصوصين ضعيفين
ابن بويه ببغداد وهو اشل وكافور عندنا بمصر وهو خصي فرفع اليه قوله
وظنوا انه يعاقبه فتقدم له بخلعة ومائة دينار وقال لم يقل هذا الا لجفاء في
له فكان الواعظ يقول بعد ذلك في قصصه ما انجبت من ولد حام الا ثلاثة
لقمان الحكيم وبلال المؤذن وكافور وقال ابو جعفر مسلم بن عبد الله بن طاهر
العلوي كنت اساير كافور يوما وهو في موكب خفيف فسقطت مقرعته من
يده فبادرت بالنزول واخذتها من الارض ودفعتها اليه فقال ايها الشريف اعوذ
بالله من بلوغ الغاية ما ظننت ان الزمان يبلغني حتى يفعل بي هذا وكاد يبكي
فلما بلغ باب داري ودعته وسرت فاذا انا بالبغال والجنائب بمراكبها وقال
اصحابه امر الاستاذ بحمل هذا اليك وكان ثمنها يزيد على خمسة عشر الف دينار
ولما مات كافور ولي المصريون مكانه ابا الفوارس احمد بن علي بن الاخشيد
وهو ابن اثنتين وعشرين سنة فاقام شهرا حتى اتى جوهر القايد من المغرب
فانتزعها منه ذكر اقوا مصر من بني عبيد ٭

لما توفي كافور الاخشيدي لم يبق بمصر من يجمع القلوب عليه واصابهم غلاء
شديد اضعفهم فلما بلغ ذلك المعز ابو تميم معد بن المنصور اسماعيل بن
نزار وهو ببلاد افريقية بعث مولى ابيه جوهر وهو القايد الرومي في مائة
الف مقاتل فدخل مصر في يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين
وثلاثمائة فهرب اصحاب كافور واخذ جوهر مصر بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة
فخطب جوهر للمعز يوم الجمعة على منابر الديار المصرية وساير اعمالها وامر
المؤذنين بجامع عمرو وبجامع ابن طولون ان يؤذنوا بحي على خير العمل فشق ذلك
على الناس وما استطاعوا له ردا وصبروا لحكم الله وشرع في بناء القاهرة
والقصرين والجامع الازهر وارسل بشيرا الى المعز يبشره بفتح الديار المصرية
واقامة الدعوة له بها وطلبه اليها فخرج المعز بذلك وامتدحه شاعره
محمد بن هانئ الاندلسي بقصيدة اولها ٭

يقول بنو العباس هل فتحت مصر ٭ فقل لبني العباس قد قضي الامر ٭

وابن هانئ في هذا قد كفره غير واحد من العلماء منهم القاضي عياض في الشفا
لمبالغته في مدائحه من ذلك قوله في المعز

ما شئت لا ما شاءت الاقدار ... فاحكم فانت الواحد القهار

وقوله ولطالما زاحمت تحت ركابه جبريلا ثم توجه المعز من المغرب في
شوال سنة احدى وستين وتلقاه اعيان مصر اليها فخطب هناك خطبة بليغة
وجلس قاضي مصر ابو الطاهر الذهلي الى جنبه فسأله هل رأيت خليفة
افضل مني فقال لم احدا من الخلفاء سوى امير المومنين فقال له احججت قال نعم قال
وزرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وقبر ابي بكر وعمر قال فـ
تحيرت ماذا اقول ثم نظرت فاذا ابنه قائم مع كبار الامراء فقلت شغلني عنهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما شغلني امير المومنين عن السلام على ولي العهد
ونهضت اليه وسلمت عليه ورجعت فانفسح المجلس الى غيري ثم سار من
الاسكندرية الى مصر فدخلها في خامس رمضان فنزل بالقصرين فكانت اول
حكومة انتهت اليه ان امرأة كافور الاخشيدي وقفت اليه فذكرت له انها
كانت اودعت رجلا من اليهود الصواغ قباء من لؤلؤ منسوج بالذهب وانه جحد
ذلك فاستحضره وقرره فانكر اليهودي فامر ان يفتش داره فوجد القباء قد
جعله في جرة ودفنها فدفعه المعز اليها فقدمته اليه وعرضته عليه فأبى
ان يقبله منها ورده عليها فاستحسن ذلك الحاضرون من مومن وكافر وسار اليه
الحسن بن احمد القرامطي في جيش كثيف وانشد يقول

زعمت رجال الغرب اني هبتهم ... فدمي اذا ما بينهم مطلول
يا مصر ان لم اسق ارضك من دم ... يروي ثراك فلا سقاني النيل

والتقى معه امير العرب ببلاد الشام وهو حسان بن الجراح الطائي في عرب الشام
لينزعوا مصر منه وضعف جيش المعز عن قتالهم فراسل حسان ووعده بمائة
الف دينار ان هو خذل بين الناس فارسل اليه ان ابعث الي بها التزمت ويقال نحن معك
فاذا التقينا انهزمت بمن معي فارسل اليه المعز بمائة الف دينار في اكياس اكثرها
زغل ضرب النحاس ولبسه الذهب وجعله في اسفل الاكياس ووضع في رؤوس

الاكياس

الاكياس الدنانير الخالصة وركب في اثرها بجيشه فالتقى الناس فلما نشبت
الحرب بينهم انهزم حسان بالعرب فضعف جانب القرامطي وقوي عليه المعز
فكسره واستمر المعز بالقاهرة الى ان مات في ربيع الآخر سنة خمس وستين
وكان منجمه قال له في السنة التي قبلها ان عليك قطعا في هذه السنة فتوار عن
وجه الارض حتى تنقضي هذه المدة فعمل له سردابا ودعا الامراء واوصاهم
بولده نزار ولقبه العزيز وفوض اليه الامر حتى يعود فبايعوه على ذلك ودخل
ذلك السرداب فتوارى فيه سنة فكانت المغاربة اذا رأى الرجل منهم سحابا
سائرا ترجل عن فرسه واومأ اليه بالسلام ظانا ان المعز في ذلك الغمام ثم
برز الى الناس بعد مضي سنة وجلس للحكم على عادته فعاجله الله في هذه
السنة

وولي بعده ابنه العزيز

ابو منصور نزار فاقام الى ان مات سنة ست وثمانين ومن غرائبه انه استوزر رجلا
نصرانيا يقال له عيسى بن نسطورس وآخر يهوديا اسمه ميشا فعز بهما
اليهود والنصارى على المسلمين في ذلك الزمان حتى كتبت اليه امرأة في قصة
في حاجة لها تقول بالذي اعز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بميشا
واذل المسلمين الا ما كشفت عني ظلامتي فعند ذلك امر بالقبض على هذين
واخذ من النصراني ثلاثمائة الف دينار

وولي بعده ابنه الحاكم

فكان شر الخليفة لم يل مصر بعد فرعون شر منه رام ان يدعي الالاهية كما
ادعاها فرعون فامر الرعية اذا ذكره الخطيب على المنبر ان يقوموا على
اقدامهم صفوفا اعظاما لذكره واحتراما لاسمه فكان يفعل ذلك في سائر
ممالكه حتى في الحرمين الشريفين وكان اهل مصر على الخصوص اذا قاموا خروا
سجدا حتى انه يسجد بسجودهم اهل الاسواق من الرعاع وغيرهم وكان
جبارا عنيدا وشيطانا مريدا كثير التلون في اقواله وافعاله هدم كنائس
مصر ثم اعادها وخرب قمامة ثم اعادها ولم يعهد في ملة الاسلام بناء
كنيسة في بلاد الاسلام قبله ولا بعده الا ما سنذكره وقد نقل السبكي
الاجماع على ان الكنيسة اذا هدمت ولو بغير وجه لا يجوز اعادتها ومن

فيأمر الحاكم أنه ابتنى المدارس وجعل فيها الفقهاء والمشايخ ثم قتلهم وخربها
والزم الناس بإغلاق الأسواق نهارا وفتحها ليلا فامتثلوا ذلك دهرا
طويلا حتى اجتاز مرة بشيخ يعمل النجارة في أثناء النهار فوقف عليه فقال
ألم ننهكم عن هذا فقال يا سيدي أما كان الناس يسهرون لما كانوا يتعيشون
بالنهار فهذا من جملة السهر فتبسم وتركه وأعاد الناس إلى أمرهم الأول
وكان يعمل الحسبة بنفسه فيدور في الأسواق على حمار له وكان لا يركب إلا
حمارا فمن وجده قد غش في معيشته أمر عبدا أسود معه يقال له مسعود
أن يفعل به الفاحشة العظمى وكان منع النساء من الخروج من منازلهن وأن يطلعن
من الطاقات أو الأسطحة ومنع الخفافين من عمل الأخفاف لهن ومنعهن من دخول
الحمامات وقتل من النساء على مخالفته في ذلك وهدم بعض الحمامات عليهن
ومنع من طبخ الملوخية وله رعونات كثيرة لا تنضبط فأبغضه الخلق وكتبوا إليه
الأوراق بالشتم له ولأسلافه في صورة قصص حتى عملوا صورة امرأة من ورق بخفها
وإزارها وفي يدها قصة من الشتم شيء كثير فلما رآها ظنها امرأة فذهب
من ناحيتها وأخذ القصة من يدها فلما رأى ما فيها غضب وأمر بقتلها فلما
تحققها من ورق ازداد غضبا إلى غضبه وأمر العبيد من السودان أن يحرقوا مصر
وينهبوا ما فيها من الأموال والحريم ففعلوا وقاتلهم أهل مصر قتالا شديدا
ثلاثة أيام والنار تعمل في الدور والحريم واجتمع الناس في الجوامع ورفعوا
المصاحف وجأروا إلى الله واستغاثوا به وما انجلى الحال حتى احترق من مصر
نحو ثلثها ونهب نحو نصفها وسبي حريم كثير وفعل بهن الفواحش واشترى
الرجال من سبي لهم من النساء والحريم من أيدي العبيد قال ابن الجوزي ثم
زاد ظلم الحاكم وعن له أن يدعي الربوبية فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون
يا واحد يا أحد يا محيي يا مميت قلت كان في عصرنا أمير يقال له ازدمر
الطويل اعتقاده قريب من اعتقاد الحاكم هذا وكان يروم أن يتولى المملكة فلو
قدر الله له بذلك لفعل نحو ما فعل الحاكم وقد أطلعني على ما في ضميره وطلب مني
أن أكون معه على هذا الاعتقاد في الباطن الذي يؤول إلى السلطنة فيجوز في

الخلق

الخلق بالسيف حتى يوافقوه على اعتقاده فضقت بذلك ذرعا وما زلت أتضرع
إلى الله تعالى في هلاكه وأن لا يوليه على المسلمين واستغثت بالنبي صلى الله عليه
وسلم وسألت فيه أرباب الأحوال حتى قتله الله فلله الحمد على ذلك ثم كان من أمر
الحاكم أن تعدى شره إلى أخته يتهمها بالفاحشة ويسمعها أغلظ الكلام
فعملت على قتله فركب ليلة إلى الجبل المقطم ينظر في النجوم فأتاه عبدان فقتلاه
وحملاه إلى أخته ليلا فدفنته في دارها وذلك سنة إحدى عشرة وأربعمائة

وولي بعده ابنه أبو الحسن علي

ولقب الظاهر لإعزاز دين الله فأقام إلى أن توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة
وكانت سيرته جيدة **وولي بعده ابنه أبو تميم معد**
ولقب المستنصر وعمره سبع سنين فطالت مدته جدا فإنه أقام ستين سنة
ولم يقم هذه المدة خليفة ولا ملك في الإسلام قبله ولا بعده وكانت وفاته سنة
سبع وثمانين وأربعمائة **وولي** بعده ابنه أبو القاسم أحمد ولقب المستعلي
فأقام إلى أن توفي في ذي الحجة سنة خمس وتسعين وأربعمائة **وولي** بعده
ابنه منصور ولقب الآمر بأحكام الله قال ابن ميسر في تاريخه لما توفي المستعلي
أحضر الأفضل أبا علي وبايعه بالخلافة ونصبه مكان أبيه ونعته بالآمر بأحكام
الله وكان له من العمر خمس سنين وشهور وأيام فكتب ابن الصيرفي الكاتب مده
السجل بانتقال المستعلي وولاية ابنه وقرئ على رؤوس كافة الأجناد والأمراء
وأولاد أبي عبد الله وولده أبي علي الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين ابن الإمام
المستعلي بالله إلى كافة أولياء الدولة وأمرائها وقوادها وأجنادها عده
ورعاياها شريفهم ومشروفهم وآمرهم ومأمورهم مغربيهم ومشرقيهم أحمرهم
وأسودهم كبيرهم وصغيرهم بارك الله فيهم سلام عليكم فإن أمير المؤمنين
يحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على جده محمد صلى الله
عليه وسلم خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين الأئمة
المهديين وسلم تسليما أما بعد فالحمد لله المنفرد بالثبات والدوام الباقي على
صرم الليالي والأيام الجاعل نقص الأمور معقودا بكمال الإتمام جاعل الموت حكما

يستوي فيه جميع الانام ومنهلا لا يتم من ورده، كرامة نبي. ولا امام والفاضل
معزيا لنبيه ولكافة امته كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
الذي استرعى الايمة هذه الامة ولم يخل الارض من انوارهم لطفا بعباده، ونعمة
وجعلهم مصابيح العشية اذا اغدفت داجية مدلهمة لتضي للمومنين سبل
الهداية ولا يكون امرهم عليهم غمة فجدد امير المومنين حمدا شاكرا على ما نقله فيه
من وحي الانابة ونقله اليه من ميراث الخلافة صابرا على الرزية التي اطار هجوسها
الالباب والنجيوا التي اطار طروفها الاسف والاكتاب ويساله ان يصلي على جده
محمد خاتم انبيايه وسيد رسله وامنايه ومجلي غياهب الكفر وكاشف عمايه
الذي قام بما استودعه الله من امانته وحمله من اعباء رسالته ولم يزل هاديا
الى الايمان داعيا الى الرحمن حتى انتدع المعاندون وافر الجاحدون وجاء الحق
وظهر امر الله وهم كارهون فحينيذ انزل الله عليه اتماما لحكمته التي لا يعتر
ضها المعترضون ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون صلى
الله عليه وعلى اخيه وابن عمه ابينا امير المومنين علي بن ابي طالب الذي اكرمه
بالمنزلة العلية وانتجبه للامامة وابانه بالبرية وخصه بغوامض علم التنزيل
وجعل له مزية التعظيم ومزية التفضيل وقطع بسيفه دابر من زل عن القصد
وضل عن سواء السبيل وعلى الايمة من ذريتهما العترة الهادية من ضلال التيه
. ابائنا الابرار المصطفين الاخيار ما تصرفت الاقدار وتوالى الليل والنهار وان
الامام المستعلي بالله امير المومنين قدس الله روحه كان ممن اكرمه الله بالا
صطفا وخصه بشرف الاجتبا ومكن له في بلاده، وامنت اولياء عدله واستخلفه
في ارضه كما استخلف اباه من قبله واباه، بما استرعاه اباه بعده ابيه واوشاده
وامده بما استخلفه عليه عوايد توفيقه واسعاده، ذلك هدى الله يهدي به من
يشاء من عباده، فلم يزل لاعلام الدين رافعا ولشبه المضلين دافعا ولراية العدل
ناشرا وبالندى عامرا وللعدى قاهرا الى ان استوفى المدة المحسوبة وبلغ الغاية
الموهوبة فلو كانت الفضايل تزيد في الاعمار او تحمي من ضروب الاقدار او تو خر
ما سبق تقديمه في علم الواحد القهار لحمى نفسه النفيسة كريم مجدها

وشريف

وشريف سمتها وكفاها خطير منصبها وعظيم هيبتها ووقتها افعالها
التي تستقي من منبع الرسالة وصانتها لخلالها التي ترتقي الى مطلع الجلالة
لكن الاعمار محدودة مقسومة والاجال مقدرة معلومة والله تعلى يقول وبقوله
يهتدي المهتدون ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
فامير المومنين يحتسب عند الله هذه الرزية التي عظم امرها فدح وجرح خطبها
وفدح وغدت لها القلوب واجفة والامال كاسفة ومضاجع السكون منفضة
ومدامع العيون مرتفضة فانا لله وانا اليه راجعون صبرا على بلايه وتسليما
لامره وقضايه واقتدا بمن اثنى عليه في الكتاب انا وجدناه صابرا نعم العبد
انه اواب وقد كان الامام المستعلي بالله قدس الله روحه عند نقلته جعل
لي عقد الخلافة من بعده، واستودعني ما حازه عن ابيه عن جده، وعهد الي
ان اخلفه في العالم واجري الكافة في العدل والاحسان عن قصده المتعالم واطلعني
من العلوم على السر المكنون وافضى الي من الحكمة بالغامض المصون واوصاني
بالعطف على البرية والعمل فيهم بسيرتهم المرضية على علمي بما جعلني الله
عليه من الفضل وخصني به من ايثار العدل واني فيما استرعيته سالك مناهجه
عامل بموجب الشرف الذي في تاجه وكان مما القاه الي واوجبه على ان اعلي
مجلس السيد الاجل من طبعه الكريم وما يجب له من التبجيل والتكريم وان الامام
المنتصر بالله كان عند ما عهد اليه ونص بالخلافة عليه اوصاه ان يتخذ هذا
السيد الاجل خليفة وخليلا ويجعله للامامة زعيما وكفيلا ويصدر عن امره
النظر والنقض فيروق ويعوض اليه تدبيرها وتلي الامور وانه عمل بهذه الوصية
وحذى على تلك الامثلة النبوية واسند اليه احوال العساكر والرعية واناط
امر الكافة بعزمته الماضية وهمته العلية فكان قلمه بالسداد يرجف
ولا يحيف وسيفه من دماء ذوي العناد يكف ولا يكف ورايه في حسم مواد
الفساد يرجح ولا يخف فاوصاني ان اجعله كما كان له صفيا وظهيرا ولا استر
في الامور عنه كبيرا ولا صغيرا وان اقتدي به في رد الاحوال التي تكلفته
واسنا الاسباب التي تبقى والتاهل بتاهله الخطب ومنتقلد الى غير ذلك

بما استقر عند آبائه الى من النص الذي يستضيء نشره وريا، نعمة من الله
فضل الي بالسعد العظيم ومنه نشهد بالفضل المبين والحظ الجسيم والله
يولي ملكه من يشاء والله واسع عليم فتعرفوا معاشر الاولياء والامراء والقواد
والاجناد والرعايا والخدام حاضركم وغائبكم ودانيكم وقاصيكم عن الامام
المنقول الى جنان الخلود وابتهجوا بكريم نظره المطلع لكم كواكب السعود
ولكم من امير المومنين ان لا يضيع حبيبا من مصائبكم وان يبقى خاما عاد بمياسنكم
ومناججكم وان يحسن السيرة فيكم ويدفع الاذى من معاديكم ويتفقد مصلحة
حاضركم وباديكم ولامير كم عليكم ان تعتقدوا موالاته بخالص الطوية
وتجمعوا له في الطاعة بين العمل والنية وتدخلوا في البيعة بصدور منشرحة
وآمال منفسحة وضمائر يقينية وبصائر في الولاء قوية وان تقوموا
بشروط بيعته وتنهضوا بحقوق نعمته وتبذلوا الطارف والتالد في
حقوق خدمته وتتقربوا الى الله سبحانه وتعالى بالمناصحة له ولدولته وامير
المومنين يسأل الله ان تكون خلافته كافلة بالاقبال ضامنة ببلوغ الاماني
والآمال وان يجعل فيها دلائل بالخيرات وقسمها ناميه على الاوقات ان شاء
الله تعالى واقام الامور باحكام الله خليفة الى ان قتل في ذي القعدة
سنة اربع وعشرين وخمسماية عدى الى الروضة في فئة قليلة فخرج
عليه منها قوم بالسيوف فقتلوه وكان سيئ السيرة ولما قتل تغلب
على الديار المصرية غلام ارمني من غلمانه فاستحوذ على الامور ثلاثة
ايام ورام ان يتأمر فحضر الوزير ابو علي احمد بن الفضل بن الجمالي فاقام
الخليفة الحافظ لدين الله ابا الميمون عبد المجيد بن الامير ابي القاسم بن
المستنصر بالله واستحوذ على الامور بعد ذلك دونه وحصره في مجلس لا يدخل
اليه احد الا من يريده وخطب لنفسه على المنابر ونقل الاموال من القصر الى داره
ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط فلم يزل كذلك حتى قتل الوزير معظم امراء
الحافظ من جيشه وجدد له الالقاب ثم نسبوا اليها وخطب له بها على المنابر
فكان يقال اصلح الله من شيد به الدين بعد دثوره واعزت به الاسلام بان

جعلته سببا لظهوره مولانا وسيدنا امام العصر والزمان ابا الميمون عبد
المجيد الحافظ لدين الله قال ابن خلكان وكان الحافظ كثير المرض بعلة القولنج
فعمل له شرماه الديلمي طبل القولنج ركبه من المعادن السبعة في اشرافها كل
واحد منها في وقته فكان من خاصته انه اذا ضرب به احد خرج الريح من مخرجه
فكان هذا الطبل في خزائنه الى ان ملك السلطان صلاح الدين بن ايوب اخذ هذا
الطبل المذكور كردي ولا يدري ما هو فضرب به فضرط فخجل فالقى الطبل من يده
فانكسر واستمر الحافظ على الولاية الى ان مات في جمادى الاخرة سنة اربع
واربعين وخمسماية وولي بعده ولده الفائز بنصر الله ابو القاسم عيسى
وهو صبي صغير ابن خمس سنين فان مولده في المحرم سنة اربعين فاقام الى ان
توفي في مصر سنة خمس وخمسين وعمره يومئذ خمس عشرة وكان مدبر دولته
ابو الغارات طلائع بن رزيك وولي بعده العاضد لدين الله ابو محمد عبد
الله بن يوسف بن الحافظ وهو آخر العبيديين ومات في يوم عاشوراء سنة
سبع وستين وزالت دولتهم على يد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب
رحمه الله تعالى قال ابن كثير ومن الغريب ان العاضد في اللغة القاطع ومنه الحديث
لا يعضد شجرها فبالعاضد قطعت دولة بني عبيد وقال ابن خلكان سمعت
جماعة من المصريين يقولون ان هؤلاء القوم في اوائل دولتهم قالوا لبعض العلماء
اكتب لنا القابا في ورقة تصلح للخلفاء حتى اذا تولى احد لقبوه ببعض تلك
الالقاب فكتب لهم القابا واخر ما كتب في الورقة العاضد فاتفق ان آخر
من ولي منهم العاضد ولم يكن للمستنصر ومن بعده من الخلافة سوى الاسم فقط
لاستيلاء وزرائهم على الامور وتحجرهم عليهم وتلقبهم بالقاب الملوك فكانوا معهم
كخلفاء عصرنا مع ملوكهم وكخلفاء بغداد من بني بويه واشباههم ومن قصيدة
ابن فضل الله التي سماها حسن الوفا لمشاهير الخلفا

والخلفاء من بني فاطمة ❊ الى عبيد الله ردا خذ
ابناء اسماعيل نجل جعفر ❊ الصادق في القول ابوه الفائز
بالمغرب مهدية تلاه قائم ❊ والثالث المنصور وهو الآخذ

ثم المعز فاتى الجيش الذي ۞ سار الى مصر ونعم السائر

ثم ابنه العزيز عز شبهها ۞ والحاكم المعروف ثم الظاهر

وبعده المستنصر الثاني الذي ۞ بلاء مستعل وجاء الآمر

وحافظ وظافر وفائز ۞ وعاضد ثم المليك الناصر

قالوا الفقد سالهم معتقد ۞ والله عند علمه السرائر

لا كنها الحاكم من لج بغى ۞ طغيانه بكابر وفاجر

ذكر امراء مصر من حين ملكها بنو ۞ ايوب الى ان اتخذ الخلفاء العباسية دار الخلافة

لما قتل صاحب الظافر وصلت الاخبار الى بغداد بان مصر قتل صاحبها ولم يبق منهم الا صبي صغير ابن خمس سنين يدلون عليهم ولقبوه الفائز فكتب الخليفة المكتفي عهد الملك نور الدين بن محمود بن زنكي على البلاد الشامية والمصرية وارسله اليها فسار حتى اتى دمشق فحاصرها وانتزعها من يد ملكها مجير الدين بن بوري بن طغتكين وشرع في فتح بلاد الشام بلدا بلدا واخذها من يد من استولى عليها من الافرنج فلما كان في سنة اثنتين وستين اتت الافرنج في جحافل كثيرة الى الديار المصرية فارسل نور الدين محمود اسد الدين شيركوه بن شادي ومعه ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب فسار اليها في ربيع الاخر فقد وقع في النفوس ان صلاح الدين سيملك الديار المصرية

وفي ذلك يقول عرقلة الشاعر

اقول والاتراك قد ازمعت ۞ مصر الى حرب الاعاريب

رب كما ملكتها يوسف ۞ الصديق من اولاد يعقوب

يملكها في عصرنا يوسف ۞ الصادق من اولاد ايوب

من لم يزل ضراب هام العدى ۞ حقا وضراب العراقيب

وسار الى الافرنج واقتتلوا قتالا شديدا فهزم الافرنج ولله الحمد وسار اسد الدين بعد كسر الافرنج الى الاسكندرية فملكها واستناب فيها ابن اخيه صلاح الدين وعاد الى الصعيد فملكه ثم ان الافرنج والمسلمين اجتمعوا

على حصار الاسكندرية فصالح شاور وزير العاضد اسد الدين عن الاسكندرية بخمسين الف دينار فاجاب الى ذلك وخرج صلاح الدين منها وسلمها الى المصريين وعاد الى الشام في ذي القعدة وقرر شاور للافرنج على مصر في كل سنة مائة الف دينار وان يكون لهم شحنة بالقاهرة وسكن القاهرة اكثر شجعان الافرنج وتحكموا فيها حتى كادوا يستولون عليها ويخرجوا المسلمين منها فلما كانت سنة اربع وستين قدم امداد الافرنج في جحافل هائلة فاخذوا منه مدينة بلبيس فقتلوا واسروا ونزلوا بها وتركوا فيها اثقالهم وجعلوها موئلا وقيلا ثم جاءوا ونزلوا على القاهرة من ناحية باب الشعرية فامر الوزير شاور الناس ان يحرقوا مصر وان ينتقلوا الى القاهرة فنهب البلد وذهب للناس اموال كثيرة وبقيت النار تعمل في مصر اربعة وخمسين يوما فعند ذلك ارسل الخليفة العاضد يستغيث بالملك نور الدين وبعث اليه بشعور نسائه يقول ادركني واستنقذ نسائي من ايدي الافرنج والتزم له بثلث خراج مصر على ان يكون اسد الدين مقيما عندهم ولهم اقطاعات زائدة على الثلث فجهز نور الدين الجيوش وعليهم اسد الدين ومعه صلاح الدين فدخلوا القاهرة وقد رجع الافرنج لما سمعوا بوصولهم وعظم امر اسد الدين بالديار المصرية وقتل الوزير شاور قتله صلاح الدين وفرح المسلمون بقتله لانه الذي كان يمال الافرنج على المسلمين واقيم اسد الدين مكانه في الوزارة ولقب الملك المنصور فلم يقم الا شهرين وخمسة ايام ومات في السادس والعشرين من جمادى الاخرة فاقام العاضد مكانه في الوزارة صلاح الدين يوسف ولقبه الملك الناصر قال ابو شامة وصفة الخلعة التي لبسها صلاح الدين يومئذ عمامة بيضا تنيسي بطرز ذهب وثوب ديبقي بطراز ذهب وجبة بطراز ذهب وطيلسان بطراز ذهب وعقد جوهر بعشرة آلاف دينار وسيف محلى بخمسة آلاف دينار وحجرة بثمانية الف دينار وعليها ذهب وسرسار ذهب مجوهر وفي راسها مائة حبة جوهر وفي قوائمها اربعة عقود جوهر وفي راسها قصبة ذهب وفيها سدة بيضا باعلام بيض ومع الخلعة عدة بقج وخيل واشياء اخر ومنشور الوزارة مكتوب

في ثوب الأطلس وكان ذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة
سنة أربع وستين وكان يوما مشهودا وارتفع قدر صلاح الدين بالديار المصـ
ـرية وانقلبت عليه القلوب وخضعت له النفوس وأظهر العاضد في أيامه
غاية الاضطهاد فلما كان سنة خمس وستين جاءت الافرنج دمياط خمسين
يوما فقاتلهم صلاح الدين حتى أجلاهم وأرسل نور الدين الى صلاح الدين يأمره
أن يخطب للخليفة المستنجد العباسي بمصر لأن الخليفة بعث يعاتبه بذلك فلما
كان سنة ست وستين أتى موت المستنجد وقام المستنصر وشرع صلاح الدين
في تمهيد الخطبة لبني العباس وقطع الأذان بحي على خير العمل من ديار مصر
كلها وعزل قضاة مصر لأنهم كلهم شيعة وولى قضاة القضاء بها لصدر الدين
ابن درباس الشافعي واستناب في سائر الأعمال شافعية فلما دخل سنة سبع
وستين أمر الملك صلاح الدين بإقامة الخطبة لبني العباس في أول جمعة من
المحرم وبالقاهرة في الجمعة الثانية وكان ذلك يوما مشهودا والعجب أن أول
من خطب للمعز حين أخذت مصر عمر بن عبد السميع العباسي الخطيب بجامع
عمرو وبجامع ابن طولون فكان أول من خطب لبني العباس هذه النوبة شريف
علوي يقال له محمد بن الحسين بن أبي الضياء البعلبكي ولما بلغ الخبر نور الدين
أرسل الى الخليفة المستضي يعلمه بذلك فزينت بغداد وغلقت الأسواق
وعملت القباب وفرح المسلمون فرحا شديدا قال ابن الجوزي وقد ألفت
في ذلك كتابا سميته النصر على مصر وكتب العماد الكاتب عن السلطان صلاح
الدين الى الملك نور الدين يبشره بذلك قد خطبنا للمستضي بمصر نائب
المصطفى إمام العصر في أبيات ذكرتها في تاريخ الخلفا وقال بعض شعراء بغداد
في ذلك ⁂ ليهنك يا مولاي فتح تتابعت ⁂ إليك به خوص الركائب توجف ⁂
⁂ أخذت به مصر وقد حال دونها ⁂ من الشرك ما يومي به الخوف يقذف ⁂
⁂ فعادت بحمد الله باسم إمامنا ⁂ تتيه على كل البلاد وتشرف ⁂
⁂ ولا غرو ان ذلت ليوسف مصره ⁂ وكانت الى عليائه تتشوف ⁂
⁂ تملكها في قبضة الكفر يوسف ⁂ وخلصها من قبضة الرفض يوسف ⁂

كشفت

⁂ كشفت بها عن آل هاشم سبة ⁂ وعارا أبى الا سيفك يكشف ⁂
وهي طويلة قال أبو شامة أنشدت هذه القصيدة للخليفة المستنجد فلم يخطب
الا لولده المستضي فجرى الفال باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وأرسل
الخليفة المستضي بأمر الله الى الملك صلاح الدين خلعة سنية ومعها أعلام
سود ولواء معقود يفرق على الجوامع بالشام وبلاد مصر وكتب له تقليد
هذه صورته أما بعد فإن أمير المومنين يفتتح بحمد الله الذي يكون لكل خطبة
مبادا ولكل أمر مهادا • ويستزيده من نعمه التي جعلت التقوى له زادا •
وحملته أعباء الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يأل فيه اجتهادا • وصرفت اليه
من الأنبياء ما تسورت به محاريبا ولا عرضت عليه جيادا • وحققت فيه قوله تعالى
تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا • ثم نصلي
على من أنزلت الملائكة لنصره أمدادا • وأسري به الى السماء حتى ارتقى سبعا
شدادا • وتجلى له ربه فلم يزغ عنه بصرا ولا كذب فؤادا • ثم بعده على
أسرته الطاهرة التي زكت أرزاقا وأعوادا • وورثت النور المبين بلادا • ووصفت
بأنها أحد الثقلين هداية وإرشادا • وخصوصا عمه العباس المدعو له بأن
يحفظ نفسا وأولادا • وأن تبقى كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تخاف دركا ولا تخشى
نفادا • وإذا استوفى العلم مراده من هذه الحمدلة واستنة القول عن فصاحة
الرسل فإنه يأخذ في إنشاء هذا التقليد الذي جعله خليفا لقرطاسه واستودع
سجوده على صحته حتى لم يكد يرفع من راسه • وليس ذلك الا لفاضية في وصف
المناقب التي كثرت فحسن لها مقام الاكثار • واشتبه التطويل فيها بالاختصار •
وهي التي لا يفتقر واضعها الى القول المعاد • ولم يستوعر سلوك اطرادها •
ومن العجب وجود السهل في سلوك الأطواد • وتلك هي مناقبك أيها الملك
الناصر السيد الأجل الكبير العالم العادل المجاهد المرابط صلاح الدين أبو المظفر
يوسف بن أيوب والديوان العزيز يتلوها عليك تحدثا بشكرك • ويباهي أولياءه
تنويها بذكرك • ويقول أنت الذي تستكفي فتكون للدولة سهمها الصائب •
وشهابها الثاقب • وكنزها الذي تذهب الكنوز وليس بذاهب • وما ضرها

وقد حضرت في نصرتها اذ كان غيرك هو الغائب • فاشكر اذ اقسا عليك النبي
اهلتك لما اهلتك • وفضلتك على الاولياء بما فضلتك • ولئن شوركت في الولا
بعقيدة الاضمار • فلم تشارك في عزمك الذي انتصر لله ولة فكان في بسطة
الانتصار • وفرق بين من قام بقلبه وبين من قام بيده في درجات الاقدام •
وما جعل الله القاعدين كالذي قال لو امرتنا لضربنا اكبادها الى برك الغماد •
وقد كفاك من الشافي انك كفيت الخلافة امر منازعيها • وطمست على الدعوة
الكاذبة التي كانت تدعيها • وقد مضى عليها زمن وفي محراب حقها المحجوب
من الباطل المحرابين • ومات ما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السوارين
الذين اولهما كاذبين • مصر منهما واحداه • تجري انهارها من تحته • ودعى
الناس الى طاغوته (عبادة) وجبته • ولعب بالدين حتى لم يدر يوم جمعته من يوم احده
ولا يوم سبته • واعانه على ذلك قوم رمى الله بصايرهم بالعمى والصمم • واتخذوا
صنما ولم تكن الصلاة هناك الا لعجل او صنم • فقمت انت في وجه باطله حتى
قعد • وجعلت في جيده حبلا من مسد • وقلت ليده تبت فاصبح ولا يسعى
بقدم ولا يبطش بيد • وكذلك فعلت بالاخر الذي نجمت باليمن ناجمته وسا
مت فيه سايمته • فوضع بنية موضع الكعبة اليمانية وقال هذا اذو الخلصة
الثانية • فان مقامك يعترف الاسلام بسببه • ام ايهما يقوم باداء حقه
وههنا فليبح القلم للسيف من الحسام • وليظهر مكانته عن مكانته وقد
كان له من الانداد • ولم يحظ بهذه المزية الا انه اصبح لك حاجبا • وتجربك حتى
طال نحرا حتى عن جانبا • وقضى بولايك فكان بها قاضيا • لقد كان حده ماضيا
وقد قلدك امير المومنين البلاد المصرية واليمنية غورا ونجدا • وما اشتملت
عليه رعية وجندا • وما انتهى اليه اطرافها برا وبحرا • وما يستفتح من
مجاورتها مسالمة وقهرا • واضاف اليها بلاد الشام وما تحتوي عليه من
المدن الممدنة • والمراكز المحصنة • مستثنيا منها ما هو بيد نور الدين اسما
عيل بن نور الدين محمود رحمه الله وهو حلب واعمالها فقد مضى ابوه على
عن اثار في الاسلام لو مع ذكره في الذاكرين • وتخلفه في عقبه في الغابرين

وولده هذا قد هذبته الفطرة في القول والعقل • وليس هذه الربوة الا من
ذلك الجبل • فليكن له منك جار يدنو منه وود اخ اكاد دونا ارضا • وتصبح وهو
لك كالبنيان يشد بعضه بعضا • والذي قد مناه من الثناء عليك ربما يجاوز
بك درجة الاقتصاد • والفتك عن فضيلة الازدياد • فاياك ان تنظر
الى سعيك نظر الاعجاب • فتقول هذه بلاد افتتحتها بعد ان ضرب
عنها كثير من الاضراب • ولكن اعلم ان الارض لله ولرسوله ثم لخليفته من
بعده • ولا منة للعبد باسلامه بل المنة له بهداية عبده • وكم قبلك
من لو رام ما رمته لدنى شاسعه واجاب ما نصه • ولكن ذخره الله لك ذ
لتحظى في الاخرة بمجازته وفي الدنيا برافع طرازه • فالواجب عند هذا
القول بالقاء التسليم • وقل لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم •
وقد قرن تقليدك هذه الخلعة تكون لك في الاسلام شعارا • وفي الرسم
نجارا • وتناسب محل قلبك وبصرك وخير ملابس الاولياء ما ناسب قلوبا
وابصارا • ومن جملتها طوق يوضع في عنقك موضع العهد والميثاق • ويشير
اليك بان الانعام قد اطاف بك اطافة الاطواق بالاعناق • ثم انك خوطبت
بالملك وذلك خطاب يقضي لصدرك بالانشراح • ولاملك بالانفساح • وم
دتو مر معه بيديك الى العلياء لا تنضها الى الجناح • وهذه الثالثة المشار
اليها هي التي يكمل بها اقسام السيادة • وهي التي لا مزيد عليها في
الاحسان فيقال انها الحسنى وزيادة • فاذا صارت اليك فانصب لها يوما يكون
في الايام كيوم الانساب • واجعله لها عيدا وقل هذا عيد الخلعة والتقليد
والخطاب • هذا ولك عند امير المومنين مكانة يجعلك اليه حاضرا وانت ناي
عن الحضور وتظن ان تكون مشتركة بينك وبين غيرك والظنة من شيم الغيور
وهذه المكاتبة قد عرفتك نفسها وما كنت تعرفها وما تقول الا انها لك ه
صاحبة وانت يوسفها فاحرسها عليك حراسة تفديها • واعمل لها ما اتى به
الاعمال بخواتمها • واعلم انك تقلدت بعض ما يقني الحلوم • ولا ينفك صاحبه
عن عهدة الملوم • وكثيرا ما ترى حسناته يوم القيامة وهي مقتسمة بايدي

الخصوم . ولا ينجو من ذلك الا من اخذ اهبة الحذار . واشفق من شهادة
الاسماع والابصار . واعلم ان الولاية ميزان احدى كفتيه في الجنة والاخرى
في النار . قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اني احب لك ما احب لنفسي
لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم . فانظر الى هذا القول النبوي نظر من
لم ينخدع بحديث الحرص والآمال . ومثل الدنيا وقد سيقت اليك بحذافيرها
اليسير مصيرها الى زوال . والسعيد من اذا جاءته قضى بها ارب الارواح
لا ارب المحسوس . واتخذ منها وهي السم دوا وقد اتخذ الادوية من السموم
ولا اغتباط بما يختلف على تلاشيه المسا والصباح . وهو كماء انزلناه من
السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح . والله يعلم
امير المومنين ولاة امور من تبعاتها التي لا يحسبونها ولا يحسبوها . واحصاها
الله ونسوها . ولك انت من الله هذا الدعا حظ على قدر محلك من النيابة
التي حدثت بصنعك . ومحل من الولاية التي بسطت من ورعك . فخذ هذا
الامر الذي تقلدته اخذ من لم يتعقبه بالنسيان . وكن في رعايته حتى
اذا نامت عيناه كان قلبه يقظان . وملاك ذلك كله في اتباع العدل
الذي جعله الله ثالث الحديث والكتاب . واغنى بثوابه وحده عن اعمال
الثواب . وقد روينا فيه بعبادة ستين عاما في الحساب . ولم يأمر به
امير الا زيد قوة في امره . ونصر به من عدوه ومن حسده . ثم نجى
به يوم القيامة في يديه كتاب امان . ويجلس على منبر من نور عن يمين
الرحمن . ومع هذا فان مركبه صعب لا يستوي على ظهره الا من امسك عنان
نفسه قبل امساك عنانه . وغلبت لمة ملكه على لمة شيطانه . ومن
اوكد فروضه ان يمحي السير السيئة التي طالت مدة ايامها . ويامر بالرد
على ما من وقع ظلامتها . فلم يجعلوا امدا لانحسار ظلماتها تلك السير وهي
المكوس التي انشاتها الهمم الحقيرة . ولا غنى للايدي الغنية اذا كانت
ذا نفوس فقيرة . وكلما زيد الاموال الحاصلة منها قد ازالها الله محقا .
وقد استمرت عليها العوايد حتى الحقها الظالمون بالحقوق الموجبة فسموها

حقا

حقا . ولو ان صاحبها اعظم الناس جرما . لما اغلظ في عقابه وشبهت توبة
المراة الغامدية بمثابة وهو من اشقى من يكون السواد الاعظم له خصما .
ويصبح وهو يطالب بما يعلم وبما يحيط به علما . وانت مأمور بان تأتي هذه
الظلامات فتمحي عن ابطالها . وتلحق اسماءها في المحو باهمالها . حتى لا يبقى
لها في العيان صورة . ولا في الالسنة احاديث مشهورة . واذا فعلت ذلك
كنت ازلت عن الماضي سنة سيئة سنتها بداء . وعن الاتي متابعة ظلم
وجده طريقا مسلوكا يجري على بداء . فبادر الى ما امرت من مبادرة من يضيق
بها ذراعا . ونظر الى الحياة الدنيا بعينها فرآها في الاخرة متاعا . واحمد
الله على ان قيض لك امام هدى يقف بك على هداك . ويأخذ بحجزتك عن
خطوات الشيطان الذي هو اعدا اعداك . وهذه البلاد المنظومة بنظرك
تشتمل على اطراف متباعدة . وتفتقر في سياستها الى ايد متساعدة .
ولهذا يكثر بها قضاة الاحكام . واولو تدبيرات السيوف والاقلام . وكل
من هولاء ينبغي ان يعتبر على نار الاختبار . ويسلك عليه بشاهد عليه
من امانة الدرهم والدينار . فما اضل الناس شي كحب المال الذي به رقت
من اجله الاديان . ويعق بسببه الاولاد والاخوان . وكثيرا ما يرى الرجل الصايم
القايم وهو عابد له عبادة الاوثان . فاذا استعنت باحد منهم على شي من
امرك فاضرب عليه الارصاد ولا ترض بما عرفته من ثبتة احواله فان الاحوال
تنتقل بتنقل الاجساد . واياك ان تنخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب
بالربيع بن زياد . وكذلك ساير هولاء على اختلاف طبقاتهم فان يامروا بالمعروف
مواظبين . وينهون عن المنكر مجانبين . ويعلموا ان ذلك من داب حزب الله
الذين جعلهم الله الغالبين . وليبدوا اولا بانفسهم فيمنعوها عن هواها .
وياموروها بما يامروا به سواها . ولا يكونوا ممن هدى الى طريق البر وهو
عنها حايد . وانتصب لطب المرضى وهو محتاج الى طبيب وعايد . فما تنزل
بركات السماء الا على من خاف مقام ربه . والزم التقوى اعمال يده ولسانه وقلبه
فاذا اصلحت الولاة صلحت الرعية بصلاحهم وهم لهم بمنزلة المصابيح ولا يستضي

كل قوم الانصاف بحقهم وهما يومرون به ان يكونوا ممن تحقق اية بهم اخوانا في
الاصحاب وجيرانا في الاقتراب واعوانا في توزع الحمل الذي يثقل على الرقاب
فالمسلم اخو المسلم وان كان عليه اميرا واولى الناس باستعمال الرفق من
كان فضل الله عليه كثيرا وليست الولاية لمن يستمتع بها كثرة التعسف
ويتولاها بالوطء العنيف ولكنها لمن يال عن جوانبه ويوكل من اطايبه
ولمن اذا غضب لم يكن للغضب عنده اثر واذا الحق في سواده تحلو بحلو الضجر
واذا احضر الخصوم بين يديه عدل بينهم في قسمة القول والنظر فذلك الذي
يكون صاحبه في اصحاب اليمين والذي يدعى بالحفيظ العليم والقوي الامين
ومن سعادة المرء ان تكون ولاته متادبين بادابه وجارين على نهج سوابقه
واذا انطايرت الكتب يوم القيامة كانوا حسنات مثبتة في كتابه وبعد
هذه الوصية فان ها هنا حسنة هي للحسنات كالام للمولود ولطالما
اغنت عن طرحها اغناء الجنود وتيقظت لنصره والعيون رقود وهي التي
تسبغ لها الالا ولا يتخطاها البلا ولامير المومنين عناية بعثها الرحمة
الموضوعة في قلبه والرغبة والمغفرة والرحمة لما تقدم وتاخر من ذنبه
وتلك هي الصدقة التي فضل الله بعض عباده بمزيد افضالها وجعلها
سببا الى التعويض عنها بعشر امثالها وهو يامرك ان تتفقد احوال الفقراء
الذين قدرت عليهم مادة الارزاق والبسهم التعفف ثوب الغنا وهم في
ضيق من الاملاق فاولائكا اولياء الله الذين مستهم الضراء فصبروا وكثرة
الدنيا في يد غيرهم فما نظروا اليها اذا نظروا وينبغي لهم ان تجبي لهم
من امرهم موقفا وتضرب بينهم وبين الفقر موبقا وما اطلنا لك القول في
هذه الوصية الا اعلاما بانها من المهم الذي يستقبل ولا يستدبر ويستكثر
منه ولا يستكبر وهذا يعد فيه جهاد النفس في بذل المال ويتلوه
جهاد العدو والكافر في مواقف القتال وامير المومنين يعرفك من ثواب
ما يجعل الشهيد في ملازمة ابقا وتسخوله بنفسك ان كان احد بنفسه سخا
ومن صفاته انه العمل المحبو بفضل الكرامة التي يضي اجره بعد صاحبه

الى يوم القيامة وبه تمتحن طاعة الخالق على المخلوق وكل الاعمال عاطلة لا
خلاق لها وهي المختصر دونها بزينة الخلوق ولولا فضله ما كان محسوبا بشطر
الايمان وقد علمت ان العدو وهو جارك الادنى والذي تبلغك وتبلغه عينا
واذنا ولا يكون للاسلام نعم الجار حتى يكون له بيس الجار ولا عذر لك في
ترك جهاده بنفسك ومالك اذا قامت لغيرك الاعذار وامير المومنين لا يرضى
منك بان تلقا مطاجا او تطرق الضرها ماسيا او مصابحا على بريد ان تقصد
البلاد الذي في يده قصد المستعد لا قصد المغير وان تحكم فيها بحكم الله
الذي قضاه سعد في بني قريظة والنضير وعلى الخصوص البيت المقدس فانه
بلاد الاسلام القديم واخو البيت الحرام في شرف التعظيم والذي توجهت
اليه الوجوه من قبل بالسجود والتسليم وقد اصبح وهو يشكو اصول المدة
في اسر قبضته واصبحت كلمة التوحيد وهي تشكو طول الوحشة في
غربتها عنه وغربته فانهض اليه نهضة توغل في فرحه وتبدل بعض
صعب قياده بسمحه وان كان له عام حد فيه فاتبعه بعام فتحه وهذه
الاستراده بعد سواد ما في اليد من ثغر كان مهملا فجيئت موارده او مستهد
م بعض قواعده ومن اهمها ما كان حاضر البحر كانه امامه عورته مكشوفة
وخطته مخوفة والعدو قريب منه على بعده وكثيرا ما ياتيه فجاة حتى يسبق
برقه برعده فينبغي ان ترتب بهذه الثغور رابطة يكثر شجعانها
ويقل اقرانها ويكون قتالها لان تكون كلمة الله هي العليا لا لان يرى
مكانها وحينئذ يصبح وكل منها وله من الرجال اسوار وتعلم اهله
ان بناء السيف امنع من بناء الاحجار ومع هذا فلا بد له من اسطول يكثر
عدده ويقوى مدده فان العدة التي يستعين بها على كشف الضرا وان لا
ستكثار من سبيا بالعبيد والاما وجيشه اخو الجيش السليماني فذاك
يسري على متن الريح وهذا على متن الما ومن صفات خيله انها جمعت بين
العزم والطار وتسارت اقدار خلفها على اختلاف هذه الاعمار فاذا
اسرعت قيل جبال متعلقة بقطع من الغيوم واذا نظر الى اشكالها قيل

اهلة عنوانها تهتدي في سيرها بالنجوم. ومثل هذه الخيل ينبغي ان يغالا في جيادها. ويستكثر من قيادها. وليقوم عليها امير يلقى البحر بمثله من سعة صدر. ويسلك طرقه سلوك من لم يقتله بجهلها ولاكن قتلها بخبر وكذلك من اقنت الايام تجاربه. ورجحتها مناكبه. وممن يذل الصعب انه هو اساسه وان ييسر كان جانبه. وهذا هو الرجل الذي يتراس على القوم فلا تجد هذه الرياسة فان كان في الساقة فهي الساقة او كان في الحراسة فهي الحراسة. ولقد افلحت عصابة اعصبت من ورايه. واتقنت بالنصر من ارايه كما ايقنت بالنجح من ارايه. واعلم انه قد اخل من الجهاد بركن يقدح في عمله. وهو تمامه الذي ياتي في اخره. كما ان صدق النية ياتي في اوله. وذلك هو قسم الغنايم فان الايدي قد تناولته بالاجحاف. وخلطت جهادها فيه بغلولها فلم ترجع بالكفاف. واستمر جعل الظلم في تعدي حدوده المحدودة. وجعل الاستبشار بالمغنم من اشراط السّاعة الموعودة. ونحن نعوذ به ان يكون زماننا هذا شر زمان وناسه شر ناس. ولم يستغلبنا على حبك اركان دينه ثمّ نهمله اهمال مضيع ولا ناس. والذي نامرك به ان تجري هذه الامور على النّصوص من حكمه. وتبريد دينك مما يكون غيرك الفايز بفوايده وانت المطالب باثمه وفي ارزاق المجاهدين بالديار المصرية والشامية ما يغنيهم عن هذه الاكلة الذي يكون غدا انكالا وجحيما. وطعاما ذا غصة وعذابا اليما. فتصفح ما سطرناه لك من هذه الاساطير التي هي عزايم مبرمات. بل ايات محكمات. وتحبب الى الله والى امير المومنين باقتفاء كتابها. وابن لك مسجدا يبقى في عقبك اذا اصبحت البيوت في اعقابها. وهذا الذي ينطوي عليك بانه لم يات في الوصايا التي اوصاها. فانّه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الّا احصاها. ثمّ انه ختم بدعوات دعى بها امير المومنين عند ختامه. وسال اللّه فيه خيرة اللّه التي تتنزل من كل امر منزله نظامه. ثمّ قال اشهدك على من قلدته شهادة تكون عليه رقيبة. وله حسيبة. فاني لم اءل الا باوامر الحق التي فيها موعظة وذكرى. ولمن تبعها هدى ورحمة وبشرى. واذا اخذ

بها

بها فلم نجته يوم يسال فيه عن الحجج ولم يختلج دون رسوله على الحوض في جملة من يختلج وقيل له لا حرج عليك ولا اثم. اذا نجوت من ورطات الاثم والحرج. والسّلام. وقال الفقيه عمارة اليمني يرثي العاضد وكان من خواصهم

يا عاذلي في هوى ابناء فاطمة ... لك الملامة ان قصرت في عذلي
بالله زر ساحة القصرين وابك معي ... عليهما لا على صفين والجمل

وقال بعض الشعراء يمدح بني ايّوب على ما فعلوه

الستم مزيلي دولة الكفر من بني ... عبيد انّ هذا هو الفضل
زنادقة شيعيّة باطنيّة ... مجوس وما في الصالحين لهم اصل
يسرون كفرا يظهرون تشيعا ... ليستتروا شيئا وعمهم الجهل

وقال حسان عرقلة

اصبح الملك بعد ال عبيد ... مشرقا بالملوك من ال شادي
وغدا الشرق يحسد الغرب للقوم ... ومصر تزهو على بغداد
ما اخذوها الا بحزم وعزم ... وصليل الفولاذ في الفولاذ
لا كفرعون والعزيز ومن ... كان بها كالخصيب والاستاذ

قال ابو شامة الاستاذ كافور الاخشيدي قال وقد ابدت كتابا سميته كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد وكذا صنّف العلماء في الرد عليهم ولما استقل السلطان صلاح الدين بارض مصر اسقط عن اهلها المكوس والضرايب وقرى المنشور بذلك على رءوس الاشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر سنة سبع وستماية واستولى على القصر وخزاينه وفيها من الاموال ما لا يحصى من ذلك سبعماية يتيمة من الجواهر وقضيب زمرد طوله اكثر من شبر وسمكه نحو الابهام وحبل من ياقوت وابريق عظيم من الحجر المايع الى غير ذلك من التحف ووجد خزانة كتب ليس في الاسلام لها نظير تشتمل على الفي الف مجلد بالخطوط المنسوبة ماية الف مجلد فباعها القاضي الفاضل واخذ السّلطان صلاح الدين في نصر السنة واشاعة الحق واهانة المبتدعة والانتقام من الروافض وكانوا بمصر كثيرين ثمّ تجردت همته الى الافرنج وغيرهم

وكان من اموره معهم ما ضاقت به التواريخ واسترد منهم ما كانوا استولوا
عليه من بلاد الاسلام من الشام من ذلك القدس الشريف بعدما كان في
يد الافرنج واخلى ما بين الشام ومصر من الافرنج ثم افتتح الحجاز واليمن من يد
متغلبيها وتسلم دمشق بعد موت نور الدين فصار سلطان مصر والشام واليمن
والحجاز قال ابن السبكي في الطبقات الكبرى له من الفتوحات التي خلصها من
ايدي الافرنج قلعة ايلاء • طبرية • عكا • القدس • الخليل • الكرك • الشوبك •
نابلس • عسقلان • بيروت • صيدا • بيسان • غزة • لد • حا • صوريه • النولع •
معليا • الطور • اسكندرية • هعوس • بابا • ارسوف • قيسارية • حل سل
بعلبك • عفربلا • اللحون • سمد • بافول • مجدك • مانابل • الصافيه • بيت برتاه •
الطرون • الحب • الكوي • بيت لحم • رحيا • نوراء • واحصر الدين وهو بلعيليه •
صرب الزيتا • الوعر • القومس • بعليسا • العاروية • يبوع • الكرمك • مجدل •
الحارعين • في جبل عاملة • الشقيف • وسطله • يقال لها قبور كوياه • وحل
وكوكب • وانطرطوس واللاذقية • ومكراسل • صهيون • قلعة العيد •
قلعة الجماهرية • بلاطنس • الشعر • بكاس • وسمرسامية • وبروبه • ودر
سيان • وبغراس • وصعد • وله مصافات يطول شرحها وافتتح كثيرا من بلاد
النوبة من يد النصارى وكانت مملكته من الغرب الى تخوم العراق ومعها اليمن
والحجاز تملك ديار مصر باسرها مع ما انضم اليها من بلاد الغرب والشام بلصرها
مع حلب وما والاها واكثر ديار ربيعة وبكر والحجاز باسره واليمن باسره
ونشر العدل في الرعية وحكم بالقسط بين البرية وبنا المدارس والخوانق
واجرى الارزاق على العلماء والصلحاء الذين بين المتقين والورع والزهد والعلم
وكان يحفظ القرآن والتنبيه والحماسية وهو الذي ابتنى قلعة القاهرة على
الجبل المقطم التي هي الان دار السلاطين ولم تكن السلاطين يسكنون قبلها الا
دار الوزارة بالقاهرة وافتتح من بلاد المسلمين حران وسروج والرها والرقة
والبيرة وسنجار ونصيبين وآمد وملك حما والراوج وسهوز وحاصر
الموصل الى ان خرج اصحابها تحت طاعته و فتح عسكره طرابلس الغرب وبرقة

من بلاد

من بلاد المغرب وكتب عسكره الى تونس وخطب بها لبني العباس ولو لم يقع الخلف
بين عسكره الذين جهزهم الى المغرب لملك المغرب باسره ولم يتغلب عليه مع
طول مدته احد من عسكره على كثرتهم وكان الناس يامنون ظلمه لعدله ويرجون
رفده لكثرته ولم يكن لمبطل ولا لطالب هزل عنده نصيب وكان اذا قال صدق واذا
وعد وفا واذا عاهد لم يخن وكان رقيق القلب جدا ورحل الى الاسكندرية بو
لديه الافضل والعزيز لسماع الحديث من السلفي ولم يعهد ذلك لملك بعد هارون
الرشيد فانه رحل بولديه الامين والمامون الى الامام مالك لسماع الموطا هذا
كله كلام ابن السبكي في الطبقات قال ومن الكتب والمراسيم عنه في النهي عن
الخوض في الحرف والصوت وهو من انشاء القاضي الفاضل لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض الاية خرج امرنا الى كل قائم في وصف او قاعد في امام
او حلوان لا يتكلم في الحرف بصوت ولا في الصوت بحرف ومن تكلم بعد هاكان
الجدير بالتكليم فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب
اليم ويسال النواب القبض على مخالفي هذا الخطاب ولا يسمع لمتبعه في ذلك تحرير
جواب ولا يقبل عن هذا الذنب تاوب ومن رجع الى هذا الايراد بعد الاعلان
وليس الخبر كالعيان وجع اخرس من ضجعة بني غسان وليعلى بقراءة على الملا
المنابر وليعلم به الحاضر والبادي ليستوي البادي والحاضر والله يقول الحق
وهو يهدي السبيل و من صنايع السلطان صلاح الدين انه اسقط المكوس
والضرائب عن الحجاج بمكة وقد كان يوخذ منهم شيء كثير ومن بجوعن اداية
حبس ور بما بانه الوقوف بعرفة وعوض اقبرها ثمار اقطاعا في مصر بلاد مصر
يحمل اليه في كل سنة ثمانية الاف اردب غلة فلتكن عونا له ولاتباعه وقرر
للمجاورين ايضا غلات تحمل اليهم وصلات رحمة الله عليه في سائر الاوقات مد
بلقد كان اماما عادلا وسلطانا كاملا لم يل مصر بعد الصحابة مثله لا قبله ولا
بعده وقد كان الخليفة المستضيء ارسل اليه في سنة اربع وسبعين خلعا
سنية جدا وزاد في القابه معز امير المومنين ثم لما ولي الخليفة الناصر في
سنة ست وسبعين ارسل اليه خلعة الاستمرار ثم ارسل اليه في سنة اثنتين

وثمانين فعاتبه في تلقيبه بالملك الناصر مع انه لقب امير المومنين فارسل
يعتذر اليه بان ذلك كان في ايام الخليفة المستضي وهو ان لقبه امير المومنين
بلقب فهو لا يعدل عنه وتادبه مع الخليفة غاية الادب قال العماد وقد كان
للمسلمين لصوص يدخلون الى خيام الافرنج فيسرقون فاتفق ان بعضهم
اخذ صبيا رضيعا من مهده ابن ثلاثة اشهر فوجدت عليه امه وجدا
شديدا واشتكت الى ملوكهم فقالوا لها ان سلطان المسلمين رحيم القلب
فاذهبي اليه فجاءت الى السلطان صلاح الدين فبكت وشكت امر ولدها فرق
لها رقة شديدة ودمعت عيناه فامر باحضار ولدها فاذا هو قد بيع في
السوق فرسم بدفع ثمنه الى المشتري ولم يزل واقفا حتى جيء بالغلام
فدفعه الى امه وحملها على فرس الى قومها مكرمة واستمر السلطان صلاح
الدين على طريقته العظيمة من مباشرة الجهاد للكفار ونشر العدل وابطال
المكوس والمظالم واجراء البر والمعروف الى ان اصيب به المسلمون وانتقل بالوفاة
الى رحمة الله تعالى ليلة الاربعاء سادس عشر صفر سنة تسع وثمانين وخمسماية
وله من العمر سبع وخمسون سنة و عمل الشعراء فيه مراثي من ذلك قصيدة
للعماد الكاتب مايتان وثلاثون بيتا اولها

شمل الهدى والملك عم شتاته … والدهر ساء واقلعت حسناته
بالله اين الناصر الملك الذي … لله خالصة صفت نياته
اين الذي مازال سلطانا لنا … يرجى نداه وتتقى سطواته
اين الذي شرف الزمان بفضله … وسمت على الفضلاء تشريفاته
اين الذي عنت الفرنج لباسه … ذلا ومنها ادركت ثاراته
اغلال اعناق العدا اسيافه … اطواق اجياد الورى مناته

قال العماد وغيره لم يترك في خزانته من الذهب سوى جرم واحد صوري
وستة وثلاثين درهما ولم يترك دارا ولا عقارا ولا مزرعة ولا شيا
من انواع الاملاك وترك سبعة عشر ولدا ذكرا وابنة واحدة وكان متقللا في
ماكله ومشربه ومركبه وملبسه فلا يلبس الا القطن والكتان والصوف وكان

يواظب على الصلاة في الجماعة ويواظب على سماع الحديث حتى انه سمع في
بعض المصافات جزءا وهو بين الصفين وتبجح بذلك وقال هذا موقف لم يسمع فيه
احد الحديث وبالجملة فمناقبه الحميدة كثيرة لا تستقصى الا في مجلدات وقد
سيرته بالتصنيف جماعة من العلماء والزهاد والادباء وكان عرج في رجله قد
فقال فيه ابن عنين الشاعر

سلطاننا اعرج وكاتبه … ذو عمش والوزير منحدب

قال ابن فضل الله في المسالك ومن غرائب الاتفاق ان الشيخ علم الدين السخاوي
مدح السلطان صلاح الدين ومدح الاديب رشيد الدين الفارقي وبين موتهما
ثمانماية سنة وذكر اليافعي في روض الرياحين ان السلطان صلاح الدين
كان من الاولياء الثلاثماية وان السلطان محمود كان من الاولياء الاربعين وقام
بمصر من بعده ولده العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمان وكان نائب ابيه بها في
حياته مدة اشتغاله بفتح البلاد الشامية فاستقل بها بعد وفاته فسار
سيرة حسنة بعفة عن الخراج والاموال حتى انه خان ما بيده ولم يبق في
الخزانة درهم ولا دينار فجاءه رجل يسعى في قضاء الصعيد بمال فامتنع وقال
والله لا ابيع دماء المسلمين واموالهم بملك الارض وسعى اخر في قضاء الاسكندرية
باربعين الف دينار وحملها اليه فلم يقبلها ولم يزل الى ان مات في المحرم سنة
خمس وتسعين وله سبع او ثمان وعشرون سنة ودفن في قبة الامام الشافعي واقيم
ولده ناصر الدين محمد ولقب المنصور واستمر الى رمضان سنة ست وتسعين
ثم استفتى عم ابيه العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب بن شادي الفقهاء في
صحة مملكته لكونه صغيرا ابن عشر سنين فافتوا بان ولايته لا تصح فنزع واقيم
الملك العادل وقيل ان العادل اخذها من الافضل علي بن السلطان صلاح الدين
وكان الافضل غلب عليها وانتزعها من المنصور فارسل العادل الى الخليفة يطلب
التقليد بمصر والشام فارسل اليه مع الشهاب السهروردي فكان يصيف بالشام
ويشتي بمصر ويتنقل في البلاد الى ان مات يوم الجمعة سابع جمادى الاخرة سنة
خمس عشرة وستماية و من قول ابن عنين فيه

ان سلطاننا الذي نرتجيه ** واسع المال ضيق الانفاق

هو سيف كما يقال ولكن ** قاطع للرسوم والارزاق

والعادل اول من سكن قلعة الجبل بمصر من الملوك سكنها في سنة اربع وستمائة ونقل اليها اولاد العاضد واقاربه في بيت في صورة حبس وكان ابنه الملك الكامل ناصر الدين ابو المعالي محمد ينوب عنه بمصر في ايام غيبته واستقل بها بعد وفاته وفي هذه السنة نزلت الافرنج على دمياط واخذوا برج السلسلة وكان حصينا بليغا وهو قفل بلاد مصر وصفته انه في وسط جزيرة في النيل عند انتهائه الى البحر ومن هذا البرج الى دمياط وهي على شاطئ البحر وحافة النيل سلسلة منه الى الجانب الاخر وعليه الجسر وسلسلة اخرى ليمتنع دخول المراكب من البحر الى النيل لا تتمكن الى البلاد فلما ملكت الافرنج هذا البرج شق ذلك على المسلمين بديار مصر وغيرها ووصل الخبر الى الملك العادل وهو بمرج الصفر فتأوه تأوها شديدا ودق بيده على صدره اسفا وحزنا ومرض من ساعته مرض الموت ثم في سنة ست عشرة استولى الافرنج على دمياط وجعلوا الجامع كنيسة لهم وبعثوا بالمنبر وبالربعة ورؤوس القتلى الى الجزائر فانا لله وانا اليه راجعون واستمرت بايديهم الى سنة سبع عشرة وكان الكامل عرض عليهم ان يرد عليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه من بلاد الساحل ويتركوا دمياط فامتنعوا من ذلك بقدر الله انهم ضاقت عليهم الاقوات وقدمت عليهم مراكب فيها ميرة فاخذها الاسطول البحري وارسلت المياه الى اراضي دمياط من كل ناحية فلم يمكنهم بعد ذلك ان يتصرفوا في انفسهم وحصرهم المسلمون من الجهة الاخرى حتى اضطروهم الى اضيق الاماكن فعند ذلك اجابوا الى المصالحة بلا معاوضة وكان يوما مشهودا ووقع الصلح على ما اراد الكامل ومدّ سماطا عظيما وقام راجح الحلي فانشد

هنيئا فان السعد راح مخلدا ** وقد انجز الرحمن بالنصر موعدا

الى ان قال ** اعباد عيسى ان عيسى وحزبه ** وموسى جميعا ينصرون محمدا

وكان حاضر حينئذ المعظم والملك الاشرف موسى ابناء الملك العادل قال ابو

شامة

شامة وبلغني انه لما انشد هذا البيت اشار الى الملك المعظم عيسى والاشرف موسى والكامل محمد فكان ذلك من احسن شيء اتفق وتراجعت الافرنج الى عكا وغيرها من البلاد قال الحافظ شرف الدين الدمياطي في معجمه انشدنا ابو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري لنفسه ببغداد وقد ورد كتاب من ديار مصر الى الديوان بانتصار المسلمين على الروم وفتح ثغر دمياط

اتانا كتاب فيه نسخة نصرة ** الخير معناه لدى وطن جلد

يقول ابن ايوب المعظم حامدا ** لرب السماء الواحد الصمد الفرد

امرنا بحمد الله جل ثناؤه ** وعزاوي دين يسر في طالع السعد

تركنا من الاعلاج بالسيف معلنا ** ثلاثين الفا للنسامع والاسد

ومنهم الوف اربعون باسرنا ** فكم ملك في قبضنا صار كالعبد

ودمياط عادت مثل ما بدات لنا ** ديارا ملكناها فيا لك من جد

ونحن على ان نملك الشام كله ** على ثقة بمولده خالق الحمد

الا يا ابن ايوب لقد نلت غاية ** من النصر طاهت ما بلغت من المجد

قهرت فرنج الروم قهر اساءة ** يقسم ذل الرعب في الترك والسعد

وما نلت اسباب العلا عن كلالة ** ولم ياتك المجد المماثل من بعد

ولكن ورثت الملك والفضل عن اب ** جليل وعن عم نبيل وعن جد

لجات الى ركن شديد ومعقل ** منيع وكنز جامع جوهر المجد

الى فاتح باب الرشاد ببعثه ** وخاتم ميثاق النبوة والعهد

الى الشافع المنجي الوجيه محمد ** فاحسنت في صدق التوجه والقصد

فمهما تجد من كيد ضد مطاعن ** توجه به تظفر وتنصر على الضد

فلا ضد عن عز سوى فخر مجدكم ** كلالا ولا غالي الكلول سوى الحد

الى ان نفى ابن الروم في قعر دارهم ** زعاما وتسقي المؤمنين جنا الشهد

ق لما تولى المستنصر الخلافة ارسل الى الكامل محيي الدين يوسف بن الشيخ ابي الفرج بن الجوزي ومعه كتاب عظيم فيه تقليده الملك وفيه اوامر كثيرة ملخصة من انشاء الوزير نصر الدين احمد بن الناقد رايته بخط قاضي القضاة عز الدين بن

جماعة قال وقفت على نسخة تقليد من الخليفة المنصور ابو جعفر المستنصر بالله
امير المومنين بخط وزيره ابي الازهر النافذ في رجب سنة ثلث وعشرين وست
وستماية للملك الكامل الحمد لله الذي اطمانت القلوب بذكره • ووجب على
الخلايق جزيل حمده وشكره • ووسعت كل شيء رحمته • وظهرت في كل شيء
حكمته • ودل على وحدانيته بعجايب ما احكم صنعا وتدبيرا • وخلق كل شيء
فقدره تقديرا • حمد الشاكرين نعمايه التي لا تحصى عددا • وعالم الغيب الذي
لا يظهر على غيبه احدا • لا معقب لحكمه في الابرام والنقض • ولا يوده حفظ
السماوات والارض • تعالى ان يحيط به الضمير • وجل ان يبلغ وصفه البيان
والتفسير • واحمد الله الذي ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرا
ونذيرا • وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا • وابتعثه هاديا للخلق
واوضح به مناهج الرشد وسبل الحق • واصطفاه من اشرف الانساب واعز
القبايل • وجعله اعظم الشفعاء واقرب الوسايل • فقذف صلى الله عليه وسلم
بالحق على الباطل • وحمل الناس بشريعته على المحجة البيضا والسنن العوادل • حتى
استقام اعوجاج كل زايغ ورجع الى الحق كل حايد عنه ومايل • وسجد لله
كل شيء • تتفيا ظلاله عن اليمين والشمايل • صلى الله عليه وعلى اله واصحابه
الكرام الافاضل • صلاة مستمرة بالغدوات والاصايل • خصوصا على عمه وصنو
ابيه العباس بن عبد المطلب الذي اشتهرت مناقبه في المجامع والمحافل وفاز
ببركة استسقايه اخلاف السحب الهواطل • وفاز من تنصيص الرسول صلى
الله عليه وسلم بالخلافة المعظمة بما لم يفز به احد من الاوايل • والحمد لله
الذي حاز مواريث النبوة والامامة • ووفر من جزيل الاقسام من العدل والاقامة
لعبده وخليفته ووارث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومحيي شريعته وسنته
ولما وفق الله نصير الدين محمد بن سيف الدين ابي بكر بن ايوب من الطاعة
المشهورة • والخدم المشكورة • انعم الله بتقليده شريف امامي مقلده على خيرة
الله الرعاية والصلاة واعمال الحروب والمعادن والاحداث والخراج والضياع
والصدقات والجوالي وساير وجوه الجبايات والعرض والعطا والتقدم في الاولياء

والمظالم

والمظالم والحسبة في بلاده وما يفتحه ويستولي عليه من بلاد الافرنج الملاعين
وبلاد من يبرز اليه الاوامر الشريفة بقصده من المارقين عن الاجماع المنعقد بين
علماء المسلمين • ومنه امره بتقوى الله تعالى التي هي الجنة الواقية • والنعمة
الباقية • والملجا المنيع • والعماد الرفيع • والذخيرة النافعة في السر والنجوى
والجذوة المقتبسة من قوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى • وان يجعلها
شعاره في جميع الاحوال • ويهتدي بانوارها من مشكلات الامور والاحوال •
وان يعمل بها سرا وجهرا • ويشرح للقيام بحدودها الواجبة صدرا • قال الله
تعالى ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا • وامره بتلاوة كتاب
الله تعالى متدبرا غوامض عجايبه سالكا سبيل الرشاد والهداية فانه الثقل
الاعظم • وسبب الله المحكم • والدليل الذي يهدي للتي هي اقوم • ضرب الله
لعباده فيه جوامع الامثال • وبين لهم بهداه مسالك الرشد والضلال • وفرق
بدلايله الواضحة وبراهينه الصادقة بين الحرام والحلال • فقال عز من قايل هذا
بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين • وقال تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليد
بروا اياته وليتذكر اولوا الالباب • وامره بالمحافظة على الصلوات والدخول
فيها على اكمل هيئة من قوانين الخشوع والاخبات وان يكون نظره في موضع
سجوده من الارض وان يمثل لنفسه موقفه بين يدي الله تعالى يوم العرض • قال الله
تعالى والذين هم في صلاتهم خاشعون • وقال تعالى ان الصلاة كانت على المومنين
كتابا موقوتا • وان لا يشتغل بشاغل عن اداء فروضها الواجبة • ولا يلهو
عن اقامة سننها الراتبة • فانها عماد الدين الذي سمت معاليه • ومهاد
الشرع الذي رست قواعده ومبانيه • قال الله تعالى حافظوا على الصلوات
والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين • وقال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر • وامره ان يسعى الى صلاة الجمع والاعياد • ويقوم في ذلك بما فرضه
الله عليه وعلى العباد • وان يتوجه الى المساجد والجوامع متواضعا • وينزل
الى الصلاة الضاحية في الاعياد خاشعا • وان يلحظ في تشييد قواعد الاسلام
على الواجب والمندوب • ويعظم باعتماده ذلك شعاير الله التي هي من تقوى

القلوب • وان يشتمل بوافر اهتمامه واعتنائه وكمال نظره ورعايته • بيوت الله
التي هي محال البركات • ومواطن العبادات • والمساجد التي تاكد في تعظيمها
واجلالها حكمه • والبيوت التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه • وان يرتب
لها من الخدام من يسعى في ازالة الادناس عنها • ويتصدى لازكاء مصابيحها في
الظلام وايناسها • ويقوم لها بما تحتاج اليه من اسباب الصلاح والعمارات •
ويحضر لها ما يليق من الدهن والكسوات • وامره باتباع سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم التي اوضح حدودها • ونعت عليه السلام ادبها • وان يعتمد
فيها على الاسانيد التي نقلتها الثقات • والاحاديث التي صحت بالطرق
السليمة والروايات • وان يقتدي بما جاءت به من مكارم الاخلاق التي ندب
صلى الله عليه وسلم الى التمسك بسببها • ورغب امته في الاخذ بها والعمل
بادبها • قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا • وقال
سبحانه وتعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله • وامره بمجالسة اهل العلم
والدين • واولي الاخلاص في طاعة الله واليقين • والاستشارة لهم في عوارض
الشك والالتباس • والعمل بآرائهم في التمثيل والقياس • فان في الاستشارة
بهم عين الهداية • والامن من الضلال والغواية • ولا تلقح عقم الافهام ب
والالباب • وتقدح زناد الرشد والصواب • قال الله تعالى في الارشاد الى
فضلها • والامر في التمسك بحبلها • وشاورهم في الامر • وامره بمواقف
الجند والعسكر في ثغوره وان يشملهم بحسن نظره وجميل تدبيره مستطلعا
شانهم بادامة التلطف والتعهد مستوضحا احوالهم بمواصلة التفحص عنها
والتفقد • وان يسوسهم بسياسة تبعثهم على سلوك المنهج السليم • ويحمد
فيهم في انتظامها واتساقها الى الصراط المستقيم • ويحملهم على القيام بشرائط
الخدمة والتزم بها باقوى الاسباب وامتن العصم ويدعوهم الى مصلحة التواصل
والايتلاف • ويصدهم عن موجبات التجادل والاختلاف • وان يعتمد فيهم
شرائط الحزم في الاعطاء والمنع • وما تقتضيه مصلحة احوالهم من اسباب
الخفض والرفع • وان يثيب المحسن منهم على احسانه • ويسبل على المسيء ما

وسعة

وسعة العفو لك صفحه وامتنانه • وان ياخذ براي ذوي التجارب منهم والحكمة
ويجتني بمشاورتهم ثمر البركة • ان في ذلك امنا من خطا الانفراد • وتزحزحا
عن مقام الزيغ والاستبداد • وامره لما يليه من البلاد • ويتصل بنواحيه من بالتنقل
ثغور اولي الشوكة والعناد • وان يصرف مجامع الالتفات اليها • ويخصها بو
فور الاهتمام والتطلع عليها • وان يشمل ما يليها من الحصون والمعاقل بالا
حكام والاتقان وينتهي في اسباب مصالحها الى غاية الوسع والامكان •
وان يشحنها بالميرة الكثيرة والذخائر • ويمدها من الاسلحة والالات
بالعدد المستعظم الوافر • وان يتخير لحراستها من الامناء الثقات • ويسدها
بمن ينتخبه من الشجعان الكماة • وان يوكد عليهم في استعمال اسباب الحيطة
والاستظهار • ويوقفهم الى الاحتراس من غوائل الغفلة والاغترار • وان
يكون المشار اليهم ممن تدرب في ممارسة الحروب على مكافحة الشدائد • وقد
يوافي نصب الحبائل للمشركين والاخذ عليهم بالمراصد • وان يعتمد هذه القبيل
المدد • وكثرة العدد • والتوسعة في النفقة والعطاء • والعمل معهم بما يقتضيه
حالهم وتجاوزهم في الضر والغناء • اذ في ذلك حسم لمادة الاطماع في بلاد
الاسلام • ورد لكثرة المعاندين من عبدة الاصنام • فمعلوم ان هذا الغرض اولى
ما وجهت اليه العنايات وصرفت • واحق ما قصرت عليه الهمم ووقفت • فان
الله تعالى جعله من اهم الفروض التي لزم فيها القيام بحقه • واكبر الواجبات
التي كتب العمل بها على خلقه • فقال سبحانه وتعالى هاديا في ذلك الى سبل
الرشاد • ومحرضا العباد على قيامهم له بفرض الجهاد • ذلك بانهم لا يصيبهم
ظما ولا نصب الى قوله تعالى ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون • وقال تعالى
واقتلوهم حيث ثقفتموهم • وقال النبي صلى الله عليه وسلم من نزل منزلا يخيف
المشركين ويخيفونه كان له كاجر ساجد لا يرفع راسه الى يوم القيامة
واجر قائم لا يقعد الى يوم القيامة واجر صائم لا يفطر • وقال صلى الله عليه
وسلم غدوة في سبيل الله او روحة خير مما طلعت عليه الشمس هذا قوله صلى
الله عليه وسلم في حق من سمع هذه المقالة فوفق لها فكيف بمن كان

قال عليه الصلاة والسلام الا اخبركم بخير الناس ممسك بعنان فرسه في سبيل
الله كلما سمع هيعة طار اليها • وامر بانتماء اولي الامر الله تعالى في رعاياها والا
هتداء الى رعاية العدل والانصاف والاحسان لمراشده الواضحة ووصاياه • وان
يسلك في السياسة بهم سبل الصلاح • ويشملهم بلين الكنف وخفض الجناح
ويمد ظل رعايته على مسلمهم ومعاهدهم • ويزحزح الاقذار الشوائب عن
مناهلهم في العدل وموارده • وينظر في مصالحهم نظرا يساوي فيه بين الضعيف
والقوي • ويقوم باودهم قياما يهتدي به ويهديهم الى الصراط المستقيم
السوي • قال الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية • وامره باعتماد
اسباب الاستظهار والانفه • واستقصاء الطاقة المستطاعة والقدرة الممكنه
في المساعدة على حجاج بيت الله الحرام • وزوار نبيه عليه افضل الصلاة والسلام •
وان يمدهم بالاعانة في ذلك على تحقيق الرجا وبلوغ المرام • ويحرسهم من
التخطف والاذى في حالة الظعن والمقام • بان الحج احد اركان الدين المشيدة
وفروضه الواجبة المؤكدة • قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من
استطاع اليه سبيلا • وامره بتقوية ايدي العاملين بحكم الشرع في
الرعايا • وتنفيذ ما يصدر عنهم من الاحكام والقضايا • والعمل باقوالهم
فيما يثبت لذوي الاستحقاق • والشد على ايديهم فيما يرونه من المنع والاطلاق
وانه متى تاخر احد الخصمين عن اجابة داعي الحكم وتقاعس في ذلك لما يلزم
من الاداء او العزم اخذ بعنان القسر الى مجلس الشرع واضطره بقوة الانصار
الى الاداء بعد المنع • وان يتوخى عمال الوقوف التي تقرب المتقربون بها
واستمسكوا في ظل ثواب الله بمتين ثوابها • وان يمدهم بجميل المعاونة والمسا
عدة • وحسن الموازرة والمعاضدة • في الاسباب التي تؤذن بالعمارة والاستغلال
ويعود عليها بالمصلحة والاستخلاص والاستيفا • قال الله تعالى وتعاونوا على
البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان • وامره ان يتخير من اولي الكفاية
والنزاهة من يستخلصه للخدم والاعمال والقيام بالواجب من اداء الامانة والحرا
سة والتمهيد • لبيت المال وان يكونوا من ذوي الاضطلاع بشرائط الخدم مد

المعينة

المعينة وامرها والمهتدين الى مسالك سداد مقاصدها قال الصلاح الصفدي في
تاريخه حكى صاحب كتاب الاشعار بما للملوك من النوادر والاشعار قال كان الملك
الكامل ليلة جالسا فدخل عليه مظفر الاعمى فقال له اجز يا مظفر قد بلغ الشوق
منتهاه • فقال مظفر وما درى العاذلون ما هو فقال السلطان ولي حبيب راى
هواني • فقال مظفر وما تغيرت عن هواه • فقال السلطان رياضة النفس في
احتمالي • فقال مظفر وروضة الحسن في حلاه • فقال السلطان اسهر لدني القوام
القسي • فقال مظفر يعشقه كل من يراه • فقال السلطان وريقه كلها مدام
فقال مظفر ختامها المسك من لماه • فقال السلطان ليلته كلها رقاد • فقال
مظفر وليلتي كلها انتباه • فقال السلطان وما يرى ان اكون عبدا • فقام مظفر
على قدميه وقال يا الملك الكامل احتماه • العالم العامل الذي في • صلاته تروى
اياه • ليث وغيث وبحر رتم • وفضل جل من تفاه قال الحافظ عبد العظيم المنذري
انشا الملك الكامل دار الحديث بالقاهرة وعمر القبة على ضريح الشافعي واجرى الماء
من بركة الحبش الى حوض السبيل والسقاية على باب القبة المذكورة ووقف غير
ذلك من الوقوف على انواع البر وله المواقف المشهورة بدمياط وكان معظما
للسنة واهلها قال الذهبي وكان له اجازة من السلفي وخرج له نعيم الصغراوي
اربعين حديثا سمعها من جماعة و قال ابن خلكان اتسعت مملكة الملك الكامل
حتى قال خطيب مكة مرة عند الدعاء له لسلطان مكة وعبيدها واليمن وزبيد
ها ومصر وصعيدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين وخادم
الحرمين الشريفين الملك الكامل ابو المعالي ناصر الدين محمد خليل امير المومنين
و كانت وفاته بدمشق يوم الاربعاء حادي عشر رجب سنة خمس وثلاثين
وستماية واقيم بعده ولده الملك العادل ابو بكر وكان نائبا ابيه بمصر
مدة غيبته فبلغ ذلك اخاه الاكبر الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل صاحب
حصن كيفا فقدم وبرز العادل الى بلبيس قاصدا للقتال فاختلفت عليه
الامراء فقيدوه واعتقلوه وارسلوا الى الصالح ايوب فوصل اليهم فملكوه وذلك
في صفر سنة سبع وثلاثين فاقام في الملك عشر سنين الا اربعة اشهر وكان

مهيبا جدا ادبر المملكة على احسن وجه وبنى المدارس الاربعة بين القصرين وعمر قلعة بالروضة واشترى الف مملوك واسكنهم بها وسماهم البحرية وهو الذي سماهم الترك وعتقهم وتامروهم ولم يكن ذلك قبله فقام الشيخ عز الدين ابن عبد السلام القومة الكبرى في بيع اولائك الامرا وصرف ثمنهم في مصالح

و قال بعض الشعراء

الصالح المرتضى ايوب اكثر من ... ترك بدولته يا شر مجلوب
لا واخذ الله ايوب بفعلتـه ... فالناس كلهم في ضر ايوب

ولما تولى الخليفة المستعصم بعث الصالح اليه رسوله يطلب منه تقليدا بمصر والشام فجاءه التشريف والطوق الذهب والمركوب فلبس التشريف الاسود والعمامة والجبة وركب الفرس وكان يوما مشهودا فلما كان سنة سبع واربعين هجمت الافرنج على دمياط فهرب من كان فيها واستحوذوا عليها والملك الصالح مقيم بالمنصورة لمقاتلتهم فادركه اجله ومرض ومات ليلة النصف من شعبان فـ ما اخفت جاريته شجرة الدر موته وبقيت تعلم بعلامته سرا واعلمت اعيان الامرا فارسلوا الى ابنه الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا فقدم في ذي القعدة وملكوه فركب في عصايب الملك وقاتل الافرنج وكسرهم وقتل منهم ثلاثين الفا ولله الحمد وكان في عسكر المسلمين الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكانت النصرة اولا للافرنج وقويت الريح على المسلمين فقال الشيخ عز الدين باعلا صوته مشيرا بيده الى الريح يا ريح خذيهم عدة مرار فعادت الريح على مراكب الافرنج فكسرتها وكان الفتح وغرق اكثر الافرنج وصرخ من المسلمين صارخ الحمد لله الذي ارانا في امة محمد صلى الله عليه وسلم رجلا سخر له الريح وكان ذلك يوم الاربعاء ثالث المحرم واسر الفرنسيس ملك الافرنج وجلس مقيدا بدار ابن لقمان ووكل بحفظه طواشي يقال له صبيح ثم نفرت قلوب العسكر من المعظم لكونه قرب مماليكه وابعد مماليك ابيه فقتلوه في يوم الاثنين سابع عشر محرم وداسوه بارجلهم وكانت مملكته شهرين قال ابن كثير وقد روي ابوه الصالح في النوم بعد قتل ابنه وهو يقول

قتلوه

قتلوه شر قتلـه ... صار للعالم مثلـه
لم يراعوا فيه الا ... ولا من كان قبلـه
ستراهم عن قريب ... لاقل الناس اكلـه

فكان كذلك ووقع بعد ذلك قتال بين المصريين والشاميين وعدم من المصريين طائفة كثيرة واتفقوا بعد قتل المعظم على تولية شجرة الدر ام خليل جارية الملك الصالح فملكوها وخطب لها على المنابر وكان الخطباء يقولون بعد الدعاء للخليفة واحفظ اللهم الجهة الصالحة ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ام خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح ونقش اسمها على الدينار والدرهم وكانت تعلم على المراسيم وتكتب والدة خليل ولم يل مصر في الاسلام امراة قبلها ولما وليت تكلم الشيخ عز الدين بن عبد السلام في بعض تصانيفه على ما ابتلي المسلمون بولاية امراة و ارسل الخليفة المستعصم يعاتب اهل مصر في ذلك ويقول ان كان ما بقي عندكم رجل تولونه فقولوا لنا نرسل اليكم رجلا ثم اتفقت شجرة الدر والامراء على اطلاق الفرنسيس بشرط ان يرد دمياط الى المسلمين ويعطوا ثمانية الاف دينار عوضا عما كان بدمياط من الحواصل ويطلقوا اسرى المسلمين فاطلق على هذا الشرط فلما سار الى بلاده اخذ في الاستعداد والعود الى دمياط فندمت الامراء على اطلاقه وقال الصاحب جمال الدين بن مطروح وكتب بها اليه

قل للفرنسيس اذا جيته ... مقال صدق من قؤول نصيح
اجرك الله على ما جرى ... من قتل عباد يسوع المسيح
اتيت مصر تبتغي ملكها ... تحسب ان الطبل بالزمر ريح
فساقك الحين الى ادهم ... ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم ... بحسن تدبيرك بطن الضريح
تسعين الفا لا ترى منهم ... الا قتيلا او اسيرا جريح
وفقك الله لامثالها ... لعل عيسى منكم يستريح
ان كان باباكم بذا راضيا ... فرب غش قد اتى من نصيح
وقل لهم ان اضمروا عودة ... لاخذ ثار او لقصد صحيح

دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باق والطواشي صبيح

فلم ينشب الفرنسيس ان اهلكه الله وكفى المومنين شره واقامت شجرة الدر ثلاثة اشهر ثم عزلت نفسها واتفقوا على ان يملكوا الملك الاشرف موسى بن صلاح الدين يوسف بن المسعود بن الملك الكامل فملكوه وله ثمان سنين وذلك في يوم الاربعاء ثالث جمادى الاولى سنة ثمان واربعين وجعل عز الدين بن ايبك التركماني مملوك الصالح اتابك وخطب لهما وضربت السكة باسمهما وعظم شان الاتراك من يومئذ ومدوا ايديهم الى العامة واحدث وزيره الاسعد الفايزي مظالم ومكوسا كثيرة ثم ان عز الدين خلع الملك الاشرف واستقل بالسلطنة في سنة اثنين وخمسين ولقب الملك المعز وهو اول من ملك مصر من الاتراك وهو جرا عليه الرق فلم يرض الناس بذلك حتى ارضى الجند بالعطايا الجزيلة واما اهل مصر فلم يرضوا بذلك ولم يزالوا يسمعونه ما يكره اذا ركب ويقولون لا نريد الا سلطانا رئيسا ولد على الفطرة وكان المعز تزوج شجرة الدر ثم انه خطب ابنة صاحب الموصل فغارت شجرة الدر فقتلته في اواخر ربيع الاول سنة خمس وخمسين واقيم ولده علي ولقب المنصور وعمره خمسة عشر سنة فاقام سنتين وثمانية اشهر وفي ايامه اخذ التتار بغداد وقتل الخليفة ثم ان الامير سيف الدين قطز مملوك المعز قبض على المنصور واعتقله في اواخر ذي القعدة سنة سبع وخمسين وملك مكانه ولقب بالملك المظفر بعد ان جمع الامراء والعلماء والاعيان وافتوا بان المنصور صبي لا يصلح للملك لا سيما في هذا الزمان الصعب الذي يحتاج الى ملك شهم مطاع لاجل اقامة الجهاد والتتار قد وصلوا البلاد الشامية وجاء اهلها الى مصر يطلبون النجدة واراد قطز ان ياخذ من الناس شيئا ليستعين به على قتالهم فجمع العلماء فحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال لا يجوز ان يوخذ من الرعية شيء حتى لا يبقى في بيت المال شيء وتبيعوا ما لكم من الحوايص ليه الجبايات والالات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه ويتساووا في ذلك هم والعامة واما اخذ اموال العامة مع بقاء ما في ايدي الجند من الاموال والالات الفاخرة فلا ولم يكن قطز هذا امر فوق

الاصل

الاصل ولا من اولاد الكفر قال ابن الجوزي في تاريخه كان قطز في ملك ابن الزعيم فضربه استاذه فبكى فقيل له تبكي من لطمة فقال انما ابكي من لعنة ابي وجدي وهما خير منه فقيل من ابوك واحد كافر فقال ما انا الا مسلم ابن مسلم محمود بن ممدود ابن اخت خوارزم شاه من اولاد الملوك وخرج المظفر من بالجيوش في شعبان سنة ثمان وخمسين متوجها الى الشام الى قتال التتار وشاويشه ركن الدين بيبرس البندقداري فالتقوا هم والتتار عند عين جالوت ووقع المصاف يوم الجمعة خامس عشر رمضان فهزم التتار شر هزيمة وانتصر المسلمون ولله الحمد وجاء كتاب المظفر الى دمشق بالنصر فطار الناس فرحا ثم دخل المظفر الى دمشق مويدا منصورا واحبه الخلق غاية المحبة

وقال بعض الشعراء في ذلك

هلك الكفر في الشام جميعا ... واستجد الاسلام بعد دحوضه

بالملك المظفر الاروع ... سيف الدين عند نهوضه

وقال ابو شامة

غلب التتار على البلاد فجاءهم ... من مصر تركي يجود بنفسه

بالشام اهلكهم وبدد شملهم ... ولكل شيء افة من جنسه

وساق بيبرس وراء التتار الى حلب وطردهم عن البلاد ووعده السلطان بحلب ثم رجع عن ذلك فتاثر بيبرس وتواطا مع جماعة على قتل المظفر فقتلوه في الطريق في سادس عشر القعدة سنة ثمان وخمسين بين الغرابي وتسلطن بعده بيبرس ولقب بالملك القاهر ودخل مصر وازال عن اهلها ما كان المظفر احدثه من المظالم واشار عليه الوزير زين الدين بن زبير بابطال هذا اللقب وقد تكلم الاديب جمال الدين بن المصري المعروف بالجزار الشاعر المشهور ارجوزة سماها العقود الدرية في الامراء المصرية ضمنها امراء مصر من عمرو بن العاصي الى الملك الظاهر هذا

الحمد لله العلي ذكره ... ومن يفوق كل امر امره

احمده وهو ولي الحمد ... على توالي بره والرفد

محمد خير بني عدنان ،، ومن اتاه الوحي بالتبيان
دامت عليه صلوات ربه ،، ثم على عترته وصحبه
يا سايلي عن امراء مصر ،، منذ جاءها عمر لعمرو
خذ من جوابي ما يزيل اللبسا ،، واحفظه حفظ ذاكر الاشياء
اول من كان اليه الامر ،، مفوضا بعد الفتوح عمرو
وابن ابي سرح تولى امرها ،، وقيس ساس بعدها وامرها
ثم تولى النخعي الاشتر ،، وابن ابي بكر كما قد ذكروا
ثم اعيدت بعده لعمرو ،، ثانية وعشرة في الاثر
وعقبة ثم الامير مسلمة ،، وابن يزيد وهو نجل علقمة
ثم تولى الامر عبد الرحمن ،، وبعده تامر ابن مروان
اذ كان واليها له ابوه ،، وهو بمصر حوله ذووه
ثم لعبد الله تعزى الامرة ،، وبعده نجل شريك قرة
ثم تولى بعده عبد الملك ،، نجلا صفيا غير نجل دفك
وابن شرحبيل الامير ايوب ،، وبشر بالامر اليه منسوب
ثم اخوه بشر الامير حنظله ،، ثم غدا لمحمد والامر له
والحر نجل يوسف وحفص ،، من بعده جاء بذاك النص
ثم بنا رفاعة عبد الملك ،، ثم الوليد حنوه كل ملك
ثم ابن خالد بعده تاليه ،، ثم ابن صفوان تولى ثانيه
وحفص قد عاد اليها واليا ،، وقام حسان الامير تاليا
ثم تولى حفص وهي الثالثه ،، وابن سهيل جاء فيها وارثه
وابن عبيد واسمه المغيره ،، دبر اقليما غدا اميره
ثم ابن مروان تولى لخم ،، وكان للدولة اي ختم
وصالح اول من تولى ،، ثم ابن عون ونعم المولى
ثم اعيد صالح لمصر ،، ثانية بنهيه والامر
ثم ابن عون لها اعيدا ،، ثانية وادرك المقصودا

وجا

وجاء موسى بعده ابن كعب ،، محكما في سلمها والعرب
ثم اتى محمد بن الاشعث ،، يا سامع لما حدثته وحدث
ثم حميد وهو ابن قحطبه ،، ثم يزيد نال ايضا منصبه
وواضح وكان مولى المنصور ،، وبعد ذاك ابن يزيد منصور
وجاء يحيى بعده بن ممدود ،، ومالك في الامراء معدود
وبعده ابراهيم نجل صالح ،، ولم يزل ينظر في المصالح
وجاء موسى وهو نجل مصعب ،، وبعده اسامة بها حبي
والفضل نجل صالح ايضا ولي ،، وبعده نجل سليمان علي
ثم حوى موسى بن عيسى حرمه ،، ثم تولاها ابن يحيى مسلمه
وابن زهير واسمه محمد ،، وجاء داود وهذا اسند
وجاء موسى نجل عيسى ثانيه ،، ونال في امرتها امانيه
كذاك ابراهيم ايضا قد ولي ،، فيها كما قد كان قبل العزل
وحاز عبد الله من الافاق ،، وابن سليمان المسمى اسحاق
ثم اتى هرثمة وهو الملك ،، وبعده ابن صالح عبد الملك
ثم عبيد الله نجل المهدي ،، ثانية في حلها والعقد
وجاء اسماعيل نجل صالح ،، بامره في الغادي بها والرائح
وبعده سميه ابن عيسى ،، تحدو اليه القاصدين العيسا
ثم تولى الليث نجل الفضل ،، واحمد من بعده ذو الفضل
وجاء عبد الله يقفو بعده ،، ثم الحسين بن جميل بعده
ثم تولى ملك ثم الحسن ،، كلاهما اوفى في البذل السنن
ثم غدا الامير فيها حاتم ،، وجابر بالامر فيها قائم
ثم لعباد غدت تنتسب ،، وبعده اميرها المطلب
ثم تولى امرها العباس ،، وفوض الامر اليه الناس
ثم اعيد الامر للمطلب ،، ثانية ثم السري يا عجب
ثم سليمان له الامر حصل ،، ثم السري بعدما كان انفصل

ثم تولى ابن السري الامرا ... وطال ما سار بها وسرى
ثم عبيد الله وهو ابن السري ... وبعده ابن طاهر محرر
وبعده عيسى فتى يزيد ... ثم عمير من بني الوليد
قد كان ولاها له لما قدم ... على البلاد الرشيد المعتصم
وعاد عيسى وهو فيها والي ... وعبدويه والمحل العالي
وقد تولى بعده ابن منصور ... عيسى وهذا الامر مشهور
وعند ذاك قدم المامون ... مصر والدنيا له تدين
في سنة تعد عشرة ... وما يتين بعد عام الهجرة
ثم تولى نصر وهو كيدر ... ثم تولاها ابنه المظفر
ثم تولى ابن ابو العباس ... موسى بلا شك ولا الباس
وملكا ابن كيدر وهو علي ... وبعده عيسى بن منصور ولي
وبعده هرثمة بن النضر ... وحاتم وكان رسب الامر
ثم علي نجل يحيى ثانية ... وجاء اسحاق بن يحيى ثالثة
وبعده الامير عبد الواحد ... وهو ابن يحيى بارض بالعوايد
وبعده عنبسة بن اسحاق ... ثم يزيد حاز منها الافاق
ثم تولى امرها مزاحم ... ثم ابنه احمد فيها القايم
ونال ارجوزتها ما يقصد ... ثم ابن طولون الامير احمد
ثم ابو الجيش ابنه من بعده ... ثم ابي جيش ولي عهده
ثم تولى بعده هارون ... وبعده من جده طولون
وبعده عيسى فتى محمد ... ثم تكين المليك الاكيد
ثم هلال وهو ابن بدر ... اصبح فيها وهو رب الامر
ثم تولى احمد بن كيغلغ ... ثم تكين انه له الامر بلغ
ثم اتى محمد بن طغج ... واحمد ثانيه في النهج
ثم تولاها ابن طغج ثانيه ... ثم ابو القاسم جاء تاليه
ثم اتى الاخشيد من بعد علي ... وبعد ذاك الامر كافور ولي

وبعد

وبعد كافور تولى احمد ... ثم اتى جوهر وهو ابتد
ثم تولاها المعز اذ اتى ... ثم العزيز نجله خير فتى
ثم ابنه الحاكم ثم الظاهر ... وكلهم في المؤثرات باهر
ثم تولى امرها المستنصر ... وهو لعمري يقظ مستبصر
ثم تولى امرها المستعلي ... وكان في عقدها والحل
وبعد ذاك قد حواها الامر ... ولم يكد يمضي له اوامر
ثم تولاها الامام الحافظ ... وهو على تدبيرها محافظ
وجاء اسماعيل وهو الظافر ... ثم ابنه الاخر ثم الاخي
اعني بما قلت الامام العاضدا ... محررا ما غنم الزوايدا
وشيركوه مدة يسيرة ... تناهز الشهرين فيه السيرة
ثم تولاها الصلاح يوسف ... ثم العزيز ابنه مستضعف
ثم اتى الفضل نور الدين ... وبعده العادل ذو التمكين
ثم ابنه الكامل ثم العادل ... كلاهما بالحكم فيها عادل
ثم اتى الصالح وهو الاعظم ... ثم تولاها ابنه المعظم
وبعده ام خليل ملكة ... وطابت الافعال فيها وزكت
والملك الاشرف كان طفلا ... فلم يدر عقدها والحلا
ثم استبد الملك المعز ... ثم ابنه وافتقد العز
ثم حواها الملك المظفر ... وحظه من نصره موفر
ثم حواها الملك الظاهر ... لازال للاعداء وهو قاهر

ذكر من كان بمصر من الخلفاء العباسية لانقراض الخلافة ببغداد

وما جرى على المسلمين بتلك البلاد مقدمات نبه عليها العلماء. منها انه في يوم الثلاثا ثامن عشر ربيع الاخر سنة اربع واربعين وستماية هبت ريح عاصفة شديدة بمكة فالقت ستارات الكعبة المشرفة فما سكنت الريح الا والكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد ومكثت

احدى وعشرون يوما ليس عليها كسوة و قال الحافظ عماد الدين بن
كثير كان هذا اول الاعلام بزوال دولة بني العباس ومقدمة لما سيقع بعد هذا من
كاينة التتار لعنهم الله ومنها قال ابن كثير في سنة سبع واربعين طغى الماء
ببغداد حتى اتلف شيئا كثيرا من المحال والدور الشهيرة وتعذرت اقامة
الجمعة بسبب ذلك و في هذه السنة هجمت الافرنج على دمياط فاستحو
ذوا عليها وقتلوا خلقا من المسلمين و في سنة خمسين وقع حريق بحلب
احترق بسببه ستماية دار وقيل ان الافرنج لعنهم الله القوه فيها قصدا
و في سنة اثنتين وخمسين قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان وردت الاخبار
من مكة بان نارا ظهرت في ارض عدن في بعض جبالها بحيث انه يطير شرا
رها الى البحر في الليل ويصعد منها دخان عظيم في اثناء النهار فتاب الناس
واقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد وشرعوا في افعال الخير والصدقا
و في سنة اربع وخمسين زادت دجلة زيادة مهولة فغرق خلق كثير من
اهل بغداد ومات خلق تحت الهدم وركب الناس في المراكب واستغاثوا بالله
وعاينوا التلف ودخل الماء من اسوار البلد وانهدم منه دار الوزير وثلاثماية
وثلاثون دارا وانهدم مخزن الخليفة وهلك شيء كثير من خزانة السلاح قال
ابن السبكي في الطبقات الكبرى وكان ذلك من جملة الامور التي هي مقدمة
لواقعة التتار و في هذه السنة في يوم الاثنين مستهل جمادى الاخرة
وقع بالمدينة الشريفة صوت يشبه صوت الرعد البعيد تارة وتارة واقام على
هذه الحالة يومين فلما كانت ليلة الاربعاء تعقب الصوت زلزلة عظيمة
رجفت منها الارض والحيطان واضطرب المنبر الشريف واستمرت تزلزل ساعة
بعد ساعة الى يوم الجمعة خامس الشهر خرج من الحرة نار عظيمة وسالت
اودية منها مسيل الماء وسالت الجبال نارا وسالت نحو طريق الحاج العراقي
فوقفت واخذت تاكل الارض اكلا ولها كل يوم صوت عظيم من اخر الليل الى
ضحوة النهار واستغاث الناس بنبيهم صلى الله عليه وسلم واقلعوا عن المعاصي
واستمرت النار فوق الشهر وخسف القمر ليلة الاثنين منتصف الشهر

وكسفت

وكسفت الشمس في غده وبقيت اياما متغيرة اللون ضعيفة النور واشتد
فزع الناس وصعد علماء البلد الى الامير يعظونه فطرح المكس ورد على الناس
ما كان تحت يده من اموالهم و قال سيف الدين علي بن عمر بن قزل المشد في هذه النار

الا سلما عني الى خير مرسل ... ومن فضله كالسيل ينحط من عل
واشرف من شدت عليه رحالنا ... لنورد هيم الشوق اعذب منهل
تجوز بنا كل اشعث اغبر ... فيا عجبا من رحلها المتحمل
الى سيد جاءت معالي مجده ... ومعجزه اي الكتاب المنزل
نبي هدانا للهدى بادلة ... فهمنا معانيها بحسن التاول
محمد المبعوث والغي مظلم ... فاصبح وجه الارض مثل المسجل
وقولا له اني اليك لشيق ... عسى الله يدنيني من محلك محمل
فتخمد اشواقي وتسكن لوعتي ... واصبح عن كل الغرام بمعزل
ولما نعى عني الكرى خبر التي ... اضاءت باذن ثم رضوى ويذبل
ولاح سناها من جبال قريظة ... لكان تيما واللوا والعقنقل
فقلت كلاما لا يمين لقائل ... سواك ولا يستطيعه ذو مقول
واخبرت عنها من زمانك منذر ... بيوم عبوس قمطرير مطول
ستظهر نار بالحجاز مضية ... لاعناق عيسى نحو بصرى لمخيل
فكانت كما قد قلت حقا بلا مرا ... صدقت وقد كذبت كل معطل
لها شرر كالبرق لكن شهيقها ... فكالرعد عند السامع المتامل
واصبح وجه الشمس كالبدر كاسفا ... وبدر الدجا في ظلمة ليس ينجلي
وغابت نجوم الجو قبل غروبها ... وكدرها دور الدخان المسلسل
وهبت سموم كالحميم بانه بلفه ... من الباسقات الشم كل مذلل
وابدت من الايات كل عجيبة ... وزلزلت الارضون اي تزلزل
وايقن كل الناس ان عذابهم ... تعجل في الدنيا بغير تمهل
واعولت الاطفال مع امهاتها ... فيا نفس جودي بالمدامع اهمل
جزعت وقام الناس حولي واقبلوا ... يقولون لا تهلك اسى وتجمل

لعل آلاء الخلق يرحم ضعفهم ... وما أظهروه من عظيم التذلل
وتاب الورى واستغفر الله ربهم ... ولاذوا بمولاهم الكريم المبجل
شفعت لهم عند الإله فأصبحوا ... من النار في أمن وبر مجمل
أتاهم الرحمن منك بتحفة ... ألذ وأشهى من جنى ومعسل
طفى النار نور من ضريحك ساطع ... فعادت سلاما لا تضر بمصطلي
وعاش وجاء الناس بعد مماته ... فيا لك من يوم أغر محجل
فيا راحلا عن طيبة إن طيبة ... هي الغاية القصوى لكل مؤمل
فقبلتك إذ كرها بأن الذي بها ... أجل حبيب وهي أكرم منزل
دخلت إليها محرما وملبيا ... وأضربت عن سقط الدخول الحومل
مواقف أما تربها فهو عنبر ... وأما كلاها فهو نبت القرنفل
يضوع شذاها ثم يعبق نشرها ... لما لاح منها عن جنوب وشمأل
فيا خير مبعوث وأكرم شافع ... وأنجح مأمول وأفضل مرسل
عليك سلام الله بعد صلاته ... كما ضوع المسك العتيق بمندل

وقال بعضهم في ذلك

يا كاشف الضر صفحا عن جرائمنا ... لقد أحاطت بنا يا رب بأساء
نشكو إليك ذنوبا لا نطيق لها ... حملا ونحن بها حقا أحقاء
زلازلا تخشع الصم الصلاب لها ... وكيف يقوى على الزلزال شماء
أقام سبعا يرج الأرض فانصدعت ... عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجري فوقه سفن ... من الهضاب لها في الأرض إرساء
ترى لها شررا كالقصر طائشة ... كأنها ديمة تنصب هطلاء
تنشق منها قلوب الصخر إن زفرت ... رعبا وترعد مثل السعف أضواء
منها تكاثف في الجو الدخان إلى ... أن عادت الشمس منه وهي دهماء
قد أثرت شفعة في البدر لفحتها ... فليلة التم بعد النور ليلاء

وقال الآخر في هذه النار وغرق بغداد

سبحان من أصبحت مشيئته ... جارية في الورى بمقدار

أغرق

أغرق بغداد بالمياه كما ... أحرق أرض الحجاز بالنار

قال أبو شامة والصواب أن يقال

في سنة أغرق العراق وقد ... أحرق أرض الحجاز بالنار

وذكر ابن الساعي أن النجاب لما جاء إلى بغداد يخبر عن هذه النار قال له الوزير إلى أي الجهات ترمي شررها قال إلى جهة الشرق قال أبو شامة وفي ليلة الجمعة مستهل رمضان من هذه السنة احترق المسجد الشريف النبوي ابتداء حريقه من زاويته الغربية من الشمال وكان دخل أحد القومة إلى خزانة ومعه نار فعلقت في الآلات واتصلت بالسقف بسرعة ثم دبت في السقوف فأعجلت الناس عن قطعها فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد أجمع ووقعت بعض أساطينه وذاب رصاصها واحترق سقف الحجرة النبوية الشريفة واحترق المنبر الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب عليه قال أبو شامة وعد ما وقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من الآيات وكأنها كانت منذرة بما يعقبها في السنة الآتية من الكائنات وقال أبو شامة في ذلك

نار من أرض الحجاز مع حرق المسجد معه تغريق دار السلام
بعد ست من المئين وخمسين ... لدى أربع جرى في العام
ثم أخذ التتار بغداد في أول عام من بعد ذلك وعام
لم يعن أهلها وللكفر أعوان ... عليهم يا ضيعة الإسلام
وانقضت دولة الخلافة منها ... صار مستعصم بغير اعتصام
فحنانا على الحجاز ومصر ... وسلاما على بلاد الشام

وفي تاريخ ابن كثير عن الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال أحد الزهاد قال كنت بمصر فبلغني ما وقع ببغداد من القتل الذريع فأنكرته بقلبي وقلت رب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له فرأيت في المنام رجلا وفي يده كتاب فأخذته فإذا فيه

دع الاعتراض فما الأمر لك ... ولا الحكم في حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله ... فمن خاض لجة بحر هلك

قلت واجرى الله عادته ان العامة اذا زاد فسادها وانتهكوا حرمات
الله ولم تنفع عليهم الحجج وقد ارسل الله عليهم آية في اثر آية فان لم ينجع
ذلك فيهم اتاهم بعذاب من عنده وسلط عليهم من لا يستطيعون له دفاعا
وقد وقع في هذه السنين ما يشبه الآيات الواقعة في مقدمات واقعة
التتار وانا خائف من عقبى ذلك اللهم سلم سلم فاول ما وقع في سنة ثلاث
وثمانين حصول قحط عظيم بارض الحجاز وفي سنة خمس وثمانين لم يزد النيل
القدر الذي يحصل به الري ولا ثبت المدة التي يحتاج الى ثبوته فيها فاعقب
ذلك غلاء الاسعار في كل شيء وفي سنة ست وثمانين في سابع عشر
المحرم زلزلت مصر زلزلة منكرة لها دوي شديد وقع بسببها قطعة من
المدرسة الصالحية على قاضي الحنفية شمس الدين بن عيد وكان من خيار عباد
الله فقتلته وفي ليلة ثالث عشر رمضان من هذه السنة نزلت صاعقة من
السماء على المسجد الشريف فاحرقته باسره وما فيه من خزائن وكتب
واحرقت الحجرة الشريفة والمنبر والسقوف ولم يبق سوى الجدران واحترق
فيه جماعة من اهل الفضل والخير وكان امرا مهولا وفي هذه السنة وقع
بالغربية برد كبار بحيث قتل كثيرا من الطير وقيل ان وزن البردة سبعون
درهما وفي سنة سبع وثمانين ورد الخبر بان صاعقة نزلت بحلب وباتى
الفنا وقع ببغداد وبلاد الشرق عظيما جدا حتى قيل انه عد ببغداد من
تاخر من الرجال فكانوا مائتين واربعين نفسا وفي ذي الحجة وردت الاخبار
بانه حصل بمكة في يوم الاربعاء رابع عشر ذي القعدة سيل عظيم بحيث
دخل البيت الشريف فكان فيه قامة واخرب بيوتا كثيرة وهدم جملة من اساطين
الحرم ووجد في المسجد من الغرقاء سبعون انسانا وخارج المسجد خمسمائة
نفس واستمر الماء في المسجد الى يوم السبت ولم تصل الجمعة وكتب القاضي برهان
الدين بن ظهيرة الى مصر كتابا بذلك يقول فيه ان هذا السيل لم يعهد مثله
لا في جاهلية ولا في اسلام فانه ذرع موضع وصوله في المسجد فكان سبعة
اذرع وثلث ذراع وقد قلت في ذلك في عام ست

اتى المدينة في المسجد ... نار اقيمت بالحروق
وعام سبع اتى لمكة ... في المسجد سيل فعم بالغرق
وقبلها القحط بالحجاز فشا ... ومصر قد زلزلت من الفرق
وانهبط النيل غير منتفع ... به وخافت معايش الفرق
بهذه جملة اتت نسقا ... مستوجبات الخوف والقلق
فليحذر الناس ان يحل بهم ... ما حل بالاولين من محق

ولما اخذت التتار بغداد وقتل الخليفة وجرى ما جرى اقامت الدنيا بلا خليفة
ثلاث سنين ونصف سنة وذلك من يوم الاربعاء رابع عشر صفر سنة ست
وخمسين وهو اليوم الذي قتل فيه الخليفة المستعصم الى اثناء سنة تسع
وخمسين فلما كان في رجب من هذه السنة قدم ابو القاسم احمد بن امير المؤمنين
الظاهر بامر الله وهو عم الخليفة المستعصم واخو المستنصر وقد كان معتقلا
ببغداد ثم اطلق وكان مع جماعة من الامراء الاعراب عشرة منهم الامير ناصر الدين بن
ثم قصد الملك الظاهر فقدم عليه للديار المصرية صحبة هؤلاء الامراء من
العشرة وكان دخوله الى القاهرة في ثاني رجب فخرج السلطان للقائه ومعه
القاضي تاج الدين والوزير والعلماء والاعيان والشهود والمؤذنون فتلقوه
وكان يوما مشهودا وخرج اليهود بتوراتهم والنصارى بانجيلهم ودخل من باب
النصر بابهة عظيمة فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر رجب جلس السلطان
والخليفة في الايوان بقلعة الجبل والقاضي والوزير والامراء على طبقاتهم
واثبت نسب الخليفة على القاضي تاج الدين فلما ثبت قام قاضي القضاة قائما
واشهد على نفسه بثبوت النسبة الشريفة ثم كان اول من بايعه شيخ
الاسلام عز الدين بن عبد السلام ثم السلطان الملك الظاهر ثم القاضي
تاج الدين ثم الامراء والدولة وركب في دست الخلافة بمصر والامراء بين
يديه والناس حوله وشق القاهرة وكان يوما مشهودا ولقب المستنصر
بالله بلقب اخيه وخطب له على المنابر وضرب اسمه على السكة وكتب
بيعته الى الآفاق وانزل بقلعة الجبل هو وحشمه وخدمه فلما كان يوم الجمعة

سابع عشر رجب ركب في ابهة السواد وجاء الى الجامع بالقلعة فصعد المنبر
وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس ودعى للسلطان ثم نزل فصلى
بالناس وكان وقتا حسنا ويوما مشهودا ثم في يوم الاثنين رابع شعبان ركب
الخليفة والسلطان والقاضي والوزراء والامراء واهل العقد والحل الى خيمة
عظيمة قد ضربت ظاهر القاهرة فالبس الخليفة السلطان بيده خلعة
سوداء وعمامة سوداء وطوقا في عنقه من ذهب وقيدا من ذهب في رجليه
وفوض اليه الامور في البلاد الاسلامية وما سيفتحه من بلاد الكفر ولقبه
بقسيم امير المومنين و صعد فخر الدين بن لقمان وهو رئيس الكتاب منبرا
فقرا عليه تقليد السلطان وهو من انشائه وصورته الحمد لله
الذي اضفى على الاسلام ملابس الشرف ، واظهر بهجة درره وكانت خافية
بما استحكم عليها من الصدف ، وشيد ما وهى من علائه حتى انسى ذكر من
سلف ، وقيض لنصره ملوكا اتفق على طاعتهم من اختلف ، احمده على نعمه التي
رتعت الاعين منها في الروض الانف ، والطافه التي وقف الشاكر عليها
فليس له عنها منصرف ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة توجب من المخاوف امنا ، وتسهل من الامور ما كان حزنا ، واشهد
ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي جبر من الدين وهنا ، والنبي الذي اظهر
من المكارم فنونا لا فنا ، صلى الله عليه وعلى آله الذين اضحت مناقبهم
باقية لا تفنى ، واصحابه الذين احسنوا في الدين فاستحقوا الزيادة
بالحسنى ، وبعد فان اولى الاولياء بتقديم ذكره ، واحقهم ان يصبح القلم
راكعا وساجدا في تسطير مناقبه وبره ، من سعى فاضحى سعيه للحمد
متقدما ، ودعى الى طاعته فاجاب من كان منجدا ومتهما ، وما بدت
يد في المكرمات الا كان لها زندا ومعصما ، ولا استباح بسيفه حمى
وغى الا اضرم فيه نارا واجرى فيه دما ، ولما كانت هذه المناقب الشر
يفة مختصة بالمقام العالي المولوي السلطاني الملكي الظاهري الركني
شرفه الله واعلاه ذكره الديوان العزيز النبوي الامامي المستنصري اعز

الله سلطانه تنويها بشريف قدره ، واعترافا بصنيعه الذي تنفد العبارة
المسهبة ولا تقوم بشكره ، كيف لا وقد اقام الدولة العباسية بعد ان اقعدتها
زمانة الزمان ، واذهب ما كان لها من محاسن واحسان ، واعتب دهرها المسيء
فاعتب ، وارضى عنها زمنها وقد كان صال عليها صولة مغضب ، فاعاد لها
سلما بعد ان كان عليها حربا ، وصرف اليها اهتمامه فرجع كل متضايق من
امورها واسعا رحبا ، ومنح امير المومنين عند القدوم عليها حنوا وعطفا ،
واظهر من الولاء رغبة في ثواب الله ما لا يخفى ، وابدى من الاهتمام بامر الشر
يعة والبيعة امرا لو رامه لامتنع عليه ، ولو تمسك بحبله متمسك لانقطع
به قبل وصوله اليه ، لكن الله ادخر هذه الحسنة ليثقل بها ميزان ثوابه
ويخفف بها يوم القيامة حسابه ، فهذه منقبة ابى الله الا ان يخلدها في
صحيفة هذه الصنائع ، ويعترف انه لولا اهتمامك لا تسع الخرق على الراقع ،
وقد قلدك الديار المصرية ، والبلاد الشامية ، والديار البكرية والحجازية
واليمنية والفراتية ، وما يتجدد من الفتوحات غورا ونجدا ، وفوض امر
جندها ورعاياها اليك حتى اصبحت بالمكارم فردا ، ولا جعل منها بلدا
من البلاد ولا حصنا من الحصون يستثنى ، ولا جهة من الجهات تعد في الاعلى
ولا في الادنى ، فلاحظ امور الامة فقد اصبحت لها حاملا ، وخلص نفسك
من التبعات اليوم ففي غد تكون مسؤولا لا سائلا ، ودع الاغترار بامر الدنيا
فما نال احد منها طائلا ، وما رآها احد بعين الحق الا رآها حائلا زائلا ،
بالسعيد من قطع منها آماله الموصولة ، وقدم لنفسه زاد التقوى فتقدمة
غير التقوى مردودة لا مقبولة ، وابسط يدك بالاحسان والعدل فقد امر الله
بالعدل وحث على الاحسان ، وكرره ذكره في مواضع من القرآن ، وكفر به عن
المرء ذنوبا كتبت عليه وآثاما ، وجعل يوما منها كعبادة العابد ستين عاما
وما سلك احد سبيل العدل الا واجتنيت ثماره من افنان ، ورجع الامر به بعد
تداعي اركانه وهو مشيد الاركان ، وتحصن به من حوادث زمانه وكانت ايامه
في الايام ابهى من الاعياد ، واحسن في العيون من الغرر في اوجه العباد ،

واحلا من العقود اذا حلي بها عاطل الاجياد . وهذه الاقاليم المنظومة
بك تحتاج الى نواب واحكام . واصحاب راي من اصحاب السيوف والاقلام . فاذا
استعنت باحد منهم في امورك تنقب عليه تنقيبا . واجعل عليه في تصرفاته
رقيبا . واسال عن احواله فيوم القيامة تكون عنه مسئولا وبما اجترم
مطلوبا . ولا تول الا من تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوبا . وامرهم بالاناة
في الامور والرفق وبمخالفة الهوى اذا ظهرت والوجه الطلق . وان لا يعاملوا
احدا على الاحسان والاساءة الا بما يستحق . وان يكونوا لمن تحت ايديهم من
الرعايا اخوانا . وان يوسعهم برا واحسانا . وان لا يستحلوا حرماتهم
اذا استحل الزمان لهم حرمانا . فالمسلم اخو المسلم ولو كان اميرا عليه
وسلطانا . والسعيد من نسج ولاته في الخير على منواله . واستنوا
بسنته في تصرفاته واحواله . وتحملوا عنه ما تعجز قدرته عن حمل اثقاله
وما يومروا به ان يمحوا ما احدث من سيئ السنن . وجدد من المظالم التي هي
من اعظم المحن . وان يشتري باطالها المحامد فان المحامد رخيصة باغلى ثمن
ومهما جبي منها من الاموال فانما هي باقية في الذمم حاصلة . واجياد
الخزاين وان اضحت بها حالية . فانما هي على الحقيقة منها عاطلة . وهل
اشقى من احتقب اثما . واكتسب بالمساعي الذميمة ذما . وجعل السواد
الاعظم له يوم القيامة خصما . وتحمل ظلم الناس فيما صدر عنه من اعماله
وقد خاب من حمل ظلما . وحقيق بالمقام الشريف المولوي السلطاني الملكي
الظاهري الركني ان تكون ظلمات الاثام ممحوة بعدله . وعزايمه تخفف
ثقلا لا طاقة له بحمله . فقد اضحى على الاحسان قادرا . وصنعت له الايام
ما لم تصنعه لغيره ممن تقدم من الملوك وان جاء اخرا . فاحمد الله على ما
اوصل الى جانبك امام هداه اوجب لك مزية التعظيم وهذه امور يجب ان
تلاحظ وتراعى . وان يوالي عليها حمد الله فان الحمد يجب عليها عقلا وشرعا
وقد تبين انك صرت في الامر اصلا وصار غيرك فرعا . ومما يجب تقديم ذكره
امر الجهاد الذي اضحى على الامة فرضا . وهو العمل الذي يرجع به سود

الصحايف

الصحايف بيضا . وقد وعد الله المجاهدين بالاجر العظيم . واعد لهم عنده
المقام الكريم . وخصهم بالجنة التي لا لغو فيها ولا تاثيم . وقد تقدمت لك في
الجهاد يد بيضا اسرعت في سواد الجهاد . وعرفت منك عزمة هي امضى مما
تجنه ضماير الاغماد . واشهى الى القلوب من الاعياد . وبك صان الله حمى الاسلام
من ان يتبدل . وبعزمك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول . وسيفك اثر
في قلوب الكافرين قروحا لا تندمل . فايقظ لنصرة الاسلام جفنا ما كان غافيا
ولا هاجعا . وكن في مجاهدة اعداء الله اماما متبوعا لا تابعا . وايد كلمة
التوحيد فما تجد في تاييدها الا مطيعا سامعا . ولا تخل الثغور من اهتمام بامرها
تبسم له الثغور . واحتفال يبدل ما دجى من ظلماتها بالنور . واجعل امرها
على الامور مقدما . وشيد منها كل ما غادره العدو منهدما . فهذه حصون
بها يحصل الانتفاع . وهي على العدو داعية افتراق لا اجتماع . واولاها
بالاهتمام ما كان البحر له مجاورا . والعدو اليه ملتفتا ناظرا . لا سيما ثغور
الديار المصرية فان العدو وصل اليها واتى وراح خاسرا . واستاصلهم الله
فيها حتى ما اقال منهم عاثرا . وكذلك امر الاسطول الذي ترى خيله
كالاهلة . وركائبه سابقة بغير سائق مستقلة . وهو اخو الجيش السليماني
فان ذاك غدت الرياح له حاملة . وهذا تكلفت بحمله المياه السايلة .
واذا لحظها في البحر جارية كانت كالاعلام . واذا شبهها قال هذه ليال
تقلع بالايام . وقد سنى الله لك من السعادة كل مطلب . واتاك من اصالة
الراي الذي يريك المغيب . وبسط بعد القبض منك الامل . ونشط بالسعادة
ما كان من كسل . وهداك الى مناهج الحق وما زلت مهتديا اليها . والزمك
المراشد ولا تحتاج الى تنبيه عليها . والله يمدك باسباب نصره . ويو
زعك شكر نعمه فان النعمة تستتم بشكر نعمه ثم ركب السلطان بهذه
الابهة والقيد في رجله والطوق في عنقه والوزير يدبر به على راسه
التقليد والامراء والدولة مشاة سوى القاضي والوزير فشق القاهرة وقد
زينت له وكان يوما عظيما ثم طلب الخليفة من السلطان ان يجهز اليه

بغداد ويرتب جندا واقام له كل ما يحتاج اليه وغرم عليه الف الف دينار
وسار السلطان بصحبته الى دمشق فدخلها يوم الاثنين سابع ذي القعدة
وصلى فيها الجمعة ثم رجع السلطان الى مصر وسار الخليفة ومعه ملوك
الشرق ففتح الحديثة ثم هيت فجاءه عسكر من التتار فتصافوا فقتل من
المسلمين جماعة وعدم الخليفة فلا يدرى اقتل ام هرب وذلك في ثالث المحرم
سنة ستين وكانت خلافته دون سنة اشهر وكان ممن شهد الوقعة معه
وهرب فيمن هرب ابو العباس احمد بن امير المومنين المسترشد بالله فقصد
الرحبة وجاء الى عيسى بن مهنا فكاتب فيه الملك الظاهر وطلبه فقدم
القاهرة ومعه ولده وجماعة فدخلها في سابع عشر ربيع الاخر فتلقاه
السلطان واظهر السرور به وانزله بقلعة الجبل واغدق عليه واستمر بقية
العام فلا مبايعة والسكة تضرب باسم المستنصر المقتول اول العام فلما
كان يوم الخميس ثامن المحرم سنة احدى وستين جلس السلطان مجلسا عاما
وجاء ابو العباس المذكور راكبا الى الايوان الكبير وجلس مع السلطان
وذلك بعد ثبوت نسبه فقرئ نسبه على الناس ثم اقبل عليه السلطان
فبايعه بامير المومنين ثم اقبل هو على السلطان وقلده الامور ثم بايعه
الناس على طبقاتهم ولقب الحاكم بامر الله وكان يوما مشهودا فلما كان
من الغد يوم الجمعة خطب الخليفة بالناس فقال في خطبته الحمد لله الذي
اقام لال العباس ركنا ظهيرا . وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا . احمده
على السراء والضراء . واستعينه على شكر ما اسبغ من النعماء . واستنصره
على الاعداء . واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه نجوم الاهتدا . والائمة الاقتدا .
الاربعة الخلفا . وعلى العباس عمه . وكاشف غمه . الى السادة الخلفاء
الراشدين . والائمة المهديين . وعلى بقية الصحابة والتابعين . لهم
باحسان الى يوم الدين . ايها الناس اعلموا ان الامامة فرض من فروض
الاسلام . والجهاد محتوم على الانام . ولا يقوم علم الجهاد . الا باجتماع

كلمة

كلمة العباد . ولا سبيت الحرم الا بانتهاك المحارم . ولا سفكت الدماء الا
بارتكاب الماثم . فلو شاهدتم اهل الاسلام . حين دخلوا دار السلام . واستبا
حوا الدماء والاموال . وقتلوا الرجال والاطفال . وهتكوا حرم الخلافة
والحريم . واذاقوا من استبقوا العذاب الاليم . فارتفعت الاصوات بالبكاء
والعويل . وعلت الضجات من هول ذلك اليوم الطويل . فكم من شيخ خضبت
شيبته بدمائه . وكم من طفل بكى فلم يرحم لبكائه . فشمروا ساق الاجتهاد
في احياء فرض الجهاد . فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا
وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فلم تبق
معذرة في القعود عن اعداء الدين . والمحاماة على المسلمين . وهذا الملك
الظاهر السيد الاجل العالم العادل المجاهد المويد ركن الدنيا والدين . فقد
قام بنصر الامامة عند قلة الانصار . وشرد جيوش الكفر بعد ان جاسوا
خلال الديار . فاصبحت البيعة باهتمامه منتظمة العقود . والدولة العبا
سية به متكاثرة الجنود . فبادروا عباد الله الى شكر هذه النعمة .
واخلصوا نياتكم تنصروا . وقاتلوا اولياء الشيطان تظفروا . ولا يرو
عنكم ما جرى فالحرب سجال والعاقبة للمتقين . والدهر يومان والاجر للمومنين
جمع الله على التقوى امركم . واعز بالايمان نصركم . واستغفر الله العظيم
لي ولكم . ولسائر المسلمين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم ثم خطب
الثانية ونزل فصلى بالناس وكتب بيعته الى الافاق ليخطب له وتكتب السكة
باسمه قال ابو شامة فخطب له بجامع دمشق وسائر الجوامع سادس عشر
المحرم قال ابن فضل الله ونقش اسمه على السكة وضرب بها الدينار والدرهم
قال ثم خاف الظاهر عاقبة امره فاسكنه عنده في القلعة وعنده حريمه
وخدمه وغلمانه موسعا عليه في النفقات والكسا وفي يتردد اليه العلماء
والفقراء على اكمل ما يكون من انواع الاكرام وملاحظة جانب الاجلال والمها
بة ممنوعا من اجتماع احد من اهل الدولة ثم اسقط اسمه من سكة النقود
وابقاه على المنابر ثم لاحظه الملك الاشرف خليل بن قلاوون لانه من تلك

الملاحظة ورعى لولده عهد الخلافة فيه حفظها من جميل المحافظة فيه انتهى
قال غيره وقد خطب بالقلعة مرة ثانية يوم الجمعة رابع عشر شوال سنة تسعين
بسؤال الملك الاشرف له في ذلك وذكر في خطبته تولية السلطنة للاشرف
ثم خطب مرة ثالثة بالمنصورية بحضرة السلطان والقضاة وحض على غزو التتار
واستنقاذ بلاد العراق من ايديهم وذلك في ذي القعدة سنة تسعين ثم
خطب مرة رابعة في التاسع والعشرين من ربيع الاول سنة احدى وتسعين
وحث على الجهاد والنفير وصلى بالناس الجمعة وجهر بالبسملة قال الذهبي
آخر خليفة خطب يوم الجمعة الراضي بالله ولم يخطب بعده خليفة الى الحاكم
العباسي هذا فانه خطب في خلافته انتهى قال ابن فضل الله لما ملك المنصور
لاجين زاد في اكرامه وصرفه في الركوب والنزول فبرز الى قصر الكبش وسكن
به ثم انه حج في سنة سبع وتسعين فاعطاه المنصور لاجين سبعماية
الف درهم ورجع من الحج فاقام بمنزله الى ان مات ليلة الجمعة ثامن عشر
جمادى الاولى سنة احدى وسبعماية ودفن بجوار السيدة نفيسة في
قبة بنيت له وهو اول خليفة مات بمصر من بني العباس وارسل نايب
السلطنة الامير سلار خلف كل من في البلد من الامراء والقضاة والعلماء
والصوفية ومشايخ الزوايا والربط وغيرهم حتى حضروا الصلاة عليه
وولي الخلافة بعده بعهد منه ولده ابو الربيع سليمان ولقب المستكفي
بالله وخطب له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية وسارت البشارة
بذلك الى جميع الاقطار والممالك الاسلامية قال ابن كثير قدم البريد من
القاهرة سادس جمادى الاخرة فاخبر بوفاة امير المومنين الحاكم ومبايعة
المستكفي بجامع دمشق وكتب له تقليد بالخلافة وقرئ بحضرة السلطان
امضى له عهد والده حتى سال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد هل يصلح
قال نعم يصلح وانما احتيج الى ذلك لانه كان صغير السن لم يبلغ عشرين
سنة فان مولده في سنة اربع وثمانين وستماية وكان له اخ اسن منه فكان
ينازعه الامر فلما اشار الشيخ باستخلافه امضى عهد والده وهذه

صورة العهد • الحمد لله الذي رفع المستكفي به لما انتصب بشريف همته
للمحل الاسنى • ومنح الامة به ربيع خصب العيش وجزم امرهم على الصلاح
والتوفيق جزما • وجعل الناس تبعا لهم في هذه الامور وغيرهم بالخلافة المعظمة
لايدعى ولايسمى • بالحاكم الحسن المسترشد المستظهر به خيرة الدين القائم
بامر الله • القادر • المقتدر • المعتضد • الموفق • المتوكل • المعتصم • الرشيد •
المهدي • المنصور • الكامل من اقتفى لسنن سنتهم رسما • استودع الخلافة
في بني العباس الذي كان لنبيه عما • وفرج عنه ليلة العقبة بمبايعة الانصار
كربة وغما • فبشره بان الخلافة في عقبه فعمه بالسرور عما • فلما انتهى
ذلك السر في العوالم الى الحاكم قبل وفاته افسكت هيبة الخلافة عن معرفة حقو
قها العظيم من كل عظيم فهما • ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما •
احمده حمد من لم يثن عن طاعته وطاعة رسوله واولي الامر عزما • ويورثها من
يشاء من خلقه اختيارا وعزما   اشهد ان   عبده ورسوله الذي دعى الى
مودة اولي القربى ومن افضل من قرباته زكاة واقرب رحما • صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه وخلفائه وعترته الذين هم اعدل البرية حكما   بان الملك السلام
منذ اسجد لادم الملائكة الكرام في سالف الازمان قدما • جعل طاعة خلفائه
في بلاده حتما • كيف لا وبهم يعم الوجود • وتقام الحدود • وتنهدم اركان
الجحود هدما • فبحياتهم تامن البلاد • وربما صادف قرب وفاتهم ان لبس القمر
حلة النم حلة السواد واخفى جرما • ولما كانت سنة من تقدم من الخلفاء اذا
خافوا ان يهجم عليه الحمام هجما • او تهدي اليه الايام الما وسقما • تفويض الامر
بولاية العهد على الخلق لخيرة ذويه وبنيه نجدة وحزما • واشهد على نفسه
الشريفة مولانا الامام الحاكم عليه المراقب لسره في سره ونجواه • الحاكم بامر الله
امير المومنين • خليفة رب العالمين • ابن عم سيد المرسلين • وارث الخلفاء الرا
شدين • ابو العباس احمد بن الامير الحسن بن الامير ابي بكر بن الامير العبني بن
امير المومنين • خليفة رب العالمين • ابن عم سيد المرسلين • الراشد بالله امير
المومنين • المسترشد بالله ابي منصور الفضل بن امير المومنين • المستظهر بالله

ابي العباس احمد بن امير المومنين ابي القاسم عبد الله بن المرحوم الذخيرة للدين
بن وولي عهد المسلمين • محمد بن الامام القايم بامر الله ابي عبد الله
محمد بن القادر بالله ابي العبّاس احمد بن امير المومنين ابي الفضل جعفر المتوكل
ابن امير المومنين ابي اسحاق محمد المعتصم بن امير المومنين هارون الرشيد
ابن امير المومنين محمد المهدي بن امير المومنين عبد الله المنصور بن محمد
الكامل بن علي السجاد بن عبد الله حَبر الامة بن العباس بن عبد المطلب
عم النبي صلى الله عليه وسلم اعز الله به الدين • وامتع ببقاء نسله الشريف
الاسلام والمسلمين • وهو في حالة تسوغ منها الشهادة عليه • ويرجع
في الامور المنوطة للخلافة الشريفة اليه في انه عهد الى ولده لصلبه الامام
المستكفي بالله ابي الربيع سليمان • شيد الله به اركان الايمان • ونصر
ببركة سلفه العصابة المحمدية على اهل الكفر والطغيان • وجعله ولي عهده
واستخلفه على الرعية من بعده • لما علمه من اهليته وعدالته • وصلا
حه لذلك وكفايته • وشخص لشهود هذا المكتوب الشريف • ونبّه على
استخلافه لذلك ومحله العالي المنيف • عهدا صحيحا شرعيا • معتبرا تاما
مرعيا • وفوض اليه امر الخلافة المعظمة تفويضا شرعيا صحيحا • وعقد له
عقد ولاية العهد على الامة عقدا صحيحا • وقبل ذلك منه القبول الشرعي المعتبر
المرضي بالله تعالى يجمع به كلمة الاسلام ويصحبه في خلافته الشريفة واليا
موفقا • ويقمع ببركة سلفه الكرام اهل الطغيان ويهيي له من امره مرفقا •
بمنه وكرمه • امين والحمد لله رب العالمين • وصلواته على سيد المرسلين •
واله وصحبه اجمعين • وبه شهد في اليوم المبارك السّابع عشر من جمادى
الاولى سنة احدى وسبعماية احسن الله العقبى في ختامها • واجرى الخير
فيما بقي من شهورها واعوامها • وشهد عليه بذلك اربع شهود ورسموا
خطوطهم تحت نسخة العهد بما نصه اشهدني مولانا الامام جامع كلمة
الايمان • ناظم شمل الاسلام • سيد الخلفاء الاعلام • امام المسلمين •
والمناضل عن شريعة سيد المرسلين • الحاكم بامر الله امير المومنين • اعز

الله به الدين • وامتع ببقايه الاسلام والمسلمين • على نفسه الزكية الشري
فة وهو على الحالة التي يسوغ معها تحمل الشهادة عليه بما نسب اليه اعلاه
وشخص لي مولانا وسيدنا الامام المستكفي بالله امير المومنين في التاريخ
المذكور فيه وثبت هذا العهد على قاضي القضاة شمس الدين الحنفي
وكتب صورة الاسجال بما نصه ثبت اشهاد مولانا الامام الحاكم بامر الله امير
المومنين • سليل الايمة المهديين • بركة الاسلام والمسلمين • المنتظم
به عقد جواهر زواهر احكام الدين • ابن عم سيد المرسلين • ابي العبّاس احمد
الوافي بهمة شرفه اعالي الدرجات • المنقول برحمة الله ومنه وحسن سير
ته الى روضات الجنات • المشار اليه باعاليه قرن الله بمن خلفه تاييدا ا مد
وتسديدا وتوفيقا • وقرب له الى مشاهدة ابن عمه والخلفاء الراشدين في
دار كرامته طريقا • مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولايك رفيقا • واشهاد ولده لصلبه ولي
عهده • للخلافة الشريفة المعظمة من بعده مولانا الامام المستكفي بالله ابي
الربيع سليمان • ثبت الله به اركان الايمان • وسلك به مسالك الخلفاء الراشدين
واباءه الطاهرين • التابعين لهم باحسان الى يوم الدين • وبارك للامة المحمدية
فيه ونصرهم ببركة سلفه على اهل الطغيان • على انفسهما الكريمة المشرفة
الطاهرة الزكية المعظمة بجميع ما نسب اليهما في كتاب العهد الشريف المسطر
باعاليه • على ما نص وشرح فيه • المورخ بالسّابع عشر من جمادى الاولى
سنة تاريخ هذا الاسجال • ثبوتا صحيحا شرعيا • معتبرا تاما مرعيا • عند
سيدنا ومولانا العبد الفقير الحامد فيض فضله العميم • قاضي القضاة حاكم
الحكام • مفتي الانام • حجة الاسلام • عمدة العلماء الاعلام • شمس
الدين • خالصة امير المومنين • ابي العبّاس احمد بن الشيخ الصّالح الورع
الزاهد برهان الدين ابي اسحاق ابراهيم بن عبد الغني الحنفي • عامله الله
بلطفه الخفي • الناظر في الحكم بالقاهرة ومصر المحروستين وساير اعمال
الديار المصرية • بالتولية الصحيحة الشرعية • ادام الله ايامه الزاهرة

وجمع له بين خيري الدنيا والآخرة . وذلك بشهادة الشهود المعلم لهم
بالأداء أعلاه، بعد أن أقام كل واحد منهم شهادته بذلك بشروط الأداء المعتبرة
أعلاه . وذلك أنه شهد على مولانا الإمام الحاكم بأمر الله المشار إليه . تغمده
الله بالرحمة والرضوان . وأسكنه فسيح الجنان . وهو على الحالة التي يسوغ
معها الشهادة عليه . أحسن الله في أخوته إليه . فقبل ذلك منه وأعلم ما
جرت به العادة من علامة الأداء والقبول على الرسم المعهود مثله . وحكم مولانا
قاضي القضاة شمس الدين الحاكم المذكور وقاه الله كل محذور . بذلك كله
الحكم الشرعي . المعتبر المرعي . وأجاز ذلك وأمضاه . واختاره وارتضاه .
وألزم ما اقتضاه مقتضاه . بسؤال من جازت مسألته . وسوغت في الشريعة
المطهرة إجابته . بعد استيفاء الشرائط الشرعية . والقواعد المحررة المرعية
وتقدم الدعوى المعتبرة المرضية . وتقدم هذا الحكم وفقه الله تعالى لمراضيه
وأعانه على ما هو متوليه . بكتابة هذا الإسجال وكتب عن إذنه الكريم على
هذا المنوال . بعد قراءته وقراءة ما يحتاج إلى قراءته من كتاب العهد الشريف
المسطر أعلاه على شهود هذا الإسجال . وهو وهم يسمعون لذلك في اليوم
المبارك من العشر الأخير من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة أحسن الله
تقضيها في خير وعافية . وبايعه السلطان والقضاة والأعيان وألبس جبة
سوداء ومطرحة سوداء وخلع على أولاد أخيه خلعة الأمراء وأشهد عليه
أنه ولى الملك الناصر جميع ما ولاه والده، وفوض إليه ثم نزل إلى داره بالكبش
ونقش اسمه على سكة الدينار والدرهم ثم رسم السلطان في جمادى الآخرة
بأن ينتقل الخليفة وأولاده، وجميع من يلوذ به إلى القلعة إكرامًا لهم فنزلوا
في دارين وأجرى عليهم الرواتب الكثيرة واستمر هو والسلطان كالأخوين
يلعبان بالأكرة ويخرجان إلى السرحات وسافروا معًا إلى غزوة التتار نوبة غازان
حتى وشى الواشي بينهما فتغير خاطر الناصر منه وذلك في سنة ست
وثلاثين فأمره أن ينتقل من القلعة إلى مناظر الكبش حيث كان أبوه ساكنًا ثم
أمره أن يخرج إلى قوص فيقيم بها وذلك في ثامن عشر ذي الحجة سنة سبع

وثلاثين

وثلاثين فخرج إليها هو وأولاده، وأهله وهم قريب من مائة نفس ورتب له
على واصل الكرام أكثر مما كان له بمصر وتوجع الناس لذلك كثيرًا قال الحافظ ابن
حجر وكان في طول مدته يخطب له على المنابر حتى في مدة إقامته بقوص واستمر
بها إلى أن مات في شعبان سنة أربعين وسبعمائة وقد عهد بالخلافة إلى
ابنه أحمد وأشهد عليه أربعين عدلًا وأثبت ذلك على قاضي قوص فلما بلغ الناصر
ذلك لم يلتفت إلى ذلك العهد وطلب ابن أخي المستكفي إبراهيم بن ولي العهد
المستمسك بالله أبي عبد الله محمد بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد وكان
جده الحاكم عهد إلى ابنه محمد ولقبه المستمسك بالله فمات في حياته فعهد
إلى ابنه إبراهيم هذا ظنًا أنه يصلح للخلافة فرآه غير صالح لما هو فيه من
الانهماك في اللعب ومعاشرة الأرذال فعدل عنه وعهد إلى ولده صلبه المستكفي
وهو عم إبراهيم وكان إبراهيم قد نازعه لما مات الحاكم فلم يلتفت إلى منازعته
اعتمادًا على قول الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد فأقام على صنعته حتى
كان هو السبب في الوقيعة بين عمه وبين الناصر وجرى ما جرى فلم يمض الناصر
عهد المستكفي لولده، وبايع إبراهيم هذا في يوم الاثنين ثالث رمضان
ولقب الواثق بالله وراجع الناس السلطان في أمره ووسموه بسوء السيرة
خصوصًا قاضي القضاة عز الدين بن جماعة فإنه جهد كل الجهد في صرف
السلطان عنه فلم يفعل وما زال بهم حتى بايعوه ثم إن الله فجع الناصر بموت
أعز أولاده، الأمير أنوك فكان ذلك أول عقوبته ولم يتمتع بالملك بعد وفاة
المستكفي فما قام بعده سنة وأيامًا وأهلكه الله . وقد قيل إن وفاة المستكفي
كانت سنة إحدى وأربعين وعلى هذا لم يتم الحول على الناصر حتى مات بعد ثلاثة
أشهر وسنة الله فيمن مس أحدًا من الخلفاء بسوء فإن الله يقصمه عاجلًا
وما يدخر له في الآخرة من العذاب أشد ثم إن الله انتقم من الناصر في أولاده
فسلط عليهم الخلع والحبس والتشريد في البلاد والقتل فجميع من تولى من ذريته
إما أن يخلع عاجلًا وإما أن يقتل وأول من تولى بعده عوجل بخلعه ونفيه
إلى قوص حيث كان مصير الخليفة ثم قتل بها وغالب من تولى من ذريته لم

قطر مدته كما سيأتي. وقد أقام الناصر في السلطنة نيفا وأربعين سنة وتولى
من ذريته اثنا عشر نفرا لم يتموا هذه المدة بل عجلوا واحدا في إثر واحد فما
شبههم إلا بملوك الفرس حيث قال الكاهن لكسرى لما سقطت من إيوانه أربع
عشر شرافة ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم يملك منكم أربعة عشر ملكا ثم
يذهب الملك منكم فقال كسرى إلى أن يمضي أربعة عشر ملكا تكون أمور وأمور
فانقرضوا في أقصر مدة وكان آخرهم في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم
إن الله نزع الملك من ولد قلاوون وأعطاه بعض مماليكهم ولم يعد إليهم إلى وقتنا
وبعض ذريته أحياء إلى الآن في أسوإ حال دينا ودنيا. فمن تأمل بدائع صنع
الله رأى العجب العجاب ولكن أكثر الناس لا يعلمون وإنما يتذكر أولوا الألباب
ولما حضر الناصر الوفاة ندم على ما فعل من مبايعة إبراهيم فأوصى الأمراء
برد العهد أي ولاية عهد المستكفي فلما تسلطن ولده أبو بكر المنصور عقد
مجلسا يوم الخميس حادي عشر ذي الحجة وطلب الواثق إبراهيم وولي العهد
أحمد بن المستكفي والقضاة. فقال من يستحق الخلافة شرعا فقال ابن جماعة
إن الخليفة المستكفي المتوفى بمدينة قوص أوصى بالخلافة من بعده لولده
أحمد وأشهد عليه أربعين عدلا بمدينة قوص وثبت ذلك عندي بعد ثبوته
على قاضي مدينة قوص فخلع السلطان الواثق حينئذ وبايع أحمد وبايعه القضاة
قال الحافظ ابن حجر ولقب أولا المستنصر ثم لقب الحاكم بأمر الله لقب جده
وكتب له ابن فضل صورة المبايعة وهي هذه. بسم الله الرحمن الرحيم إن
الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم إلى قوله عظيما
هذه بيعة رضوان وبيعة إحسان وجمعة رضى يشهدها الجماعة ويشهد
عليها الرحمن بيعة يلزم طائرها العنق ويحوم سائرها البوادي والقفار
والبحار. بيعة يصلح الله بها الأمة. ويفتح بسببها النعمة. ويتجارى الر
فاق. ويسري إليها الآفاق. ويتزاحم زهر الكواكب على حوض المجرة الدفاق.
بيعة سعيدة ميمونة. بها السلامة في الدين والدنيا مضمونة. بيعة
صحيحة شرعية. بيعة ملحوظة مرعية. تسابق إليها كل نية.

وتطاوع

وتطاوع كل طوية وتجمع عليها شتات البرية. بيعة يستهل بها الغمام. بد
ويتهلل البدر التمام. بيعة متفق الإجماع عليها. والإجماع يبسط الأيدي
إليها. انعقد عليها الإجماع. فاعتقد صحتها من سمع الله وأطاع. فحصل
عليها اتفاق الأبصار والأسماع. وصار بها الحق إلى مستحقه وأقر الخصم وانقطع
النزاع. تضمنها كتاب مرقوم يشهده المقربون. وتلقاه الأئمة الأقربون.
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. ذلك من
فضل الله علينا وعلى الناس. وإلينا بحمد الله وإلى بني العباس. أجمع على هذه
البيعة أرباب العقد والحل. من أصحاب الكلام فيما قل وجل. وولاة الأمور والحكام
وأرباب المناصب والأحكام. وحملة العلم والأعلام. وحماة السيوف والأقلام
وأكابر بني عبد مناف. ومن انخفض قدره وأناف. وسروات قريش وبني
هاشم والبقية الطاهرة من بني العباس. وخاصة الأئمة وعامة الناس.
بيعة ترى بالحرمين خيامها. وتخفق بالمأزمين أعلامها. وتتعرف عرفات من
بركاتها وتعرف بمنى ويومن عليها يوم الحج الأكبر. ويؤم ما بين الركن والمقام
والمنبر. ولا يبتغى بها إلا وجه الله الكريم. بيعة لا يحل عقدها. ولا ينبذ
عهدها. لازمة جازمة. دائبة دائمة تامة عامة. شاملة كاملة صحيحة
صريحة متبعة مرضية. ولا من يوصف بعلم ولا قضا. ولا من يرجع إليه في الا
نجاز والإمضا. ولا إمام مسجد ولا خطيب. ولا ذي فتوى يسأل فيجيب.
ولا من حسبي المساجد ولا من تضمهم أجنحة المحاريب. ولا من يجتهد برأي
فيخطئ أو يصيب. ولا محدث بحديث ولا متكلم في قديم ولا حديث. ولا معروف
بدين وصلاح. ولا فرسان حرب وكفاح. ولا راشق سهام ولا طاعن برماح.
ولا ضارب بصفاح. ولا ساع بقدم ولا طائر يطير بجناح. ولا مخالط لما شرع
ولا قاعد في عزلة. ولا جمع كثير ولا قلة. ولا باد ولا حاضر. ولا مقيم ولا سائر
ولا أول ولا آخر. ولا مسر في باطن ولا معلن في ظاهر. ولا عرب ولا عجم.
ولا راعي إبل ولا غنم. ولا صاحب أناة ولا بدار. ولا صاحب عهد ولا جدار.
ولا ملج في البحار الزاخرة والبراري والقفار. ولا من توقل صهوات الخيل. ولا

من يسبل على العجاجة الذيل • ولا من تطلع عليه شمس النهار ونجوم الليل •
ولا من تظله السماء وتقله الارض • ولا من تدل عليه الاسماء على اختلافها
وترفع درجات بعضهم على بعض • حتى امن بهذه البيعة وامن عليها •
وامن بها ومن الله عليه وهداه اليها • واقر بها وصدق وخفض لها
بصره خاشعا واطرق • ومد اليها يده بالمبايعة ومعتقده بالمتابعة
ورضي بها وارتضاها • واجاز حكمها على نفسه وامضاها • ودخل تحت
طاعتها وعمل بمقتضاها • وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين
وانه لما استاثر الله بعبده سليمان ابي الربيع الامام المستكفي بالله امير
المومنين كرم الله مثواه وعوضه عن دار الاسلام بدار السلام • ونقله
من كرسي عن شهادة الاسلام حيث اثره بقربه • واقدمه على ما قدمه
من مرجو عمله وكسبه • وجاز له في جواره قريبا • وانزله مع الذين
انعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولائك رفيقا • الله اكبر لولا خلفه كانت تضيق الارض بما رحبت •
وتجزى كل نفس بما كسبت • وتنبا كل سريرة ما اخفت وما جنت • لقد
اضطرم سعر الا انه في الجوانح لقد اصطبر صبر • وسري لولا خلفه من
الصالح لقد اضطرب بامور وامير • لولا المكه بعده في عافية المصالح ولم يكن
في النسب العباسي ولا في البيت المسترشدي ولا غيره من بيوت الخلفاء من
بقايا اباءهم وجدودهم ولا من تلده اخر الليالي وهي عاقر عقيم ولو من تسلم
اليه امة محمد صلى الله عليه وسلم عقد نياتها • وسر طوياتها • الا واحد
وان ذاك الواحد • هو والله من انحصر فيه استحقاق ميراث اباءه الاطهار
واثار اجداده • ولا شيء هو الا ما اشتملت عليه رداء الليل والنهار • وهو ولد
المنتقل الى ربه وولد الامام الذاهب لصلبه المجمع على انه في الايام فرد الانام •
وواحد وهكذا في الوجود الامام • وانه الحائز ما زمت عليه جيوب المشارق
والمغارب • والقائم بملك ما بين المشارق والمغارب • الراقي في صفيح السماء
هذه الدرة المنيفة • الراقي بعد الائمة الماضين نعم الخليفة المجتمع فيه شروط

الامامة

الامامة • المتضع لله • وهو ابن بيت لا يزال الملك فيهم الى يوم القيامة • الذي
يفيض السحاب نائله • والذي لا يغري غادره ولا يغيره عاذله • والذي ما
ارتقى صهوة المنبر بحضرة سلطان الزمان الا قال ناصره واقام قائمه • ولا قعد
على سرير الخلافة الا وعرف انه ما خاب مستكفيه ولا غاب حاكمه • نائب الله
في ارضه والقائم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته وابن عمه وتابع
عمله الصالح ووارث علمه سيدنا ومولانا عبد الله ووليه • ابو العباس الامام
الحاكم بامر الله امير المومنين • ايد الله ببقائه الدين • وطوق سيفه رقاب
الملحدين • وكبت تحت لوائه المعتدين • وكتب له النصر الى يوم الدين • وكف
بجهاده على الانام فاطوائف المفسدين • واعاد به الارض حمى لا يدين بدين
واعاد بعدله ايام • ابائه الخلفاء الراشدين • والائمة المهديين • الذين
قضوا بالحق وبه يعدلون • وعلموا ما كانوا يعملون • ونصر انصاره • ومد
اقتداره • واسكن في القلوب سكينته ووقاره • ومكن له في الوجود وجمع
له اقطاره • ولما انتقل الى الله ذلك السيد ولقي اسلافه • ونقل الى سرير
الجنة عن سرير الخلافة • وخلي العصر عن امام يمسك ما بقي من نهاره
وخليفة يغالب مديد الليل بانواره • ووارث نبي بمثله ومثل ابائه استغنى
بعد ابن عمه خاتم الانبياء عن نبي يقتفي اثاره • ومضى ولم يعهد فلم يبق
الا من يوجد النص الا الاجماع • وعليه كانت الخلافة بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا نزاع • اقتضت المصلحة الجامعة عن مجلس عليه الله والملائكة
شهود • فحضر من لا يعبا بعده بمن تخلف • ولم يربا بعده وقد مد يده
طائعا لمبايعة وقد تكلف • واجمعوا على راي واحد استخاروا الله فيه
فاروا اخذ عين بعدها الايمان ويعطي عليها المواثيق • ويعرض امانتها
على كل فريق • حتى يقلد كل من حضر في عنقه هذه الامانة • وحط على
المصحف الشريف يده • وحلف بالله واتم ايمانه • ولم يقطع ولا استثنى ولا
تردد • ومن قطع من غير قصد اعاد وجدد • وقد نوى كل من حلف النية
في يمينه نية • من عقدت له هذه البيعة ونية • من حلف له وتمم

وبالوفاء له في ذمته وتكلفه على عادة ايمان البيعة وشروطها واحكا
مها الموكدة واقسامها الموكدة بان يبذل لهذا الامام المفترض الطاعة الطا
عة ولا يفارق الجمهور ولا يشذ عن الجماعة . وغير ذلك مما تضمنه نسخ
الايمان المكتتب فيها اسماء من حلف عليها مما هو مكتوب بخطوط من يكتبها
منهم وخطوط العدول الثقات عن من لم يكتبوا واذنوا ان يكتب عنهم حيثما
يشهد به بعضهم على بعض . وتصادق عليه اهل السماء والارض . بيعة تم
بمشيئة الله تمامها . وعم بالصواب المغدق غمامها . وقالوا الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن . ووهب لنا الحسن . ثم الحمد لله الكافي عبده . الوافي
لكل من تضاعف على كل موهبة حمده . ثم الحمد لله على نعمة من عليه امير
المومنين في ازديادها . ويرهب الا ان يقاتل اعداء الله بامدادها .
ولا يخل مما يبعث السهام من ملاذها . ولا نبطل الا على ما يوجب تكثير
اعدادها . وتكبير اقدار اهل ودادها . وتصغير التحقير لا التحبيب
لايرادها . واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تتقاعس
بدماء الشهداء امدادها . وتجنى بين طور الشباب وغرر السحاب على استمدا
دها . وتجانس رقوم ما المحت لجة وما تلبسه الدولة العباسية من شعارها .
والليالي من دثارها . والاعداء من احدادها . صلى الله عليه وعلى جماعة اهله
ومن سلف من ابايها وسلف من اجدادها . ورضي الله عن الصحابة اجمعين .
والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وبعد فان امير المومنين لما البسه
الله من ميراث النبوة ما كان لجده . ووهبه من الملك السليماني ما ينبغي لاحد
من بعده . وعلمه منطق الطير بما تتحمل حمايم البطايق من بدايع البيان . وسخر
له من البريد على متون الخيل ما سخره من الريح لسليمان . واتاه من خاتم الانبياء
ما امتد به ابو سليمان وتصرف . واعطاه من الخاتم ما اطاعه كل مخلوق ولم يتخلف
وجعل له من لباس بني العباس ما يقضي مراده بسويدا الاحداق . وينفض على
كل الحروب ما نصل عن سويد القلب وسواد البصر من السواد . ويمد ظله على الارض
وكل مكان دار ملكه وكل مدينة بغداد . وهو في ليلة السجاد . وفي نهاره

العسكري

العسكري وفي كرمه جعفر وهو الجواد . قدم الابتهال الى الله في توفيقه
والابتهاج بما يغضي كل عدو ويريقه . ونبذ يوم المبايعة بما هو الاهم من
مصالح الاسلام . وصالح الاعمال فيما يتعلق به الامام . ويقدم التقوى امامه .
ويقرر عليها احكامه . ويتبع الشرع الشريف ويقف عنده . ويوقف الناس
ومن لا يجد امره لما يقع على العين يحمله غصبا على الراس . ويحمل امير المومنين
بما استتر به النفوس . ويرد به كيد الشيطان انه يئوس . ويأخذ بقلوب
الرعايا وهو غني عن هذا ولكن يسوس . وامير المومنين يشهد الله وخلقه
عليه انه اقر ولي كل امر من ولاة امور الاسلام على حاله . واستمر به في
مقيله تحت كنف ظلاله . على اختلاف طبقات ولاة الامور . وطرقات الممالك
والثغور . برا وبحرا . سهلا ووعرا . شرقا وغربا . بعدا وقربا . وكل جليل
وحقير . وقليل وكثير . وصغير وكبير . وملك ومملوك . وامير وجندي
يرى له سيف شهير . ورمح ظهير . ومن غيرهما ولاة من وزرا وقضاة وكتاب
ومن له تدقيق في انشاء وتحقيق في حساب . ومن يتحدث في بريد وخراج .
ومن يحتاج اليه ومن لا يحتاج . ومن في المدارس والربط والزوايا
والخوانق . ومن له اعظم التعلقات وادنى العلايق . وسائر ارباب المراتب
واصحاب الرواتب . ومن له من الله رزق مقسوم . وحق مجهول او معلوم .
استمرار كل امرئ على ما هو عليه . ويستخير الله وتبيين ما بين يديه . فمن
ازداد تاهيله . زاد تفضيله . والا فامير المومنين لا يريد الا وجه الله
ولا يحابي احدا في دين . ولا حابا حقا في حق فان المحاباة في الحق مداجاة
على المسلمين . وحكم ما هو مستمر الى الان مستقر على حكم الله فيما فهمه الله
له . فهمه سليمان لا يغير امير المومنين في ذلك ولا في بعضه مغيرا شكر الله
على نعمه . وهكذا يجازي الله من شكر . ولا يكدر على احد موردا نزه الله
نعمه الصافية عن الكدر . ولا يتأول في ذلك متأول الا من جحد النعمة وكفر .
ولا يتعلل متعلل فان امير المومنين يعوذ بالله وتعوذ اباوه من الغير . وامير
المومنين اعلا الله امره امران يعلن الخطباء بذكره وذكر سلطان زمانه على

المنابر في الآفاق • وأن يضرب باسمها النقود ويسير بالأطلاق • ويوشح
بالدعاء لما عطف الليل والنهار • ويعرج منه بما يشرف وجه الدرهم والدينار
وقد اسمع أمير المؤمنين في هذا المجمع المشهود ما يتناقله كل خطيب •
ويبتدأ وله كل بعيد وقريب • ويختصر أن الله أمر بأوامر ونهى عن نواه وهو
رقيب • ويستفرغ لها الأولياء انسحابا ويتفرغ الخطباء لها شعوب الوصايا •
تتصل بها المزايا • ويخرج من المشايخ الخبايا • من الزوايا • وتستمر به السمار
ويترنم الحادي والملاح • ويرى سمرها في الليل المقمر ويرقم على جبين الصباح
ويعظ بها مكة بطحاها • ويحيي نجداها • بناه ويلقنها كل أب فهمه ابنه •
ويسأل كل ابن يجيب أباه • وهو لكم أيها الناس من أمير المؤمنين من يسده عليكم
منته • واليكم ما دعاكم به الى سبيل ربه من الحكمة والموعظة الحسنة • ولأمير
المؤمنين عليكم الطاعة ولولا قيام الرعايا ما قبل الله أعمالها • ولا أمسك بها
العمود حتى الأرض وأرسى جبالها • ولا اتفقت الآراء على من يستحق وجاءت
اليه الخلافة تجر أذيالها • وأخذها دون بني أبيه ولم تكن تصلح الا له ولم
يصلح الا لها • وقد كفاكم أمير المؤمنين السؤال لما فتح لكم من أبواب الأرزاق •
وأسباب الارتزاق • وأجرى لكم على وفاقكم وعلمكم مكارم الأخلاق • وأجراكم
على عوائدكم ولم يمسك خشية الانفاق • ولم يبق لكم على أمير المؤمنين الا أن
يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل بما يبعث به
من يحيي أطال الله بقاء أمير المؤمنين من بعده • ويزيده على من تقدم ويقيم
فروض الحج والجهاد • ويقيم الرعايا بعدله الشامل في مهاد • وأمير المؤمنين
يقيم على عادة آبائه موسم الحج في كل عام • ويشمل بره سكان الحرمين
الشريفين وسدنة بيت الله الحرام • ويجهز السبيل على حالته ويرجو أن يعود
على حاله الأول في سالف الأيام • ويبعث من في هذين المسجدين بحره الزاخر
ويرسل الى ثالثهما في البيت المقدس ما كان الغمام • ويقيم معونة قبور الأنبياء
صلى الله وسلم عليهم أينما كانوا وأكثرهم في الشام • والجمع والجماعات هي فيكم
على قديم سنتها وسنن بدعي في أيام أمير المؤمنين لمن يضم اليه وفيما يتسلم من

بلاد الشام • ويسلم منه على يديه • وأما الجهاد فيكفي باجتهاد القائم عن أمير
المؤمنين بما هو • المقلد عنه جميع ما وراء سريره • وأمير المؤمنين قد وكل من
خلد الله ملكه وسلطانه عينا لا تنام • وقلد سيفا لو اغمد بوارقه ليلة
واحدة عن الأعداء صلت جياله عليهم الأحكام • وسيوكد أمير المؤمنين في ارتجاع
ما غلب عليه العدى • وقد قدم الوصية بأن يغزو الى غزو العدو والمخذول برا
وبحرا • ولا يكف عن من ظفر به منهم قتلا ولا أسرا • ولا يفك أغلالا ولا أصرا •
ولا ينفك يرسل عليهم في البر من الخيل عقبانا • وفي البحر غربانا • يحمل منها ما
كل فارس صقرا • ويحمي الممالك ممن يتخطف أطرافها بإقدام • ويتحول أكنافها
بأقدام • وينظر في مصالح القلاع والحصون والثغور وما يحتاج اليه من الامداد
لقتاله وأمهات الممالك التي هي مرابط الأسود • ومرابض الأسود • والأمراء
والعساكر والجنود • وترتيبهم في الميمنة والميسرة والجناح الممدود • ويتفقد
أحوالهم بالعرض • بما لهم من حل العقد ما بين السماء والأرض • وما لهم من وبط
موضون • وبيض ذات يبين ذهب فكأنها بيض مكنون • وسيوف قواضب
وأرماح وأسنانها من الدماء خواضب • وسهام تواصل القسي وتعارفها بتحنن
حنين مجارف ويزمر القوس زمجرة معاضب • وهذه جملة أراد بها أمير
المؤمنين الطيبة قلوبكم • والطالة ذيل التطويل على مطلوبكم • وقد مأوكم
وأموالكم وأعراضكم الا ما أباح الشرع المطهر • ويزيد الاحسان على مقدار
ما يخفى منكم ويظهر • وأما جزئيات الأمور فقد علمتم أن من بعد عن أمير
المؤمنين غني عن مثل هذه الذكرى • وأنتم على تفاوت مقاديركم ودائع
أمير المؤمنين وسواء في الحق عند أمير المؤمنين • وله عليكم أداء النصيحة
وابداء الطاعة بسريرة صحيحة • وقد دخل كل منكم في كنف أمير
المؤمنين وتحت رقه • ولزمه حكم بيعته والزم طائره في عنقه • وبـ
ويستعمل كل منكم في الوفاء بما أصبح به عليما • ومن أوفى بما عاهد
عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما • هذا قول أمير المؤمنين وقال وهو
يعمل في ذلك كله بما يجد عاقبته من الأعمال وعلى هذا عهد اليه وبه

بعهده وما سوى ذلك يجور ولا يشهد به عمله • وأمير المؤمنين يستغفر الله
على كل حال • ويستعيذ به من الإهمال • ويختم أمير المؤمنين بما أمر الله به من
العدل والإحسان • والحمد لله وهو من الخلق أحمد وقد أتاه ملك سليمان
والله يمتع أمير المؤمنين بما وهبه • ويملكه أقطار الأرض ويورثه بعد العمر
الطويل عقبه • فلا يزال على سدة العليا قعوده ولا سنة الخلافة به أبهة
الجلالة كأنه ما مات منصوره ولا أودى مهديه ولا رشيده • ومن قصيدة
ابن فضل الله التي سماها حسن الوفا بمشاهير الخلفا

وطار منهم نحو مصر فشعر ... قد جاءها كما يجيء الطائر
قال الخفي مستنصر والذي ... والده وهو الإمام الظاهر
فلقبوه مثله مستنصرا ... وذاك أن جده هذا الظاهر
وكان قد الظاهر السلطان ذا ... خوف ومن بأسائه يحاذر
فبايعوا الحاكم بعد إذ أتى ... وقربا لنعت به العشائر
وهو أبو العباس أحمد الرضي ... من ولد الراشد نجم زاهر
وقام مستكف كفاه ربه ... جميع ما يخاف ناءه امر
وبعده الواثق إبراهيم لا ... عاد ولا دارت له الدوائر
والحاكم الآن إمام عصرنا ... بشرى لنا أنا له نناصر

ثم في يوم الاثنين ثاني محرم سنة اثنتين وأربعين حضر الخليفة الحاكم
والسلطان المنصور والقضاة بدار العدل فجلس الخليفة على الدرجة العليا
وعليه خلعة خضراء وفوق عمامته طرحة سوداء مرقومة بالذهب وجلس
السلطان دونه فقام الخليفة وخطب خطبة افتتحها بقوله إن الله يأمر
بالعدل والإحسان الآية وبقوله وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم الآية
ثم أوصى الأمراء بالرفق بالرعية وإقامة الحق وتعظيم شعائر الإسلام
ونصرة الدين ثم قال فوضت إليك جميع أحكام المسلمين • وقلدتك جميع
ما تقلدته من أمور الدين • فمن نكث فإنما ينكث على نفسه وقرأ الآية وجلس
ثم جيء بخلعة سوداء ألبسها الخليفة السلطان بيده ثم قلده سيفا

عربيا ثم أخذ علاء الدين بن فضل الله كاتب السر في قراءة عهد الخليفة
للسلطان حتى فرغ منه ثم قدمه إلى الخليفة فكتب عليه ثم بعده القضاة
الأربعة بالشهادة عليه • واستمر الخليفة في منصبه الشريف إلى أن مات
بالطاعون شهيدا في منتصف سنة ثلاث وخمسين وطلب جماعة من بني
العباس فوقع الاختيار على أخيه أبي بكر بن المستكفي فبايعوه ولقب المعتضد
بالله وكني أبا الفتح وضم إليه نظر المشهد النفيسي فأقام إلى أن مات ليلة
الأربعاء ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين قال بدر الدين بن حبيب
في ترجمة أمير المؤمنين • وقائد المذعنين • وإمام الأئمة وقدوة المتكلمين •
في براءة الذمة علت أركانه • وبسقت أغصانه • وتجملت به ديار مصر •
وصفت إلى رايه ملوك عصره • وأمر وسار • ونهى وأباح • ورفل في حلل
النعيم • وهدي إلى سلوك الطريق المستقيم • واعتضد بالله في أموره •
فلم يحتجب عن الناس بحجب ولا ستور • واستمر سائرا في منهاج عزه وبقائه •
إلى أن لحق بعد عشرة أعوام بالخلفاء الكرام من آبائه وعهد بالخلافة
لولده أبي عبد الله محمد فقام بعده ولقبه المتوكل على الله هذه صورة العهد
بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذي ميز أبناء الخلفاء برتب العدالة •
وألبس من يشاء منهم على ستر العفاف خلعها المدالة • ورفع قدره على أقرانه
حين سلك سبيل الرشاد الذي أوضحه • أحمده على نعمه التي هي على
عبده منهاله • وأشكره شكرا أستزيد به نعمه وإفضاله • وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أمين خلص بها نيته ومقاله •
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بعموم الرسالة • والمبعوث بأوضح
حجة ودلالة • والصادق الأمين الذي أخلص به أقواله وأفعاله • صلى الله
عليه وعلى آله وأصحابه أولي الصدور والأصالة • والمفاخر الباهرة والجلالة
وسلم تسليما كثيرا • ورضي الله عن أول الخلفاء بعد نبينا المصطفى • الذي سيد
صحبه بصفاء شيخ الوفاء • ومعدن الجود والافتخار • وأنيس سيد المرسلين
في الغار • ذي الكرم العريق • والرأي الوثيق • والإخلاص والتصديق • هو

الامام ابو بكر الصديق . وعن عمي نبيه حمزة والعباس . المطهرين من
الدنس والارجاس . وبعد فالخلافة اشرف ملابس لاهل الديانة وازهى حلل
الضيافة . وهي اصل كل مسالة يتوصل اليها . ورياسة حل الاعتماد عليها .
اذ هي اجل المناصب وانماها . واشرفها وارفعها واسناها . وانفسها
واغلاها واعلاها . ومن لوازمها ان لا يوتى لبيدها الا من اتصف بصفاتها المرضية
وتحلى بحلاها المرعية . ووفق بجميل سيرته الى مراتبها العلية . ولما كان
من يأتي اسمه في هذا المكتوب ممن هو حقيق بهذه الحالة . وجدير بان
يبلغه حسن الظن منها امله . اذ كان متصفا بصفاتها الحميدة . متقيدا
بآدابها السديدة . وقد لاحت عليه آثار الخلافة وظهرت . وتداعت محا
مده واشتهرت . وقامت الادلة باهليته لتقليدها . وانه كفؤ لتناول
تقليدها . استخار الله تعالى سيدنا ومولانا الامام المعتضد بالله
المستمسك بتقواه . المراقب له في سره ونجواه . امير المؤمنين . خليفة
رب العالمين . ابن عم سيد المرسلين . ابو الفتح ابو بكر بن سيدنا ومولانا
المستكفي بالله ابي الربيع سليمان امير المؤمنين . اعز الله به الدين .
وامتع ببقائه الاسلام والمسلمين . واشهد على نفسه الكريمة . اسبغ
الله عليه نعمه العميمة . انه عهد الى ولده لصلبه الامام المتوكل على الله
ابي عبد الله محمد نصر الله به الاسلام وايده . ونفع به نفعا مستمرا
مؤبدا . وجعله ولي عهده . ورضيه خليفة على الرعية من بعده . لما
علم من ديانته وعدالته . وكفايته ومروءته وحسن قصده . عهدا صحيحا
شرعيا . تاما معتبرا مرضيا . وفوض اليه امر الخلافة تفويضا صحيحا صريحا
وعقد له ولاية العهد على الرعية . عقدا صحيحا فقبل ذلك قبولا شرعيا .
جعله الله لشريعة نبيه محمد ناصرا ومؤيدا . وجمع به كلمة الاسلام وصدر
الاشهاد بذلك في اليوم المبارك يوم الثلاثاء الثالث عشر من ربيع الاول سنة
ثلاث وستين وسبعمائة فاستمر الى ان قتل الاشرف شعبان واقيم ولده
المنصور علي وكان اتابك البدري يومئذ ولته وقد حقد على المتوكل امورا

فطلب

فطلب نجم الدين زكريا بن ابراهيم ولي العهد المستمسك بالله الخليفة بن
الحاكم يوم الاثنين رابع ربيع الاول سنة تسع وسبعين فخلع عليه بغير مبا
يعة ولا اجماع ولقب المعتصم بالله في العشرين من الشهر كلم الامراء اتابك
فيما فعله مع المتوكل ورغبوه في اعادته الى الخلافة فاعاده وخلع زكريا
فكانت خلافته خمسة عشر يوما ثم لم يتم الشهر على اتابك حتى اتفق
العساكر على خلافه والخروج عليه فهرب ثم ظفر به في تاسع ربيع الاخر
فقبض وسجن بالاسكندرية وكان آخر العهد به وقال فيه الاديب شهاب الدين
ابن العطار . من بعد عز قد ذل اتابكا . وانحط بعد السمو من فلكه
وراح يبكي الدماء منفردا . والناس لا يعرفون ابن بكا
واستمر المتوكل في الخلافة الى رجب سنة خمس وثمانين فبلغ الظاهر
برقوق عنه انه واطأ جماعة ان يقتلوه اذا لعب الاكرة ويقوموا بنصرة الخليفة
واستبداده بالامر به وان الخليفة ذكر انه ما فوض اليه السلطنة الا كرها
وانه لم يسر في ملكه بالعدل فاستدعى العلماء ليفتوه في الخليفة بشيء
فامتنعوا وقاموا عنه فخلع هو الخليفة بقوته وسجنه بالقلعة ثم طلب
عمر بن ابراهيم بن المستمسك بن الحاكم وبايعه بالخلافة ولقبه الواثق بالله
ثم في ذي القعدة من السنة اخرج المتوكل من السجن واقام بداره مكرما
واستمر الواثق في الخلافة الى ان مات يوم الاربعاء تاسع عشر شوال سنة
ثمان وتكلم الناس في اعادة المتوكل فابى واحضر اخا عمر زكريا الذي كان
اتابك ولاه تلك الايام اليسيرة فبايعه ولقب المستعصم بالله فاستمر الى
يوم الخميس ثاني جمادى الاولى فندم برقوق على ما صنع بالمتوكل فخلع زكريا
واعاد المتوكل الى الخلافة وحلف القضاة كلا من الخليفة والسلطان للآخر على
الموالاة والمناصحة واقام زكريا بداره الى ان مات مخلوعا في جمادى الاولى
وقوي تقليد المتوكل بالمشهد النفيسي في ثاني عشر الشهر بحضرة القضاة
والامراء وفرز له السلطان دارا بالقلعة يسكنها ويركب الى داره بالمدينة
متى شاء . واستمر المتوكل في خلافته هذه الى ان مات ليلة الثلاثاء ثامن

عشر رجب قال المقريزي وهو من اكثر خلفاء مصر وكثر ماله ورزق من
اولاد كثيرة يقال انه جاء له مائة ولد ما بين مولود وسقط ومات عن
عدة اولاد ذكور واناث ولي الخلافة منهم خمسة ولا نظير لذلك واكثر
اخوة ولوا الخلافة فيما تقدم اربعة و اتفق للمتوكل هذا انه عاد الى
الخلافة بعد خلعه مرتين ولم يقع ذلك لاحد فيما تقدم الا للمقتدر فقط
و رايت في تاريخ عالم حلب ابي الوليد بن الشحنة انه في سنة سبع
وتسعين وسبعماية ارسل ابو يزيد بن عثمان الى الخليفة المتوكل بهدا
يا ويرغب في طلب تشريف منه بان يكون سلطان الروم فجهزه له ذلك وذكر
الحافظ بن حجر في انباء الغمر ان مولد المتوكل هذا سنة نيف واربعين
وسبعماية وانه لما تسلطن برقوق المرة الاولى حسن له جماعة من اهل
الدولة وغيرهم طلب الملك فكاتب الامراء والعربان مصرا وشاما وعراقا
وبث الدعاة في الافاق فبلغ ذلك برقوق فخلعه وسجنه فخرج يلبغا
الناصري على برقوق بسبب ذلك فافرج عنه برقوق واعاده الى الخلافة
وفرح الناس به فرحا كثيرا فلما انتصر الناصري وزالت دولة برقوق قال
الناصري للخليفة بحضور الامراء يا مولانا امير المؤمنين ما ضربت بسيفي
هذا الا في نصرتك وبالغ في تعظيمه وتبجيله فتبرم المتوكل من الدخول
في الملك واشار باعادة حاجي بن شعبان و كان المتوكل عهد بالخلافة
لولده احمد ولقبه المتوكل على الله ثم خلعه وعهد الى ابنه ابي الفضل
العباس فاستقر في الخلافة بعده ولقب المستعين بالله فقام الى ان خرج
شيخ على الناصر فرج وظفر به وذلك في المحرم سنة خمس عشرة وثمانماية
فاشهد على الخليفة بخلع الناصر من الملك لما ثبت عليه من الكفريات والا
نحلال والزندقة وحكم ناصر الدين بن العديم بسفك دمه واتفق راي الامرا
على سلطنة الخليفة واستقلاله بالامر فلم يوافقهم الخليفة الا بعد شدة
وتوثق منهم بالايمان فبايعه الامراء كلهم وحلفوا له على الوفاء ولم يغير لقبه
وجلس على كرسي واقام الكل بين يديه وذلك بالشام وقرر بكتمر جلق في

نيابة

نيابة الشام وقرقماس في نيابة حلب وسودون في نيابة طرابلس وشيخ
ونيروز في ركابه يدبران الامور ونادى الخليفة الا ان فرج ابن برقوق
قد خلع من السلطنة ومن حضر الى امير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين فهو
امن فتسلل الناس من الناصر وكتب المستعين الى القاهرة باجتماع الكلمة له
وعزل الجلال البلقيني عن قضاء الشافعية وولى بدله شهاب الباعوني فخفي
ما عليه البلقيني حتى فعل معه بعد ذلك ما فعل ثم ارسل المستعين كتابا
ثانيا الى من بالقاهرة من الاعيان فارسل الى الجامع الازهر فقراه خطيبه الحافظ
ابن حجر على المنبر ثم فر الناصر الى حلب فقام ناس على الاسوار فنادوا وانصر الله
امير المؤمنين فلما سمع الولاة ذلك نجم ابن العديم ثم ان المستعين صرف بكتمر
جلق عن نيابة الشام وقرر فيها نوروز وقرر بكتمر اميرا كبيرا بالقاهرة وصدرت
الكتب من المستعين الى امراء التركمان والعربان والعشير وفتحتها من عند عبد الله
ووليه الامام المستعين بالله امير المؤمنين وخليفة رب العالمين وابن عم
سيد المرسلين المفترضة طاعته على الخلق اجمعين اعز الله ببقائه الدين
الى فلان ثم توجه هو والعسكر الى القاهرة بعد خلوا في يوم الثلاثا ثاني
ربيع الاخر بعد ان تلقاهم الناس الى قطيا والى الصالحية والى بلبيس وحصل
للناس من الفرح بذلك ما لا مزيد عليه ونادى في الناس برفع المظالم والمكوس
و عمل الحافظ ابو الفضل بن حجر في المستعين قصيدته المشهورة يقول

الملك اضحى ثابت الاساس ٭ بالمستعين العادل العباسي
رجعت مكانة آل عم المصطفى ٭ لمحلها من بعد طول تناسي
ثاني ربيع الاخر الميمون في ٭ يوم الثلاثا حف بالاعراس
بقدوم مهدي الانام امينهم ٭ مامون غيث طاهر الانفاس
ذو البيت طاف به الرجاء فهل ترى ٭ من قاصد متردد في الناس
فرع نما من هاشم في روضة ٭ زاكي المنابت طيب الاغراس
بالمرتضى والمجتبى والمشتري ٭ للحمد والحالي به والكاسي
من اسرة اسروا الخطوب وطهروا ٭ فما يغيرهم من الادناس

اشداء احضروا الوغاء واذ خلوا ☆ كانوا لجليسهم ظباء كناس
مثل الكواكب نوره ما بينهم ☆ كالبدر يشرق في دجا الاغلاس
وبكفه عقد الخلافة ايـة ☆ فلم يضي اضاءة المقيـاس
فلبشر للوارد ين بباسهم ☆ يدعى ولا اجلال بالعباس
فالحمد لله المعز لديننـا ☆ من بعد ما قد كان في ابـلاس
بالسادة الامراء اركان العلا ☆ من بعد مدرك ثاره ومـواس
فهنوا باعباء المناقب وارتقوا ☆ في منصب العليا الاشم الراسي
تركوا العدا صرعى عقيرك الردا ☆ فالله يحرسهم من الوسواس
واما مهم بجلالهم متقـدم ☆ تقديم بسم الله في القرطاس
لولا نظام الملك في تدبيره ☆ لم يستقم في الملك حال الناس
كم من امير قبله خطب العلا ☆ وبجهده رجعة بالافـلاس
حتى اذا جاء المعالي كفوها ☆ خضعت له من بعد فرط شماس
فهو الذي قد رد عنها البوس في ☆ دهر لا واكل البـاس
وازال ظلما عم كل معمـم ☆ من سائر الانواع والاجناس
فالحاذ المجد عوضه بعالـه ☆ بالناصر المتناقض الامـاس
كم نعمة لله كانت عنـده ☆ فكانها في غربة وتنـاس
وما زال سر السر بين ضلوعه ☆ كالنار او صبته الارمـاس
كم سن سيئة عليه اثامها ☆ حتى القيامة ماله من ءاس
مكر ابنى اركانه لاكنها ☆ للغدر قد بنيت بغير اسـاس
كل امري ينسى وينذكر تارة ☆ لاكنه للسر ليس بناسـى
امهاله رب الورا حتى اذا ☆ اخذه لم يفلته مر الكـاس
واذ النا منه المليك بمالك ☆ ايامه صدرت بغير قيـاس
واستبشرت ام القرا والارض من ☆ شرق وغرب كالغدير وماس
ءايات مجد لا يحاول جحدها ☆ في الناس غير الجاهل الخناس
ومناقب العباس لم تجمع سوى ☆ لحفيده ملك الورى العبـاس

لا تنكروا للمستعين رياسـة ☆ في الملك من بعد الجمود الناسي
فبنوا امية قد اتى من بعدهم ☆ في سالف الدنيا بنوا العباس
مولاي عبدك قد اتى لك راجيا ☆ منك القبول فلا ترى من بـاس
لولا المهابة طولت امداحـه ☆ لاكنها جاءته بالقسطاس
فادام رب الناس عزك دائما ☆ فالخير محروسا برب النـاس
وبقيت تسمع المديح لنـاظم ☆ لولاك كان من الهموم يقاسي
عبد صفا ودا وزمزم حاديا ☆ وسعى على العينين قبل الراس
امداحه في ءال بيت محمـد ☆ بين الورا مسكية الانفـاس

ولما دخل الخليفة القاهرة شقها والامراء بين يديه فاستمر الى القلعة فنزل بها ونزل شيخ والامراء الى القصر وجلس الخليفة على تخت الملك فخلع على شيخ خلعة عظيمة بطرازين بغير مثله وفوض اليه امر المملكة بالديار المصرية في جميع الامور وكتب له ان يولي ويعزل من غير مراجعة واشهد عليه بذلك ولقب نظام الملك فكانت الامراء اذا فرغوا من الخدمة بالقصر نزلوا في خدمة شيخ الى الاصطبل فاعيدت الخدمة عنده وبقي عنده الابرام والنقض ثم يتوجه دواداره الى المستعين فيعلم على المناشير والتواقيع ثم انه تقدم اليه بان لا يمكن الخليفة من كتابة العلامة الا بعد عرضها عليه فاستوحش الخليفة وضاق صدره وكثر قلقه فلما كان في شعبان سال شيخ الخليفة ان يفوض اليه السلطنة على العادة فاجاب بشرط ان ينزل من القلعة الى بيته فلم يوافقه شيخ على النزول بل استنظره اياما ثم انه نقل المستعين من القصر الى دار من دور القلعة ومعه اهله ووكل به من يمنعه الاجتماع بالناس فبلغ ذلك نوروز فجمع القضاة والعلماء سابع ذي القعدة واستفتاهم عما صنعه شيخ بالخليفة فافتوا بعدم جواز ذلك فاجمع على قتال شيخ واستمر المستعين في القلعة الى ذي الحجة سنة ست عشرة وهو دائن على الخلافة فلما عزم شيخ على الشام خشي من غائلته واراد خلعه فراجع البلقيني في ذلك وكان في نفسه من المستعين لكونه عزله فرتب له دعوى شرعية وحكم بخلعه

من الخلافة وبايع بالخلافة اخاه ابا الفتح داود ولقب المعتضد بالله وسير
المستعين الى الاسكندرية فاقام بها الى ان مات شهيدا بالطاعون في جمادى
الاخرة سنة ثلاث وثلاثين واستقرت الخلافة باسم المعتضد وكان من سروات
الخلفاء نبيلا ذكيا فاضلا يجالس العلماء والفضلاء ويستفيد منهم ويشاركهم
فيما هم فيه جوادا سمحا وطالت مدته في الخلافة نحو ثلاثين سنة فلما
حضرته الوفاة عهد بالخلافة الى شقيقه ابي الربيع سليمان ولقب المستكفي
بالله وكان والدي خصيصا به فكتب له العهد بيده وهذه صورته بسم
الله الرحمن الرحيم هذا ما اشهد على نفسه الشريفة حرسها الله وحماها
وصانها من الاكدار ورعاها سيدنا ومولانا ذي المواقف الشريفة الطا
هرة الزكية الامامية الاعظمية العباسية النبوية المعتضدية
امير المومنين وابن عم سيد المرسلين ووارث الخلفاء الراشدين المعتضد
بالله تعالى ابو الفتح داود اعز الله به الدين وامتع ببقائه الاسلام
والمسلمين انه عهد الى شقيقه المقر العالي المولوي الاصيلي العريقي
الحسيبي النسيبي السليلي سيدي ابي الربيع سليمان المستكفي بالله عظم
الله شانه بالخلافة المعظمة وجعله خليفة بعده ونصبه اماما على المسلمين
عهدا بسنة الخلفاء الراشدين والايمة المهديين وذلك لما علم من دينه
وخيره وعدالته وكفايته واهليته واستحقاقه بحكم انه اختبر حاله
وعلم طويته وانه الذي يدين الله به انه اتقى الله من رواه وانه لا يعلم
انه صدر منه ما ينافي استحقاقه لذلك وانه ان ترك الامر هملا من غير
تفويض للمشار اليه ادخل اذ ذاك المشقة على اهل الحل والعقد في اختيار
من ينصبونه للامامة ويرتضونه لهذا الشان فبادر الى هذا العهد
شفقة عليهم وقصد البراءة ذمته ووصول الامر الى من هو اهله لعلمه
ان العهد كاف غير محوج الى رضى ساير اهله ووجب على من سمعه وتحمل
ذلك منه ان يعمل به ويامر بطاعته عند الحاجة اليه ويدعو الناس الى
الانقياد له فسجل ذلك على من حضره حسب اذنه الشريف وسطر عن

امري

امره قبل ذلك سيدي المستكفي ابو الربيع سليمان المسمى فيه عظم الله شانه
قبولا شرعيا ومات المعتضد يوم الاحد رابع ربيع الاول سنة خمس واربعين
واستخلف المستكفي وكان من صلحاء الخلفاء وعبادهم صالحا دينا عابدا
كثير التعبد والصلاة والتلاوة كثير الصمت حسن السيرة وكان الظاهر جقمق
يعظمه ويعرف له حقه فاقام الى ان مات ليلة الجمعة سلخ ذي الحجة سنة اربع
وخمسين ولم يعهد بالخلافة لاحد وكان والدي خصيصا به جدا فلم يعش بعده
الا اربعين يوما ومشى السلطان في جنازة المستكفي الى تربته وحمل نعشه
بنفسه وبايع بعده بالخلافة ابا البقا حمزة ولقب القايم بامر الله وكان شهما
صارما اقام ابهة الخلافة قليلا ثم ان الجند خرجوا على الاشرف اينال فقام معهم
وحدثته نفسه بطلب الملك فانهزم الجند ولم يحصل من يدهم شي فغضب عليه
الاشرف وطلبه الى القلعة وعاتبه في ذلك فيحكى ان الخليفة قال خلعت نفسي
وعزلتك وكان غلطة منه فقال شيخنا قاضي القضاة علم الدين البلقيني وكان
حريصا على جر الخلافة الى اخي الخليفة يوسف لكونه زوج ابنته فقال قد انخلع
نفسه بالخلع وثنى بخلع السلطان وهو غير خليفة فلم ينفذ عزله وحكم
بصحة خلعه وذلك في جمادى الاخرة سنة تسع وخمسين وبايع اخاه ابا
المحاسن يوسف ولقب المستنجد بالله وسير القايم الى الاسكندرية فا
قام بها الى ان مات بها سنة ثلاث وستين ودفن عند شقيقه المستعين
ومن الاتفاق انهما اخوان شقيقان كل منهما رام السلطنة وكل منهما خلع
وسكن الاسكندرية الى ان مات بها ودفنا معا وحكم بخلعهما قاضيان
اخوان فذاك حكم بخلعه الجلال البلقيني وهذا اخوه العلم البلقيني واستمر
المستنجد في الخلافة ساكنا بمنزله الى ان مات يوم السبت رابع عشر المحرم
سنة اربع وثمانين وثمانماية وعهد بالخلافة الى ابن اخيه سيدي عبد
العزيز ابي العز بن يعقوب بن المتوكل على الله فلما كان يوم الاثنين سادس
عشر المحرم طلع الى القلعة وحضر القضاة والاعيان بين يديه وكان يوما مشهودا
وكان اراد ان يتلقب بالمستعين بالله ثم وقع التردد بينه وبين المستعين

او المتوكل فاستقر الحال على ان لقب المتوكل على الله وهو الان عين بني العباس
وشامتهم لم يزل مشارا اليه محبوبا في صدور الناس وله اشتغال على والده وغيره
من المشايخ واجاز له باسناده عن جماعة من المسندين وقد خرجت له عنهم جزءا
حديثيا والفت برسمه كتاب الاساس في فضل بني العباس وكتاب رفع الالباس عن
ابناء العباس ... جميلا وادامه على رفاع المسلمين ظلا ظليلا وتعجب نفسه
من التنور من شمع وزيت وغيرهما وصرفه الى مصالح المكان من عمارة وغيرها
وكان الخلفاء قبله ياخذون لانفسهم غالبه والباقي يصرفونه على من شاءوا
من الزاهد بوقع ذلك من اصله **فصل** قال ابن فضل الله في المسالك
ان قاعدة الخلافة اول ما كانت المدينة شرفها الله مدة ابي بكر وعمر وعثمان
فلما انتهت الخلافة الى علي انتقل من المدينة الى الكوفة واتخذها قاعدة
خلافة وربما استوطن البصرة وجاء ابنه الحسن والكوفة قاعدة خلافته على
ما كان عليه ابوه فلما ولي معاوية انتقلت قاعدة خلافته الى دمشق
واستقرت قاعدة بني امية وان كان هشام قد سكن الرصافة وعمر بن عبد
العزيز خناصرة فانهما لم يكونا قاعدتي خلافة لانهما سكناهما غير مفارقين
لدمشق بل هي القاعدة والمعتمدة بانها مستقر الخلافة ولم تزل كذلك الى
اخر الدولة الاموية فلما ملك السفاح سكن الانبار فلما ولي المنصور بنى
الهاشمية وسكنها ثم بغداد فصارت قاعدة الخلافة ولبنيه الى
المعتصم فبنى سر من راى فانتقلت قاعدة الخلافة اليها ثم بنى ابنه هارون
الواثق الى جانبها الهارونية فانتقلت قاعدة الخلافة اليها ثم بنى اخوه
جعفر الجعفرية فانتقلت قاعدة الخلافة اليها ثم عادت قاعدة الخلافة
الى بغداد في زمن المعتمد الى المستعصم الذي قتله التتار فانقلبت قاعدة
الخلافة الى مصر قال فانظر كيف تنقلت قواعد الخلافة من بلد الى بلد بتنقل
الزمان وقد كانت بخارى قاعدة السلطنة زمن بني ساسان ثم صارت غزنة
بكان محمود سبكتكين وبنيه ثم همذان زمان الدولة السلجوقية ثم خوا
رزم مكان الملوك الخوارزمية ثم دمشق زمان الملك العادل نور الدين بن محمود بن

زنكي ثم مصر في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب الى اليوم واذا اعتبرت
احوال البلاد فجميع القواعد قد نظرت هذه مرة ثم تلك اخرى كما قال الشاعر

واذا نظرت الى البقاع رايتها ... تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

واعلم ان مصر من حين صارت دار الخلافة عظم امرها وكثرت شعائر الاسلام
فيها وعلت فيها السنة واعفت منها البدعة وصارت محل سكن العلماء ومحط
رحال الفضلاء وهذا سر من اسرار الله اودعه في الخلافة النبوية حيث
ما كانت يكون معها الايمان والكتاب كما اخرج ... هذا الحديث على ان الايمان
والعلم يكونان مع الخلافة اينما كانت فكانا اولا بالمدينة زمن الخلفاء الراشدين
ثم انتقلا الى الشام زمن خلفاء بني امية ثم انتقلا الى بغداد زمن
خلفاء بني العباس ثم انتقلا الى مصر حيث سكنها خلفاء بني العباس ولا
يظن ان ذلك بسبب الملوك فقد كانت ملوك بني ايوب اجل قدرا واعظم خطرا
من ملوك جاءت بعدهم بكثير ولم تكن مصر في زمانهم كبغداد وفي اقطار
الارض الان من الملوك من هو اشد باسا واكثر جندا من ملوك مصر كالعجم
والعراق والروم والهند والمغرب وليس الدين قائما ببلادهم كقيامه بمصر ولا
شعائر الاسلام في اقطارهم ظاهرة كظهورها في مصر ولا نشر السنة في
الحديث والعلم فيها كما في مصر بل البدع عندهم فاشية والفلسفة منهم
مشهورة والسنة والاحاديث داثرة والمعاصي والخمور والملاهي متكاثرة

ذكر سلاطين مصر الذين فوض اليهم خلفاء
مصر العباسيون فاستنبتوا وابالا قرارهم

اولهم الملك الظاهر ركن الدين ابو الفتح بيبرس البندقداري ولما فوض اليه
خليفة مصر لقبه قسيم امير المؤمنين وهو اول من لقب بها وكان الملوك قديما
يكتب احدهم من جهة الخليفة مولى امير المؤمنين اي عتيقه ويكتب هو
الى الخليفة خادم امير المؤمنين ثم خليل امير المؤمنين وهو اعلا ما لقب به
ملوك بني ايوب فلقب الظاهر هذا قسيم امير المؤمنين وهو اجل من تلك
الالقاب وكان في الظاهر محاسن وغيرها وظلم اهل الشام غير مرة وابتزهم

جماعة بموافقة هواه فقام الشيخ محيي الدين النووي في وجهه وانكر عليه
وقال افتوك بالباطل وكان يحصر منقمعًا تحت كلمة الشيخ عز الدين بن عبد
السلام لا يستطيع ان يخرج عن امره حتى انه قال لما مات الشيخ ما استقر
ملكي الا الان ومن محاسنه ما حكاه ابن كثير في تاريخه انه حضر في يوم
الثلاثا تاسع رجب سنة ستين الى دار العدل في محاكمة في بير بين يدي
القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز فقام الناس سوى القاضي فانه اشار اليه
ان لا يقوم فقام هو وغريمه بين يدي القاضي وتداعيا وكان الحق بيد
السلطان وله بينة عادلة فانتزعت البير من يد الغريم وهو احد
الامراء والظاهر هو الذي اكمل عمارة المسجد النبوي من الحرق وكان الخليفة
المستعصم شرع فيه بعد ان احترق فقتل قبل ان يتم فجهز الظاهر في
رمضان سنة احدى وستين صناعا واخشابا والالات وطيف بها في الديار
المصرية فرحة بها وتعظيما لشانها ثم ساروا بها الى المدينة الشريفة
وارسل منبرا فنصب هناك وحج في سنة سبع وستين فغسل الكعبة بيده
بماء الورد وزار المدينة الشريفة فراى الناس يلتصقون بالقبر النبوي فقاس
ما حوله بيده وارسل في العام الذي يليه درابزينا من خشب فادير حول القبر
الشريف وللظاهر فتوحات كثيرة وملك الروم وجلس بقيسارية على تخت
الا سلجوق ولبس التاج وضرب باسمه الدينار والدرهم وهو الذي جدد صلاة
الجمعة بالجامع الازهر وبجامع الحاكم وكانا مهجورين من زمن العبيديين فاساء
في ذلك كل الاساءة كما سنبينه بعد هذا وامر في ايامه باراقة الخمور
وابطال المفسدات والخواطي واسقاط المكوس المرتبة عليها فاحسن في ذلك
كل الاحسان وفي ايامه طيف بالمحمل وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة
وذلك في سنة خمس وسبعين وكان يوما مشهودا وهو اول من فعل ذلك
بالديار المصرية وكان له صدقات كثيرة من ذلك ستة عشر الف اردب قمح
للفقراء والمساكين وارباب الزوايا وكان يخرج كل سنة جملة مستكثرة يفتك
بها من حبسه القاضي من المقلين وكان يرتب في رمضان مطابخ لانواع الاطعمة

يوسع الفقراء ووقف وقفا على تكفين الغرباء واجرى على اهل الحرمين وطرق الحجاز
ما كان انقطع في ايام غيره من الملوك وله انواع المعروف واوقاف البر نقلت من
خط شيخنا الامام تقي الدين الشمني قال نقلت من خط الشيخ كمال الدين الدميري
نقل من خط الشيخ جمال الدين بن هشام قال من اعجب ما رايته على كراريس من
تسهيل الفوائد بخط الشيخ جمال الدين بن مالك في اواخرها صورة قصة
يرفعها الفقير الى رحمة ربه محمد بن مالك يقبل الارض وينهي الى السلطان
ايد الله جنوده وابد سعوده انه اعرف اهل زمانه بعلوم القران
والنحو واللغة وفنون الادب واملة ان يعينه نفوذا من سيد السلاطين خلد
الله ملكه وجعل المشارق والمغارب ملكه على ما هو بصدده من افادة
المستفيدين وافادة المسترشدين بصدقة تكفيه هو وعياله وتغنيه
عن التسبب في اصلاح حاله فقد كان في الدولة الناصرية عناية تتيسر
بها الكفاية مع ان الدولة الظاهرية اجدر واولى بالبحر المحيط او الخلاصة من
الوسيط والبسيط وقد نفع الله بهذه الدولة خصوصا وعموما وكشف
بها عن الناس اجمعين غموما ولم بها من شعث الدين ما لم يكن ملموما ومن
العجائب كون المملوك مرفهة جيرانها وعن عين عنايتها غائبا محزونا مع انه من
الزم المخلصين للدعاء بدوامها لا برحت انوارها زاهرة وسيوف انصارها
قاهرة ظاهرة وايادي بها مبذولة موفورة واعاديها مخذولة مقهورة
بمحمد واله وكان الشيخ محيي الدين النووي يكثر المكاتبات اليه ويعظه في
امور المسلمين قال الشيخ علاء الدين بن العطار كتب الشيخ محيي الدين ورقة
الى الظاهر بيبرس تتضمن العدل في الرعية وازالة المكوس وكتب فيها معه
جماعة ووضعها في ورقة كتبها الى الامير بيلبك الخزندار بايصال ورقة
العلماء الى السلطان وصورتها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله يحيى
النووي سلام الله تعالى ورحمته وبركاته على المولى المحسن ملك الامراء بدر
الدين ادام الله له الكرم والخيرات وتولاه بالحسنات وبلغه من
اقصى الاخرة والاولى كل اماله وبارك له في جميع احواله امين وينهي

الى العلوم الشريفة ان اهل الشام في هذه السنة في ضيق عيش وضعف حال
بسبب قلة الامطار وغلاء الاسعار وقلة الغلات والنبات . وهلاك الموا
شي وغير ذلك . وانتم تعلمون انه تجب الشفقة على الرعية ونصيحته في
مصلحته ومصلحتهم فان الدين النصيحة . وقد كتب خدمة الشرع الناصحون
للسلطان المحبون له كتابا بتذكرة النظر في احوال الرعية والرفق بهم وليس
فيه ضرر بل هو نصيحة محضة وشفقة وذكرى لاولي الالباب . والمسؤول
من الامير ايده الله تعالى تقديمه الى السلطان ادام الله له الخيرات . ويتكلم
عنده من الاشارة بالرفق بالرعية بما يجده مدخرا . عند الله تعالى يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا . وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه
امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه . و هذا الكتاب ارسله العلماء امانة
ونصيحة للسلطان اعز الله انصاره فيجب عليكم ايصاله الى السلطان اعز الله
انصاره وانتم مسؤولون عن هذه الامانة ولا عذر لكم في التاخر عنها يوم لا
ينفع مال ولا بنون ولا حجة لكم في التقصير عنها عند الله تعالى وتسالون
عنها يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وانتم بحمد الله تحبون الخير وتحر
صون عليه وتسارعون اليه . وهذا من اهم الخيرات . وافضل الطاعات . وقد
اهلتم له وساقه الله اليكم وهو فضل من الله ونحن خائفون ان يزداد الامر
شدة وان لم يحصل النظر في الرفق بهم قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون . وقال الله تعالى وما تفعلوا
من خير فان الله به عليم . والجماعة الكاتبون منتظرون ثمرة هذا فاذا فعلتم
هذا فاجركم على الله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته فلما وصلت الورقات اليه وقف عليها السلطان
فرد جوابها ردا عنيفا مؤلما فتنكدت خواطر الجماعة الكاتبين فكتب
رضي الله عنه جوابا لذلك الجواب بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ال محمد من عبد الله يحيى النووي ينهي ان

خدمة

خدمة الشرع كانوا كتبوا ما بلغ السلطان اعز الله انصاره فجاء الجواب بالانكار
والتوبيخ والتهديد . وفهمنا ان الجهاد ذكر في الجواب على خلاف حكم الشرع
وقد اوجب الله ايضاح الاحكام عند الحاجة اليها فقال تعالى واذ
اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فوجب علينا
حينئذ بيانه وحرم علينا السكوت . وقال تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين
من سبيل والله غفور رحيم . و ذكر في الجواب ان الجهاد ليس مختصا بالاجناد
وهذا امر لم ندعه وكان الجهاد فرض كفاية فاذا قرر السلطان له اجنادا
مخصوصين ولهم اخباز معلومة من بيت المال كما هو الواقع تفرغ باقي الناس
كلهم اليه بجهاد الاجناد مقابل بالاخباز ولا يحل ان يؤخذ من الرعية شيء ما
دام في بيت المال شيء من نقد او متاع او ارض او ضياع او غير ذلك . وهؤلاء
علماء المسلمين في بلاد السلطان اعز الله انصاره متفقون على هذا وبيت المال بحمد
الله معمور زاده الله عمارة وسعة وخيرا وبركة في حياة السلطان المقرونة
بكمال السعادة والتوفيق والتسديد على ظهور اعداء الدين وما النصر
الا من عند الله وانما يستعان في الجهاد وغيره بالافتقار الى الله تعالى
واتباع اثار النبي صلى الله عليه وسلم وملازمة احكام الشرع وجميع ما كتبناه
اولا وثانيا هو النصيحة التي نعتقدها وندين الله بها ونسال الله الدوام
عليها حتى نلقاه والسلطان يعلم انها نصيحة له وللرعية وليس فيها ما
يلام عليه ولم نكتب هذا للسلطان الا لعلمنا انه يحب الشرع ومتابعة اخلاق
النبي صلى الله عليه وسلم في الرفق بالرعية والشفقة عليهم واكرامه لاثار
النبي صلى الله عليه وسلم وكل ناصح للسلطان موافق على هذا الذي كتبناه
و اما ما ذكر في الجواب من كوننا لم ننكر على الكفار كيف كانوا في البلاد فكيف
يقاس ملوك الاسلام واهل الايمان والقران بطغاة الكفار وباي شيء كنا نذكر
طغاة الكفار وهم لا يعتقدون شيئا من ديننا . و اما تهديد الرعية بسبب

نصيحتها وتهديد طائفة العلماء فليس هو الموجود من عدل السلطان وعلمه
واي حيلة لضعفاء المسلمين الناصحين نصيحة للسلطان ولهم ولا علم لهم به
وكيف يؤاخذون بفعل لو كان فيه ما يلام عليه و اما انا في نفسي فلا يضرني التهد
يد ولا اكثر منه ولا ينفعني ذلك من نصيحة السلطان فاني اعتقد ان هذا
واجب علي وعلى غيري وما ترتب على الجواب فهو خير وزيادة عند الله تعالى
انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار وافوض امري الى الله
ان الله بصير بالعباد وقد امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقول الحق
حيثما كنا ولا نخاف في الله لومة لائم ونحن نحب السلطان في كل الاحوال وما
ينفعه في اخرته ودنياه ويكون سببا لدوام الخيرات له ويبقى ذكره على
مر الايام ويخلد به في الجنة ويجد نفعه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا و اما ما ذكر من تمهيد السلطان البلاد وادامته الجهاد وفتوحه
الحصون وقهر الاعداء فهذا بحمد الله من الامور الشائعة التي اشترك في العلم
بها الخاصة والعامة وطارت في اقطار الارض فلله الحمد وثواب ذلك مدخرا
للسلطان الى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ولا حجة لنا عند الله
تعالى اذا تركنا هذه النصيحة الواجبة علينا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
و كتب الى الملك الظاهر لما احتيط على املاك دمشق بسم الله الرحمن
الرحيم قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقال الله تعالى واذ
اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه وقال
تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وقد اوجب
الله على المكلفين نصيحة السلطان اعز الله انصاره ونصيحة خاصة المسلمين
وعامتهم ومن نصيحة السلطان وفقه الله لطاعته وولاه كرامته ان ينهى
اليه الاحكام اذا جرت على خلاف قواعد الاسلام واوجب الله تعالى الشفقة
على الرعية والاهتمام بالضعفة وازالة الضرر عنهم قال الله تعالى واخفض
جناحك للمؤمنين وفي الحديث الصحيح انما تنصرون وترزقون بضعفائكم

وقال

و قال صلى الله عليه وسلم من كشف عن مسلم كربة من كرب الدنيا كشف الله
عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه و قال
صلى الله عليه وسلم من ولي من امر امتي شيئا فرفق بهم فارفق اللهم به ومن شق عليهم
فاشقق الله عليه و قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته
و قال صلى الله عليه وسلم ان المقسطين على منابر من نور على يمين الرحمن الذين يعد
لون في حكمهم واهليهم وما ولوا وقد انعم الله علينا وعلى سائر المسلمين بالسلطا
ن اعز الله انصاره فقد اقامه لنصرة الدين والذب عن المسلمين واذل له الاعداء من
جميع الطوائف وفتح عليه الفتوحات المشهورة في المدة اليسيرة واوقع الرعب
منه في قلوب اعداء الدين وسائر المارقين ومهد البلاد والعباد وقمع بسيفه
اهل الزيغ والفساد وامده بالاعانة واللطف والسعادة فلله الحمد على هذه
النعمة المتظاهرة والخيرات المتكاثرة ونسال الله الكريم دوامها له وللمسلمين
وزيادتها في خير وعافية امين وقد اوجب شكر نعمه ووعد الزيادة للشا
كرين فقال لئن شكرتم لازيدنكم وقد لحق المسلمين بسبب هذه الحوطة على
املاكهم انواع من الضرر لا يمكن التعبير عنها وطلب منهم اثبات لا يلزمهم فهذه
الحوطة لا تحل عند احد من علماء المسلمين بل من في يده شيء فهو ملكه لا يحل
الاعتراض عليه ولا يكلف باثبات وقد اشتهر من سيرة السلطان انه يحب العمل
بالشرع فيوصي نوابه فهو اولى من عمل به والمسؤول اطلاق الناس من هذه الحو
طة والافراج عن جميعهم فاطلقهم اطلقك الله من كل مكروه فهم ضعفة وفيهم
الايتام والارامل والمساكين والضعفة والصالحون وبهم تنصرون وتغاثون وترزقون وهم
سكان الشام المبارك جيران الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وسكان ديارهم
فلهم حرمات من جهات ولو راى السلطان ما يلحق الناس من الشدائد لاشتد حزنه
عليهم واطلقهم في الحال ولم يؤخرهم ولكن لا تنهى اليه الامور على جهتها
فبالله اغث المسلمين يغثك الله وارفق بهم يرفق الله بك وعجل لهم الافراج
قبل وقوع الامطار وتلف غلاتهم فان اكثرهم ورثوا هذه الاملاك عن اسلافهم ولا
يمكنهم تحصيل كتب شراء وقد نهبت كتبهم واذا رفق السلطان بهم حصل له دعاء

رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن رفق بامته ونصره على اعدايه فقد قال تعالى
ان تنصروا الله ينصركم ويتوفر له من رعيته الدعوات وتظهر في مملكته
البركات ويبارك في جميع ما يقصده من الخيرات و في الحديث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم
القيامة ونسال الله الكريم ان يوفق السلطان للسنن الحسنة التي يذكر بها
الى يوم القيامة ويحميه من السنن السيئة فهذه نصيحتنا الواجبة علينا
للسلطان ونرجو من فضل الله تعالى ان يلهمه في هذا القبول والسلام ورحمة الله
وبركاته . بسم الله الرحمن الرحيم خدمة الشرع ينهون ان الله تعالى امر بالتعا
ون على البر والتقوى ونصيحة ولاة الامور وعامة المسلمين واخذ على العلماء
العهد وتبليغ احكام الدين ومناصحة المسلمين وحث على تعظيم حرماته واعظام
شعاير الدين واكرام العلماء واتباعهم وقد بلغ الفقهاء انه رسم في حقهم
بان يغيروا عن وظايفهم ويقطعوا عن بعض مدارسهم فتنكدت بذلك احوالهم
وتضرروا بهذا التضييق عليهم وهم محتاجون ولهم عيال وفيهم الصالحون
والمشتغلون بالعلوم وان كان فيهم طايفة لا يلحقون مراتب غيرهم فهم منتسبون
الى العلم ويشاركون فيه ولا يخفى مراتب اهل العلم وفضلهم وثناء الله تعالى عليهم
وبيان ميزتهم على غيرهم وانهم ورثة الانبياء صلوات الله عليهم وان الملايكة
عليهم السلام تضع اجنحتها لهم ويستغفر لهم حتى الحوت في الماء واللايق
بالجناب العالي اكرام هذه الطايفة والاحسان اليهم ومعاضدتهم ودفع المكرو
هات عنهم والنظر فيما فيه من الرفق بهم فقد ثبت في صحيح مسلم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم من ولي من امر امتي فرفق بهم فارفق به و روا
ابو عيسى الترمذي باسناده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه كان
يقول لطلبة العلم مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان رجالا ياتونكم يتفقهون فاستوصوا بهم خيرا
و المسول ان لا يغير على هذه الطايفة شيء ويستجلب دعوتهم لهذه الدولة
القاهرة و قد ثبت في صحيح البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل

تنصرون

تنصرون وترزقون الا بضعفايكم وقد احاطت العلوم بما اجاب به الوزير
نظام الملك حين انكر عليه السلطان صرف الاموال الكثيرة في جهة طلبة
العلم فقال اقمت لك بها جندا لا ترد سهامهم بالاسحار فاستصوب فعله وساعده
عليه والله الكريم يوفق الجناب دايما لمرضاته والمسارعة الى طاعته والحمد
لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم و قال بعضهم لما
خرج الظاهر بيبرس الى قتال التتار بالشام اخذ فتاوى العلماء بانه يجوز له
اخذ مال من الرعية ليستنصر به على قتال العدو فكتب له فقهاء الشام بذلك
فقال هل بقي احد فقيل نعم بقي الشيخ محيي الدين النووي فطلبه فحضر فقال اكتب
خطك مع الفقهاء فامتنع فقال ما سبب امتناعك فقال انا اعرف انك كنت في الرق
للامير البندقدار وليس لك مال ثم من الله عليك وجعلك ملكا وسمعت
ان عندك الف مملوك كل مملوك له حياصة من ذهب وعندك مايتا جارية كل
جارية عندها حق من الحلي فاذا انفقت ذلك كله وبقيت مماليك بالبنود
الصوف بدلا عن الحوايص وبقيت الجوار بثيابها دون الحلي افتيتك باخذ المال
من الرعية فغضب الظاهر من كلامه وقال اخرج من بلدي يعني دمشق فقال
السمع والطاعة وخرج الى نوى فقال الفقهاء ان هذا من كبار علماينا وصلحاينا
وممن يقتدى به فاعده الى دمشق فرسم برجوعه فامتنع الشيخ وقال
لا ادخلها والظاهر بها فمات الظاهر بعد شهر قال الذهبي كان الظاهر
خليقا للملك لولا ما كان فيه من الظلم فالله يرحمه ويغفر له فان له اياما
بيضا في الاسلام ومواقف مشهودة وفتوحات معدودة و استمر الملك
الظاهر الى ان مات يوم الخميس سابع عشر المحرم سنة ست وسبعين وستما
ية بدمشق وقام بعده ولده الملك السعيد ناصر الدين ابو المعالي محمد ولد
سنة ثمان عشرة وكان ابوه عقد له في حياته ولقبه هذا اللقب واستنابه
على مصر ايام سفره فاستقل بالسلطنة من يوم موته واستمر الى سنة ثمان
وسبعين فاختلفت عليه الامراء وقاتلوه فخلع نفسه من السلطنة واشهد
على نفسه بذلك وذلك في يوم سابع عشر ربيع الاخر و اقيم مكانه

اخوه بدر الدين بن سلامش ولقب الملك العادل وعمره سبع سنين وجعل اتابكه
الامير سيف الدين قلاوون الصالحي الالفي سمي بذلك لانه اشتري بالف دينار
وضربت السكة باسمه على وجه واتابكه على وجه ودعي لهما في الخطبة واقام الى
يوم الثلاثا حادي عشر شهر رجب من هذه السنة فاجتمع الامراء بالقلعة
وخلعوا العادل قال صاحب السكردان وهو السادس من ولد الاتراك فان
اولهم المعز ايبك وكل سادس من الخلفاء والملوك لابد ان يخلع واقاموا بعده
قلاوون الصالحي بعوض البيعة الخليفة ولقب الملك المنصور وكتب له تقليد هذه
صورته من انشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر الحمد لله الذي جعل اية
السيف ناسخة لكثير من الايات • وناسخة لعقود اولي الشك والشبهات • الذي
رفع بعض الخلق على بعض درجات • واهل الامور البلاد والعباد من جاءت خوارق
تملكه بالذي ان لم يكن من المعجزات فمن المكرمات • ثم الحمد لله الذي جعل
الخلافة العباسية بعد الناوب حسنة الابتسام • وبعد الشحوب جميلة
الابتسام • وبعد التشريد لها دار السلام • اعظم من دار السلام • والحمد لله
على ان شهدها مصارع اعدايها • واخذ لها عواقب اعادة نصرتها وابدايها •
ورد شبيبتها بعد ان ظن كل احد ان شعارها الاسود ما بقي منه الا ما اصا
بته العيون في جفونها والقلوب في سويدايها • ونشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة يتلذذ بذكرها اللسان • وتتعطر بنجاتها
الافواه والاذان • وتتلقاها ملايكة القبول فترفعها الى اعلا مكان ونشهد
ان محمدا عبده ورسوله الذي اكرمنا به وشرف لنا الانساب • واعدنا به
حتى نزل فينا محكم الكتاب • صلى الله عليه وعلى اله الذين انجاب الدين
عنهم عن انجاب • ورضي عن صحابته الذين هم اعز صحاب • صلاة توفي قايلها
اجرها بغير حساب يوم الحساب • وبعد حمد الله على ان احمد عواقب الامور
واظهر للاسلام سلطانا اشتدت به من الامة الظهور • وشفيت الصدور •
واقام الخلافة العباسية في هذا الزمن المنصور • كما اقامها فيما مضى بالمنصور •
واختار لاعلان عونها من يحيي معالمها بعد العفا ورسومها بعد الدثور

وجمع لها الان ما كان جمع عليها فيما قبل من خلايف كل ناجم ومنحها ما كانت
تبشرها به الملاحم • وانتقل كامنها في ممالك الدولة العلوية بخير سيف
مغمود ماضي العزايم • ومازج بين طاعتهما في القلوب وذكرهما في اللسان
وكيف لا والمنصور هو الحاكم • واخرج لحياطة الامة ملكا تنقسم البركات من
يمينه • وتنقسم السعادات بنور جبينه • وتفهم الاعدا بفتكاته •
وتنهى غفايل المغافل بصعود راياته • ذي الشعر الذي مازال سعده يشب
حتى ظهر • ومجده تترقى الى ان بهر • وجوهره تنتقل من جيد الى جيد
حتى علا الجبين • وسره يكمن في كل قلب حتى علم اليقين • والحمد لله الذي
جعلنا تمكينه في الارض بعد حين • فاختاره الله على علم واصطفاه من
بين عباده بما جعله الله عليه من كرم وشجاعة وحلم واتى الله به الامة
المحمدية في وقت الاحتياج غوثا • وفي اوان الاستمطار غيثا • ومن
حين غيث الاشبال في غير وقت الافتراس ليثا • فوجب على كل الحق في اعناق
الامة المحمدية بيعة الرضوان • وعند ايمانهم مصافحة الايمان • ومن حيث وجبت
البيعة باستحقاقه لميراث منصب النبوءة • ومن يحمد به كل وسيمة شرعية
يوخذ كتابها بقوة • ومن هو خليفة الزمان والعصر • ومن بدعواته تنزل
عليكم مع اشرف كماة المسلمين ملايكة النصر • ومن نسبه ينسب نبيكم صلى الله
عليه وسلم مسمى وحسبه بحسبه ممتزج ان يقوض له ما قوض الله اليه من
امر الخلق ليقوم عنه بفرض الجهاد والعمل بالحق • وان يوليه ولاية شرعية
تتم بها الاحكام • وتنضبط امور الاسلام • وتاتي هذه العصبة الاسلامية
يوم تاتي كل امة بامامها من طاعة خليفتها بخير امام • وخرج امر مولانا
امير المومنين شرفه الله ان يكون المقر العالي المولوي السلطاني الملكي المنصوري
اجله الله ونصره • واظفره واقدره • وايده كلما قوضه • مولانا امير
المومنين من حكم في الوجود • وفي التهايم والنجود • وفي الخزاين والمداين •
وفي الظواهر والبواطن • وفيما فتح الله • وفيما فيسر بالفكر والرجا من
الله • انه يطلعه في كل موجود ومن كل عطي وفي كل هبة وتمليك في كل

كل تعوده بالنظر في امور المسلمين بغير شريك وفي كل تعاهده ونبطه وفي كل
عطاء واخذ وفي كل عزل وتولية وفي كل عزل وتولية وفي كل تسليم وتخلية وفي
كل ارفاق وانفاق وفي كل انعام واطلاق وفي كل استرقاق واعتاق وفي كل
تقليل وتكثير وفي كل تاثير وتاثير وفي كل تغليظ وتعويض وفي كل تجديد
وتعويض وفي كل جد وتعويض ولاية تامة محكمة منضدة منظمة لا يعقبها
نسخ من خلفها ولا من بين يديها ولا يعتريها فسخ يطوي عليها يزيدها
من الليالي جدة تعقبها حسن شباب ولا تنتهي على الاعوام والاحقاب ونعم
تنتهي الى ما نصبه الله تعالى للارشاد من سنة وكتاب وذلك من شرع الله
اقامة للهداية علما وجعله الى اختيار الثواب سلما فالواجب ان يعمل
بجريات امره وكلياته وان لا يخرج احد عن مقتضى مانعه والعدل فهو الغرس
المثمر والسحاب الممطر والروض المزهر وبه تنزل البركات وتحلب الهبات
وتربو الصدقات وبه عمارة الارض وبه تؤدى السنة والفرض فمن زرع
العدل اجتنى الخير ومن احسن كفي الضر والضير والظلم بعاقبته وخيمة
وما يطول عمر الملك الا بالعدل لا الرعية والرعية هم الوديعة عنده وفي
الامر فلا يختص منهم زيد دون عمرو والاموال فهي ذخاير العاقبة والمال
بالواجب ان تاخذ بحقها وتنفق في مستحقها والجهاد برا وبحرا فهي
كنانة الله يفوق سهامه وترسخ ايامه وينقض حسامه وتجويد منشاته
في البحر كالاعلام وينشر اعلامه وفي عقود دار الكفر فحيط وكذا يدونه
كتابه وترسل ارسانه ويحرس خلالها فرسانه فليرم منه وبذنا وفي
وبستجب منه فعلا حسنا وجيوش الاسلام واموره وحماته فمنهم من
عامت قدم هجرته وعظمت نصرته وشدت باسه وقوته ومنهم الاحق
شهد الفتوحات والحروب واحسن في المقامات عن الدين والذب وهم
بقايا الدولة وسجايا الملوك الاول ولا سيما اولى السعي الناجح والراي
الراجح ومن له نسبة صالحة فاذا فخروا بها فيل لهم السلف الصالح فاوسعهم
برا وكن بهم برا وهم بما يجب من خدمتك اعلم وانت بما يجب من حقهم

اندري والحصون والثغور فهم ذخاير الشدة وخزاين العدة والعدة
ومقاعد القتال وكنائن الرجال فاحسن لها التحصين وفوض امرها الى قوي
امين والى كل ذي عقل وصين ونواب الممالك ونواب الامصار فاحسن لهم
الاختيار واجمل لهم الاختبار وتفقد لهم الاجناد واما سوى ذلك فهو
داخل في حدود تلك الوصايا ولولا ان الله تعالى امر بالتذكير لكان ذلك سجايا
المقر الاشرف السلطان الملك المنصور مكتفية بانوار المعرفة الساطعة وزمام
كل صالح يجب ان يشتغل به جميع اوقاته هو تقوى الله تعالى قال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته فليكن ذلك نصب العين وشغل القلب
والشفتين واعداء الدين من ارمن وتتار وافرنج وبالامرهم في كل ايراد
المغرور واصدار ودولان تاخذ للخلفاء العباسيين ولجميع المسلمين الثار واعلم
ان الله ينصرك على ظلمهم وما للظالمين من انصار واما غيرهم من مجاوريهم من
المسلمين فاحسن بهم باستنقاذك من العلاج وطبهم باصطلاحك فبالطب
المنصوري والملكي ما زال يصلح المزاج والله الموفق بمنه وكرمه ان شاء الله
تعالى واستمر قلاوون في السلطنة فكان له مشاهد حسنة وفتوحات
منها طرابلس وقد كانت في ايدي الافرنج من سنة ثلاث وخمسماية والى
الان وهو الذي احدث وضيفة كتابة السر واحدث اللعب بالرمح ايام ادارة
المحمل وكسوة الكعبة وغير ملابس الدولة عما كانوا عليه في دولة بني
ايوب قال الصلاح الصفدي كان الجند يلبسون فيما تقدم كلوتات صفر مضربة
بكلاليب بغير شاشات وشعورهم مضفورة دبابيق في اكياس حرير ملونة
وفي خواصرهم موضع الحوايص بنود ملونة واكمام اقبيتهم ضيقة واخفافهم
برغالي ومن فوق قماشهم بلوطا بلبد وصولق كبير يسع نصفا ويبة او اكثر
فابطل المنصور ذلك باحسن منه واقام في السلطنة الى ان توفي يوم السبت
سادس ذي القعدة سنة تسع وثمانين واقيم بعده ولده الملك الاشرف
صلاح الدين خليل فلما كان يوم الجمعة رابع عشر شوال سنة تسعين سال
الخليفة الحاكم بامر الله ان يخطب بنفسه الناس وان يذكر في خطبته انه ولى

السلطنة الاشرف خليل بن منصور فلبس الخليفة خلعة سودا وخطب
الناس بجامع القلعة ورسم لقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة من ثم ان يخطب
بالقلعة عند السلطان فخطب يوم الجمعة التي خطب فيها الخليفة واستمر
يخطب ويستنيب في الجامع الازهر ثم امر الاشرف بقراءة ختمة عند قبر
الملك المنصور في ليلة الاثنين رابع ذي القعدة فحضرها القضاة والامراء والاعيان
ونزل السلطان ومعه الخليفة اليه وقت السحر وخطب الخليفة بعد الختمة
خطبة بليغة حرض الناس فيها على غزو بلاد العراق واستنقاذها من ايدي
التتار و استمر الاشرف في السلطنة الى ان قتل بتروجة في ثالث المحرم سنة
ثلاث وتسعين ونقل فدفن بتربته التي انشاها بالقرب من السيدة نفيسة
فقال ابن حبيب يرثيه

تبا لاقوام بمالك رقهم ﴿ فتكوا وما رقوا لحالة مترف ﴿
وافوه غدرا ثم صالوا حوله ﴿ بالمشرفي على المليك الاشرف ﴿

و اقيم اخوه ناصر الدين ابو الفتوح محمد ولقب الملك الناصر وعمره يومئذ
تسع سنين فاستمر الى حادي عشر المحرم سنة اربع وتسعين فخلع بعد
وتسلطن زين الدين كتبغا المنصوري من سبي التتار ولقب الملك العادل فاقام
الى صفر سنة ست وتسعين فخلع وتسلطن حسام الدين لاجين المنصوري
وشق القاهرة وعليه الخلعة الخليفية والامراء بين يديه مشاة و جاء في
تلك السنة غيث عظيم بعد ما كان تاخر فقال الوادعي في ذلك ﴿

يا ايها العالم بشراكم ﴿ بدولة المنصور رب الفخار ﴿
بالله قد بارك فيها لكم ﴿ فامطر الليل واضحى النهار ﴿

الى ان قتل ليلة الجمعة حادي عشر ربيع الاخر سنة ثمان وتسعين واعيد
الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان منفيا بالكرك فاحضر وقلده الخليفة
يوم السبت رابع جمادى الاولى وشق القاهرة وعليه خلعة الخليفة والجيش
مشاة بين يديه فاقام الى سنة احدى وسبعمائة فخرج في رمضان قاصدا
الحج فاجتاز بالكرك فاقام بها ثم كتب كتابا الى الديار المصرية يتضمن عزل

نفسه

نفسه عن المملكة فاثبت ذلك على القضاة بمصر ثم نفذ على قضاة الشام و اقيم
في السلطنة الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري وذلك يوم السبت
الثالث والعشرين من شوال ولقب الملك المظفر وقلده الخليفة والبسه الخلعة
السودا والعمامة المدورة وركب بذلك وشق القاهرة والدولة بين يديه
والصاحب ضياء الدين النشائي حامل التقليد من جهة الخليفة في كيس اطلس
اسود واوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ثم نفذ التقليد
الى الشام فقرئ هناك ثم عاد الملك الناصر من الكرك طالبا عوده الى الملك
وبايعه على ذلك جماعة من الامراء فبلغ ذلك المظفر بيبرس فاستدعى الشيخ
زين الدين بن المرحل والشيخ شمس الدين بن عدلان واستشارهما فاشارا عليه
بتجديد العهد من الخليفة وتحليف الامراء ففعل ذلك وكتب له عهد من الخليفة
صورته انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله وخليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابي الربيع سليمان العباسي لامراء المسلمين وجيوشها
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واني رضيت
لكم بعبد الله تعالى الملك المظفر ركن الدين بيبرس نائبا عني بملك الديار المصرية
والبلاد الشامية واقمته مقام نفسي لدينه وكفايته واهليته ورضيته
للمؤمنين وعزلت من كان قبله بعد علمي بنزوله عن الملك ورايت ذلك متعينا
علي وحكمت بذلك الحكام الاربع واعلموا رحمكم الله ان الملك عقيم ليس بالوراثة
لاحد خالف عن سالف ولا كابر عن كابر وقد استخرت الله تعالى ووليت
عليكم المظفر فمن اطاعه فقد اطاعني ومن عصاه فقد عصاني ومن عصاني فقد
عصى ابا القاسم ابن عمي صلى الله عليه وسلم وبلغني ان الملك الناصر ابن السلطان
الملك المنصور شق العصا على المسلمين وفرق كلمتهم واطمع عدوهم فيهم وعرض
البلاد الشامية والمصرية الى سبي الحريم والاولاد وسفك الدماء فتلك دما
قد صانها الله تعالى وانا خارج اليه ومحاربه ان استمر على ذلك وادافع عن حريم
المسلمين وانفسهم واموالهم بهذه الامراء والجيش العظيم واقاتله حتى يفيء
الى امر الله وقد اوجبت عليكم يا معاشر المسلمين كافة الخروج تحت لوائي اللواء

البشريجي بفقد اجتمعت الحكام على وجوب قد بعه وقتاله ان استمر على ذلك
وانا اصعب معي الملك المظفر بجهزوا اروا حكم والسلام وقرئ هذا العهد
على سائر الجوامع بالقاهرة و الناصر فانه سار من الكرك بمن معه في اول
شعبان سنة احدى وسبعمائة فاتى دمشق فانتظم امره ثم توجه الى مصر
يوم عيد الفطر وصعد القلعة وجلس على سرير الملك وجاءت له العسا
كر ثم وجه الى المظفر من احضره واعتقله ثم خنقه في خامس عشر من
شوال و قال العلا الوداعي في عود الناصر الى ملكه

الملك الناصر قد اقبلت ** دولته مشرقة الشمس
عاد الى كرسيه مثل ما ** عاد سليمان الى الكرسي

و قال الصلاح الصفدي

تثني عطف مصر حين وافى ** قدوم الناصر الملك الخبير
فذل الجاشنكير بلا لقاء ** وامسى وهو ذو جاش نكير
اذا لم تعضد الاقدار شخصا ** فاول ما يراع من النصير

و شرع الناصر يعاتب الناس في امره وقال للخليفة هل انا خارجي وبيبرس
من سلالة بني العباس وقال للقاضي جلال الدين بن عبد الظاهر وكان هو
الذي كتب عهد المظفر عن الخليفة يا اسود الوجه وقال للقاضي بدر الدين بن
ابن جماعة كيف تفتي المسلمين بقتالي فقال معاذ الله ان تكون الفتوى
كذلك وانما الفتوى على مقتضى كلام المستفتي ثم عزله وعزل القاضيين
شمس الدين السروجي الحنفي والحنبلي وابقى المالكي لكونه كان وصيا عليه
من جهة ابيه قلاوون و قال للشيخ صدر الدين بن المرحل كيف تقول في
قصيدتك ما للصبي وما للملك يكفله ** شاب الصبي يغير الملك مالوفا
فحلف ابن المرحل ما قال هذا وانما الاعداء زادوا هذا البيت في القصيدة و
العفو من شيم الملوك وعفى عنه و جاء الشيخ شمس الدين بن عدلان
يستاذن فقال الناصر للدوادار قل له انت افتيت انه خارجي وقتاله جائز
مالك عندي دخول ولكن عرفه انه وابن المرحل يكفيهما ما قال الشاعر الشا

ومساجي

ومساجي في حقهما وكان الاديب شهاب الدين احمد بن عبد الدائم الشارمساحي
قال ** ولي المظفر لما فاته الظفر ** وناصر الحق وافى وهو منتصر
وقد طفا الله من بيت الورى قبسا ** كادت على عصبة الاسلام تنتشر
فقل لبيبرس ان الدهر البسه ** اثواب عارية في طولها قصر
لما تولى تولى الخير عن امم ** لم يحمدوا الامر فيها ولا شكروا
وكيف تمشي به الاحوال في زمن ** لا النيل وفى ولا وافاهم المطر
ومن يقوم ابن عدلان بنصرته ** وابن المرحل قل لي كيف ينتصر

و كان النيل لم يوف سنة تولى المظفر وارتفع السعر فلت الكل مظلومون
مع الناصر فانهم ابتلوا بالجوع لكن جددت وظلم وعسف وصبي وجهل فهى
يخاطب الانسان و استمر الناصر في السلطنة بلا منازع فحج في سنة اثنتي
عشرة من طريق الكرك وعاد الى دمشق ثم حج من القاهرة سنة تسع عشرة
ومعه قاضي القضاة العز بن جماعة والامراء وغالب ارباب الدولة وكان خروجه
في سادس ذي القعدة وابطل في هذه السنة مكوس الحرمين وعوض امير
مكة والمدينة عنها اقطاعات بمصر والشام وهدم ما كان في عقبة ايلة من
الصخور ووسع طريقها و اتفق في هذه السنة ان ناصر الدين بن ناظر الجيش
حضر الباس الكعبة الكسوة فصعد الكعبة وجلس على العتبة يشرف على
الخياطين فانكر الناس استعلاءه على الطائفين فسقط لوقته على راسه وصرخ
الناس صرخة عظيمة تعجبا من ظهور قدرة الله وانقطع ظهره ولولا تدا
ركه من تحته لهلك وعلم بذلك فتنبه فتصدق بالجزيل ثم حج الناصر حجة
ثالثة في سنة اثنتين وثلاثين وهو الذي حفر الخليج الداخل من قنطرة
قديدار وعزم على ان يجري النيل من تحت القلعة ويشق له من ناحية حلوان
فثبطه عن ذلك مجد الدين بن ناظر الجيش وقال انه يحتاج الى ثلاث خزائن من
المال ولا يدري هل يصح او لا فرجع عنه و استمر الناصر الى ان مات يوم الاربعاء
عاشر ذي الحجة سنة احدى واربعين وهو اطول ملوك الترك مدة و اقيم
بعده ولده سيف الدين ابو بكر ولقب الملك المنصور فاقام دون الشهرين

في يوم الاحد والعشرين من صفر سنة اثنتين واربعين ونفي هو واخوته الى
قوص وتهتك حريم ابوه الناصر وكثر البكا والعويل بالقاهرة وكان يوما من اشنع
الايام ثم قتل بقوص واقيم بعده اخوه علاء الدين كجك ولقبه الملك الاشرف
وعمره دون ست سنين فقال بعض الشعراء في ذلك

سلطاننا اليوم طفل والاكابر في ... خلف وبينهم الشيطان قد نزغا
فكيف يطمع من يغشاه مظلمة ... ان يبلغ السول والسلطان ما بلغا

فاقام خمسة اشهر ثم خلع في اول شعبان واعتقل بالقلعة الى ان مات سنة
ست واربعين قال صاحب السكردان والله اعلم كيف موته واقيم اخوه
شهاب الدين احمد ولقبه الملك الناصر وكان قدم من الكرك وكان الذي عقد
المبايعة بينه وبين الخليفة الشيخ تقي الدين السبكي وقد حضر من الشام
الى مصر قال في السكردان فاقام بالملك اربعين يوما ثم رجع الى الكرك
ولم يزل هناك حتى خلع يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة ثلاث واربعين
ثم قتل في اول سنة خمس واربعين واقيم بعده اخوه عماد الدين اسما
عيل ولقبه الملك الصالح فاقام الى ان مات في رابع ربيع الاخر سنة ست
واربعين وعمره نحو عشرين سنة وقال الصلاح الصفدي يرثيه

مضى الصالح المرجو للباس والندا ... ومن لم يزل يلقى المنى بالمنائح
فيا لك مصر كيف حالك بعده ... اذا نحن اثنينا عليك بصالح

واقيم بعده اخوه زين الدين شعبان ولقبه الملك الكامل وقال الجمال بن نباتة
في ذلك

طلعة سلطاننا تبدت ... بكامل السعد في الطلوع
فاعجب لها كيف ابدت ... هلال شعبان في ربيع

وقال ايضا

شعبان سلطاننا المرجى ... مبارك الطالع البديع
يا بهجة البدر اذ تبدا ... هلال شعبان في ربيع

فاقام سنة واياما ثم خلع في جمادى الاولى سنة سبع واربعين وسجن وقتل
وكان من شرار الملوك ظلما وعسفا فقال فيه الصلاح الصفدي

بيت قلاوون سعاداته ... في عاجل كانت وفي آجل

حل على املاكه المردي ... دين قد استوفاه بالكامل

واقيم اخوه زين الدين حاجي ولقبه الملك المظفر فاقام سنة وثلاثة اشهر ثم
خلع في يوم الاحد ثاني عشر رمضان سنة ثمان واربعين وذبح من ساعته
فقال فيه الصلاح الصفدي

ايها العاقل اللبيب تفكر ... في المليك المظفر الضرغام
كم تمادى في البغي والغي حتى ... كان لعب الحمام حد الحمام

وقال ايضا

جاز الردى للمظفر ... وفي التراب تعفر
كم قد اباد اميرا ... على المعالي تامر
وقاتل النفس ظلما ... ذنوبه ما تغفر

واقيم بعده اخوه ناصر الدين ابو المحاسن حسن ولقبه الملك الناصر وعمره
يومئذ احدى عشر سنة فاقام الى ان خلع في جمادى الاخرة سنة اثنتين
وخمسين وسجن بالقلعة واقيم بعده اخوه صالح ولقبه الملك الصالح وجعل
شيخو اتابكه فاقام الى ان خلع في شوال سنة خمس وخمسين وسجن بالقلعة
واعيد الناصر حسن فاقام الى ان قتل ليلة الاربعا تاسع جمادى الاولى سنة
اثنتين وستين واقيم بعده ابن اخيه ناصر الدين ابو المعالي محمد بن المظفر
حاجي ولقبه الملك المنصور فاقام الى ان خلع في شعبان سنة اربع وستين
وسجن بالقلعة الى ان مات سنة احدى وثمانين واقيم بعده ابن عمه
ابو المفاخر شعبان ابن الامير حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ولقبه
الملك الاشرف وعمره يومئذ عشر سنين واستقر اتابكه يلبغا العمري
ثم ان يلبغا قتل بايدي مماليكه في سنة ثمان وستين وكان ساكنا بالكبش
فقال فيه بعض الشعراء

يد اشعا يلبغا وعدت عداه ... في سهمه اليه والكبش لم يبعد
واضحت تنوح غربانه عليه

واقيم استدمر الناصري اتابكا فا
تفقت معه مماليك يلبغا وركبوا على الاشرف فهزموا ونصر الاشرف وقال بعض
الشعراء في ذلك

هلال شعبان جهرا لاح في صفر ... بالنصر حتى ارى عيدا بشعبان

٭ واهل كبش كاهل الفيل قد اخذوا ٭ وعمّا وما انتطحت في الكبش شاتان ٭

ثم اقيم الجاي اليوسفي اتابكا وهو زوج ام الاشرف فاتفقت موت ام الاشرف فقال شهاب الدين السعدي متفائلا بالجاي في مستهل العشر في ذي الحجة ٭ كانت صبيحة موت ام الاشرف ٭ فالله يرحمها ويعظم اجري ٭ ويكون في عاشور موت اليوسفي ٭ فاتفق ان وقع الامر كذلك ركب الجاي على الاشرف في سابع المحرم وكسر فطلبه يوم الثامن فساق حتى ارمى نفسه في البحر فغرق ثم اخرجه الغواصون ودفن في تاسع المحرم ثم ان الاشرف ذاهب للحج وسافر في شوال سنة ثمان وسبعين وصحبه الخليفة والقضاة والامراء فلما وصل الى العقبة ركب عليه من قصر من الامراء والجند وانكسر السلطان ورجع هاربا الى مصر فاختفى بها قال الحافظ ابن حجر اخبرنا الشيخ بدر الدين السلسولي احد علماء المالكية وصلحائهم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام لما تجهز الاشرف للحج وعمر يقول له شعبان بن حسين يريد ان يجيء الينا فقال لا ما ياتي ابدا فلم يلبث ان رجع من العقبة قال ابن حجر وعرض طشتمر على الخليفة ان يتسلطن فامتنع وقال بل اختاروا من شئتم وانا اوليه ورجع هو والقضاة الى مصر ثم ظفروا بالاشرف فخنقوه واقيم بعده علاء الدين علي وهو صبي ولقب الملك المنصور فاقام الى ان مات في صفر سنة ثلاث وثمانين وعمره يوم مات اثنا عشر سنة و كان التدبير في ايامه لاينبك البدري ثم القرطاي ثم لبرقوق و اقيم بعده اخوه صلاح الدين حاجي بن الاشرف شعبان ولقب الملك الصالح وسنه حينئذ تسع سنين ثم خلع في رمضان سنة اربع وثمانين و اقيم في السلطنة سيف الدين ابو سعيد برقوق ابن انص ولقب الملك الظاهر وهو اول السلاطين من الجراكسة وليس منهم من تسلطن وابوه مسلم غيره فان اباه قدم الى الديار المصرية فاسلم ومات قبل سلطنة ولده بشهر وكان الذي اشار بتلقيب برقوق بالظاهر شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني فان ولايته كانت وقت الظهر وخطب الخليفة

قبل

قبل ان يفوض اليه خطبة بليغة ثم قلده بحضرة البلقيني والقضاة واستمر في السلطنة الى ثالث جمادى الاخرة سنة احدى وتسعين فخلع وسجن بالكرك واعيد حاجي الى السلطنة ولقب الملك المنصور فاقام الى صفر سنة اثنتين ٭ وتسعين وخلع وعاد برقوق الى السلطنة فاستمر الى ان مات في شوال سنة احدى وثمانمائة و اقيم بعده ولده زين ابو السعادات فرج ولقب الملك الناصر

و قال بعض الشعراء في ذلك بيتين ٭

٭ مضى الظاهر السلطان اكرم مالك ٭ الى ربه يرقى الى الخلد في الدرج ٭

٭ وقالوا ستاتي شدة بعد موته ٭ فاكذبهم ربي وما جاء سوى فرج ٭

فقام الى سادس ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة فخلع واقيم اخوه عبد العزيز ولقب الملك المنصور ثم خلع في جمادى الاخرة من السنة واعيد الناصر فرج ٭ فقام الى ان خرج عليه شيخو المحمودي وقاتله وحصره وظفر به وحكم ابن العديم في سفك دمه وقتل بسيف الشرع وذلك في المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة و اقيم الخليفة المستعين بالله ابو الفضل العباسي سلطانا مستقلا بالامور وحلف له الامراء على الوفاء ولم يغير لقبه ولم يزل يتصرف بالولاية والعزل وغيرهما ثم ساله شيخو ان يفوض اليه السلطنة على العادة فاجابه الى ذلك في شعبان من السنة وبقيت الخلافة باسمه و استقر شيخو في السلطنة ولقب الملك المؤيد وكان من خيار الملوك ترجمه الحافظ ابن حجر في معجمه واثنى عليه ٭ و قال ابن فهد بل ابن ابن فهد وكان معه اجازة بصحيح البخاري من شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني فكانت لا تفارقه سفرا ولا حضرا واقام الى ان توفي في ثامن محرم سنة اربع وعشرين و اقيم بعده ولده احمد ولقب الملك المظفر وعمره سنتان وجعل ططر مدبر المملكة ولقب نظام فلما كان سلخ شعبان من السنة خلع من الملك لصغره واقيم ططر ولقب الملك الظاهر فاقام الى ان مات في سادس ذي الحجة من السنة و اقيم بعده ططر ولده محمد ولقب الملك الصالح وجعل برسباي نظام الملك فلما كان ثامن ربيع الاخر خلع ٭ سنة خمس وعشرين و اقيم برسباي ولقب الملك الاشرف فاقام الى ان مات

في ذي الحجة سنة احدى واربعين واقيم ولده يوسف ولقب الملك العزيز
وجعل جقمق نظام الدولة فلما كان في سنة اثنتين واربعين خلع واقيم جقمق
ولقب الملك الظاهر فاقام الى ان مات سنة سبع وخمسين واقيم ولده عثمان
ولقب الملك المنصور فمكث شهرا ونصفا ثم خلع في ربيع الاول واقيم اينال
العلائي ولقب الملك الاشرف فاقام الى ان مات في جمادى الاولى سنة خمس وستين
واقيم ولده احمد ولقب الملك المؤيد ثم خلع في رمضان من السنة واقيم خـ
خشقدم الناصري ولقب الملك الظاهر فاقام الى ان مات في ربيع الاول سنة
اثنتين وسبعين واقيم بلباي العلائي ولقب الملك الظاهر فاقام نحو شهرين
وخلع واقيم تمربغا ولقب الملك الظاهر فاقام ايضا نحو شهرين وخلع في
رجب واقيم سلطان العصر الملك الاشرف قايتباي المحمودي فاقام الى ان
مات ليلة الاثنين ثاني عشر ذي القعدة سنة احدى وتسعماية واقيم ولده
محمد ولقب الملك الناصر ابو السعادات وقد نظم بعضهم اسماء بعض السلاطين
في ارجوزة وهو حمزة بن علي الحسيني مذيلا على ارجوزة عقب ذكر الملك الظاهر
فقال ٭ ثم تولى الملك السعيد ٭ وكل يوم في داره عيده ٭

٭ ثم اخوه العادل استقلا ٭ بالملك اياما بها وولا ٭
٭ ثم تولى الملك المنصور ٭ ومن جرى بنصره المقدور ٭
٭ ثم تولاها المليك الاشرف ٭ ومن غدا بكل جود يعرف ٭
٭ ثم تولاها المليك الناصر ٭ وما له في نصره موازر ٭
٭ ثم الامير كتبغا العادل ٭ وما جرى في وقته بسايل ٭
٭ وبعده لاجين المنصور ٭ ورركه بلدها مشهور ٭
٭ ثم بها الناصر عاد ثانيه ٭ ولم يزل في ملكه امانيه ٭
٭ ثم حوى الامر بها المظفر ٭ ليقضي امر ربنا المقدر ٭
٭ ثم بها الناصر عاد ثالثه ٭ ونجله المنصور كان وارثه ٭
٭ وبعده الاشرف فهو بارع ٭ فلا له مانع ولا مدافع ٭
٭ ثم تولى الناصر بن الناصر ٭ وبعده الصالح ذو المماكي ٭

اعني

٭ اعني بالفدا اسماعيلا ٭ طابوه افضى به جميلا ٭
هذا اخر ما نظمه وقد ذيلت عليه فقلت ٭
٭ وبعده شعبان وهو الكامل ٭ وبعده المظفر الماهل ٭
٭ وبعده الناصر واسمه حسن ٭ وبعده الصالح في البرج سجن ٭
٭ ثم اعيد حسن وبعده ٭ محمد المنصور وهي عده ٭
٭ وبعده شعبان وهو الاشرف ٭ وهو ابن عشر امره مستضعف ٭
٭ وبعده المنصور واسمه علي ٭ وبعده الصالح حاجي قد ولي ٭
٭ وبعده برقوق وهو الظاهر ٭ ثم اعيد الصالح المنابر ٭
٭ ولقبوه الملك المنصورا ٭ ثم اعادوا الظاهر المذكورا ٭
٭ وبعده الناصر واسمه فرج ٭ وبعده عبد العزيز قد خرج ٭
٭ ولقب المنصور ثم امسكا ٭ واحضر الناصر حتى ملكا ٭
٭ وبعد هذا بويع الخليفه ٭ ذو الرتبة العالية المنيفه ٭
٭ المستعين الاعظم العباسي ٭ فاستوثق الامر من الناس ٭
٭ وبعد هذا الملك المؤيد ٭ شيخ وبعده المظفر احمد ٭
٭ وبعده الظاهر واسمه ططر ٭ ثم ابنه الصالح لما ازعى ٭
٭ ثم برسباي وذاك الاشرف ٭ ثم ابنه العزيز يوسف ٭
٭ وبعده الظاهر وهو جقمق ٭ ثم ابنه المنصور ثم اطلقوا ٭
٭ وبعده اينال وهو الاشرف ٭ ثم ابنه المؤيد المنصرف ٭
٭ وبعده خشقدم ليث الوغى ٭ وبعده بلباي يلي تمربغا ٭
٭ والكل بالظاهر سما بوصف ٭ وبعده جاء المليك الاشرف ٭
٭ اقام في الملك ثلاثين سوى ٭ سبع شهور وحوا ما قد حوا ٭
٭ وسلطنوا ولده محمدا ٭ ولقب الناصر رغما للعدا ٭

٭ ذكر الفرق بين الخلافة ٭
٭ والملك من حيث الشرع ٭

قال ابن سعد في الطبقات اخبرنا محمد بن عمر حدثني قيس بن الربيع عن عطا

ابن السائب عن زاذان عن سلمان أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له أملك أنا أم خليفة فقال له سلمان إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة فاستعبر عمر وقال أخبرنا محمد بن عمر حدثني عبد العزيز بن الحارث عن أبيه عن سفيان أخليفة أنا أم ملك فهذا أمر عظيم قال قائل يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقا قال الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حق وأنت بحمد الله كذلك والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا فسكت عمر رضي الله عنه

ذكر من يطلق عليه السلطنة من حيث المصطلح

قال ابن فضل الله في المسالك ذكر علي بن سعيد أن الاصطلاح أن لا تطلق هذه النسمة إلا على من يكون في ولايته ملوك فيكون ملك الملوك فيملك مثل مصر أو مثل الشام أو مثل إفريقية أو مثل الأندلس ويكون عسكره عشرة آلاف فارس أو نحوها فإن زاد بلادا أو عددا في الجيش كان أعظم في السلطنة وجاز أن يطلق عليه السلطان الأعظم فإن خطب له في مثل مصر والشام والجزيرة ومثل خراسان وعراق العجم وفارس ومثل إفريقية والمغرب الأوسط والأندلس كان تسميته سلطان السلاطين كالسلجوقية

ذكر ما يلقب به ملك مصر

قال الكندي قال الله تعالى حكاية عن إخوة يوسف يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر فيحكى أن اسم ملكها العزيز وذكر جماعة من المفسرين أن فرعون لقب لكل من ولي مصر ولعل هذا خاص بملوك القبط

ذكر جلوس السلطان في دار العدل للمظالم

قال ابن فضل الله إذا جلس السلطان للمظالم جلس عن يمينه قضاة القضاة من المذاهب الأربعة ثم الوكيل عن بيت المال ثم الناظر في الحسبة ويجلس عن يساره كاتب السر وقدامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين تكملة حلقة دائرة وإن كان

ثم

ثم وزير من أرباب الأقلام كان بينه وبين كاتب السر وإن كان الوزير من أرباب السيوف كان واقفا على بعد مع بقية أرباب الوظائف ويقف من وراء السلطان صفان عن يمينه ويساره من السلاح دارية والجمدارية والخاصكية ويجلس على بعد نحو من خمسة عشر ذراعا عن يمنة ويسرة ذوو السن من أكابر أمراء المئين وهم أمراء المشورة ويليهم من دونهم من أكابر الأمراء وأرباب الوظائف ويقف بقية الأمراء وقوفا من وراء أمراء المشورة ويقف من وراء هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحجاب والدوادارية لإحضار قصص الناس وإحضار المساكين وتقرأ عليه فما احتاج إلى مراجعة القضاة راجعهم فيه وما كان يتعلق بالعسكر تحدث مع الحاجب وكاتب السر فيه قال وهذا الجلوس يكون يوم الاثنين ويوم الخميس إلا أن القضاة وكاتب السر لا يحضرون يوم الخميس قال ومن عادته إذا ركب يوم العيدين ويوم دخول المدينة يركب وعلى رأسه العصائب السلطانية وهي صفر مطرزة بذهب بألقابه واسمه ويرفع المظلة على رأسه وهي قبة مغشاة بأطلس أصفر مزركش عليها طائر من فضة مذهبة يحملها بعض أمراء المئين الأكابر وهو راكب فرسه وإلى جانبه وأمامه الطبردارية مشاة وبأيديهم الأطبار قلت العصائب المذكورة حرام وقد بطلت الآن والحمد لله

ذكر عساكر مملكة مصر

قال ابن فضل الله في المسالك وأما عساكر هذه المملكة فمنهم من هو بحضرة السلطان ومنهم متفرق في أقطار المملكة وبلادها ومنهم سكان بادية كالعرب والتركمان وجندها مختلط من أتراك وجركس وروم وأكراد وتركمان وغالبهم من المماليك المبتاعين وهم طبقات أكابرهم من له إمرة مائة فارس وتقدمة ألف فارس ومن هذا القبيل يكون أكابر النواب وربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين ثم أمراء الطبلخانات ومعظمهم من يكون له إمرة أربعين فارسا وقد يزيد إلى السبعين ولا يكون الطبلخانات لأقل من أربعين ثم إمرة العشرات ومنهم من يكون له عشرون فارسا ولا يعد إلا في أمراء العشرات ثم جند الحلقة وهؤلاء لكل أربعين نفرا منهم مقدم ليس له حكم عليهم إلا إذا خرج

العسكر كانت مرافقتهم معه وترتيبهم في موقفهم اليه ويبلغ بعض اقطاع
بعض اكابر الامراء المميزين المقربين من السلطان ما بين الف دينار جيشية واما
غيرهم فدون ذلك ودونه ودونه الى ثمانين الف دينار وما حولها واما العشرا
فمنهم من يبلغ سبعة الاف دينار الى ما دون ذلك و اما اقطاعات جند الحلقة
فمنه ما يبلغ الفا وخمسماية دينار وما دون ذلك الى ما بين وخمسين دينارًا
و اما اقطاعات امراء الشام فعلى الثلثين من مصر

ذكر ارباب الوظايف في هذه المملكة

قال ابن فضل الله الوظايف الكبار من ذوي السيوف امرة سلاح الدوادارية
الحجوبية امرة جاندار الاستادارية المهمنداريه نقابة الجيوش ومن ذوي
الاقلام الوزارة كتابة السر نظر الجيش نظر الاموال نظر الخزانة نظر البيوت
نظر بيت المال نظر الاصطبلات ومن ذوي العلم القضاة الخطبا وكالة بيت المال
الحسبة قال وكانت وظيفة تسمى نيابة السلطان ابطلها الملك الناصر محمد
ابن قلاوون وكان النايب او لا سلطانا مختصرا وكان هو الذي يفرق الاقطا
عات ويعين الامرة والوظايف ويتصرف التصرف المطلق في كل امر الا في ولاية
المناصب الجليلة كالقضا والوزارة وكتابة السر لاكن يعرض هو على السلطان
من يصلح وفلان لا يجاب وكان يسمى كافل الممالك والسلطان الثاني واما
الوزارة فكان يليها من ارباب السيوف والاقلام على قدر ما يتفق وكان
الوزير ثاني النايب في المكانة قال ومذ ابطل الناصر الوزارة ايضا واستقل
هو بما كان يفعله النايب والوزير واستجد وظيفة يسمى مباشرها ناظر
الخاص اصل موضوعها ان يكون مباشرها متحدثا فيما هو خاص بمال السلطان
يتحدث في مجموع الامر في الخاص بنفسه وفي العام باخذ رايه فيه فبقي
بسبب ذلك كانه الوزير لقربه من السلطان و اول من ولي هذه الوظيفة
كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله بن السديد واول امرة سلاح فموضوعها
ان صاحبها مقدم السلاح دارية والمتولي لحمل سلاح السلطان في المجامع
الجامعة وهو المتحدث في السلاح خاناه وتعلقاتها وهو من امراء المئين

والدوادارية

والدوادارية موضوعها ان صاحبها يبلغ الرسايل عن السلطان ويقدم القصص
اليه ويشاور وعلى من يحضر الى الباب ويقدم البريد اذا احضروا يأخذ خط السلطان
على عموم المناشير والتواقيع والكتب والحجوبية موضوعها ان صاحبها ينصف
من الامراء والجند وهو المشار اليه في الباب والقايم مقام النواب في كثير من
الامور وامرة جاندار صاحبها كالمتسلم للباب وهو المتسلم للزردخاناه
ومن اراد السلطان قتله كان صاحب هذه الوظيفة هو الذي يباشر ذلك
والاستادارية صاحبها اليه امر بيوت السلطان كلها من المطابخ والنفقات
والكساوي وما يجري مجرى ذلك وهو من امراء المئين ونقابة الجيش صاحبها
كاحد الحجاب الصغار وله تحلية الجند في عرضهم واذا امر السلطان باحضار
احد او الترسيم عليه فهو صاحب ذلك والولاية صاحبها هو صاحب الشر
طة واما الوزارة فصاحبها ثاني السلطان اذا انصف وعرف حقه ولكن في هذه
المدد تقدمت عليها النيابة وتاخرت الوزارة وتقهقرت فصار المتحدث فيها
كناظر المال لا يتعدى الحديث في المال ثم ان السلطان ابطل هذه الوظيفة من
وعطل جيد الدولة من عقودها وصار ما كان الى الوزير منقسما الى ثلاثة
الى ناظر المال او شاد الدواوين امر تحصيل المال وصرف النفقات والكلف والى
ناظر الخاص فيه جملة الامور وتعيين المباشرين والى كاتب السر التوقيع في
دار العدل مما كان يوقع فيه الوزير بمشاورة واستقلالا ومن وظيفة كاتب السر
قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة اجوبتها والجلوس لقراءة القصص
بدار العدل والتوقيع عليها وتصريف المراسيم ورودًا وصدورًا واما نظر الجيش
فلصاحبه النظر في الاقطاعات ومعه من المستوفين ما يحرر كليات المملكة وجز
ياتها واما نظر الخزانة فكانت وظيفة كبيرة الوضع لانها مستودع اموال
المملكة فلما استحدثت وظيفة الخاص ضعف امرها وغالب ما يكون ناظرها
من القضاة او نحوهم واما نظر البيوت فمنوط بالاستادارية فكلما يتحدث به
الاستادار يشاركه فيه واما نظر بيت المال فالتصرف فيه تارة بالميزان وتارة
التسبيب بالاقلام ولا يلي هذه الوظيفة الا من هو من ذوي العدالة المبرزة

واما نظر الاصطبلات فلصاحبه الحديث في انواع الاصطبل والمناخات وعلفها
وارزاق خدمها وما يبتاع لها واما وظايف اهل العلم فمعروفة مشهورة
لا تخلو مملكة من ممالك الاسلام منها هذا كله كلام ابن فضل الله وذكر في
التاريخ ان الخليفة المقتفي بالله نقل المظفر بن جهير من الاستادارية الى
الوزر في سنة خمس وثلاثين وخمسماية قال بعضهم وذلك اول ما سمع بهذه
الوظيفة الاستادارية في الدول وقال بعض المورخين لما تولى الظاهر بيبرس
احب ان يسلك في ملكه بالديار المصرية طريقة جنكزجان ملك التتار وامور
فجعل ما امكنه ورتب في سلطنته اشياء كثيرة لم تكن قبله بديار مصر مثل
ضرب البوقات وتجديد الوظايف فاحدث امير سلاح وامير مجلس وراس نوبة
الامراء وامير اخور وحاجب الحجاب والدوادار والجمدار وامير شكار وموضوع
امير سلاح انه يتحدث في السلاح دارية ويناول السلطان الة الحرب
والسلاح يوم القتال ويوم الاضحى ولم تكن رتبته في زمن الظاهر ان يجلس في
ميسرة السلطان انما كان يجلس في هذا الموضع الاتابك ثم في زمن الناصر بن
قلاوون كان يجلس فيه راس نوبة الامراء وموضوع امير مجلس انه يحرس
مجلس السلطان وفرشه ويتحدث على الاطبا والكحالين ونحوهم وكانت وظيفة
جليلة اكبر قدرا من امير سلاح وراس نوبة الامراء وظيفة عظيمة عند
التتار ولما احدثها الظاهر بمملكة مصر كان صاحبها يسمى راس نوبة الامرا
ومعناه اكبر طايفة الامراء وهذا اكبر من امير مجلس وامير سلاح وهو في
مرتبة الامير الكبير الان ولم يكن احد يسمى بالامير الكبير اذ ذاك الى ان ولي
هذه الوظيفة شيخو العمري في زمن السلطان حسن فلقب بالامير الكبير
زيادة على التلقيب براس نوبة الامراء وهو اول من لقب بالامير الكبير كما ذكر
وموضوع امير اخور النظر في علوفة الخيل والاخورية والجمجمدار الذي يا كل
فيه الفرس والحاجب كان في الزمن الاول من ايام الخلفاء للذي يحجب الناس عند
الدخول على الخليفة وكان حاجب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم عظمت
الحجوبية في ايام الناصر قلاوون والدوادار كان في زمن الخلفاء ايضا وهو الذي

يحمل الدواة ويحفظها ومعناه ماسك الدواة وهو اول من احدث هذه الوظيفة
الملوك السلجوقية وكانت في زمنهم وزمن الخلفاء لرجل متعمم ثم صارت في زمن
الظاهر لامير عشرة والجمدار ماسك البقجة التي للقماش

في ذكر قضاة مصر

قال ابن عبد الحكم اول قاض استقضي بمصر في الاسلام كما ذكر سعيد بن عفير
قيس بن ابي العاص سنة اربع وعشرين فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العا
ص ان يستقضي كعب بن يسار بن ضنة قال ابن ابي مريم وهو ابن بنت خالد بن
سنان العبسي الذي تنبا في الفترة بين عيسى بن مريم وبين رسول الله صلى — سنان العبسي الذي تنبا في الفترة
الله عليه وسلم فابى كعب ان يقبل القضا وقال قضيت في الجاهلية ولا اعود اليه
في الاسلام حدثنا سعيد بن عفير حدثنا ابن لهيعة قال كان قيس بن ابي
العاص بمصر ولاه عمرو بن العاص وقد قيل ان اول من استقضي بمصر كعب بن ضنة
بكتاب عمر بن الخطاب فلم يقبل حدثنا المقري عبد الله بن يزيد انبانا حيوة
ابن شريح انبانا الضحاك بن شرحبيل الغافقي ان عمار بن سعد التجيبي اخبرهم
ان عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بن العاص ان يجعل كعب بن ضنة على القضا فارسل اليه
عمرو فاقراه كتاب امير المومنين فقال كعب والله لا ينجيه الله من امر الجاهلية
وما كان فيها من الهلكة ثم يعود فيها ابدا اذ انجاه الله منها فابى ان يقبل
القضا وولى عمرو بن العاص عثمان بن قيس بن ابي العاص القضا وقد كان عمر بن
الخطاب كتب الى عمرو بن العاص ان يعوض لمن في الشرف فارود عمرو خالد بن
ثابت الفهمي ليجعله على المكس فاستعفاه منه فكان شرحبيل بن حسنة على المكس — صاحب المكس شرحبيل
وكان مسلمة بن مخلد على الطواحين الى العشر واقام عثمان على القضا الى ان صرف سنة
اثنتين واربعين ثم ولى سليم بن عتر التجيبي على القضا في ايام معاوية بن ابي
سفيان وجعل اليه القصص والقضا جميعا حدثنا عبد الله بن يزيد المقري
حدثنا حيوة بن شريح حدثنا الحجاج بن شداد الصنعاني ان ابا صالح السعيد
ابن عبد الرحمن الغفاري اخبره ان سليم بن عتر كان يقص على الناس وهو قايم
فقال له صلة بن الحارث الغفاري وهو من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

والله ما تركنا عهد نبينا ولا قطعنا ارحامنا حتى فتنت انت واصحابك بين اظهرنا
وكان سليم بن عتر احد العباد المجتهدين وكان يقوم في ليله فيبتدي القران
حتى يختمه ثم ياتي اهله ثم يقوم فيغتسل ثم يقرا فيختمه ثم ياتي اهله
وربما فعل ذلك في الليل مرات فلما مات قالت امراته رحمه الله والله لقد كنت
ترضي ربك وترضي اهلك ثم لما ولي مسلمة بن مخلد البلد ولي السايب بن
هشام بن عمرو احد بني مالك بن شرحبيل شرطه وكان هشام بن عمرو احد
الفقراء الذين قاموا في نقض الصحيفة التي كانت في قريش كتبت وكان عمرو بن
العاصي ولي السايب بن هشام شرطه بعد خارجة بن حذافة وكان ايضا ولي
شرطه عبد الله بن سعد بن ابي سرح ثم عزل مسلمة السايب وولي عابس
ابن سعيد المرادي الشرطة ثم جمع له القضا مع الشرطة وسبب ذلك ان معاوية
كتب الى مسلمة يامره بالبيعة ليزيد فاتى مسلمة الكتاب وهو بالاسكند
رية فكتب الى السايب بذلك فبايع الناس الا عبد الله بن عمرو بن العاصي
فاعاد عليه مسلمة الكتاب فلم يفعل فقال مسلمة من لعبد الله بن عمرو
فقال عابس بن سعيد انا فقدم الفسطاط فبعث الى عبد الله بن عمرو
فلم ياته فدنا بالنار والحطب ليحرق عليه قصره فاتى فبايع واستمر
عابس على القضا حتى دخل مروان بن الحكم مصر في سنة خمس وستين فقال
اين قاضيكم فدعي له عابس وكان اميا لا يكتب فقال له مروان اجمعت كتاب الله
قال لا قال فاحكمت الفرايض قال لا قال فبم تقضي قال اقضي بما علمت واسال عما
جهلته قال انت القاضي فلم يزل عابس على القضا الى ان توفي في سنة احدى وثمانين
فولي عبد العزيز بن مروان بشير بن النضر المزني القضا ثم ولي عبد الرحمن
ابن حجيرة الخولاني وجمع له القضا والقصص وبيت المال فكان ياخذ رزقه من
السنة الف دينار على القضا فلم يكن يحل عليه الحول وعنده ما تجب فيه الزكاة
فلم يزل على القضا حتى مات سنة ثلاث وثمانين فيقال بل ولي في سنة ثلاث
وثمانين ومات في سنة خمس وثمانين ثم ولي القضا مالك بن شرحبيل الخولاني
فلم يزل حتى مات فولي من بعده يونس بن عطية الحضرمي وجمع له القضا والشرطة

عابس تولى القضا وكان اميا لا يكتب
وذلك في زمان مروان بن الحكم

فلم يزل حتى مات فولي بعده ابن اخيه اوس ثم ولي عبد الرحمن بن معاوية بن
حديج الكندي وجمع له القضا والشرطة فتوفي عبد العزيز بن مروان وولي بعده
عبد الله بن عبد الملك فاراد عزل ابن حديج فاستحيى من عزله من غير شي ولم يجد
عليه مقالا ولا متعلقا فولاه مرابطة الاسكندرية وولي عمران بن عبد الرحمن
ابن شرحبيل بن حسنة القضا والشرطة فلم يزل الى ان غضب عليه عبد الله بن
عبد الملك فعزله وولي عبد الاعلا بن خالد بن ثابت الفهمي مكانه ثم اتى عبد
الله بن عبد الملك العزل وولي قرة بن شريك العبسي الامرة فعزل عبد الاعلا
وولي عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة ثم عزل في سنة ثلاث وتسعين وولي
عياض بن عبد الله الازدي ثم صرف في سنة ثمان وتسعين واعيد ابن حجيرة
ثم صرف واعيد فلم يزل الى سنة ماية ثم صرف وولي عبد الله بن حذامر
ثم صرف سنة اثنتين وماية وولي يحيى بن ميمون الحضرمي فاقام الى سنة
اربع عشرة وماية ثم صرف ولم يكن بالمحمود في ولايته ثم ولي يزيد بن
عبد الله بن حذامر ثم صرف وولي الحمار بن خالد المدلجي فاقام نحو سنة
ومات سنة خمس عشرة وماية وكان محمود جميل المذهب ثم ولي قريد بن
نمير الحضرمي فاقام ما شاء الله ثم استعفى فقيل فاشر علينا برجل نوليه
فقال خير بن النعيم الحضرمي فولي خير سنة احدى وعشرين وماية وولي
عبد الرحمن بن سالم بن ابي سالم الجيشاني فلم يزل الى ولاية بني العباس
سنة ثلاث وثلاثين وماية فصرف عن القضا واستعمل على الخراج ورد خير بن
النعيم فلم يزل حتى عزل نفسه في سنة خمس وثلاثين وذلك ان رجلا من الجند
قذف رجلا فخاصمه اليه وثبت عليه شاهدا واحدا فامر بحبس الجندي الى
ان يثبت الرجل شاهدا اخر فارسل ابو عون عبد الملك بن يزيد فاخرجه
الجندي من الحبس فاعتزل خير وجلس في بيته وترك الحكم فارسل اليه ابو عون
فقال لا حتى ترد الجندي الى مكانه فلم يرده وتم على عزمه فقالوا له فاشر
علينا برجل نوليه فقال كاتبي غوث بن سليمان فولي غوث بن سليمان الحضرمي
فلم يزل حتى خرج مع صالح بن علي الى الصايفة ثم ولي ابو خزاعة ابراهيم

ابن يزيد الجمحي يقول ذلك ان ابا عون ويقال صالح بن علي شاور في رجل يوليه القضا
فاشير عليه بثلاثة نفر حيوة بن شريح وابو خزيمة وعبد الله بن عياش بن
القتباني وكان ابو خزيمة يومئذ بالاسكندرية فاشخص فاتي بهم اليه فكان
اول من نوظر حيوة بن شريح فامتنع فدعي له بالسياف والنطع فلما راى ذلك
حيوة اخرج مفتاحا كان معه فقال هذا مفتاح بيتي وقد اشتقت الى لقاء
ربي فلما راوا عزمه تركوه فقال لهم حيوة لا تظهروا ما كان في لاصحابي
فيفعلوا مثل ما فعلت ثم دعي بابي خزيمة فعرض عليه القضا فامتنع فدعي
له بالسياف والنطع فضعف قلبه ولم يحتمل ذلك فاجاب الى القبول فاستقضي
وكان ابو خزيمة يعمل الارسان ويبيعها قبل ان يلي القضا فمر رجل من اهل
الاسكندرية وهو في مجلس الحكم فقال لاختبرن ابا خزيمة فوقف عليه
فقال له يا ابا خزيمة احتجت الى رسن لفرسي فقام ابو خزيمة الى منزله ف
فاخرج له رسنا فباعه منه ثم جلس وكان ابو حرشة المرادي صديقا لابي
خزيمة فمر به يوما فسلم عليه فلم ير منه ما كان يعرف وكان قد خوصم
في جدار فاشتد ذلك على ابي حرشة فشكاه الى بعض قرابته فقال ما كان
ذلك الا اني خصمك خفت ان يرى سلامي عليك فيكسر ذلك عن بعض حجته فقال
ابو حرشة فاني اشهدك ان الجدار له ثم استعفى ابو خزيمة فاعفي وولي
مكانه عبد الله بن بلال الحضرمي وقال انما هو غوث الذي كان استخلف حين
شخص غوث الى امير المومنين ابي جعفر ثم قدم غوث فاقره خليفة له يحكم
الناس حتى مات عبد الله بن بلال قال يحيى بن بكير لم يزل ابو خزيمة على
القضا حتى قدم غوث من الصائفة فعزل ابو خزيمة ورد غوث ثم ان غوثا
شخص الى العراق فاعيد ابو خزيمة الى القضا فلم يزل حتى توفي سنة اربع
وخمسين ومائة و كان ابو خديج اذ ذاك بالعراق قال فدخلت على امير المو
منين ابي جعفر فقال يا ابن خديج لقد توفي ببلدك رجل اصيبت به العامة فقلت
يا امير المومنين ذاك ابو خزيمة قال نعم ثم ولي مكانه ابن لهيعة واجرى عليه
في كل شهر ثلاثين دينارا وهو اول قضاة مصر اجري عليه ذلك واول قاض

استقضاء

ابن لهيعة

استقضاء بها خليفة وانما كانوا ولاة البلد هم الذين يولون القضاة فلم يزل
قاضيا حتى صرف سنة اربع وستين وولي اسماعيل بن اليسع الكوفي وعزل سنة
سبع وستين وكان محمودا عند اهل البلد الا انه كان يذهب الى قول ابي حنيفة
ولم يكن اهل البلد يومئذ يعرفونه قال ابن عبد الحكم حدثنا ابي قال كتب فيه
الليث بن سعد الى امير المومنين يا امير المومنين انك وليتنا رجلا يكيد سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا مع انا ما علمنا في الدينار والدرهم
الا خيرا فكتب بعزله ورد غوث بن سليمان على القضا فاقام حتى توفي في جمادى
الاخرة سنة ثمان وستين ومائة حدثنا ابو رجا حماد بن مسعود قال
قدمت امراة من الريف فرات غوثا راكبا الى المسجد فشكت اليه امرها فنزل عن
دابته وكتب لها بحاجتها ثم ركب الى المسجد فانصرفت المراة وهي تقول اصابت
والله امك حين سمتك غوثا انت غوث عند اسمك وقيل انه اول قاض كتب
الاهل مع الشهود وقيل بل ابن لهيعة فلما مات غوث ولي المفضل بن فضالة بن
عبيد القتباني ثم عزل سنة تسع وتسعين وهو اول القضاة بمصر طول الكتب
وكان احد فضلاء الناس وخيارهم ثم ولي ابو طاهر الاعرج عبد الملك بن محمد
ابن ابي بكر بن حزم الانصاري وكان محمودا في ولايته ثم استعفى فاعفي
قالوا فاشر علينا برجل فاشار بالمفضل بن فضالة فولي المفضل فاقام الى صفر
سنة سبع وسبعين وعزل وولي محمد بن مسروق الكندي من اهل الكوفة ولم
يكن بالمحمود في ولايته وكان فيه عتو وتجبر فلم يزل الى سنة اربع وثمانين
فخرج الى العراق فعزل في صفر سنة خمس وثمانين وولي عبد الله بن المجبر بن
عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب وهو اول من دون اسماء الشهود فاقام الى ان عزل
في جمادى الاولى سنة اربع وتسعين وولي قاسم بن هاشم بن ابي بكر البكري
من ولد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يذهب مذهب ابي حنيفة فاقام
الى ان توفي اول يوم من المحرم سنة ست وتسعين ثم ولي ابراهيم بن البكاء و
لاء جابر بن الاشعث وجابر يومئذ والي البلد فاقام الى ان صرف جابر في سنة
ست وتسعين وولي مكانه عباد بن محمد فعزل به البكا وولي لهيعة بن عيسى

فاقام حتى توفي في ذي القعدة سنة اربع ومائتين فولي السري بن الحكم بعد
مشاورة اهل البلد ابراهيم بن اسحاق القارئ حليف بني زهرة وجمع له القضا
والقصص وكان له رجل صالح ثم استعفى بشيء انكره فاعفي وولي مكانه ابراهيم
ابن الجراح وكان يذهب الى قول ابي حنيفة ولم يكن بالمذموم في ولايته حتى
قدم عليه ابنه من العراق فتغيرت حالته وفسدت احكامه فلم يزل الى سنة
اثنتي عشرة ومائتين فدخل عليه عبد الله بن طاهر البلد فعزله وولي عيسى
ابن المنكدر بن محمد بن المنكدر وخرج ابراهيم بن الجراح الى العراق فمات هناك
واجرى عبد الله بن طاهر على عيسى بن المنكدر اربعة الاف درهم في الشهر
وهو اول قاض اجرى عليه ذلك واجازه بالف دينار فلما قدم المعتصم مصر في
سنة اربع عشرة ومائتين كلمه فيه ابن ابي داود فامر بوقفه عن الحكم ثم
اشخص بعد ذلك الى العراق فمات هناك وبقيت مصر بلا قاض و قدم المامون
الخليفة مصر في محرم سنة سبع عشرة وولي القضا يحيى بن اكثم فحكم بها
ثلاثة ايام وخرج المامون الى سخا واصلح احوالها وتوجه الى الاسكندرية
وعاد الى مصر وخرج منها في الخامس من صفر وجعل القضا بمصر الى هارون
ابن عبد الله الزهري المالكي فقلده ذلك وهو بالشام فقدم في رمضان سنة
تسع عشرة ومائتين وكان محمودا عفيفا محببا في اهل البلد فاقام الى ربيع الاول
سنة ست وعشرين فكتب اليه ان يمسك عن الحكم وقد كان نقل مكانه علي
ابن ابي داود وقدم ابو الوزير واليا على خراج مصر وقدم معه بكتاب ولاية
محمد بن ابي الليث الاصم فلم يزل قاضيا الى شعبان سنة خمس وثلاثين ومائتين
فعزل وحبس وبقيت مصر بلا قاض حتى ولي الحارث بن مسكين في جمادى الاولى
سنة سبع وثلاثين ثم صرف في ربيع الاخر سنة خمس واربعين وولي دحيم بن
اليتيم عبد الرحمن بن ابراهيم بن اليتيم الدمشقي جباية وولاية بالرملة فتوفي
قبل ان يصل الى مصر في العام المذكور وولي بعده بكار بن قتيبة من اهل
البصرة من ولد ابي بكرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل البلد في
جمادى الاخرة فاقام قاضيا واحمد بن طولون يصله في كل سنة بالف دينار

ثم ان

ثم ان طولون بلغه ان الموفق خرج عن طاعة اخيه المعتمد وكان المعتمد ولي
عهد اخيه فاراد ابن طولون خلع الموفق من ولاية العهد فوافقه فقهاء مصر
وخالفه القاضي بكار فحبسه احمد بن طولون وذلك في سنة سبع وخمسين
ومائتين ورتب في الحكم عوضا عنه وهو كالخليفة عنه محمد بن شاذان الجوهري
ومات بكار في ذي الحجة سنة سبعين ومائتين واقامت مصر بعد بكار بلا قاض
حتى ولي خمارويه بن احمد بن طولون ابا عبد الله محمد بن عبدة بن حرب القضا
سنة سبع وسبعين ومائتين فاقام الى سنة ثلاث وثمانين فالزمه منزله في
جمادى الاخرة وبقيت مصر بلا قاض حتى ولي ابو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي
فاقام ثمان سنين وعزل في صفر سنة اثنتين وتسعين واعيد ابن عبدة ثم صرف
في رجب من السنة وولي ابو مالك بن ابي حسين الصغير ثم ولي بعده ابو عبيد
علي بن الحسين بن حرب المعروف بابن حربويه في شعبان سنة ثلاث وتسعين
ثم عزل في سنة احدى وثلاثمائة قال ابن يونس في تاريخ مصر كان ابو عبيد
ابن حربويه شيئا عجبا ما راينا قبله ولا بعده مثله وكان اخر قاض يركب اليه
امراء مصر وكان لا يقوم للامير اذا اتاه ثم ارسل موقعه للامام ابي بكر بن
الحداد الى بغداد سنة احدى وثلاثمائة في طلب اعفائه عن القضا فاعفي
انتهى هذا ما ذكره ابن عبد الحكم وولي مكانه ابو الذكر محمد بن يحيى بن
الاسواني خلافة لابي يحيى عبد الله بن ابراهيم بن مكتوم الى ان صرف سنة
اثنتين وثلاثمائة وولي ابو علي عبد الرحمن بن اسحاق بن محمد بن معمر السدوسي
وصرف في ربيع الاخرة سنة اربع عشرة وولي ابو عثمان احمد بن ابراهيم بن
حماد وصرف في ذي الحجة سنة ست عشرة وولي ابو محمد عبد الله بن احمد بن
ربيعة بن سليمان الربعي الدمشقي وصرف في جمادى الاخرة سنة سبع عشرة
واعيد ابو عثمان بن حماد وصرف في ربيع الاخرة سنة عشرين واعيد الربعي
وصرف في صفر سنة احدى وعشرين وولي ابو هاشم اسماعيل بن عبد الواحد
الربعي المقدسي الشافعي وصرف في ربيع الاخر من السنة وولي ابو جعفر احمد بن
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وصرف في رمضان سنة اثنتين وعشرين

اخر قاضي يركب اليه الامرا بمصر وكان لا يقوم للامير اذا اتاه

وولي ابو عبد الله بن موسى بن اسحاق السرخسي ثم ولي ابو بكر بن الحداد
الامام المشهور صاحب المولدات بامر امير مصر في ربيع الاول سنة اربع وعشرين
فباشر مدة لطيفة ثم ولي محمد بن بدر مولى ابن حكيمة خلافة لمحمد بن
الحسن بن ابي الشوارب الى ان مات سنة ثلاثين وولي ابو محمد عبد الله
ابن احمد بن شعيب بن الفضل بن مالك بن دينار يعرف بابن اخت وليد وصرف
سنة اثنتين وثلاثين واعيد ابن الحداد وولي بعده عبد العزيز بن الحسن بن
عبد العزيز بن العباس الهاشمي خليفة لاخيه ثم صرف في ذي الحجة سنة
ثلاث وثلاثين وولي ابو بكر عبد الله بن محمد الخصيبي الشافعي سنة اربعين
فاقام الى ان مات في المحرم سنة ثمان واربعين وولي بعده ابنه محمد فاقام مدة
شهرا واحدا ثم اعتل ومات سادس ربيع الاول من عامه فولي كافور بعده
ابا الطاهر محمد بن احمد بن عبد الله البغدادي الذهلي المالكي فاقام نصف
عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة الى ان قامت الدولة العبيدية في القاهرة
وقدم المعز ومعه قاضيه ابو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور القيرواني
فاجتمع ابو الطاهر بالمعز ما يجب به واقره على ولايته واقام النعمان في مصر
لا ينظر في شيء. ثم ان ابا الطاهر استعفى قبل موته بيسير فاعفي وذلك
في صفر سنة ست وستين وولي بعده ابو الحسن علي بن النعمان وكان شيعيا
عاليا وشاعرا مجيدا فاقام الى ان مات في رجب سنة اربع وسبعين وهو اول
من نعت بقاضي القضاة في مصر ولم يكن يدعى بذلك الا ببغداد وولي بعده
اخوه ابو عبد الله محمد وكان شيعيا ايضا قال ابن زولاق ولم نشاهد بمصر
لقاض من الرياسة ما شاهدناه له ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق ووافق ذلك
استحقاقا لما فيه من العلم والصيانة والهيبة واقامة الحق وقد ارتفعت رتبته
ان العزيز اجلسه معه يوم العيد على المنبر وزادت عظمته في دولة الحاكم الى
ان مات في صفر سنة ثمان وتسعين وولي بعده مالك بن سعيد الفارقي ثم صرف
في ربيع الاخر سنة خمس واربعمائة وولي ابو العباس احمد بن محمد بن عبد
الله بن ابي العوام الى ان مات سنة ثمان عشرة واربعمائة وولي ابو محمد

قاسم

قاسم بن عبد العزيز بن النعمان ثم صرف في رجب سنة تسع عشرة واربعما
ية وولي ابو الفتح عبد الحاكم بن سعيد الفارقي ثم صرف في ذي القعدة
سنة تسع وعشرين واعيد ابو محمد قاسم بن عبد العزيز بن النعمان ولقب
بقاضي القضاة وداعي الدعاة وثقة الدولة وامين الامراء وشرف الحكام واستخلف
عنه القاضي يحيى الشهاب فاقام ثلاث عشرة سنة ثم عزل في المحرم سنة
احدى واربعين واعيد قاسم ثم صرف من عامه وولي مكانه ابو محمد الحسن
ابن علي بن عبد الرحمن اليازوري ثم اضيف اليه الوزارة ايضا وهو اول من جمع
بينهما ثم صرف عنهما في المحرم سنة خمسين وولي القضا ابو علي احمد بن
قاضي القضاة عبد الحاكم بن سعيد الفارقي ثم صرف في ذي القعدة من السنة
وولي ابو القاسم عبد الحاكم بن وهب بن عبد الرحمن المليجي ثم صرف في جمادى
الاخرة سنة اثنتين وخمسين وولي ابو عبد الله احمد بن محمد بن زكرياء بن
العوام الى ان مات في ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين واعيد ابو علي احمد بن عبد
الحاكم بن سعيد ثم صرف في رجب واعيد ابو القاسم عبد الحاكم بن وهب ثم
صرف في رمضان وولي ابو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد ثم صرف
في صفر سنة اربع وخمسين واعيد ابو القاسم عبد الحاكم بن وهب بن عبد
الرحمن ثم صرف في المحرم سنة خمس وخمسين واعيد ابو علي احمد بن عبد الحاكم
مضافا للوزارة ثم صرف في صفر وقيل في ذي الحجة وولي جلال الملك احمد بن
عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد مضافا للوزارة ثم صرف في المحرم سنة
ست وخمسين واعيد الحسن بن مجلي بن ابي كدينة ثم صرف في ربيع الاخر واعيد
ابو القاسم عبد الحاكم بن وهب ثم صرف في رمضان واعيد ابن كدينة ثم صرف
في ذي الحجة واعيد بن عبد الحاكم ثم صرف في نصف المحرم سنة سبع وخمسين
واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في السادس والعشرين منه واعيد جلال الملك
احمد بن عبد الكريم ثم صرف في جمادى الاولى واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف
في نصف رجب واعيد عبد الحاكم بن وهب ثم صرف واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف
في صفر سنة ثمان وخمسين واعيد جلال الملك ثم صرف واعيد ابن ابي كدينة

ثم صرف في المحرم سنة تسع وخمسين وولي عبد الحاكم المليجي ثم صرف في سابع
جمادى الاخرة واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في ذي القعدة واعيد جلال الملك
ثم صرف في ربيع الاول واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في جمادى الاولى واعيد
جلال الملك ثم صرف في رمضان واعيد المليجي ثم صرف في ذي الحجة واعيد
ابن ابي كدينة ثم صرف في صفر سنة احدى وستين واعيد المليجي ثم صرف بعد
يوم وولي خطير الملك بن قاضي القضاة الوزير اليازوري ثم صرف في شوال
واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في ذي القعدة واعيد المليجي ثم صرف
واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في صفر سنة ست وستين وولي ابو الفضل
محمد بن عبد الحاكم المليجي ثم ولي الحسن بن علي بن احمد الكرخي ثم صرف من
بعد شهر وولي ابو الطاهر محمد بن رجاء الى ان مات سنة ثلاث وتسعين
وولي ابو الفرج محمد بن جوهر بن ذكا النابلسي ثم صرف في ربيع الاول
سنة خمس وتسعين لكونه احدث في مجلس الحكم وولي حسين بن يوسف
ابن احمد الرصافي وولي ابو النجم بدر بن بدر الحراني ثم ولي ابو الفضل نعمة
ابن بشير النابلسي المعروف بالجليس ثم استعفى فاعفي سنة اربع من
وخمسماية وولي الرشيد ابو عبد الله محمد بن قاسم بن زيد الصقلي الى ان مات
فاعيد الجليس الى ان مات وولي ثقة الملك ابو الفتح مسلم بن علي الرسعني
سنة ثلاث عشرة وخمسماية قال ابن ميسرة في تاريخ مصر لما ولي الحكم رفع
الى الافضل انه قد اعتبرت ما في موقع الحكم من مال المواريث فكان يقارب ماية الف
دينار ورفعها الى بيت المال اولى من تركها في المودع وان لها سنين طويلة
لم يطلب شيء منها فوقع على رقعته انا قلدناك الحكم ولا راي لنا فيما لا نستحقه
فاتركه على حاله المستحقة ثم اتفق انه صلى اماما في مجلس صلاة الصبح وخلفه
الوزير المامون فقرا سورة والشمس وضحاها فارتج عليه وقرا ناقة الله وسقيا
ها بالنون فعزل عن القضا سنة ست عشرة وخمسماية وولي ابو الحجاج بن
ايوب المغربي الى ان مات سنة واحد وعشرين وولي ابو عبد الله محمد بن
هبة الله بن الميسر القيرواني ولقب القاضي الامير سناء الملك شرف الاحكام

قاضي القضاة عمدة امير المؤمنين قال في تاريخ مصر وهو الذي اخرج الفستق
الملبس بالحلوى ثم صرف في ربيع الاول سنة ست وعشرين وولي ابو الفخر صالح بن
عبد الله بن رجاء صرف في جمادى الاخرة وولي سراج الدين نجم بن جعفر الى ان
قتل في شوال سنة ثمان وعشرين واعيد ابن الميسر ثم صرف في المحرم سنة
واحد وثلاثين وولي الاعز ابو المكارم احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي عقيل
الى ان مات في شعبان سنة اثنتين وثلاثين واقام في الحكم ثلاثة اشهر ثم
اختير ابو العباس احمد بن الحطيئة فاشترط ان لا يحكم بمذهب الدولة فلم
يمكن من ذلك وولي فخر الامناء هبة الله بن حسين الانصاري يعرف بابن
الازرق في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ثم صرف في جمادى الاخرة
سنة اربع وثلاثين وولي ابو الطاهر اسماعيل بن سلامة الانصاري ثم صرف
في المحرم سنة ثلاث واربعين وولي ابو الفضائل يونس بن محمد بن حسن
المقدسي ثم صرف سنة سبع واربعين وولي عبد المحسن بن محمد بن مكرم
ثم صرف ثم ولي ابو النجم بدر بن غالي ثم ولي ابو المعالي مجلي بن جميع من
الشافعي صاحب الذخاير فاقام الى سنة تسع واربعين ثم صرف واعيد
ابو الفضائل يونس ثم صرف واعيد المفضل ابو القاسم جلال الدين بن هبة الله
ابن كامل بن عبد الكريم الصوري في شعبان ثم صرف في المحرم سنة ثمان
وخمسين واعيد ابو الفضائل يونس ثم صرف في ذي الحجة من السنة واعيد
ابن كامل ثم صرف في ربيع الاول سنة تسع وخمسين وولي الاعز ابو محمد الحسن
ابن علي بن سلامة المصري ثم صرف وولي ابو الفتح عبد الجبار بن اسماعيل بن عبد
القوي ثم صرف واعيد ابن كامل في ذي الحجة سنة خمس وستين فلما استولى
الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب على القاهرة وزيرا على العاضد ازال الدولة ال
بنو الشيعة وصرف ابن كامل وولي صدر الدين بن عبد الملك بن درباس الكردي الشا
فعي قضاء القضاة بالقاهرة وذلك في سنة ست وستين وخمسماية فاقام الى ان
صرف بعد وفاة صلاح الدين في ربيع الاول سنة تسعين في ايام العزيز وولي محيي
الدين محمد ابو حامد بن الشيخ شرف الدين بن عبد الله بن هبة الله بن ابي

عصرون ثم صرف في سنة واحد وتسعين وولي زين الدين علي بن يوسف بن
عبد الله بن بندار الدمشقي ثم عزل في جمادى الاولى من السنة واعيد ابن ابي
عصرون ثم عزل في محرم سنة اربع وتسعين واعيد صدر الدين ثم صرف في
جمادى الاولى سنة خمس وتسعين واعيد زين الدين بن بندار ولذلك لما انتزع
الملك الافضل علي بن السلطان صلاح الدين بن ايوب مملكة مصر من ابن اخيه الـ
المنصور محمد العزيز بن عثمان وكتب الصاحب ضياء الدين نصر الله بن الاثير الجزري
تقليدا هذه **صورته** رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي
وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين من
السنة ان تفتتح صدور التقليدات بدعاء يعم فضله ويكون وزانا للنعمة الشا
ملة من قبله وخير الادعية ما اجراه الله على لسان نبي من انبيائه او رسول
من رسله وكذلك جعلنا من هذا التقليد الذي امضى الله قلمنا في كتابته
وصرف امرنا في اختياره بابه ثم صلينا على رسوله محمد الصادع بخطابه الـ
الساطع بشهابه الذي جعلت الملائكة من احزابه وضرب له المثل بقاب قوسين
في اقترابه وعلى اله وصحبه الذين منهم من خلفه في محرابه ومنهم من كملت
به عقدة الاربعين من اصحابه ومنهم من جعل الحياء من اثوابه ومنهم من
بشر انه من احباب الله واحبابه **اما بعد** فان منصب القضاء في المناصب
بمنزلة المصباح الذي به يستضاء او بمنزلة العين التي عليها تعتمد الاعضاء
وهو خير ما قمت به الدولة مسطور كتابها واجزلت به مدخور ثوابها
وجعلته بعد الاعقاب كلمة باقية في اعقابها وقد جعله الله ثاني النبوة
حكما ودانيها علما والقائم بتشييد شرعها ما دام الاسلام فيهما لا يستطيع
له الا الواحد الذي يعد حجر في مجلد واذا جاءت الدنيا باسرها جمعت على
انملة وقد اجلنا النظر مجتهدين وعولنا على توفيق الله معتضدين وقدمنا قبل
ذلك صلاة الاستخارة وهي سنة متبوعة وبركة في الاعمال موضوعة فلا جرم
انا ارشدنا في اثرها الى من صح الرشد فيه باشارة وقال الناس هذا الذي جاء
على فترة من وجود انظاره وهو انت ايها القاضي فلان مهد الله لجنبك وجعل لك

التوفيق

التوفيق من صحبك وانزل الحكمة على يدك ولسانك وقلبك وقد قلدناك هذا
المنصب بمدينة مصر واعمالها وهي مصر من الامصار بجمع وجودها واعيانا وقد
رسم بانه كرسي مملكته عزا وتبيانا وعظمة وسلطانا ولما قلدناك هو
علمنا انه سيعود وهو منك غض طري وان ولايته نيطت منك بكفو وهي
بك حرية وانت بها حري ممن طلبها من الناس فانها لم تكن عندك مطلوبة
ومن انتسب في وجاهته اليها فليست وجاهتك اليها منسوبة وما اردت
بها شيئا سوى تحمل الاثقال وبيع الراحة بالتعب في الاشغال وتعريض النفس
لضارة الضيم والحيف والوقوف على الصراط الذي هو ادق من الشعرة واحد
من السيف ولا كنك في خلال ذلك تشتري به الجنة بساعة من ساعاتك وانذاره
رعية مقام ربك فقد اوصدته لمراعاتك وليس في الاعمال الصالحة اقوم من
احياء من وضع في لحده او رد حق مطلقة الايام برده فاستخر الله تعلى وتول
ما وليناك بعزمة لا تنكب بها شافة ولا تاخذك في الله لومة لائم وهذا زمان
قد تلاشت فيه العلوم وعفت رسوم الشريعة حتى صارت كالرسوم
ومشت الامة المطيطاء وخدمها ابناء فارس والروم وانما انظر الى دين الله
وجده وقد خلق امره خلقا وتخطاه الناس من هو جدير بان يخطا واذن
الساعة بالاقتراب حتى كاد ان يستوي ما بين السابقة والوسطى والمض
لحفظه بعد تقلده بثقليه وفضله بفضلين ويوتيه الله من رحمته كفلين
وحوله ان يتقدم على السلف الصالح الذي كان كثير رشده حسنا هديه
وقصده وكان قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان اولئك لم يوتوا من
جهالة ولا خربوا من مقالة ولا حدث في زمانهم بدعة وكل بدعة ضلالة ونحن
نرجوا ان يكون ذلك الرجل الذي وزن بالناس فرجح وزنه وسبق القرون الاول
وان تاخر قرنه ولقد البسنا الله بك لباسا فضفاضا جديدا ويسرنا للعمل الذي
يكون محضا لا للعمل الذي يود لو ان بيننا وبينه امدا بعيدا واياك ثم
اياك ان تقف معنا موقف الاعتذار وما نخشى عليك الا الشيطان الناقد
للطبع في تقاليب الاطوار ولطالما اقام عابدا عن مقامه وغرى بامتساك

حبله ودلاء ولما كانت اضربنا عن وصيتك صفحا وتوسمنا أن صدرك قد
شرحه الله فلم نزده شرحا والذي تضمنه تقليد غيرك من الوصايا لم
يسعنا الا عن نقاب خطى الاقلام وقصر اقوالها عن المماثلة من مراتب اولي
التعليم وبين العلماء الاعلام ولا يفتقر الى ذلك الا من نقل منصب القضاء على
كاهله وقضى جهله بتخويفه عليه وفرق بين عالم امره وجاهله واما انتقاء
علم القضاء بعون منا فيك وهو من اداء نسك لا من غرائبك لاكنه عندنا اربع
من الوصايا لابد من الوقوف فيها على سنن التوقيف وابرازها الى الاسماع
في لباس التحذير والتخويف بالاولى منهن وهي المهم الذي زاغت عنه الابصار
وهلك من هلك فيه من الاحرار ولربما سمعت هذا القول فظننته بالتجوز
في مثله القايلون وليس كذلك بل هو نبا عظيم انتم عنه غافلون وسنقصه
عليك كما قصصناه اليك وذلك هو التسوية في الحكم بين اقوالك وافعالك والاخذ
من صديقك لعدوك ومن يمينك لشمالك وقد علمت انه لم تخل دولة من الدول من
قوم يعرفون بطيش اللحوم ويغترون بقرب السلطان وهو كل عليهم لا بد ومع
واذا ادعوا لمجلس الحكم حملهم البطر والاشر على الامتناع من مساواة الخصوم ولا
يفرق بين هولاء وبين ضعيف لا يرفع يدا ولا طرفا ولا يملك عدلا ولا صرفا
ونحن نبرا من مخالفة الدرجات في حكم العزيز الحكيم ونعوذ بالله اليهود الذين
نسخوا اية الرجم بما احدثوه من التحمية والتجميم وقد بسطنا يدك بسطا
ليس له انقباض ولا عليه اعتراض وانت القاضي الذي لا يكون اسمك منقوصا
فيقال فيه انك قاض واذا استقللت بهذه الوصية فانظر فيما يليها من امر
الوكلاء القائمين بمجلس الحكم الذين لا يرع احد منهم الا خليا او خادعا
حلوبا واذا اعتبرت احوالهم رجلا رجلا وجدتهم على الناس منصوبا ولا يتم لهم الا
في سر القضايا ونعيمها ولا ينجون في شيء منها الا بمخوا ما لتها وتوخيمها
فارحم الناس من هذه الطائفة المعروفة بنصب الحبالة التي تاكل اثراء ونحو
جهابي مخرج الجهالة وطهر منها مجلسك الذي ليس بمجلس ظلم وزور وانما
هو مجلس عدل وعدالة ومن العدل ان يخلى بين الخصوم حتى يكافح بعضهم

بعضا

بعضا والهوى في مثل هذا المقام لو رعي الرعاية لما يقضي وان كان بعضهم الحق
بحجته فكله الى عالم الاسرار واذا حكمت له بشيء من حق اخيه فلا تبال ان تقطع
له قطعة من النار وكذلك فانظر في الوصية المختصة بالشهداء فانهم قد تكاثرت
اعدادهم واهمل انتقادهم وصار منصب الشهادة يسال له وسواله من الحرام لامن
الجلالة واصبح وهو يورث عن الاباء والاولاد والوراثة في الاموال فالشاهد
دليل يمشي القضاء على منهاجه ويستقيم باستقامته ويعوج باعوجاجه
فاخرج كل من شانته منه شائبة او رابتك منه رايبة وعليك منهم بمن تخلق بخلق
الحياء والورع واخذ بالقول الذي على قبلها فاشهد او فدع واما الوصية
الرابعة فانها مقصورة على كاتب الحكم الذي اليه الاسداد والاصدار وهو
المهيمن على النقض والابرام وينبغي ان يكون عارفا على الحلي والرسوم والحدود
وان يكون فقيها في الشرع والمعاملات والدعاوي والبينات ومن ادنى صفاته
ان يكون قلمه سابق خطه واضحا واذا استكمل ذلك فلا يستصلح حتى يكون
العفاف شعاره والامانة دثاره والحفظ والعلم سوره وسواره وهذا الرجل اذا
خلوت به فاقض يده فيما يقول ويفعل واستقم اليه استقامة الواثق الذي لا
يخجل والله يخول لنا ذلك فيما بيننا من المراشد ويجعل اقوالنا ثمارا نافعة اذا كانت
الاقوال من الحصايد وبعد ان بوانك هذه المكانة وحملناك هذه الامانة فقد
راينا ان نجمع لك من تنفيذ الاحكام وحفظ اصولها وان لا نخليك من النظر في
دليلها ومدلولها فان الترك يوحش العلوم من معهود اماكنها ويذهب بها
من تحت ايدي خزاينها ومنصب التدريس كمنصب القضاء يشد من عضده ويكثر من
عدده فقوله بالمدرسة الفلانية عالما انك قد جمعت بين سبعين في ثواب وسلكت
فاستبد الى تحصيل الثواب وركبت اعز مكان وهو تنفيذ الحكم وجالست خير جليس
وهو الكتاب ونحن نوصيك بطلبة العلم وصيتين احداهما اعظم من الاخرى وكلتا
هما ينبغي ان تصرف اليهما من اهتمامك شطرا الاولى ان تتخذ لهم في اوقات الاشتغال
ويكون لهم كالرايض الذي يبسط لهم بساط الراحة ولا يكلفهم مشقة الكلال
والثانية ان تدر عليهم ارزاقهم ادرار المسامح وتنزلهم فيها على قدر الافهام

والفراخ وعند ذلك لا يعدم منهم ينبع في كل حين ويسرك في حالتيه من دنيا
ودين والله يتولاك فيما تنويه صالحة ويوفقك للعمل بها لان يكون في لبك
سائغة وقد فرضنا لك في بيت المال قسما طيبا مكسبة هنيا ما كله ومشربه
لا تعاقب غدا على كثيره وان حرست على فتيله ونقيره والمفروض في هذا المال
ينبغي ان يكون على قدر الكفاف على نسبة الاقدار ورب متخوض فيما شاءت
نفسه من مال الله ومال رسوله ليس له في الاخرة الا النار والدنيا حلوة
خضرة تلعب بذوي الالباب وعلاقاتها تتجدد بتجدد الايام فلا تنتهي بذ
الارب منها الا الى ارب ومن اراد الله به خيرا لم يسلك اليها ومن سلك كان
كمن استظل بظل شجرة ثم راح وتركها ونحن نخلص الضراعة والمسئلة في
السلامة من تبعاتها وان نوفق لدعي وكاية العدل والاحسان انه اجعلنا من
رعاتها و هذا التقليد ينبغي ان يقرا في المسجد الجامع بعد ان يجمع له
الناس على اختلاف المراتب ما بين الاباعد والاقارب والعواقب والنوائب
والاشايب وغير الاشايب ولكن قراءة الخطيب على منبره وليقل هذا ابوم رسم
بحبل صينه واعتصام بخصره ثم بعد ذلك انت ماخوذ بتصحيح مطاويه على
الايام واثباته في قلبك بالعلم الذي لا يمحى سطره اذا محيت سطور الافلاح
واعلم انا غدا واياك بين يدي الحكم العدل الذي يكف لديه الالسنة عن
خطابها وتستنطق الجوارح بالشهادة على اربابها ولا ينجو منه حينئذ الا
من اتى الله بقلب سليم واشفق من قول نبيه لا تامرن على اثنين ولا تولين على
مال يتيم والله ياخذ بناصية كل منا اليه ويخرجه من هذه الدنيا كفافا لا
له ولا عليه والسلام فولي عماد الدين بن عبد الرحمن بن عبد العلي بن السكري
مصنف الحواشي على الوسيط ثم صرف في المحرم سنة ثلاث عشرة وسبعماية
لانه طلب منه شيء من مال الايتام فامتنع قال القاضي تاج الدين بن السبكي
في الطبقات الكبرا وبلغني انه كان في زمانه رجل صالح يقال له الشيخ عبد
الرحمن النويري وكان كثير المكاشفات والحكم بها وكان القاضي عماد الدين بن
ينكر عليه فبلغ القاضي انه اكثر الحكم بالمكاشفات فعزله فقال النويري

عزلته

عزلته وذريته فكانت قال وبلغني عن الظهير الترمنتي شيخ ابن الرفعة
قال زرت قبر القاضي عماد الدين بعد موته بايام فوجدت عنده فقيرا فقال
لي يا فقيه يحشر العلماء وعلى راس كل واحد منهم لواء وهذا القاضي عماد
الدين من قهم وطلبته فلم اره وولي بعده شرف الدين بن محمد بن عبد السلام الا
سكندراني المعروف بابن عين الدولة قضاء القضاة بالقاهرة والوجه البحري
وتاج الدين بن عبد السلام الخراط مصر والوجه القبلي ثم صرف ابن الخراط
في شعبان سنة سبع عشرة وسبعماية وجمع العملان لابن عين الدولة ثم
صرف ابن عين الدولة عن مصر والوجه القبلي بالقاضي بدر الدين يوسف بن
الحسن السنجاري في ربيع الاخر سنة تسع وثلاثين وبقي قاضيا بالقاهرة
والوجه البحري فقط و في زمنه اتفقت الحكاية التي اتفقت في زمان
الامام محمد بن جرير الطبري وهو ان امراة كان زوجها فقالت ان كنت
تحبني فاحلف بطلاقي ثلاثا فامتنع فقالت لك تقول مثله في ذلك المجلس فحلف
فقالت له انت طالق ثلاثا قل كما قلت لك فامسك وترافعا الى ابن عين
الدولة فقال خذ بعقصتها وقل انت طالق ثلاثا ان طلقتك قال ابن السبكي
وكانهما ترافعا اليه في المجلس وكان بمصر مغنية تدعى عجيبة قد اولع بها
الملك الكامل فكانت تحضر اليه ليلا وتغنيه بالجنك على الدف في مجلس بحضرة
ابن شيخ الشيوخ وغيره ثم اتفقت قضية شهد فيها الكامل بن عين الدولة
فقال ابن عين الدولة السلطان يامر ولا يشهد فاعاد عليه القول فلما زاد الامر
وفهم السلطان انه لا يقبل شهادته قال انا اشهد اتقبلني ام لا فقال القاضي
لا اقبلك وكيف اقبلك وعجيبة تطلع اليك بجنكها كل ليلة وتنزل ثاني يوم
بكرة وهي تتمايل سكرا على ايدي الجواري وينزل ابن الشيخ من عندك احسن
ما نزلت فقال له السلطان فقال له السلطان يا كبواج وهي كلمة شتم بالفا
رسية فقال ما في الشرع كبواج اشهدوا علي اني قد عزلت نفسي ونهض ابن
الشيخ الى الملك الكامل وقال المصلحة اعادته لئلا يقال لاي شيء عزل القاضي
نفسه وتطير الاخبار الى بغداد ويشيع امر عجيبة ونهض الى القاضي

وتوضأ وعاد الى القضا ومن شعره //

// وليت القضا وليس القضا // لم يكن شيئا توليته //

// وقد ساقني للقضاء القضا // وما كنت قدما تمنيته //

واقام الى ان توفي في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وستماية وولي بعده قضاء القاهرة بدر الدين بن يوسف السنجاري وولي الشيخ عز الدين ابن عبد السلام قضاء مصر والوجه القبلي وكان قدم في هذه السنة من دمشق بسبب ان سلطانها الصالح اسماعيل استعان بالفرنج واعطاهم مدينة صيدا وقلعة الشقيف فانكر عليه الشيخ عز الدين وترك له الدعاء في الخطبة وساعده في ذلك الشيخ جمال الدين ابو عمرو بن الحاجب المالكي فغضب السلطان منهما فخرجا الى الديار المصرية فارسل السلطان الى الشيخ عز الدين وهو في الطريق قاصدا يتلطف به في العود الى دمشق فاجتمع به ولاينه وقال له ما نريد منك شيئا الا ان تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير فقال الشيخ يا مسكين ما ارضاه يقبل يدي فضلا عن ان اقبل يده يا قوم انتم في واد وانا في واد والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاكم به فلما وصل الى مصر تلقاه السلطان الصالح نجم الدين ايوب واكرمه وولاه قضاء مصر فاتفق ان استاددار فخر الدين بن عثمان بن شيخ الشيوخ وهو الذي كان اليه امر المملكة عمد الى مسجد بمصر فعمل على ظهره بناء طبلخاناه وبقيت تضرب هناك فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين حكم بهدم ذلك البناء واسقط فخر الدين وعزل نفسه من القضاء ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان وظن فخر الدين ان هذا الحكم لا يتاثر به في الخارج فاتفق ان جهز السلطان رسولا من عنده الى الخليفة المستعصم ببغداد فلما وصل الرسول الى الديوان ووقف بين يدي الخليفة وادى الرسالة خرج اليه رسالة هل سمعت هذه الرسالة من السلطان فقال لا ولكن حملنيها عن السلطان فخر الدين بن شيخ الشيوخ استاددار فقال الخليفة ان المذكور اسقطه ابن عبد السلام فنحن لا نقبل روايته فرجع الرسول الى السلطان حتى شافهه

بالرسالة

بالرسالة ثم عاد الى بغداد واداها فلما تولى الشيخ عز الدين القضا تصدى لبيع امراء الدولة من الاتراك وذكر انه لم يثبت عنده انهم احرار وان حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين فبلغهم ذلك فعظم الخطب عندهم واحتدم الامر والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعا ولا شراء ولا نكاحا وتعطلت مصالحهم لذلك وكان من جملتهم نايب السلطنة فاستشاط غضبا فاجتمعوا وارسلوا اليه فقال نعقد لكم مجلسا وننادي عليكم لبيت مال المسلمين فرفعوا الامر الى السلطان فبعث اليه فلم يرجع فارسل اليه نايب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه فانزعج النايب وقال كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الارض والله لاضربنه بسيفي هذا فركب بنفسه في جماعته وجاء الى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده فطرق الباب فخرج ولد الشيخ فراى من نايب السلطنة ما راى فعاد وشرح الحال لابيه فما اكترث لذلك وقال يا ولدي ابوك اقل ان يقتل في سبيل الله ثم خرج فحين وقع بصره على النايب يبست يد النايب وسقط السيف منها وارعدت مفاصله فبكى وسال الشيخ ان يدعو له وقال يا سيدي ايش تعمل قال انادي عليكم وابيعكم قال ففيم تصرف ثمننا قال في مصالح المسلمين قال من يقبضه قال انا فتم ما اراد ونادى على الامراء واحدا واحدا وغالى في ثمنهم ولم يبعهم الا بالثمن الوافي وقبضه وصرفه في وجوه الخير واتفق له في ولاية القضا عجايب وغرايب وفيه يقول الاديب ابو الحسين يحيى بن عبد العزيز الجزار

// سار عبد العزيز في الحكم سيرا // لم يسره سوى ابن عبد العزيز //

// عمنا حكمه بعدل وسيط // شامل للورى ولفظ وجيز //

ولما عزل الشيخ نفسه من القضا تلطف السلطان في رده اليه فباشره مدة ثم عزل نفسه منه مرة ثانية وتلطف مع السلطان في امضاء عزله فامضاه وابقى جميع نوابه من الحكام وكتب لكل حاكم تقليدا ثم ولاه تدريس مدرسته التي انشاها بين القصرين وولي بعده افضل الدين محمد الخونجي صاحب المنطق والمعقولات فاقام الى ان مات في رمضان سنة ست واربعين وستماية ورثاه العز الاربلي بقصيدة اولها //

قضى أفضل الدنيا نعم وهو فاضل ** ومات بموت الخونجي الفضائل
وكان يخلفه على الأحكام الجمال يحيى فلم يزل إلى أن تولى القاضي عماد
الدين أبو القاسم بن إبراهيم بن هبة الله الحموي فبقي إلى أن صرف في جمادى
الأولى سنة ثمان وأربعين وتولى القاهرة وصرف عنها القاضي بدر
الدين ورتب قاضيا بمصر والوجه القبلي صدر الدين موهوب بن عمر
الجزري وكان نائبا عن الشيخ عز الدين ثم صرف وأعيد القاضي عماد الدين
الحموي بمصر ورتب بالقاهرة بدر الدين السنجاري وذلك في رجب سنة
ثمان وأربعين ثم بعد ذلك بأيام يسيرة أضيف إليه مصر أيضا وذلك
في شوال من السنة ثم صرف عنه القضاء بمصر وكان يخلفه أخوه برهان
الدين وذلك في رمضان سنة أربع وخمسين ورتب فيه تاج الدين بن عبد
الوهاب بن بنت الأعز ثم صرف السنجاري عن القاهرة أيضا وأضيف لابن
بنت الأعز إلى أن توفي الملك المعز فرتب في القاهرة البدر السنجاري
في ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وبقي مع ابن بنت الأعز مصر خاصة ثم
أضيف قضاء مصر أيضا إلى السنجاري في رجب من السنة فأقام إلى جمادى
الأولى سنة تسع وخمسين فعزل وأعيد تاج الدين بن بنت الأعز لقضاء
مصر والقاهرة معا ثم في شوال سنة إحدى وستين عزل ابن بنت الأعز
عن قضاء مصر وحدها وولي برهان الدين بن الخضر بن الحسن السنجاري وبقي
مع ابن بنت الأعز قضاء القاهرة فلم يزل إلى رمضان سنة اثنتين وستين
فصرف قضاء مصر عن السنجاري وأضيف إلى ابن بنت الأعز فلم يزل على
هذه الولاية إلى أن مات يوم الأحد سابع عشر رجب سنة خمس وستين
قال ابن السبكي في الطبقات الكبرى وفي ولايته هذه جدد الملك الظاهر
بيبرس القضاة الثلاثة من كل مذهب قاض في القاهرة ثم في دمشق وسببه
ذلك أنه سأل القاضي تاج الدين في أمر فامتنع من الدخول فيه فقيل له مر
نائبك الحنفي وكان القاضي هو الشافعي يستنيب من شاء من الثلاثة فامتنع
من ذلك فجرى ما جرى وكان الأمر متمحضا للشافعية فلا يعرف أن غيرهم حكم

في البلاد

في الديار المصرية منه وليها أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي في سنة أربع
وثمانين إلى أن مات الظاهر إلا أن يكون نائب بعض القضاة الشافعية وكذا دمشق
لم يلها بعد أبي زرعة المشار إليه إلا شافعي قال ابن ميسر في تاريخ مصر في
سنة خمس وعشرين وخمسمائة رتب أبو أحمد بن الأفضل في الحكم أربع قضاة
يحكم كل قاض بمذهبه فكان قاضي الشافعية سلطان بن رشا وقاضي الما
لكية أبو محمد عبد المولى بن اللبني وقاضي الإسماعيلية أبو الفضل بن الأزرق
وقاضي الإمامية ابن أبي كامل ولم يسمع بمثل هذا قال ابن ميسر وقد تجدد
في عصرنا هذا الذي نحن فيه أربع قضاة على الأربع مذاهب انتهى قال
ابن السبكي وقال أهل التجربة إن هذه الأقاليم المصرية والشامية والحجازية
متى كانت البلد فيها لغير الشافعية خربت ومتى قدم سلطانها غير أصحاب
الشافعي زالت دولته سريعا قال وكأن هذا السر جعله الله في هذه البلاد
كما جعله الله لمالك في بلاد المغرب ولأبي حنيفة فيما وراء النهر قال وسمعت
الشيخ الإمام الوالد يقول ما جلس على كرسي مصر غير شافعي إلا وقتل
سريعا قال وهذا الأمر يظهر بالتجربة فلا يعرف غير شافعي إلا كان منهما
ومكث يسيرا وقتل وأما الظاهر فقدم الشافعي يوم ولايته السلطنة ثم لما
ضم القضاة إلى الشافعي والأوقاف وبيت المال والنواب وقضاة البر والأيتام وجد
وجعلهم الأربعة ثم إنه ندم على ما فعل وذكر أنه رأى الشافعي في النوم
لما ضم إلى مذهبه بقية المذاهب وهو يقول تهين مذهبي البلاد لي أو لك
قد عزلتك وعزلت ذريتك إلى يوم الدين فلم يمكث إلا يسيرا ومات ولم يمكث
ولده السعيد إلا يسيرا وزالت دولته ودولة ذريته إلى الآن فهذا كلام ابن
السبكي قال وجاء بعده قلاوون وكان دونه تمكنا ومعرفة ومع ذلك مكث
الأمر فيه وفي ذريته إلى هذا الوقت وفي ذلك أسرار الله لا يدركها إلا
خواص عباده قال وقد حكي أن الظاهر رئي في النوم فقيل له ما فعل الله بك
قال عذبني عذابا شديدا بجعلي القضاة أربعة وقال فرقت كلمة المسلمين وقال
أبو شامة لما بلغه ضم القضاة الثلاثة لم يقع هذا في ملة الإسلام قط

وكان اجداده القضاة الثلاثة في سنة ثلاث وستين وستمائة واقام ابن بنت
الاعز قاضيا الى ان توفي سنة خمس وستين وكان شديد التصلب في الدين
فكان الامراء الكبار يشهدون عنده فلا يقبل شهادتهم وكان ذلك ايضا من
جملة الحوامل على ضم القضاة الثلاثة اليه وحكي انه ركب وتوجه الى القرافة
ودخل على الفقيه مفضل حين تولى عنده الشرفية فقيل له تروح الى شخص
حتى توليه فقال الحلم يجعل لقبلة رجله حتى يقبل فانه يسد عني ثلمة
من جهتهم قال ابن السبكي كان يقال ان القاضي تاج الدين اخر قضاة العدل
واتفق الناس على عدله وقد اجتمع له من المناصب الجليلة ما لا يجتمع لغيره
فانه ولي خمسة عشر وظيفة القضا والوزارة ونظر الاحباس وتدريس
الشافعي والصالحية والخطابة ومشيخة الشيوخ وامامة الجامع وغير ذلك
وولي بعده مصر والوجه القبلي محيي الدين بن عبد الله بن القاضي شرف
الدين بن عين الدولة والقاهرة والوجه البحري تقي الدين بن محمد بن الحسن
ابن رزين ثم مات ابن عين الدولة في رجب سنة ثمان وسبعين وعزل ابن
رزين في رجب ايضا سنة ثمان وسبعين لكونه توقف في خلع الملك السعيد
وولي صدر الدين عمر بن القاضي تاج الدين بن بنت الاعز فمشى على طريقة
والده في التحري والصلابة ثم عزل نفسه في رمضان سنة تسع وسبعين
واعيد ابن رزين فاقام الى ان مات في رجب سنة ثمانين وولي بعده وجيه
الدين عبد الوهاب بن الحسين البهنسي قضاء الديار المصرية ثم عزل عن
القاهرة والوجه البحري واستمر على قضاء مصر والوجه القبلي الى ان توفي
سنة خمس وثمانين وولي القاهرة بعد عزله عنها شهاب الدين بن الخوني فاقام
الى اول سنة ست وثمانين فعزل وولي بعده برهان الدين الخضر السنجاري فاقام
شهرا ثم توفي وولي بعده تقي الدين بن عبد الرحمن بن القاضي تاج الدين
ابن بنت الاعز مضافا لما كان معه من قضاء مصر فانه وليه بعد موت البهنسي
وكان من احسن القضاة سيرة وكان ابن السلعوس وزير الملك الاشرف يكرهه
فعمل عليه ورتب من يشهد عليه بالزور بامور عظام منها انهم احضروا شابا

حسن

حسن الصورة فاعترف على نفسه بين يدي السلطان ان القاضي لاط به واحضروا
من شهد بانه يحمل الزنار في وسطه فقال القاضي ايها السلطان كل ما قالوا ممكن
لكن حمل الزنار لا يعتمده النصراني تعظيما ولو امكنه تركه لتركه فكيف
احمله ثم عزل القاضي وكان رجلا صالحا لا يشك فيه بريا من كل ما رمي به وولي بدر
الدين بن محمد بن ابراهيم بن جماعة وذلك في رمضان سنة تسعين وستمائة فتوجه
القاضي تقي الدين الى الحجاز ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة وكشف راسه
ووقف بين يدي الحجرة الشريفة واستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم واقسم
عليه ان لا يصل الى وطنه الا وقد عاد الى منصبه فلم يصل الى القاهرة الا والسـ
والسلطان الاشرف قد قتل وكذلك وزيره فاعيد الى القضا ووصل اليه الخبر بالعود
قبل وصوله الى القاهرة وذلك في اول سنة ثلاث وتسعين فاقام في القضا الى
ان مات في جمادى الاولى سنة خمس وتسعين وولي بعده الشيخ تقي الدين بن
دقيق العيد بعد امتناع شديد حتى قالوا له ان لم تفعل والا ولوا فلانا او فلانا
لرجلين لا يصلحان للقضا فراى ان القبول وجب عليه حينئذ ذكره الاسنوي
في الطبقات قال ابن السبكي وعزل نفسه غير مرة ثم يعاد قال الاسنوي
وكانت القضاة يخلع عليهم الحرير فامتنع الشيخ من لبس الخلعة ومد اليه
السلطان فقبل يده فلم يزد على قوله ارجع هالك بين يدي الله وكان يكتب
الى نوابه ويعظهم ويبالغ في وعظهم ومع ذلك راه بعض خيار اصحابه في
المنام وهو في مسجد فساله عن حاله فقال انا معوق ها هنا بسبب نوابي
هذا مع الاحتراز التام والكرامات الصحيحة الثابتة عنه هذا كله كلام //
الاسنوي ومن لطايفه ما كتب الى نايبه باخميم صدرت هذه المكاتبة الى المجلس
نخلو الدين وفقه الله تعالى لقبول النصيحة واتاه ما يقربه اليه قصدا صحيحا
ونية صحيحة اصدرناها اليه بعد حمد الله الذي يعلم خاينة الاعين وما تخفي
الصدور ونهل حتى لا يلتبس الامهال بالاهمال على المغرور وتذكره بايام الله
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وتحذره صفقة من باع الاخرة بالدنيا
بما قنع سواء مغبون عسى الله ان يرشده بهذا التذكار وينفعه وتاخذه

هذه النصائح تجزئه عن النار فإني أخاف أن يتردى في حفر من النار معه والعياذ بالله
في النار والمقتضي لإيراده ما احتواه من الغفلة المستحكمة على القلوب ومن
تقاعد الهمم عما يجب للوقوف على المرغوب ومن انسحاب ظلمة هذه الدار وهم من عجز عنها
وعلمهم بما بين أيديهم من عقبة كؤود وهم يتحققون منها ولا سيما القضاة الذين
يتحملوا أعباء الأمانة على كواهل ضعيفة وظهروا بصور كبار وهم نحيفة
والله إن الأمر عظيم والخطب جسيم ولا أرى مع ذلك أمنا ولا قرارا ولا راحة ولا من
استمروا اللهم إلا رجلا نبذ الآخرة وراءه واتخذ إلهه هواه وقصر همه وهمته
على حظ نفسه ودنياه فغاية مطلبه حب الجاه والرغبة في قلوب الناس وتحسين
الزي والملبس والركبة والمجلس غير مستشعر خساسة حاله ولا ركاكة مقصده
فإنك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من في القبور فاتق الله الذي يراك حين تقوم
واقصر أملك عليه فإن المحروم من فضله غير مرحوم وما أنا وإياكم أيها القضاة إلا
كما قال حبيب العجمي وقد قال له قائل ليتنا لم نخلق قال وقد وقعتم فاحتالوا
وإن خفي عليك مثل هذا الخطر وشغلتك الدنيا عن معرفة الوطر فتأمل كلام
النبوة القضاة ثلاثة قاض في الجنة وقاضيان في النار وقوله صلى الله عليه وسلم
لأبي ذر مشفقا عليه لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم وما أنا والسير في
قلب مبرح بالذكر الضابط هيهات جف القلم ونفذ حكم الله فلا راد لما حكم
إيه ومن هناك شم الناس من فم الصديق رائحة الكبد المشوية و قال الفاروق
ليت أم عمر لم تلد عمر و قال علي والخزائن مملوءة ذهبا وفضة من يشتري سيفي
هذا ولو وجدت ما أشتري به رداء ما بعته وقطع الخوف نياط قلب عمر بن
عبد العزيز فمات من خشية العرض وعلق بعض السلف سوطا يؤدب به نفسه
إذا افتر فترى ذلك سعيد أم نحن المغرورون وهم البعداء بهذه الأحوال لا تؤخذ
من كتاب السلم والإجارة والجنايات وإنما تنال بالخضوع والخشوع وأن تظمأ وأن
تجوع وما يعينك على الأمر الذي دعوتك عليه ويزودك في السفر للعرض عليه
إلا أن تجعل لك وقتا تعمره بالتذكر والتفكر وإنابة تجعلها عدة لجلاء قلبك والله
فإنه إذا استحكم صداه صعب جلاؤه فيه وأعرض عنه من هو أعلم بما فيه فاجعل

أكثر همومك الاستعداد للمعاد والتأهب لجواب الملك الجواد فإنه يقول فوربك
لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ومهما وجدت من همتك قصورا واستشعرت
من نفسك عما ينبغي لها تقربوا أجورها إليه وقف ببابه واطلب فإنه لا يعرض عن
من صدق ولا يعزب عن علمه خبايا الضمائر ألا يعلم من خلق وهذه نصيحتي إليك
وحجتي بيني وبين الله إن فرطت إذا سئلت عليك بسؤال التقليد ولك قلبا شاكرا
ولسانا ذاكرا ونفسا مطمئنة بمنه وكرمه وخفي لطفه والسلام و استمر
الشيخ إلى أن توفي في صفر سنة اثنتين وسبعمائة وأعيد بعده القاضي بدر
الدين بن جماعة ثم صرف في ربيع الأول سنة عشر وسبعمائة وولي جمال الدين
عمر بن الزرعي ثم صرف وأعيد ابن جماعة في ربيع الآخر سنة إحدى عشرة فلم
يزل إلى أن عمي سنة سبع وعشرين فولي بعده جلال الدين محمد بن عبد الرحمن
القزويني مصنف التلخيص في المعاني والبيان فأقام مدة ثم صرف في سنة ثمان
وثلاثين وولي بعده عز الدين بن القاضي بدر الدين بن جماعة فاستمر إلى سنة
تسع وخمسين فعزل بواسطة صرغتمش وولي مكانه بهاء الدين بن عبد الله بن
عقيل مؤلف شرح الألفية وشرح التسهيل فأقام ثمانين يوما وصرف وأعيد
ابن جماعة فولي على كره منه واستمر يطلب الإقالة إلى جمادى الأولى سنة ست
وستين فعزل نفسه وصمم على عدم العود ونزل إليه الأمير الكبير يلبغا إلى داره
ودخل عليه أن يعود فأبى فولي مكانه بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر
السبكي فأقام إلى أن عزل في سنة ثلاث وسبعين وولي بعده برهان الدين
إبراهيم بن جماعة ثم عزل نفسه وولي بدر الدين محمد بن القاضي بهاء الدين
ابن عبد البر السبكي ثم صرف في صفر سنة تسع وسبعين ثم أعيد البرهان
ابن جماعة في سنة إحدى وثمانين ثم أعيد البدر ثم صرف في سنة أربع وثما
نين ثم ولي ناصر الدين محمد بن الميلق في شعبان سنة تسع وثمانين ثم عزل
وولي صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوي في ذي القعدة سنة إحدى وتسعين
ثم أعيد بدر الدين بن أبي البقاء في ذي الحجة سنة إحدى وتسعين ثم ولي
عماد الدين أحمد بن عيسى الكركي في رجب سنة اثنتين وتسعين ثم عزل

في ذي الحجة سنة اربع وتسعين واعيد الصدر المناوي في المحرم سنة خمس وتسعين ثم اعيد البدر بن ابي البقا في ربيع الاول سنة ست وتسعين ثم اعيد المناوي في شعبان سنة سبع وتسعين ثم ولي تقي الدين بن الزبيري في جماد الاولى سنة تسع وتسعين ثم اعيد المناوي في رجب سنة احدى وثمانماية ثم ولي ناصر الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الصالحي في شعبان سنة ثلاث ثم ولي جلال الدين البلقيني في جمادى الاولى سنة اربع في حياة والده ثم اعيد الصالحي في شوال سنة خمس ومات في المحرم سنة ست فولي شمس الدين محمد بن الاخناي ثم اعيد البلقيني في ذي الحجة من السنة ثم اعيد الاخناي في صفر سنة ثمان ثم اعيد البلقيني في ربيع الاول من السنة فاقام شهرا وعزل ثم اعيد البلقيني في صفر سنة خمس عشرة فاقام الى جمادى الاولى سنة احدى وعشرين وولي شمس الدين محمد بن عطاء الله الهروي وفي ولايته هذه وجد في مجلس السلطان ورقة فيها شعر وهو ∴

∴ يا ايها الملك المؤيد دعوة ∴ من مخلص في حبه لك ينصح ∴
∴ انظر لحال الشافعية نظرة ∴ فالقاضيان كلاهما لا يصلح ∴
∴ هذا اقاربه عقارب وابنه ∴ واخ وصهر فعلهم يستقبح ∴
∴ غطوا محاسنه بقبح صنيعهم ∴ ومتى دعاهم للهدى لا يفلح ∴
∴ واخو هواه بسيرة الملكا اقتدا ∴ وله سهام في الجوانح تجرح ∴
∴ لا درسه يقرى ولا احكامه ∴ تدري ولا حين الخطابة يفصح ∴
∴ فارحم هموم المسلمين بثالث ∴ فعسى فساد منهم يستصلح ∴

وكان ذلك في اول شعبان فعرض السلطان الورقة على الجلساء من الفقها الذين يحضرون عنده فلم يعرفوا كاتبها وطارت الابيات فاما الهروي فلم ينزعج من ذلك واما البلقيني فقام وقعد واطال البحث والتفتيش عن ناظمها وتقسمت الظنون فمنهم من اتهم شعبان الاثاري ومنهم من اتهم تقي الدين بن حجة قال العيني وبعضهم نسبها لابن حجر قال والظاهر انه هو ثم اعيد البلقيني في ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين فاقام الى ان مات في شوال سنة اربع ∴

وعشرين

وعشرين وولي الشيخ ولي الدين بن العراقي ثم عزل في ذي الحجة سنة خمس وعشرين وولي شيخنا شيخ الاسلام علم الدين صالح بن شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني ثم ولي الحافظ بن حجر في المحرم سنة سبع وعشرين ثم اعيد الهروي في ذي القعدة من السنة ثم اعيد ابن حجر في رجب سنة ثمان وعشرين ثم اعيد شيخنا البلقيني في صفر سنة ثلاث وثلاثين ثم اعيد ابن حجر في جمادى الاولى سنة اربع وثلاثين ثم اعيد شيخنا البلقيني في شوال سنة اربعين ثم اعيد ابن حجر في شوال سنة احدى واربعين ثم ولي شمس الدين بن القاياتي في المحرم سنة تسع واربعين فاقام الى ان مات في المحرم سنة خمسين واعيد ابن حجر ثم اعيد شيخنا البلقيني في اول المحرم سنة احدى وخمسين ثم ولي ولي الدين السفطي في نصف ربيع الاول من السنة ثم عزل واعيد ابن حجر في ربيع الاخر سنة اثنتين وخمسين ثم عزل نفسه في جمادى الاخرة من السنة واعيد شيخنا البلقيني ثم ولي شيخنا شرف الدين المناوي في رجب سنة ثلاث وخمسين ثم عزل واعيد شيخنا البلقيني في صفر سنة سبع وخمسين فاقام الى شوال سنة خمس وستين فعزل واعيد المناوي ثم اعيد البلقيني في شوال سنة سبع وستين فاقام الى ان مات في رجب سنة ثمان وستين واعيد المناوي ثم عزل في جمادى الاخرة سنة سبعين وولي صلاح الدين المكيني ربيب شيخنا البلقيني ثم عزل بعد ستة اشهر وولي بدر الدين ابو السعادات محمد بن تاج الدين ابن قاضي القضاة جلال الدين البلقيني في اول سنة احدى وسبعين ثم عزل بعد اربعة اشهر وولي ولي الدين بن احمد بن احمد السيوطي في نصف جمادى الاولى من السنة فاقام خمس عشرة سنة ثم عزل في جمادى سنة ست وثمانين وولي الشيخ زكريا بن محمد الانصاري السنيكي قد نظم محمد بن دانيال الموصلي ارجوزة فيمن ولي قضاء مصر من حين فتحت الى عهد البدر بن جماعة فقال ∴

∴ يقول راجي كرم الله العلي ∴ محمد بن دانيال الموصلي ∴
∴ من بعد حمد للعلي الحاكم ∴ غامرنا بالجود والمراحم ∴
∴ ثم الصلاة بعد ترتيل اسمه ∴ على احمد الهادي ابن حكمه ∴

والـه وصحبه العـدول   شهود حجة احمد الرسـول
فانني ضمنت هذا الشعرا   انباء كل من تولى مصرا
من سائر القضاة والحكام   مذ ملكتها ملة الاسلام
من لدن ابن العاص اعني عمرا   لفتحها الى هلم جـرا
لكنني اخترت الكلام الرجزا   لحصرهم اذ كان لفظا موجزا
اول من ولي القضا للحكم   قيس بني عدي بن سهم
وال بعده لكعب عبس   ثم لعثمان بغير لبس
ثم سليم سليم نجل عتر   وبعده السايب نجل عمرو
ثم وليه عابس المرادي   وبعده ابن النضر في البلاد
وال بعده لعبد الرحمن   ثم الى مالك نجل خولان
ويونس من بعده ولي القضا   ثم ولي اوس لعزم منتضى
ثم ولي الحكم عبد الرحمن   ثم وليه بعد ذاك عمران
وبعده صار لعبد الاعلى   وابن حجيرة ذي الفخار الاعلى
ثم لعبد الله ذاك القاضي   اول من بعده الى عياض
وعاد للقضا بحكم ثان   ابن حجيرة الفتى الخولاني
ثم الى عياض اول ثانية   ثم لعبد الله غير وانيه
والحضرمي ثم للخياري   ثم يزيد جاء في الآثار
وال بعد توبة وخير   الى ابن سالم بكيل خير
هذا وفي عصر بني العباس   صار نعيم ثابت الاساس
وعاد غوث بعد ذاك يحكم   ثم ولي يزيد بعد فاعلموا
وعاد غوث قبل ابراهيما   والحضرمي بعده ماموما
ثم لاسماعيل نجل اليسع   ثم تلاه الغوث غير تسع
وبعد هذا حكم المفضل   ثم ابو طاهر ذاك الافضل
ثم المفضل الامين حكما   ثم ابن مسروق وما ان ظلما
ثم وليها بعده التجيبي   والعمري ايما نجيب

وبعده

وبعده البكري وابن البكا   ثم ابن عيسى وهو ازكى نسكا
والاسلمي حاكم الشريعة   ثم ابن عيسى واسمه لهيعة
ثم لابراهيم نجل الفارى   ثم لابراهيم ذي الفخار
ثم لعيسى آلت الاحكام   وبعده زهد بها الامام
ثم ولي الاحكام نجل شداد   وبعده الحارث خير الاجواد
وبعدما ولي رحيم الامصار   صار لها قاضي القضاة بكار
هذا وبعد نجل عبدة تولى   ثم ابو زرعة لما ولى
ثم ابن عبدة تولى الحكما   وكان فيه بالجميل الاسنا
ثم ابن حرب وابو الذكر حكم   قبل الكريزي زمانا في الامم
والجوهري وهو نعم القاضي   ومن بعده فهد وفي التراضي
وبعده احمد وابن احمدا   واحمد ثانية بينها اعتدا
وصرفوه بابن زبر قضا   من قبل اسماعيل فيما قد مضى
ثم ابن مسلم ونجل حماد   والسرخسي والسني في اسناد
وبعد عبد الله نجل زبر   وولي ابو بكر جميع الامر
ثم ابو زرعة ونجل بدر   من قبل عبد الله نجل زبر
ثم ابن بدر بعد عبد الله   امسى عليها آمرا وناهي
ثم ابو بكر تولى والحسن   وبعده الكشي في ذاك الزمن
وبعد ذا ابن اخت وليد لم يزل   حاكما والعدل عنه ما عدل
وبعده ولي القضا ابن الحداد   وبعده ابن اخت وليد عاد
وبعد ذاك ولي الخطيب   ولي القضا وولد الخصيب
وبعده محمد قد حكما   ثم ابو الطاهر فيما علما

الدولة المصرية

وبعد هذا ولد النعمان   ونجله في ذلك الزمان
ثم ابنه وصنوه الحسين   ولم يشنه في القضاء شين
وبعد ذاك مالك تولى   ثم ابو العباس فيما يتلى

وقاسم ثم ابو الفتح ولي ٭ وهو بغير قاسم لم يعتزل
ثم ابن وهب جاء هاي الاثر ٭ ونالها من قبل نجل ذكر
ثم اعيد احمد للحكم ٭ ثم ابن وهب فاستمع لنظمي
ثم ولي الحكم ابن عبد الحاكم ٭ ثم اعيد بعده للقاسم
ثم لعبد الحاكم الامام ٭ وقاسم وجه بالاحكام
وبعده ولي القضا نجل اسعد ٭ وبعده احمد في الحكم الاسد
ثم اعيد ابن ابي كدينة ٭ لما ارتضوا سيرته ودينه
ثم علي بعده المعتزي ٭ ثم الوصافي الجميل الذكر
وبعده ولي القضا ابن وهب ٭ وابن ابي كدينة ذو اللب
وبعده المليجي في المدينة ٭ ولي القضا وابن ابي كدينة
ثم وليه بعده البارودي ٭ وابن ابي كدينة بغير زور
وبعده العوفي والقضاعي ٭ ولي القضا حقا بلا نزاع
ثم جلال الدولة ابن القاسم ٭ عاد قاضي وهو خير حاكم
وبعده نجل نباته ولي ٭ وولد الكمال ذو التفضل
وبعده المليجي والمكرم ٭ ثم ابو طاهر ذو التكرم
وبعده ولي القضا نجل ذكا ٭ وبعده الحسين وهو ذو الذكا
ثم ابن بدر وابو الفضل قضى ٭ قبل الصقلي وابو الفضل الرضا
وبعده ابن طاهر تولى ٭ وابن الحسين ذو المقام الاعلى
ثم ابو الفتح ويوسف ولي ٭ وكان كل ذا المحل افضل
ثم وليه ولد المسسر ٭ اعني سنا الملك رب المنجر
ثم ابو الفخر ونجل جعفرا ٭ ثم محمد ولي بلا مرا
وبعد هذا ولي الوعيني ٭ ثم سنا الملك بغير مين
وبعده نجل عقيل لم يزل ٭ وابن حسين صار حاكم العمل
وابن سلامة ونجل المقدسي ٭ وكان فيها ذا محل انفس
وابن مكرم ونجل عالي ٭ ثم ضياء الدين ذو الافضال

ثم الاعز

ثم الاعز وابو الفتح ولي ٭ وبعده اعيد نجل كامل
وبعد ذاك في زمان الغز ٭ ذو في الفخار والعلوم والعز
ولي عبد الملك بن عيسى ٭ قبل علي اعني الفتى الرئيسا
ثم ابن عصرون تولى الحكما ٭ وعاد صدر الدين وهو الاسما
والسكري وابو محمد ٭ قبل ابن عين الدولة الممجد
ثم تولى يوسف السنجاري ٭ وجاء عز الدين في الاثار
وبعده موهوب اعني الجزري ٭ والخونجي ثم العماد الحموي
ثم اعيد يوسف السنجاري ٭ ثم تلاه التاج ذو الفخار
وولي البرهان اعني الخضرا ٭ وعاد تاج الدين فيها غيرا
ثم ولي الاحكام محيي الدين ٭ وابن رزين ذو الحجا الرزين
وبعد عزله تولى عمر ٭ اعني العلاي ومحمد بالعدل امر
ثم اعيد ابن رزين محكم ٭ من بعد صدر الدين عدلا في الامم
ثم الوجيه البهنسي القضا ٭ عن مصر خص بها او امره
ثم الشهاب رفعوا محله ٭ واشخصوه من دون المحله
ولم يزل حتى توفاه الردى ٭ وولي القضا ابن احمدا
ثم ولي القضا التقي بن خلف ٭ بعد الوجيه والشهاب المنف
وعزلوه عن قضاء القاهره ٭ ثم وليه سيد السناجره
ثم ولي التقي عبد الرحمن ٭ وبان بدر الدين لما ان بان
وعاد بدر الدين للشام ٭ ثم ولي الحكم الفتى العلام
ولم يزل حتى توفاه القضا ٭ ثم ولي التقي ابو الفتح القضا
واذ اتاه نازل الحمام ٭ عاد اليها البدر في التمام
بدر منير كامل الاوصاف ٭ والمنهل العذب المنير الصافي
لا برحت نافذة احكامه ٭ وخلدت زاهرة ايامه
قلت وقد ذيلت عليه من جاء بعده فقلت
وبعد ذاك وليه الزرعي ٭ ثم اعيد البدر لما ان دعي

ثم وليه بعده القزويني ... وبعده ابن البدر عز الدين
وبعده نجل عقيل قد ولي ... ثم أعيد العز ذا التبجل
وبعده وليه ابو البقاء ... وبعده البرهان ذو ارتقاء
وبعده البدر وهو السبكي ... ثم اتى برهاننا التركي
ثم اعيد البدر ذو التحقيق ... ثم وليه الناصر بن السلفي
ثم وليه صدرنا المناوي ... ثم اعيد البدر ذو الفتاوي
ثم ولاه العماد الكركي ... ثم اعيد الصدر ذو التمسك
ثم اعيد البدر ثم الصدر ... ثم الزبيري وعاد الصدر
ثم وليه بعد ذاك الصالح ... ولم يكن في علمه بالسواجح
ثم وليه ولد البلقيني ... عالم عصره جلال الدين
ثم اعيد الصالحي النسابي ... ثم وليه محمد الاخنائي
وبعده عاد الجلال للقضا ... ثم الاخنائي وهو من مضى
ثم الجلال ثم الاخنائي ... ثم الجلال ثم الاخنائي
ثم الجلال بعده الباعوني ... ثم الجلال بان الباعوني
ثم وليه الهروي ثم الجلال ... ثم العراقي الولي ذو الكمال
ثم وليه العلم البلقيني ... وحافظ العصر شهاب الدين
ثم اعيد الهروي ثم استعفى ... من بعد عزله شهاب بن حجر
ثم اعيد شيخنا ابن حجر ... ثم اعيد شيخنا ابن حجر
ثم وليه بعد القاياتي ... ثم اعيد حافظ السنات
ثم اعيد شيخنا البلقيني ... ثم اتى السفطي ولي الدين
ثم اعيد بعد ذاك ابن حجر ... ثم اعيد شيخنا ثم استعفى
من بعد ذاك الشرف المناوي ... وشيخنا من بعد ذا البناوي
ثم اعيد بعد ذاك الشرف ... ثم اعيد شيخنا بالشرف
ثم الصلاح وهو المكيني ... ثم ولي البدر وهو البلقيني
ثم السيوطي ولي الدين ثم ... للشيخ زكريا الحكم ضم تم

ذكر قضاة

ذكر قضاة الحنفية

اول من ولي منهم زمن الظاهر بيبرس في سنة ثلاث وستين وستماية صدر الدين سليمان بن ابي العز وولي بعده معز الدين بن النعمان بن الحسن الى ان مات في شعبان سنة اثنتين وتسعين وولي شمس الدين بن محمد السروجي ثم عزل ايام المنصور لاجين وولي حسام الدين الحسن بن احمد الرازي ثم عزل سنة ثمان وتسعين واعيد السروجي ثم عزل في ربيع الاخرة سنة عشر وسبعماية وولي شمس الدين بن محمد بن عثمان الحريري الى ان مات في جمادى الاخرة سنة ثمان وعشرين وولي برهان الدين ابراهيم بن عبد الحق

وقال بعض الشعراء في ذلك

لو بني لمصر بعد حل الشرور بها ... من بعد ما رفيت دهرا باحزان
كانت لنا الله قد قام الدليل على ... تفضيلها من نبي حق برهان

ثم عزل في جمادى الاخرة سنة ثمان وثلاثين وولي حسام الدين الحسن بن محمد الغوري ثم عزل في سنة اثنتين واربعين وولي زين الدين بن عمر البسطامي ثم عزل في جمادى سنة ثمان واربعين وولي علاء الدين بن التركماني الى ان مات في المحرم سنة خمسين وولي ولده جمال الدين عبد الله الى ان مات في شعبان سنة تسع وستين وولي سراج الدين عمر بن اسحاق الهندي الى ان مات في رجب سنة ثلاث وسبعين وولي صدر الدين بن محمد بن جمال الدين التركماني الى ان مات في ذي القعدة سنة ست وسبعين وولي نجم الدين احمد بن العماد اسماعيل بن الكشك طلب من دمشق في المحرم سنة سبع وسبعين ثم عزل وولي صدر الدين بن علي بن ابي العز الاذرعي ثم استعفى فاعفي وولي شرف الدين احمد بن منصور الدمشقي ثم عزل نفسه في سنة ثمان وسبعين وولي جلال الدين بن جار الله الى ان مات في رجب سنة اثنتين وثمانين وسبعماية وولي صدر الدين بن محمد بن علي بن منصور الى ان مات في ربيع الاول سنة ست وثمانين وولي شمس الدين بن محمد بن احمد الطرابلسي ثم عزل سنة اثنتين وتسعين وولي مجد الدين اسماعيل بن ابراهيم الكناني ثم عزل في شعبان

سنة اثنتين وتسعين وولي جمال الدين محمود القيصري الى ان مات في ربيع الاول
سنة تسع وتسعين وسبعماية واعيد الطرابلسي الى ان مات في اخر السنة
وولي جمال الدين يوسف بن موسى الملطي طلب من حلب في ربيع الاخر سنة
ثمانماية فاقام الى ان مات في ربيع الاخر سنة ثلاث وولي امين الدين عبد الوهاب
ابن قاضي القضاة شمس الدين الطرابلسي ثم عزل في رجب سنة خمس وولي
كمال الدين عمر بن العديم الى ان مات في جمادى الاولى سنة احدى عشرة وولي
ابنه ناصر الدين محمد ثم عزل في المحرم سنة اثنتي عشرة واعيد ناصر الدين
ابن العديم ثم عزل في سنة خمس عشرة وولي صدر الدين علي بن الادمي الى
ان مات في رمضان سنة ست عشرة وولي شمس الدين الديري طلب من المقدس
ثم عزل في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وولي زين الدين عبد الرحمن بن
علي التفهني ثم عزل في ربيع الاخر سنة تسع وعشرين وولي بدر الدين
العيني ثم عزل في صفر سنة ثلاث وثلاثين واعيد التفهني ثم عزل في جمادى
الاخرة سنة خمس وثلاثين واعيد العيني ثم عزل في سنة اثنتين واربعين
وولي سعد الدين بن الديري فاقام الى ان عزل قبل موته بيسير في شوال
سنة ست وستين وولي محب الدين بن الشحنة ثم عزل في رجب سنة سبع
وستين وولي بدر الدين بن الصواف الحموي الى ان مات اخر العام واعيد ابن
الشحنة ثم عزل في جمادى الاخرة سنة سبعين وولي البرهان بن الديري
ثم عزل واعيد ابن الشحنة في اول سنة احدى وسبعين ثم عزل في سنة
سبع وسبعين وولي شمس الدين محمد بن الحسن الامشاطي الى ان مات في
رمضان سنة خمس وثمانين وولي شرف الدين موسى بن عيد طلب من د
مشق فاقام دون الشهرين ومات من وقع الزلزلة عليه بالمدرسة الصالحية
في المحرم سنة ست وثمانين وولي شمس الدين محمد بن الغزي ثم عزل في
رجب سنة احدى وتسعين وولي القاضي ناصر الدين بن الاخميمي اول سنة
احدى وتسعماية

ذكر قضاة المالكية

اول من ولي منهم زمن الظاهر شرف الدين عمر بن السبكي الى ان مات سنة

سبع وستين وستماية وولي بعده نفيس الدين بن شكر الى ان مات سنة
ثمانين وستماية وولي تقي الدين بن شاس الى ان مات في ذي الحجة سنة خمس
وثمانين وولي زين الدين بن مخلوف النويري الى ان مات في جمادى الاخرة
سنة ثمان عشرة وسبعماية وولي تقي الدين محمد بن ابي بكر الاخناي الى
ان مات سنة خمسين وسبعماية وولي نور الدين علي بن عبد النصير السخاوي
الى ان مات في جمادى الاولى سنة ست وخمسين وولي تقي الدين محمد بن
احمد بن شاس الى ان مات في شوال سنة ستين وسبعماية وولي تاج الدين
محمد بن القاضي علم الدين محمد بن ابي بكر الاخناي الى ان مات في اول سنة
ثلاث وستين وولي اخوه برهان الدين ابراهيم الى ان مات في رجب سنة
سبع وسبعين وولي ابن اخيه بدر الدين عبد الوهاب بن الكمال احمد ثم صرف
في ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وولي علم الدين سليمان بن خالد البساطي
ثم عزل في صفر سنة تسع وسبعين واعيد البدر الاخناي ثم صرف في رجب
من السنة واعيد البساطي في سنة ثلاث وثمانين وولي جمال الدين عبد الرحمن
ابن محمد بن خير السكندري وقال بعضهم في ذلك

قالوا تولى ابن خير ** بفيه ثغر الرباط
فقلت ذا فيض خير ** من بعد خير البساط

ثم عزل في جمادى الاخرة سنة ست وثمانين وولي ولي الدين عبد الرحمن بن
خلدون ثم عزل في جمادى الاخرة سنة سبع وثمانين واعيد ابن خير الى ان مات
سنة احدى وتسعين وولي تاج الدين بهرام بن عبد الله الدميري ثم عزل
سنة اثنتين وتسعين وولي شمس الدين محمد بن يوسف الركراكي الى ان مات
في شوال سنة ثلاث وتسعين وولي شهاب الدين النحريري ثم عزل في ذي
الحجة من السنة وولي ناصر الدين احمد بن محمد بن التنسي الى ان مات في رمضان
سنة احدى وثمانماية وولي ولي الدين بن خلدون ثم عزل في المحرم سنة
ثلاث وولي نور الدين علي بن الخلال الى ان مات من عامه وولي جمال الدين عبد
الله بن الاقفهسي ثم عزل بعد شهر واعيد ابن خلدون ثم عزل في شعبان

سنة اربع وولي جمال الدين يوسف البساطي ثم صرف في ذي الحجة من السنة
واعيد ابن خلدون ثم صرف في ربيع الاول سنة ست واعيد البساطي ثم صرف
في رجب سنة سبع واعيد ابن خلدون ثم صرف في ذي القعدة من عامه
واعيد الجمال الاقفهسي ثم ولي جمال الدين عبد الله بن القاضي ناصر الدين
التنسي في مستهل ربيع الاول سنة ثمان ثم عزل بعد يومين واعيد البسا
طي ثم صرف في رمضان من عامه واعيد ابن خلدون ثم لم يلبث الى ان مات فيه
فاعيد جمال الدين بن التنسي ثم صرف في سادس عشر شوال واعيد البسا
طي ثم صرف في شوال سنة اثنتي عشرة وولي شمس الدين محمد بن علي
المدني ثم صرف في ربيع الاخر سنة ست عشرة وولي شهاب الدين الاموي
ثم اعيد الجمال الاقفهسي الى ان مات في جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين
وولي العلامة شمس الدين البساطي واقام الى ان مات في رمضان سنة اثنتين
واربعين وولي بدر الدين بن القاضي ناصر الدين التنسي الى ان مات في
صفر سنة ثلاث وخمسين وولي بدر الدين بن السنباطي الى ان مات في رجب
سنة احدى وستين وولي حسام الدين بن حريز الى ان مات سنة احدى
وسبعين وولي اخوه سراج الدين ثم عزل وولي البرهان اللقاني ثم عزل
في جمادى سنة ست وثمانين وولي صاحبنا محيي الدين بن تقي ..

ذكر قضاة الحنابلة

اول من ولي منهم زمن الظاهر شمس الدين محمد بن العماد ثم عزل سنة
سبعين وستمائة ولم يل الوظيفة بعد عزله احد حتى توفي سنة ست
وسبعين وولي عز الدين عمر بن عبد الله بن عوض في جمادى الاخرة سنة
ثمان وسبعين الى ان مات سنة ست وتسعين وولي شرف الدين عبد الغني
ابن عيسى الحراني الى ان مات في ربيع الاول سنة تسع وسبعمائة وولي
الحافظ سعد الدين الحارثي ثم عزل في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة وولي
تقي الدين بن قاضي القضاة عز الدين بن عمر ثم عزل وولي موفق الدين عبد
الله بن محمد المقدسي في جمادى الاخرة سنة ثمان وثلاثين الى ان مات في

المحرم سنة تسع وستين وولي ناصر الدين نصر الله بن احمد العسقلاني الى
ان مات في شعبان سنة خمس وتسعين وولي ابنه برهان الدين ابراهيم الى ان
مات في ربيع الاول سنة اثنتين وثمانمائة وولي اخوه موفق الدين احمد بن
نصر الله ثم صرف وولي نور الدين بن علي العسكري ثم صرف واعيد موفق
الدين الى ان مات في رمضان سنة ثلاث وثمانمائة وولي مجد الدين سالم ثم
صرف في سنة ثلاث ثمان عشرة وولي علاء الدين علي بن مغلي الى ان مات في
صفر سنة ثمان وعشرين وولي محب الدين احمد بن نصر الله البغدادي ثم
صرف في جمادى الاخرة سنة تسع وعشرين وولي عز الدين عبد العزيز
ابن علي البغدادي ثم صرف في صفر سنة احدى وثلاثين واعيد محب الدين
الى ان مات في جمادى الاولى سنة اربع واربعين وولي نور الدين محمد بن عبد
المنعم البغدادي الى ان مات في جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وولي شيخنا
عز الدين احمد بن قاضي القضاة برهان الدين بن قاضي القضاة نصر الله الى ان
مات في سنة سبعين وولي تلميذه البدر السعدي ..

ذكر وزراء مصر

اعلم ان الوزارة وظيفة قديمة كانت للملوك من قبل الاسلام بل من قبل الطوفان
وكانت للانبياء فما من نبي الا وله وزير قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام واجعل
لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري وقال تعالى مخاطبا
له سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم
اربعة وزراء روى البزار والطبراني في الكبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله ايدني باربعة وزراء اثنين من اهل السماء جبريل وميكائيل
واثنين من اهل الارض ابي بكر وعمر وقد وردت الاحاديث في وزراء الملوك روى
ابو داود عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بالامير
خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان اراد الله به غير ذلك
جعل الله له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه ولم تكن الوزارة
في صدر الاسلام الا للخلفاء دون امراء البلاد فكان وزير ابي بكر الصديق

عمر بن الخطاب ووزير عمر بن الخطاب عثمان ووزير عثمان مروان بن الحكم ذكره ابن كثير في تاريخه ووزير عبد الملك روح بن زنباع ووزير سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز قال ابن كثير وكان رجا بن حيوة وزير صدق ووزير هشام ابن عبد الملك ومن بعده عبد الحميد بن يحيى غير انه لم يكن احد في عهدهم يلقب بالوزير ولا يخاطب بوصف الوزارة و اول من لقب الوزير في الاسلام ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال وزير الخليفة السفاح اول خلفاء بني العباس قال ابن فضل الله في المسالك لم يكن للوزارة رتبة تعرف مدة بني امية وصدرا من دولة السفاح بل كان كل من اعان الخلفاء على امرهم يقال فلان وزير فلان بمعنى انه موازر له لا انه متولي رتبة خاصة تجري لها قوانين وينتظم بها دواوين واول من فخم قواعد الملك في هذه الامة وعظم عوائد السلطان عبد الملك بن مروان انه لم يستتب الامر لاحد بعد عثمان بن عفان كما استتب له وكان فيه الى معاوية خبطة عشواء اما معاوية فعمرو بن العاصي وان كان له وزراء وهذا ما نداه اجل قدرا واعظم امرا من ان يجري معه مجرى الوزراء انه كان لا يزال كالمهيمن عليه لا يختار الى جهده مع ما تقلد له في شرفه في قريش وسابقته في الاسلام و اول من دعي بالوزير في دولة السفاح ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال وكان يقال له وزير آل محمد ثم ان ابا مسلم الخراساني بعث اليه من قتله و فيه هذا البيت

ان الوزير وزير آل محمد ... اودى فمن يشناك كان وزيرا

و وزر للسفاح بعده ابو الجهم بن عطية وخالد بن برمك وسليمان بن مخلد والربيع بن يونس و وزر للمنصور بنو امية والربيع بن يونس وخالد بن برمك وسليمان بن مخلد وعبد الحميد و وزر للمهدي ابن عبد الله معاوية الطبري ويعقوب بن داود بن سليمان والفيض بن صالح و وزر للهادي الربيع بن يونس والفضل بن الربيع وابراهيم بن ذكوان فلما استخلف الرشيد ولى الوزارة يحيى بن خالد البرمكي وقال قد فوضت اليك امر الرعية وخلعت ذلك عن عنقي وجعلته في عنقك فول من شئت واعزل من شئت و قال ابراهيم الموصلي في ذلك

الم تر ان الشمس كانت سقيمة ... فلما ولي هارون اشرق نورها

اول من لقب الوزير في الاسلام

يحيى

يمين يمين الله هارون ذي الندا ... فهارون واليها ويحيى وزيرها

ومن هذا الوقت عظم امر الوزارة ولم تكن قبل ذلك بهذه المثابة وهي عين الخلافة في مضي السلطنة عن الخلافة الان و كانت البرامكة كلهم في معنى الوزراء للرشيد خالد بن برمك واولاده يحيى والفضل وجعفر حتى قال سلم الخاسر اذا ما البرمكي غدا ابن عشر فهمته امير او وزير ثم لما قتل الرشيد البرامكة استوزر الفضل بن الربيع بن يونس و في ذلك يقول ابو نواس

ما رعى الدهر آل برمك لما ... ان رمى ملكهم بامر فظيع

ان دهرا لم يرع عهدا ليحيى ... غير راع ذمام آل الربيع

و وزر للامين الفضل ايضا و وزر للمامون الفضل بن سهل ذو الرياستين واخوه الحسن بن سهل واحمد بن ابي خالد وعمرو بن مسعدة و وزر للمعتصم الفضل ابن مروان واحمد بن عمار ومحمد بن عبد الملك الزيات و وزر للواثق محمد بن عبد الملك الزيات و وزر للمتوكل احمد بن عبد الملك ايضا والفتح بن خاقان ومحمد ابن الفضل الخراساني وعبيد الله بن يحيى بن خاقان و وزر للمنتصر احمد بن الخصيب و وزر للمستعين ابن الخصيب وسعيد بن حميد و وزر للمعتز جعفر الاسكافي وعيسى بن فرخان شاه واحمد بن اسرائيل و وزر للمعتمد عبيد الله ابن يحيى بن خاقان والحسن بن مخلد وسليمان بن وهب وابنه عبيد الله بن سليمان واسماعيل بن بلبل قال محمد بن عبد الملك الهمداني في كتاب عنوان السير وزر للمعتضد ابو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب ثم ابنه ابو الحسين القاسم وهو اول وزير لقب في الدولة فان المعتضد لقبه ولي الدولة وتوفي في زمن المكتفي فوزر له ابو احمد العباس بن الحسن بن احمد بن ايوب وهو اول وزير منع اصحاب الدواوين من الوصول الى الخليفة و وزر للمقتدر ابو الحسن علي بن محمد بن الفرات ثلاث مرات وابو علي محمد بن الوزير ابي الحسن عبيد الله ابن خاقان وابو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح مرتين قال الصولي ولا اعلم انه وزر لبني العباس وزير يشبهه في زهده وعفته وتعبده كان يصوم نهاره ويقوم ليله وكان يسمى الوزير الصالح و قال الذهبي في

العبر كان في الوزراء كعمر بن عبد العزيز في الخلفاء وابو محمد حامد بن
العباس وكان له اربعماية مملوك يحملون السلاح ولكل منهم عدة مماليك وكان
يخدمه على بابه الف وسبعماية راجل وعشرون حاجبا تجري مجرا الامراء وابو
العباس احمد بن عبيد الله بن الوزير وابو العباس بن الخصيب وابو علي محمد
ابن ابي العباس بن مقلة صاحب الخط المنسوب ولما خلع عليه بالوزارة
قال نفطويه النحوي

اذا ابصرت في خلع وزيرا … فقل ابشر بقاصمة الظهور
بايام طوال في بلاء … وايام قصار في سرور

وابو علي الحسين بن الوزير ابي الحسين القاسم الوزير بن عبد الله ولقب
عميد الدولة وابو القاسم سليمان بن الوزير ابي محمد الحسن بن مخلد بن الجراح
وابو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات المعروف بابن حنزابة هولاء وزراء
المقتدر و وزر للقاهر ابو علي بن مقلة وابو العباس بن الخصيب وابو جعفر
محمد بن الوزير القاسم بن الوزير عبيد الله و وزر للراضي ابو علي بن مقلة
وابنه علي ابو الحسين شريكا مع ابيه فكانت الكتب يكتب عليها من ابي
علي وعلي بن ابي علي ولم يل الوزارة اصغر سنا من علي هذا فانه ولي وسنه
ثمان عشرة سنة وابو الفتح الفضل بن الفرات وابو علي عبد الرحمن بن علي بن
عيسى بن داود بن الجراح وابو القاسم سليمان بن الجراح وابو جعفر محمد
ابن القاسم الكرخي وابو عبد الله محمد بن احمد بن يعقوب البريدي و في
ايام الراضي تلقب محمد بن رايق وولي امارة الامراء وصارت الكتب تورخ عن ابن
رايق وتقدم على الوزير فسقط حكم الوزارة من ذلك الوقت و وزر للمتقي
علي بن ابي علي بن مقلة وابو القاسم سليمان بن الجراح وابو جعفر الكرخي
وابو عبد الله البريدي وابو الحسين احمد بن محمد بن ميمون الانطس وابو
اسحاق محمد بن احمد القراريطي الاسكافي وابو العباس احمد بن عبد الله الا
صبهاني و وزر للمستكفي ابو الفرج محمد بن علي السرمري قال الهمداني
وصادره فورث ثلاثين الف دينار وانتقلت الوزارة من كتاب الخلفا الى كتاب

الديلم

الديلم فلم يخاطب بوزير غيرهم وكتب ابو احمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي
للمستكفي وكتب ابو نصر ابراهيم بن الوزير ابي الحسن علي بن عيسى للمطيع وكتب
ابو الحسن علي بن جعفر الاصبهاني للمطيع وبعده ابو القاسم عيسى بن الوزير
ابي الحسن علي بن عيسى وبعده ابو الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان
وخوطب برئيس الرؤسا و كتب ايضا للقادر وبعده ابنه ابو الفضل وبعده ابو
طالب محمد بن ايوب ولقب عميد الرؤسا و كتب ايضا للقايم وبعده رئيس الرؤسا
ابن القاسم علي بن ابي الفرج الحسن بن المسلمة وخوطب بوزير امير المومنين
وهو الذي استند على الغزالي (الى) بغدلد وازال دولة بني بويه و وزر بعده للقايم
ابو الفرج منصور بن احمد بن دارست الشيرازي وهو اول من خوطب بالوزير
لدار الخلافة في الدولة السلجوقية و وزر بعده فخر الدين ولد ابي نصر محمد
ابن محمد بن جهير الموصلي و وزر ايضا للمقتدي وبعده ولده عميد الدولة
شرف الدين ابو منصور محمد وعزل بالوزير ابي شجاع ظهير الدين محمد بن
الحسين ثم عزل واعيد عميد الدولة قال ابو شجاع حين نزل توليتها وليس
له عذر وفارقها وليس له عذر و وزر للمستظهر عميد الدولة وسعد
الملك ابو المعالي الفضل بن عبد الرزاق الاصبهاني بن المطلب ابو القاسم علي بن
محمد بن جهير وابو المعالي هبة الله بن محمد بن علي ونظام الدين ابو منصور
الحسين بن الوزير ابي شجاع و وزر للمسترشد ابنه عميد الدولة ابو شجاع
وسنه تسع عشرة سنة وستة اشهر ولم يل الوزارة اصغر منه وابو نصر بن
نظام الملك وعميد الدولة جلال الدين ابو علي الحسن بن صدقة وشرف الدين
صدر الاسلام ابو شروان بن خالد القاشاني وهو الذي كلف الحريري تصنيف
المقامات وشرف الدين عز الدولة ابو القاسم علي بن طراد الزينبي العباسي
قال الهمداني ولم يل الوزارة عباسي سواه ولقب معز الاسلام عضد الامام
صدر الشرق والغرب وكذا قال ابن كثير لا يعرف احد من العباسيين ولي الوزارة
له غيره و اما الراشد فلم يرتب له وزير مرتبه للعسكرية وكان المتولي لامره تاج
الدولة بهاء الدين ابو عبد الله الحسين بن مهيرا استاد الدولة ذاك وجلس

للمظالم في بيت النوبة جلوس الوزرا و وزر له بالعسكر جلال الدين بن نو
شروان وما تمت وزارته ووزر له جلال الدين ابو الرضى بن صدقة و وزر للمقتفي
شرف الدين ابن الزينبي ونظام الدين ابو نصر المظفر بن الزعيم علي بن جهير
وعون الدين ابو المظفر يحيى بن هبيرة وهو مصنف كتاب الافصاح وكان
من خيار الوزرا وعلمائهم وكان مبالغا في اقامة الدولة العباسية وحسم
مادة الملوك السلجوقية عنهم بكل ممكن حتى استقرت الخلافة في العراق
كل ليس للملوك معهم حكم الكلية ولله الحمد و وزر للمستنجد بن هبيرة
المذكور الى ان مات سنة ستين وخمسماية فوزر بعده شرف الدين ابو
جعفر بن البلدي ولقب جلال الاسلام معز الدولة و وزر للمستضي عضد
الدين بن رئيس الروسا بن المسلمة و وزر للناصر ابو المظفر جلال الدين
عبد الله بن يونس الحنبلي ومويد الدين ابو الفضل محمد بن علي بن
القصاب وعز الدين ابو المعالي سعيد بن علي بن حديدة الانصاري ونصير
الدين ناصر بن مهدي العلوي ومويد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم
القمي و وزر للظاهر القمي هذا و وزر للمستنصر القمي ايضا وشمس الدين
ابو الازهر احمد بن محمد بن الناقد ونصير الدين بن العلقمي و وزر للمستعصم
نصير الدين بن محمد بن الناقد الى ان مات سنة اثنتين واربعين وستماية فلما
مات استوزر مويد الدين ابا طالب محمد بن احمد بن العلقمي وهو الوزير
المشوم على الخليفة وعلى بقية بني العباس وعلى ساير المسلمين وعلى
نفسه ايضا فانه الذي مالا التتار حتى قدموا واخذوا بغداد وقتلوا
الخليفة وجرا ما جرا و قال فيه بعضهم ✱

✱ يا فرقة الاسلام نوحوا واندبوا ✱ اسفا على ما حل بالمستعصم ✱
✱ دست الوزارة كان قبل زمانه ✱ لابن الفرات فصار لابن العلقمي ✱

و قال ابن فضل الله في ترجمته وزير وليته لا وزر وارتفع راسه وليته
رض بالحجر كمن كمون الارقم وسقى الناس من كاس العلقم و اما مصر فكانت
امرة بلا وزارة الى ايام السلطان احمد بن طولون فعظم امرها و وزر لخمارويه

ابو بكر محمد بن علي بن رستم الماذرائي الكاتب و وزر لكافور الاخشيدي
ابو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابه و وزر للمعز جوهر القايد
وللعزيز ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس وكان يهوديا فاسلم
وفوض اليه الامور في ساير مملكته قال ابن زولاق وهو اول من وزر للدولة
العبيدية بالديار المصرية وكان من جملة كتاب كافور فلما مات حزن عليه
العزيز حزنا شديدا واغلق الدواوين اياما من اجله وكانت وفاته سنة
ثمانين وثلاثماية و وزر بعده نصراني يقال له عيسى بن نسطورس ثم
قبض عليه و وزر للظاهر ابو القاسم علي بن احمد الجرجاني في سنة ثمان
عشرة واربعماية الى ان مات في زمن المستنصر سنة ست وثلاثين فوزر بعده
ابو نصر صدقة بن يوسف الفلاحي وكان يهوديا فاسلم و فيه يقول الحسن
ابن خاقان الشاعر المصري ✱

✱ حجاب واعجاب وفرط تصلف ✱ ومد يد نحو العلى بتكلف ✱
✱ فلو كان هذا من وراء كفاية ✱ عذرنا ولكن من وراء تخلف ✱

و كان معه ابو سعد التستري اليهودي يدبر الدولة ايضا فقال بعض الشعراء

✱ يهود هذا الزمان قد بلغوا ✱ غاية امالهم وقد ملكوا ✱
✱ العز فيهم والمال عندهم ✱ ومنهم المستشار والملك ✱
✱ يا اهل مصر اني نصحت لكم ✱ تهودوا قد تهود الفلك ✱

ثم عزل الفلاحي سنة تسع وثلاثين و وزر بعده ابو البركات الحسين بن محمد
ابن احمد الجرجاني ابن اخي الوزير صفي الدين ثم صرف في شوال سنة احدى
واربعين و وزر القاضي ابو محمد الحسن بن علي اليازوري مضافا الى القضاة
ولقب الناصر للدين غياث المسلمين الوزير الاجل المكين سيد الروسا تاج
الاصفيا قاضي القضاة وداعي الدعاة و في ايامه سال المستنصر ان يكتب
اسمه معه على السكة فكان ينقش عليها ضربت في دولة آل الهدى من آل
طه وآل ياسين مستنصر بالله جل اسمه مع الناصر للدين كذا سنة وطبعت
عليها الدنانير نحو شهر وامر المستنصر ان لا يسطر في السير ثم عزل اليازوري

عن الوزارة والقضا في المحرم سنة خمسين و وزر ابو الفرج عبد الله بن محمد
البابلي ثم صرف في ربيع الاول من السنة و وزر ابو الفرج محمد بن جعفر المغر
بي ثم صرف في رمضان سنة اثنتين وخمسين واعيد البابلي ثم صرف في المحرم
سنة ثلاث وخمسين و وزر ابو الفضل عبد الله بن يحيى بن المدبر ثم صرف في
رمضان و وزر ابو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم اخو قاضي القضاة الى ان مات
في المحرم سنة اربع وخمسين و وزر ابو الفرج محمد بن جعفر المغربي ثم صرف
من عامه و وزر سديد الدولة الحسين بن علي الماشلي ثم صرف في شوال
واعيد ابو الفرج البابلي ثم صرف في المحرم سنة خمس وخمسين واعيد ابو
علي احمد بن عبد الحاكم مضافا للقضاء ثم صرف في صفر واعيد ابو الفضل بن
المدبر ثم مات في جمادى الاولى من السنة و وزر ابو غالب عبد الظاهر بن
الفضل بن الموفق المعروف بابن العجمي ثم صرف في شعبان و وزر الحسن
ابن مجلي بن اسد بن ابي كدينة مضافا للقضا ثم صرف في ذي الحجة و وزر
احمد بن عبد الحاكم مضافا للقضا ثم صرف في المحرم سنة ست وخمسين و وزر
ابو المكارم المشرف بن اسعد بن عقيل ثم صرف في ربيع الاخر واعيد ابو
غالب عبد الظاهر ثم صرف في رجب و وزر ابو البركات المعين بن عماد
الدولة الجرجاني ثم صرف في رمضان واعيد الحسن بن مجلي ثم صرف في ذي
الحجة و وزر ابو علي الحسن بن ابي سعد ابراهيم بن سهل التستري ثم
صرف في نصف المحرم سنة سبع وخمسين و وزر ابو شجاع محمد بن الاشرف
ابي غالب محمد بن علي بن خلف ثم صرف ثاني يوم منها واعيد ابن ابي
كدينة ثم صرف بعد اربعة ايام واعيد ابو شجاع بن الاشرف ثم صرف في
نصف ربيع الاول و وزر سديد الدولة ابو القاسم هبة الله بن محمد الرحبي
ثم صرف في ربيع الاخر واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في رجب واعيد
ابو المكارم المشرف بن اسعد ثم صرف في شوال و وزر الامير ابو الحسن علي
ابن الانباري ثم صرف في ذي الحجة واعيد سديد الدولة هبة الله ثم صرف
في ربيع الاخر سنة ثمان وخمسين و وزر جلال الملك احمد بن عبد الكريم بن

مضافا

مضافا للقضا ثم صرف بعد ايام و وزر ابو الحسن بن طاهر ثم صرف بعد ايام
و وزر ابو عبد الله محمد بن ابي حامد التنيسي يوما واحدا ثم صرف و وزر
ابو سعد منصور بن زنبور ثم هرب بعد ايام و وزر ابو العلا عبد الغني بن
نصر بن سعيد ثم صرف بعد ايام واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف و وزر محمد
ابن جعفر المغربي ثم صرف و وزر جلال الملك ثم صرف و وزر خطير الملك
ابن الموفق بن البازوري ثم صرف واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في سنة ست
وستين و ولي الوزارة امير الجيوش بدر بن عبد الله الجمالي واليه تنسب
قيسارية امير الجيوش والعامة يقولون من جوش وهو باني الجامع الذي
بثغر الاسكندرية بسوق العطارين فاقام الى ان مات سنة ثمان وثمانين
واربعماية فاقام في الوزارة ولده الافضل ابو القاسم شاهنشاه فوزر
للمستنصر بقية ايامه وللمستعلي وصدرا من ولاية الامر ثم انه قتل ضربه بدار
وهو راكب وذلك في رمضان سنة خمس عشرة وخمسماية قال ابن خلكان وترك من
الاموال ما يفوق العد من ذلك من الذهب العين ستماية الف الف دينار ومن الفضة
مايتين وخمسين اردبا وسبعين الف ثوب ديباج اطلس ودواة ذهب فيها جوهر
باثني عشر الف دينار وخمسماية صندوق للبس بدنه وصندوقان كبيران فيهما
ابر ذهب برسم النساء ومن ساير الانواع ما لا يعلم قدره الا الله وقام في
الوزارة مكانه ابو عبد الله محمد بن مختار بن فاتك البطايحي ولقب المامون وهو
باني الجامع الاقمر وله صنف الامام ابو بكر الطرطوشي كتاب سراج الملوك ثم قبض
عليه الامر وقتل في سنة تسع عشرة و قام في الوزارة ابو علي احمد بن الافضل
ولقب امير الجيوش فلما ولي الحافظ استحوذ الوزير على الامور دونه وعضد
الحافظ في موضع لا يدخل اليه الا من يريده ونقل الاموال من القصر الى داره ولم
يبق للحافظ سوى الاسم فقط ودعي لنفسه على المنابر بناصر امام الحق هادي القضاة
الى اتباع الحق مولى الامم ومالك فضيلتي السيف والقلم وخطب للمهدي المنتظر
اخر الزمان فلم يزل كذلك الى ان قتل في العشرين من المحرم سنة خمس وعشرين
قتله مملوك افرنجي للحافظ بامره و استوزر بعده مملوكه ابا الفتح بالسر

الحافظي ولقب امير الجيوش ايضا ثم تخيل منه الحافظ فدس عليه من سمه في
ماء الاستنجاء فمات و استوزر بعده ابنه الحسن اعني ولد الحافظ الخليفة
وكان ولي عهد ابيه فاقام ثلاثة اعوام يظلم ظلما فاحشا حتى انه قتل في
ليلة اربعين اميرا فجاء ابوه فدس عليه من سمه فهلك في سنة تسع
وعشرين ثم استوزر بهرام الارمني النصراني ولقب تاج الدولة فتمكن في
البلاد واساء السيرة فقبض عليه الحافظ وسجنه و استوزر بعده رضوان
ابن الوحشي ولقب الملك الافضل ولم يلقب بذلك وزير قبله ثم وقع بينه
وبين الحافظ فقتله سنة اثنتين واربعين وخمسماية واستقل بتدبير امور
دولته من غير وزير فلما ولي الظافر سنة اربع واربعين وخمسماية استوزر
ابا الفتح بن فضال المغربي ولقب امير الجيوش فاحسن السيرة ثم قتل سنة
خمس واربعين و وزر ابن سلار ولقب الملك العادل ثم قتل من عامه و وزر ابو
نصر عباس الصنهاجي فدس على الظافر من قتله فقتل هو ايضا فلما اقيم بعده
الفايز و زر له طلائع ابن رزيك ويلقب بالملك الصالح وهو صاحب الجامع بجوار
باب زويلة وخلع عليه مثل الافضل امير الجيوش بدر الجمالي من الطيلسان
المقور وكتب تقليده من انشاء الموفق ابي الحجاج يوسف مجلي في اول الصفحة
الخامسة من هذه الكراسة واقام ابن رزيك وزيرا الى ان قتل في رمضان سنة
ست وخمسين في خلافة العاضد والفايز كلاهما تحت حجره فاقيم بعده في
الوزارة ابن رزيك ولقب العادل فاقام فيها سنة وكسرا وقتل و وزر بعده
ابي الشوم العلقمي وزير المستعصم فان هذا قد اطمع الفرنج في ديار مصر
بل ومالاهم على ذلك كما ان العلقمي هو الذي اطمع التتار في اخذ بغداد الا ان
الله لطف بمصر واهلها فقيض لهم عسكر نور الدين الشهيد فازاحوا
الفرنج عنها وقتل الوزير شاور بيد صلاح الدين بن ايوب وقال بعض الشعراء
في ذلك ،، هنيئا لمصر حوز يوسف ملكها ،، بامر من الرحمن قد كان موقوتا ،،
،، وما كان فيها قتل يوسف شاورا ،، يماثل الا قتل داود جالوتا ،،
وكان قتل شاور في ربيع الاخر سنة اربع وستين و ولي للوزارة بعده الامير

اسد

اسد الدين شيركوه ولقب الملك لقبه بذلك العاضد فاقام فيها شهرين وخمسة
ايام ومات في جمادى الاخرة فاستوزر العاضد بعده ابن اخيه صلاح الدين يوسف
ابن ايوب ولقب الملك الناصر وقد تقدم ذكر الخلعة التي لبسها يومئذ ثم
ان صلاح الدين ازال دولة بني عبيد واعاد الخطبة لبني العباس في اول سنة
سبع وستين فصار لمصر اميرا بعد ان كان وزيرا وجعل وزيره القاضي محيي
الدين عبد الرحيم البيساني فاستمر وزيرا له ولولده الملك العزيز ولولد
العزيز الملك المنصور الى ان مات سنة ست وتسعين وخمسماية فوزر بعده
للعادل صفي الدين بن شكر الدميري الى ان عزل سنة تسع وستماية و وزر
للكامل ابن شكر ايضا الحسن بن احمد الدياجي و وزر للصالح جمال الدين بن
علي بن جرير الرقي ومعين الدين الحسن صدر الدين بن شيخ الشيوخ واخيه فخر
الدين يوسف القاضي بدر الدين السنجاري القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز
و وزر لشجرة الدر في دولتها بهاء الدين علي بن محمد بن سليم المعروف
بابن حنا و وزر للمعز الاسعد بن الاغسر الاشفى هبة الله بن صاعد الفايزي
وكان هذا اول شوم الاتراك في مملكتهم ان عدلوا عن وزارة العلماء الى الاقباط
والمسالمة وكان الاسعد هذا نصرانيا فاسلم فلما تولى الوزارة احدث
مكوسا ومظالم كثيرة على نحو ما كانت في ايام العبيديين و وزرائهم النصارى
والرافضة و قد كان السلطان صلاح الدين ابطلها فاحدثها هذا الملعون
فقد قال فيه بعضهم ،،
،، لعن الله صاعدا ،، واباه فصاعدا ،، وبنيه فنازلا ،، واحدا بعد واحد ،،
و لما قتل المعز قبض ولده على الاسعد هذا ثم قتل في سنة خمس وخمسين
و ولي الوزارة بعده للمظفر القاضي بدر الدين السنجاري مضافا للقضاء
ثم صرف من عامه من الوزارة و وليها القاضي تاج الدين بن بنت الاعز ثم
صرف في ذي القعدة سنة سبع وخمسين و وزر زين الدين يعقوب بن عبد
الرحيم المعروف بابن الزبير فاقام الى ايام الظاهر بيبرس فعزله عن الوزارة
في ربيع الاخر سنة تسع وخمسين و استوزر بعده الصاحب بهاء الدين

ابن حنا فاقام وزيرا الى ان مات الظاهر وتولى ولده الملك السعيد فاقره على
الوزارة وكتب له تقليد من انشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وهذه
صورته الحمد لله الذي وهب هذه الدولة القاهرة من لدنه وليا وجعل مكان
سرها وشد ازرها عليا ورضي لها بمن لم يزل عند ربه مرضيا • نحمده على نعمه
التي امسى بنا برها حفيا • ونشكره على ان جعل دولتنا جنة اورث نعم بيوتها
من كان تقيا • ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نسبح
بها بكرة وعشيا • ونصلي على سيدنا محمد النبي الذي اتاه الله الكتاب وجعله نبيا
صلى الله عليه وعلى اله وصحبه صلاة نتبع بها صراطا سويا • وبعد فاولى ما
تنعمت الالسنة الاقلام بتلاوة سوره • وتنعمت افواه المحابر بالاستمداد لتسطير
سيره • وتناجت الكرام الكاتبون لمجمله ومفصله • وتهادت الاقاليم ما
تحب مجمله وموجله • وعنت وجوه المهارق لصعود كلمه الطيب ورفع صالح
عمله • ما كان فيه شكر لنعمة يمنها على الدولة سعادة جدودها وحظوظها
واجادة مصونها ومحفوظها وارادة مرموقها بحسن الاستبداع وملحوظها
وحمد لنعم افادتها بركة احسنت للمملكة الشريفة مالا • وقويت لها
منالا • واصلحت لها احوالا • وكاثرت مدد البحور كلما اجرين اك ما اجريت
فيما لا • وان ضعفت السحب انشات سحابا • وان قيل لسحب سحها رونق الارض
ذهب عوضت عنه ذهبا • وكم لها في الوجود من كرم وكرامه • وفي الوجوه
من وسوم ووسامه • كم احيت مهجا • وكم جعلت للدولة من امرها مخرجا •
وكم وسعت املا وكم تركت صدر الخزاين ضيقا حرجا • كم استخدمت جيشا نجده
في بطن البر وجيش جهاد على ظهور الخيل • وكم انفقت في واقف في قلب بيني
الصفوف والحروب • وفي واقف في صفوف المساجد من اصحاب القلوب • كم سبيل
نشرت • وسعود كثرت • وكم مخاوف اذ برت خيوط برت • وكم اثار في البلاد
والعباد اثرت وما اثرت • وكم واقف وقفت • وكم كفت وكفت • وكم اعجفت
وعجفت • وكم بها موازين الاولياء ثقلت • وموازين للاعداء خفت • كم اخرت
من قوت • وكم عرفت بمعروف • وكم بيوت عبادة صاحب البركات هو

محرابها

محرابها • ومشي جود هو سحابها • ومدينة علم هو بابها • تثني الليالي
على تقلبه الى المساجد في الحنادس • والايام على تهجيره لعيادة مرضى الفقراء
وحضور جنايز وزيارة القبور والدارس • ومكثه تحت جناح عدله الظاعن
والمقيم • وتشكر سوايره يثرب ومكة وزمزم والحطيم • كم عمت سنن بعقدا
نه ونوافله • وكم موت صدقاته بالوادي فسح الله في مدته ما تضمن عليه وما
لدوبالنا وبجا ثمت ارامله ما زاد الشام الا اغناء من منة المطر • ولا صب سلطا
نه في سعو الا فان نعم الصاحب في السفر والحضر • ولما كان المنعوت بهذه
البركات هو واحد الوجود ومن لا يشاركه في المزايا شريك وان الليالي بايجاد
مثله غير ولود وهو الذي لولا نسمه فان سامع هذه المناقب هو الموصوف
عند الله وعند خلقه معروف وهذا الممدوح باكثر من هذه المدائح والمنا
مح من رتبة الممدوح والممنوح والمنعوت بذلك قد نعته باكثر من هذه النعوت
الملايكة وانما تذكر نعوته التذاذا ابلا يعتقد كاتب ولا خاطب انه وفى
جلاله بعض حقها فانه اشرف من هذا واذا كان ولا بد للمادح انها
تحول للقلم انه يقول فتلك بركات المجلس العالي الوالدي الصاحبي الوزيري
السيدي الوري الزاهدي العابدي الخيري الكفيلي المهدي المشيدي
العوني القوامي النظامي الافضل الاشرفي العامل العادل البهائي سيد
الوزراء والاصحاب في العالمين كهف العابدين ملجا الصالحين شرف الاولياء
المتقين صاحب القول سداد الثغور صلاح الممالك قدوة الملوك والسلاطين
يمين امير المؤمنين علي بن محمد ادام الله جلاله من تتشوف الاقاليم بحيا
لحظ قلمه المبارك والتقاليد بتجديد تنفيذه الذي لا يساهم فيه ولا يشارك
فيما جدد منها انما هو بمثابة ايات تتلى فتتردد او بمنزلة اسجال في
به يحكم وفيه يشهد حتى يتناقل شيوخه الايام والليالي ولا يخلو جيد دولة
ان يكون الحال بما له من معالي اللالي ولذلك خرج الامر العالي لا برح يكسب
بها الدين المحمدي انس الانوار ولا برحت مراسمه تزهو من قلم مقعده بهذه
الجهة في الشريفة الصاحبية البهائية احسن التضمين وان ينشر منها

ما ينبغي وابنه كل رب سيف وقلم باليمين وان يعلم كافة الناس ومن تعمه طاعة
هذه الدولة وملكها من ملك وامير وكل مدينة ذات منبر وسرير وكل من
جمعته الاقاليم من نواب سلطنة وذوي طاعة مذعنة واصحاب عقد وحل وذوي
ظعن وحل وذوي جنود وحشود وراضي اعلام وبنود وكل راع ورعية
وكل من ينظر في الامور الشرعية وكل صاحب علم وذي تدبير وتحليل وتقديس
وكل من يدخل في حكم هذه الدولة العالية من شموسها المضيئة وبدورها
المنيرة ونجومها المشرقة وسهمها النافذ في الممالك المصرية والنوبة الشا
حلية والكركية والشوبكية والشامية والحلبية وما تداخل من ذلك من ثغور
وحصون وممالك ان القلم المبارك الصاحبي البهائي في جميع هذه الممالك مبسوط
وامر تدبيرها به منوط عناية شفقته بها تحفظ وله النظر في احوالها وامو
لها واليه امر نبنيها ودواوينها وكتابها وحسابها ومراتبها ورواتبها
وتصريفها ومصروفها واليه التولية والصرف واليه تقدمة البدل والنعت
والتوكيد والعطف وهو صاحب الرتبة التي لا يجهلها سواه وسوى من هو ذو
مرتضيه من العبادة الوزارية وما سمينا غيره وغيرهم بالصاحب فليحذر
يخاطب غيرهم بها او يسميه فكما كان والدنا الشهيد يخاطبه خاطبناه بذلك
وما عدلنا عن ذلك لانه ما ظلم من اشبه اباه فمنزلته لا تسامى ولا تسام ومكا
نته لا ترامى ولا ترام ومن ركب الى جلالته سبح جوا غرق في بحره ومن قبل
لسعادته حبل كيف وانما يتلوه مبومة ليحرى بنا دبيب الالسنة والاقلام والا
قدام في خدمته احسن الاداب وليقل المتوجه دون حطة اذا دخلوا الباب ولا
يغرهم بوطه تواضع لدينه وتقواه فمن تادب معه تادب معنا ومن تادب
معنا تادب مع الله وليتلى هذا التقليد على رؤوس الاشهاد وتنسخ ذوي
نسخته حتى يتناولها الامصار والبلاد فهو حجتنا على من سميناه خصوصا
ومن يدخل في ذلك بطريق العموم فليعملوا فيه بالنص والقياس والاستنبا
والمفهوم والله يزيد المجلس العالي الصاحبي البهائي من فضله ويبقيه
لغاية هذه الدولة لصونه ويمتع بقيته الصالحة التي يحسن بها ان شاء

الله

الله بقاء الجوهر كما حسن نما اصله و استمر الصاحب بهاء الدين في الوزارة الى
انقضاء ايام الملك السعيد في ذي القعدة سنة سبع وسبعين وكان الملك
السعيد اذ ذاك بدمشق فلما بلغته وفاته ارسل الى برهان الدين الخضر بن
الحسن السنجاري باستقراره وزيرا بالديار المصرية فقال القاضي محيي الدين
ابن عبد الظاهر حين سير اليه تقليد الوزارة بكزلك الخلاف واصطلح الخصما
لدولة الملك السعيد كلما قالت الوزارة بالبرهان قال البرهان بالتقليد

و قال السراج الوراق حين خلع عليه

تهن بخلعة لبست جمالا ... بوجه منك سعد مجتلوه
وقال الناس حين طلعت فيها ... اهذا البدر قلت لهم اخوه

و قال في خلعة ولده شمس الدين

اهنى الوزير بن الوزير بخلعة ... محاسنها فاقت العقل والحس
اضاءت بها الآفاق شرقا ومغربا ... ولا ومن الوا فيها مطلع الشمس

ولما عوجل خلع الملك السعيد قال ناصر الدين بن النقيب

تطيرت الوزارة من قريب ... بصاحبها الجديد ومن بعيد
وقال كعبه كعب شوم ... ولا سيما على الملك السعيد

و اقام السنجاري في الوزارة الى ان تولى قلاوون في رجب سنة ثمان وسبعين
فعزله واستوزر فخر الدين بن لقمان كاتب السر فاقام الى جمادى الاخرة سنة
تسع وسبعين فاعيد السنجاري الى الوزارة ورجع ابن لقمان الى كتابة الانشا
فاقام الى ربيع الاول سنة ثمانين فعزل و وزر نجم الدين حمزة بن محمد بن
هبة الله الاصفوني و وزر الامير علم الدين سنجر الشجاعي وهو اول من
ولي الوزارة من الامراء واول وزير ضربت على بابه الطبلخاناه على قاعدة
وزراء الخلفاء بالعراق ثم عزل و وزر الامير نور الدين بيدرا ثم صرف واعيد
الشجاعي ثم صرف و وزر شمس الدين محمد بن عثمان المعروف بابن السلعوس
فاقام الى ان قتل الاشرف فاخذ وضرب الى ان مات تحت الضرب و كان لما
تولى الوزارة كتب اليه بعض اصحابه يحذره من الامير سنجر الشجاعي المنصوري

تنبه يا وزير الارض واعلم ،، بانك قد وطيت على الافاعي
وكن بالله معتصما فاني ،، اخاف عليك من نهش الشجاعي

فكان الذي تسبب في اهلاك الشجاعي وولي الشجاعي الوزارة مكانه فاقام بها
اكثر من شهر وحدثته نفسه بالسلطنة فقتل و ولي الوزارة بعده تاج الدين
الصاحب بهاء الدين بن حنا فاقام الى ان تولى العادل فعزل و ولي مكانه فخر
الدين بن عمر بن مجد الدين عبد العزيز بن الخليلي فاقام الى ان تولى لاجين فعزل
و ولي مكانه الامير شمس الدين سنقر الاعسر ثم عزل من عامه وحبس
فلما اعيد الملك الناصر الى السلطنة اخرج الاعسر من الحبس واعاده الى
الوزارة ثم عزله في سنة احدى وسبعماية و ولي الامير عز الدين بن ايبك
المنصوري و ولي ناصر الدين بن محمد السنجي ثم عزل في شوال سنة اربع و وزر
سعد الدين بن محمد بن محمد بن عطايا في المحرم سنة ست و وزر التاج بن
العوج بن سعيد الدولة المسلماني و وزر ضياء الدين بن الفتاي فلما عاد
الناصر الى السلطنة المرة الثالثة سنة تسع استوزر فخر الدين بن الخليلي
ثم عزل في رمضان سنة عشرة و وزر الامير سيف الدين بكتمر الحاجب ثم عزل
في ربيع الاخر سنة احدى عشر و وزر امين الملك ابو سعيد المستوفي
و وزر في سنة ثلاث وعشرين امين الملك ثم وزر الامير علاء الدين بن مغلطاي
الجمالي ثم ابطل الناصر الوزارة ورتب وظيفة ناظر الخواص و ولاها كريم الدين
ابن عبد الكريم بن هبة الله بن السديد فكان كالوزير وربما قيل له الصاحب
واستمرت الوزارة شاغرة الى سنة سبع واربعين فاستوزر الكامل شعبان
نجم الدين بن محمود بن شروين وكان اصله وزير بغداد ثم عزل في المحرم و وزر
الامير بيمش المحمدي ثم عزل و وزر الامير منجك اليوسفي ثم عزل ثالث
ربيع الاول سنة تسع واربعين و وزر الامير استدمر القمري في رابع عشر
ثم استعفى في خامس ربيع الاخر فاعفي واعيد منجك ثم عزل في محرم سنة
احدى وخمسين و وزر علم الدين عبد الله بن احمد بن زنبور القبطي ثم عزل
في رمضان سنة ثلاث وخمسين و وزر موفق الدين بن هبة الله بن سعيد الدولة

القبطي

القبطي فاقام الى ان مات في ربيع الاخر سنة خمس وخمسين وشغرت الوزارة بعده
الى سنة ثمان وخمسين و وزر الامير قشتمر ثم عزل سنة تسع وخمسين و وزر
تاج الدين بن ريشة ثم عزل سنة احدى وستين و وزر فخر الدين بن احمد
ابن قزوينة ثم عزل في سنة ثمان وستين و وزر جمال الدين بن عبد الله بن
موسى بن ابي شاكر ثم وزر الامير الاكز الكشلاوي فوزر كريم بن غنام فخر
الدين بن تاج الدين ثم صرف سنة اربع وسبعين و وزر تاج الدين بن الملكي
المعروف بالنشو ثم في سنة خمس وسبعين اعيد منجك اليوسفي الى الوزا
رة وفوض اليه السلطان كل امور المملكة وانه اقامه مقام نفسه في كل
شيء وانه يخرج الاقطاعات التي عبرتها سبعماية دينار فما دونها وانه
يعزل من شاء من ارباب الدولة ويخرج الطبلخانات والعشرات بسائر الممالك
الشامية ورسم للوزير ان يجلس قدامه في الدكاء مع الموقعين ثم مات
منجك في اول سنة ست وسبعين قال ابن الكرماني في مختصر المسالك وهو
الذي جعل للمماليك اللحم السميط في وزارته ولم يكن يعرف عليهم قبل ذلك
الا السليخ و وزر تاج الدين بن عبد الوهاب الملكي ويعرف بالنشو ثم صرف
في رجب سنة ست وسبعين واعيد ابن الغنام ثم صرف من عامه وتعطلت
الوزارة الى ربيع الاول سنة سبع وسبعين فاعيد التاج الملكي ثم صرف
في سنة ثمان وسبعين واعيد ابن الغنام ثم صرف واعيد النشو ثم صرف
واستقر كريم الدين بن الرويهب ثم عزل في شوال سنة تسع وسبعين و وزر
صلاح الدين بن خليل بن عوام ثم عزل في صفر سنة ثمانين و وزر كريم الدين
ابن مكانس ثم عزل في شوال من السنة واعيد النشو ثم عزل في ربيع سنة
احدى وثمانين و وزر شمس الدين بن المقسي ثم عزل و وزر علم الدين بن زنبور ثم
عزل سنة خمس وثمانين و وزر شمس الدين بن ابراهيم كاتب ارباب الدولة فاقام
الى ان مات سنة تسع وثمانين و وزر بعده علم الدين بن ابراهيم القبطي بن
كاتب سيدي ثم عزل في رمضان سنة تسعين و وزر كريم الدين بن سعد الله
ابن البقري في ربيع الاخر من السنة ثم عزل في رمضان سنة اثنتين وتسعين

واعيد العجمي ثم عزل في صفر و وزر ركن الدين عمر بن قايماز ثم عزل في رجب
و وزر تاج الدين بن ابي شاكر ثم عزل في المحرم سنة خمس وتسعين و اعيد
موفق الدين ثم عزل سنة ست وتسعين و وزر الامير ناصر الدين بن محمد بن
رجب بن كلبك بن الحسام ولقب وزير الوزراء الى ان مات في صفر سنة ثمان
وتسعين و وزر بياركشاه ثم صرف في رجب واعيد ابن البقري ثم عزل
في ربيع الاول سنة تسع وتسعين و وزر بدر الدين بن محمد الطوخي ثم
عزل في ربيع الاخر سنة احدى وثمانمائة و وزر تاج الدين بن عبد الرزاق
ابن ابي الفرج ثم صرف في ذي القعدة من السنة و وزر الشهاب احمد بن
عمر بن قطينة ثم صرف في ذي الحجة من السنة و وزر فخر الدين بن ماجد بن
غراب ثم صرف في ربيع الاخر سنة اثنتين واعيد بدر الدين بن الطوخي
ثم عزل واعيد ابن غراب ثم عزل في رجب سنة ثلاث و وزر علم الدين
يحيى بن اسعد المعروف بابي كم ثم صرف في ربيع الاخر سنة اربع و وزر
الامير بياركشا الحاجب ثم صرف و وزر تاج الدين بن البقري ثم صرف
في محرم و وزر فخر الدين بن غراب ثم عزل سنة خمس و وزر علاء الدين
الاخمسي ثم عزل في شوال و وزر بياركشاه ثم صرف و ولي تاج الدين
ابن البقري ثم توارى في المحرم سنة ست وثمانمائة واعيد علم الدين بن
كم ثم صرف بعد ثمانية ايام واعيد ابن البقري ثم صرف في ربيع الاول
و اعيد تاج الدين بن عبد الرزاق ثم هرب ايضا بعد ايام و اعيد ابن البقري
ثم صرف في ذي الحجة سنة سبع و اعيد فخر الدين بن ماجد بن غراب ثم
صرف في سنة تسع و وزر جمال الدين البيري الاستادار ثم صرف في
سنة اثنتي عشرة و وزر سعد الدين ابراهيم بن البشيري ثم صرف في
ربيع الاول سنة ست عشرة و وزر تاج الدين بن الهيصم ثم صرف و وزر
تقي الدين بن عبد الوهاب بن ابي شاكر في المحرم سنة تسع عشرة فاقام الى
ذي القعدة من السنة ومات فوزر فخر الدين بن الاستادار ثم استعفى في
شوال سنة عشرين و وزر ارغون شاه ثم صرف في ذي القعدة من عامه و وزر

بدر

بدر الدين بن نصر الله ثم صرف في المحرم سنة اربع وعشرين و وزر تاج الدين بن
كاتب المناخات ثم صرف في ذي الحجة سنة خمس وعشرين و وزر ارغون شاه
ثم صرف في شوال سنة ست وعشرين و وزر كريم الدين بن كاتب المناخات ثم
صرف في رجب سنة سبع وثلاثين و وزر امين الدين بن الهيصم ثم صرف في
صفر سنة ثمان وثلاثين و وزر سعد الدين ابراهيم بن كاتب حكم ثم صرف
و وزر اخوه جمال الدين يوسف في ربيع الاول من السنة ثم صرف في جمادى
الاخرة من السنة و وزر تاج الدين عبد الوهاب بن الخطير ثم صرف في
رمضان سنة تسع وثلاثين و وزر الامير خليل بن شاهين نايب الاسكندرية
ثم صرف و وزر كريم الدين بن كاتب المناخ في ربيع الاول سنة اربعين
ثم صرف في جمادى الاخرة سنة احدى وخمسين و وزر عوضا عنه امين الدين
ابن الهيصم ثم صرف و وزر سعد الدين فرج بن النحال ثم صرف في جمادى
سنة ثمان وخمسين و وزر امين الدين بن الهيصم ثم صرف في ذي القعدة
من السنة و اعيد سعد الدين ثم صرف في صفر سنة تسع وخمسين و وزر
نصر الله بن النجار ثم صرف عن قريب و اعيد سعد الدين ثم صرف و وزر
علي بن محمد الاهناسي ثم صرف في صفر سنة اربع وستين و وزر فارس
المحمدي يوما واحدا ثم صرف و وزر منصور الكاتب ثم صرف و وزر
محمد الاهناسي والد علي المذكور عشرة ايام ثم صرف و وزر منصور
الاسلمي ثم صرف في ربيع الاخر و اعيد سعد الدين بن النجار ثم صرف
في ربيع الاول سنة خمس وستين و اعيد ابن الاهناسي ثم صرف و وزر
شرف الدين بن صنيعة ثم صرف في صفر سنة سبع وستين و اعيد ابن
الاهناسي ثم صرف في شوال و وزر مجد الدين بن البقري ثم صرف في المحرم
سنة ثمان وستين و وزر يونس بن عمر بن جريب ثم صرف عن قريب واعيد
المجد بن البقري ثم صرف في ربيع الاول و وزر محمد الساوي الى ان غرق
اخر ذي الحجة سنة تسع وستين و اعيد الشرف يحيى بن صنيعة ثم صرف
في جمادى الاخرة و وزر قاسم القرافي ثم صرف و وزر الامير يشبك

الدوادار ثم صرف ووزر الامير خشقدم الطواشي ثم صرف و وزر ابن
الزواري كاتب الصغير ثم صرف عن قريب و اعيد قاسم ثم صرف و وزر
الامير ايبردي الدوادار وقد وقفت على نسخة تقليد وزارة كتب الصالح طلا
يع ابن رزيك من انشاء الموفق ابي الحجاج يوسف بن علي بن الخلال وهذه صورته
بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فالحمد لله المنعم على المخلصين من اوليايه بسوا
بغ الالاء والمتكفل لمن نصره بنصره وتثبيت قدمه واعلايه المهيئ لمن
قام بحقه ارفع مراتب الدنيا والاخرة والموضح لمن حامى عن الدولة الفاطمية
ايات التاييد الباهرة والجامع القلوب على طاعة من اطاعه في الدفاع عن
اهل بيت نبيه والمحسن الى من احسن الى محبته غيرة لايمة الهدى بنيه
المصطفين من عترته وصحبه والمذلل الصعاب لمن رفع راية الايمان ونشرها والميسر
الطلاب لمن احيى كلمة التوحيد وانشرها لمن حاد الله ورسوله ممن اصطفاه
من ابرار عباده والماحي اساءة من اعلى سياق الحق وجهز لعباده والمعرض من
اسعده بالسبق الى مرضاته لنيل غايات المن الجسيم والمرتب من جاء في ذاته
في ارفع مراتب الاجلال والتعظيم والموجب لمن اخلص نية واحسن عملا تعجيل
مقام العز الكريم وتاجيل الخلود في النعيم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم والحمد لله الذي اوضح انوار الحق بانبيايه الهداة
وابان برسله الامناء لعباده مناهج النجاة وجعل العمل بما اشادوه ذريعة
المومنين لاعلى المنازل ورفيع الدرجات وختمهم بافضلهم نفسا ومحتدا
واحقهم بان يكون لكمالاتهم سيدنا محمد هادي الانام والداعي الى الاسلام
والمخصوص بانشقاق القمر وتظليل الغمام واورث اخاه وابن عمه باهر شرفه
وبارع علمه وابوته بامامة البشر وخص وامرها فيه وفي عقبه الى يوم
القيامة بحلي النص فاصبحت الامامة للملة الحنيفية قواما ولاسباب الشريعة
باسرها نظاما ونقل نورها في ايمة الهدى من نسله فينا وله الالاخر
من الاول وتلقاها الاكمل عن الاكمل فكلما رام معاند بخيف نورها او قصد
منابذ اخفاء ظهورها زادت انوارها اشراقا ووجد لبدورها كمالا

وانساقا

وانساقا ومكن قواعد علو ان جورها القاصرون واحكم معاقدها وان جهد في
حلها الماكرون يريدون ليطفيوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو
كره الكافرون والحمد لله الذي حفظ بامير المومنين الخلافة ونظامها وانسا
قها وحمى ليا فنه دوحة الامامة وابقى نضرتها وابرافها واورث خصايص الايمة
الراشدين واودعه سراير دينه المصونة في صدور انبيايه واوليايه بوارح
الارشاد والالهام وجعل طاعته برضاه موكدا على كافة الانام وخصه بالتوفيق
والعصمة وما خول الامة به سجال الرحمة واجزل باقامته امر الملة واحكم معاقد
الدين وجعله من هداه فالج وعلا فيهم وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا
واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين
يحمده امير المومنين على ما نقل اليه من خصايص ابايه الايمة الاطهار وايده
به في انصاره عوته من العلو والاستظهار وانجده به من ملوك السماء والارض
واظهر له من معجزاته واياته وابده بمزية من مكتوم الطهر لا يوتيه
ورايانه ويساله ان يصلي على جده محمد نبيه الامين ورسوله المبعوث في
الاميين الهادي الى جنات النعيم والمصطفى فيما بعثه بالفوز العظيم الذي
جلا الله ظلمات الجهالة ببعثته وشرف الايمة من ذريته بخلافته ووراثته
ورد النافر الى الطاعة بالبر والباس وجعله خير رسول الى خير امة اخرجت
للناس وعلى اخيه وابن عمه ابينا امير المومنين علي بن ابي طالب نسيبه في
المناسب والفضايل وثانيه في تشييع الشرايع والرسايل ومفرج الكرب عنه
بموازرته وصدق كفاحه وصاحب مدينة علمه الذي لا يوصل اليه الا با
ستفتاحه وعلى الايمة من ذريتهما الذين بلغ الله بهما الارب والسول
واغنا الامة بهداهم عن التعفيف بعده برسوله والعشرة المصطفين وبحار
العلم الزاخرة والمرجوين لصلاح الدنيا والاخرة وسلم ومجد وان امير المو
منين لما هداه الله من حوى الشرف الباذخ وحاز بها لمنصبه من الفخر
المجيد الشامخ واحرزته من خلافته على العالمين واورثه من غوامض الحكم الذي
لا يعقلها الا العالمون العالمين وحباه من ضروب الوجاهة والكرامة واباحه

عليه من انوار الامامة واوصله اليه من العناية الشاملة والبر الخفي وجعله له
من الاحسان الجلي واللطف الخفي واوفى من مواهب الفضل والافضال لديه وجعل له
من كل حركة وسكون دليلا واضحا يسير اليه بقدر نعمة الله حق قدرها وتوا
صل الشكر على الاعتداد بها ونشرها ويبالغ في شكرها قولا وعملا ونية
ويجهد نفسه في حمدها اجتهادا يرجو به درك الامنية ويتحقق ان اسماها
محلا وقدرا واولاها على كافة البرية ثناء وشكرا واعلاها قيمة واعمها
نفسا واعذبها ديمة واجمعها لضروب الجدل والاستبشار واجدرها بان تؤثر
في الامم احسن الاثار واوسعها في مضمار الاعتداد مجدا واعظمها على الرئيس
والمرؤوس نفعا ورفدا النعمة بك ايها السيد الاجل المنعوت اذ اكنت ذخيرة
في المذخورة لامنا به على خلقه والقايم دون البرية بما افترضه عليهم من
طاعة امير المومنين والاخذ له بحقه واللطف الذي كان من الامامة
ومن اعدايها حاجزا والنصر الذي اصبح به امير المومنين بعون الله فايزا
وحزب الله القاهر الغالب وشهاب امير المومنين الصايب الثاقب وظله الذي
يفيء على العام والخاص ومنهل فضله الذي يصفو ويعذب بالذي في الولاء
والاخلاص وسيفه الذي يستاصل في الشقاق والنفاق ويده التي تنشق
منها منابع العطاء وسحايب الارزاق والولي الذي ارتضاه امير المومنين
للمصالح كفيلا والصفي الذي لا تبغي ولنه عن موازرته تبديلا ولا تحويلا
وعلو قدره عند امير المومنين لا ينتهي الى امد ولا يقف به في الاخذ
بحقه يتجاوز كل سعي مبرور ومقام محمود وداعيه بنصرك الله في طاعته
يصغر عنده كل عظيم في محاماتك وشجاك صدر امير المومنين من اعدايه
اعجز القدرة عما يشفي غليله في احسان مجازاتك ولقد حزت من المناقب ما به
اهل نصرك قدما وسبقا وسموت بجلالك الرفد وفي مجد الافخم الهمم العلية
التي تنشيها مرتقا وما زلت في كل ارمنتك سلطانا مهيبا ومفردا في المجالس
لا تدرك له الا فكار غربا ومطاعا سارح بالتيانه الاندية والمحافل وهماما
باسمه المعايب ويدعو المحامل وسيد تلقى اليه مقاليد التقدمة والسيادة

بدعاك للاية لظهيرا وزاد في انعامه على الامة بارتضاك لهذه الاية اهل بيته
معينا ونصيرا وقد يصيبك من الفضايل والمناقب موهدك منها ما افاضه عليك
شرفا مزيلا ولا منزلة سناء الا وقد سموت اليها منتقلا ولا مزية بفضل الا
احتويت عليها وحزتها ولا منزلة تجل الا طلبها بفضايلك وحزتها ولا
ماثرة الا وكنت فاتح بابها ولا منزلة خطيرة الا وانت مستوجبها واولى بها
ولا سيما المجد الا وخصالك طالعة فيه. اما فيها الفخار ولا موقف بفضل الا ولك فيه
تقدم لا تنازع فيه ولا تمارى بما تقدم الا وقد فضلته باثارك وتقدمته ولا
يمين الا اسمته في جنات فضلك ورسمته تقلدت جلايل الامور ولبست
بها نباهة وتقدمتها وباسوتها بما حزت بمنافك جلالة ووجاهة وتخيما
في حريك الرتب اذيال الفخر والاحسان وتنزهي با فضالك التي تبعث عليها
ما اوتيته من شرف الجلال ولم يزل في براوليا الدولة ورجالها فاضل سيا
ستك فثبتت لهم الاقدام ويكفيهم عزة النفوس فيستهبطوا في حقي
الانتصار بك ملاقاة الحمام ورمى الله بك طغاة الكفار فنا في الاسلام واختا
رك للمجاهدة عن الملة فاصبحت بك مرفوعة الاعلام وابدت الاعداء الجوا
مع الناكبات من المكايد والمخاوف واعمال الحسام فلو تواخى بك الامل في جها
دهم لكنت تجليهم مستاصلا ويقرون لهم عن الاعمال السامية بقوانك فاضلا
لا ترك فيهم الاثر الذي لم يبلغه مجاهد وقاتلته في هامهم من حد القضيب
الصارم ما سل ناطق ومجدك شاهد فيما يبلغ التعداد ما جمعته من المناقب
والفضايل والاستولى الاحصاء على مالك من المفاخر التي لا يحيط بها احد
من الملوك الاوايل زهد الابدال الى همم المكارم وبوفقك في اعمالك بين
ما يقضي بصلاح الدنيا وحسن ثواب الاخرة فانت البر التقي النقي الحسب
الطاهر المبرا من كل دنس وعيب والمرضي خلائقه بالافعال التي لا يحويها
لبس ولا ريب وواحد الدنيا لا يسامى ولا يطاول والملك الاوحد الذي
ترغب الدولة كماله وانشايه ولا تماثل جعلتك الفضايل الباهرة غريبا في
الايام وخصك الحظ السعيد بعطف يهوي بتمويه ان يأتي مثلها الايام

وحويت من الاخلاق الملوكية ما قصر تعاطيها الملوك عن مجاراتك وافتننت في
الحلم والمعارف ما جعل كافة العلماء معترفين بعظم فضيلة ذاتك وفنونك
فيه من غوامض اسرار السر ولطائف حلم العلم وكانت فيك المعجزات لجمعك ما
افترق من مفاخر الامم بما اشرف ما افردك الله به من كمال الشجاعة والبراعة
وتوحدك بجيده من معجزات السيف الصارم والبراعة فسيفك مويد في حطه
القمم والهام وقلمك ماض في الاغراض لا يدرك الا بالالهام لكم مقام جلال
وجلاد بوجنة بعضب وبنان وتوقف خطاب وضراب كشفت غمته ليس قلمه
وسنان فسبحان من افردك باستكمال المآثر وجمع لك من المحاسن ما عجز وصفه
جهد الناظم والناثر واتاك غاية شرف النفس وكرم الاصل وكنت من كل
منقبة باحراز السبق وادراك الفضل واطلعك من افق علاء تكاثرت سعوده
واستخلصك من منصب سنا سمو فاعجز النجم صعوده وانتخبك من بيت عرفت
دعائمه لذات السمهرية وطالما صحبات القنا المشرفية وحشاياه صعو
دات الجرد للاعوجية ولقد كان وقع التمامل على الحضرة بعدك عن فنائها
وحسدت على قربك منها لما تعلم من مساعيك لها باعراقك في ولائها
وحاد بك عن موضعك من الاختصاص بها من قصد اهتضامها وابتغى لسوء
عقيدته نكاثها وصلها على انك لم تزل منصوبها على بعد الدار بل نصرت الحق
حيث كان وسرت معه حيث دار وقد كان امير المومنين اشتدت للامور وحرجت
الصدور وحارت الالباب واستشرف للارتياب يرجو من الله ان يصل انسك بالفرج
القريب ويصيب اعداوه من عزمك بالسهم المصيب واستجاب الله دعاءه فيك
بما ماثل دعاء جده رسول الله صلى الله عليه وسلم رضاها وحصل في ذلك على
معنى قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها
ولما وهب الله بك ايها السيد الاجل الملك الصالح عز دولة امير المومنين
غايات الفتوح وادرك بها ثار اولياء الله من ذوي البغي واحسن له الصنيع بموا
زرتك وبلغه مصابرتك ومكانتك لمداه جلو علا احاطه الخبرة بارجائه وقعد
من التعويل عليك لما كان غاية رجائه فقلدك من وزارته وفوض اليك تدبير

مملكته

مملكته وكفالته وجعلك امارة جيوشه المياميين وكفالة قضاة المسلمين وهداية
دعاة المومنين وفيه بر ما هو مرجو من الهيم من الصلاة والخطابة وارشاد الاولياء
والمستجيبين والنظر في كل ما عدق الله به من امور اوليائه اجمعين وجنوده وعسا
كره المريدين وكافة رعاياه بالحضرة وجميع اعمال المملكة دانيها وقاصيها
وساير احوال الدولة باديها وخافيها وكل ما ينعقد فيه اوامره ويفوح بشعا
يره منابره وردّ اليك تدبير ما وراء سرير خلافته وسياسته ما تحتوي عليه
اقطار مملكته والقى اليك مقاليد البسط والقبض والرفع والخفض والابرام
والنقض والقطع والوصل والولاية والعزل والتصرف والصرف والامضاء والوقف
والعفو والتنبيه والاجمال والتنويه وجميع ما يقتضيه صواب التدبير من
الانعام والارغام وما يوجبه احكام السياسة من الاناة والاقدام تبيينا لما
تحققه من بالغتك في متابعته واجتهادك في اعلاء منار دعوته وعلما بان
التوفيق لا يعدو وراءك والمسعود لا يفارق الحان فقلده ما قلدك امير المومنين
من هذه الرتبة العالية والمنزلة التي قرب عليك باملها اعمالك الوافية
والمنصب الذي يحكم فيه امير المومنين وينطق بلسانه ويبطش بيده ويحب
ويبغض بتخلية رضايه جازما على اسمك في تقوى الله وخشيته واتباع
مرضاته واستشعار وجهته وتحيز ما وعد به في كتابه الذي ينتهي اليه
الحكم وينسب له بقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا
يحتسب والعساكر المنصورة فهم اشياع الدين واعضاد دولة امير المومنين
واتباع دعوة اباية الراشدين والقايمون في دافعة الاعداء عن حوزة الدولة
العلوية والمدخرون للكفاح المباينين للمملكة الفاطمية والمرتدون بشعارها
في كل وقت وحين والمعدون للذب عن بيضة المسلمين وانصار الخلافة وطارد و
الموحل والمخاففة والمصطلون نيران الحروب والكفاة القلوب في المواقف التي تهتز
فيها السيوف وتضرب كضرب الرماح والممنوعون مرتبة اللطف لحسن معتقدهم
في الطاعة وفي نعتهم جهد الطاقة والاستطاعة ومنهم الامراء الاكابر
الاعيان الاماجد وولاة الاعمال وسداد الثغور واللابعة كلهم سواء في الرتب

ومعالي الامور والاولياء الذين سلفت موالاتهم من السوابق واشتملوا على غرر
المآثر والمناقب والاشراف الذين تنتفع بهم الخطب السلم والكفاة الذين
يتسرعون الى ما يبدون له من كل فهم ومازلت تحسن لهم الوساطة في
المحضر والمغيب وتشيع ذكرهم بما يتضوع نشره ويطيب وتبلغهم بما
يبلغون آمالهم وتشتهر في توفير المنافع عليهم وتحرص على اتصالها لهم
لا سيما الآن وجميع امورهم اليك مردود وقد ظهر لك من اخلاصهم في الطا
عة مقامهم المشهور وسعيهم المحمود فهم يتلقون منك بمضاعفة المكرمة
والتجمل جديرون عنايتك بتوفير حظهم من الاحسان الجزيل فتوخى كلا منهم
بما يقتضيه لاجلاله وتستدعيه نهضته واستقلاله وتغني لهم عما
يهتمون به من حفظ طاعتهم وصون مسابقتهم وتسرعهم الى مقارعة الاعداء
والمجاهدين وتمسكهم بحبل الولاء المتين فاما القضاة والدعاة فانت كافلهم
وهاديهم وعملك محيط بقاصيهم ودانيهم ويمنعك من استعمال المجهولين
في علم او امانة ويحضك على التعويل على ذوي النزاهة والصيانة فاما الاموال
وهي عماد الدول وقوامها وبها يكون استثبات امورها وانتظامها وفي
ويستعان على الاستكثار من الرجال والانصار وبوفورها تقوم المهابة في
نفوس ممالك الاطراف والامصار وامير المومنين يرجو ان يتضاعف بنظرك في
وسمو لحاظ سبب اسنك وحسن اثرك تتسع باذن الله في ايامك العمارة
وتتوافر بما يعم الاعمال عن باسك من البهجة والنضارة والرعايا فهم ودائع
الله عند من استحفظ امورهم وعياله الذين يتعين على ولاة الامور ان يشرحوا
بالرعاية صدورهم وتاكيد الوصايا بتخفيف الوطأة عنهم والامر بالعدل في
والاحسان على الكبير والصغير منهم وقد خصك الله بالكمال وحبب اليك من
الاحسان والاجمال بغايات تغني لك من ابواب المصالح ما لا تحيط به الوصايا وبشتى
في غاية معتقد الخواص والاخيار والرعايا وقد ركن يجزل ان يكثر لك بالقول ما يجمع
اضعافه بافعالك المستحسنة وفعلك مرتفع على السنة انه لا تكم لعين رعايتك
اغفاء ولا سنة والله سبحانه مويد الدولة العلوية بعزماتك الباقية

ويعيد

ويعيد حقوقها بمساعيك الماضية وآرائك الصائبة ويجعل عمرك مويدا
واقبالك في كل وقت جديدا واعمالك مرتضاة عند الله متقبلة بوجود المنا
الى جنانك متوالية مقبلة باعمل به ان شاء الله عز وجل وكتب امير المو
منين العاضد على طرة السجل بخطه ما نصه لوزيرنا السيد الاجل الملك الصالح من
جلالة القدر وعظم الامر وفخامة الشان وعلو المكان واستيجاب الفضل واستيفا
غايات المن الجزيل وسريره الولي الذي يعقد على بذل النفس في كل نصر ثناء
دعاء دون الخلائق الى العبيد يرعونها بعثنا وطاعتنا ما يبعثنا على التسرع له
ببذل كل مصون والابتداء من ذا ينا بالافتتاح له كل شيء يسر النفوس ويقر
العيون والذي تضمنه هذا السجل من تفويضه واوصافه بالذي يشتمل
عليه ضمائرنا اضعاف اضعافه ولذلك شرفناه بجميع التدبير والانالة ورفعناه
الى اعلا رتب الاصطفاء بما جعلناه له من الكفالة والله تعالى يعضد به دولته
او يحيط به حوزتنا ويمده بمواد التوفيق والتاييد ويجعل ايام في وزارتنا
ممنوحة غايات الاستمرار والتابيد ان شاء الله تعالى فلقد كانت الوزارة
فيما تقدم السلطنة الآن فان الوزير كان نايب الخليفة في بلده يفوض اليه
جميع امور المملكة وتوليه من وراءه من القضاة ونواب البلاد وتجهيز العساكر
والجيوش وتجرفة الارزاق الى غير ذلك مما هو الآن وظيفة السلطان وكان
الوزير يلقب بالقاب السلطنة الآن كالملك الصالح ونحوه وقد تقهقر امر الوزر
حتى قال بعض وزراء القرن السابع الوزير الآن عبارة عن حوش كاش عقش
يشتري اللحم والحطب وحوائج الطعام والامر كما قال

ذكر كتاب السر

قال ابن الجوزي في التلقيح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر
وعمر وعثمان وعلي وابي بن كعب وزيد بن ثابت الانصاري ومعاوية بن ابي سفيان
وحنظلة بن الربيع الاسدي وخالد بن سعيد بن العاصي وابان بن سعيد والعلا
ابن الحضرمي وكان المداوم له على الكتابة زيد ومعاوية وكان كاتب ابي بكر
الصديق عثمان بن عفان وكاتب عمر زيد بن ثابت وكاتب عثمان مروان بن الحكم

كاتب علي عبد الله بن رافع وسعيد بن ابي نمير وكاتب الحسن كاتب ابيه وكاتب
معاوية عبيد الله بن اوس الغساني وكاتب يزيد عبد الله بن اوس ثم عمر العذري
وكاتب مروان بن الحكم عبد الله بن اوس وسفيان الاحول وكاتب عبد الملك بن
مروان روح بن زنباع الجذامي وقبيصة بن ذويب وكاتب الوليد قبيصة بن ذويب
وقرة بن شريك والضحاك بن زمل وكاتب سليمان يزيد بن المهلب والفضل بن المهلب
وعبد العزيز بن الحارث وكاتب عمر بن عبد العزيز رجا بن حيوة الكندي وليث
ابن ابي رقية وكاتب يزيد بن عبد الملك سعيد بن الوليد الابرش ومحمد بن
عبد الله بن حارثة الانصاري وكاتب هشام سعدان وسالم مولاه وكاتب الوليد
العباس بن مسلمة وكاتب يزيد بن الوليد ثابت بن سليمان وكاتب ابراهيم
ابن الوليد ثابت هذا وكاتب مروان الحمار عبد الحميد بن يحيى مولى بني عامر
قال ابن فضل الله كانت كتابة الانشاء في المشرق في خلافة بني العباس
منوطة بالوزرا وربما انفرد بها رجال استقلوا بها كتابة لم يبلغوا مبلغ
الوزارة فكان يسمى في المشرق كاتب الانشاء ثم لما كثر عددهم سمي رئيسهم
رئيس ديوان الانشاء ثم بقي يطلق عليه تارة صاحب ديوان الانشاء وتارة
كاتب السر فالاولى عندي ثانية وعند الناس اولى وكانت في دولة السلاجقة
وملوك المشرق يسمى ديوان الطغراوية والطغرا هي الطرة بالفارسية واهل
المغرب يسمى صاحب ديوان الانشاء صاحب القلم الاعلى انتهى وقال غيره
انما حدثت وظيفة كتابة السر في ايام قلاوون وكانت هذه الوظيفة قديما
في ضمن الوزارة والوزير هو المتصرف في الديوان وتحت يده جماعة من الكتاب
وفيهم رجل كبير يسمى صاحب ديوان الانشاء وصاحب ديوان الرسايل وكان الكاتب
للسفاح عبد الجبار بن عدي ثم كتب للمنصور وكتب له ايضا وكتب للهادي عمر
ابن بزيع عبد الله بن المقفع المشهور بالبلاغة وابو ايوب المورياني وكتب للمهدي
وزيره معاوية بن عبيد الله والربيع بن يونس بن الحاجب فلما استخلف الرشيد
ولي يوسف بن القاسم بن صبيح كتابة الانشاء فكان هو الذي قام خطيبا بين
يديه حين اخذت له البيعة اسماعيل صبيح وكتب للمامون احمد بن يوسف بن

القاسم

القاسم بن صبيح الكاتب واحمد بن الضحاك الطبري وعمرو بن مسعدة والمعلى بن
ايوب وعمرو بن بهنى وكتب للمعتصم والواثق ابراهيم الموصلي وكتب للمتوكل
احمد بن المدبر وابراهيم بن العباس الصولي وكتب للطايع ابو القاسم عيسى
ابن الوزير علي بن عيسى بن الجراح وكتب للقادر ابراهيم بن هلال الصابي وكان
على دين الصابية الى ان مات وكتب لجماعة من الخلفاء ابو سعيد العلا بن الحسن
ابن وهب بن الموصل قال بعضهم كتب في الانشاء للخلفاء خمسا وستين سنة
وكان نصرانيا فاسلم على يد المقتدي وكتب للمقتفي سديد الدولة ابو عبد
الله محمد بن ابراهيم بن عبد الكريم بن الانباري قال ابن كثير كان كاتب
الانشاء ببغداد للخلفاء وانفرد بصناعة الانشاء وكتب للناصر قوام الدين
يحيى بن سعيد الواسطي المشهور بابن زيادة صاحب ديوان الانشاء ببغداد
ومن انتهت اليه رياسة الترسل وكتب للمستعصم عز الدين عبد الحميد بن
هبة الله بن ابي الحديد المدايني الكاتب مات سنة خمس وخمسين وستماية وقتل
الخليفة عقب موته فهو اخر كتاب الانشاء لخلفاء بغداد قلت ومن
الاتفاق الغريب ان اخر خلفاء بني امية كتب له عبد الحميد الكاتب واخر خلفاء
بني العباس ببغداد كتب له من اسمه عبد الحميد واما مصر فلم يكن بها ديوان
انشاء من حين فتحت الى ايام احمد بن طولون فقوي امرها وعظم ملكها فكتب
له ابو جعفر محمد بن احمد بن مرديد وكتب لولده خمارويه اسحاق بن نصير
العبادي وتوالت دواوين الانشاء بذلك الى ان ملكها العبيديون فعظم ديوان
الانشاء بها ووقع الاعتناء به واختيار بلغاء الكتاب ما بين مسلم وذمي فكتب
للوزير ابو المعز وزيره ابن ملتز ثم ابو عبد الله الموصلي ثم ابو المنصور
ابن جورس النصراني ثم كتب للحاكم ومات في ايامه وكتب للحاكم بعده
القاضي ابو الطاهر الهوكي ثم كتب لابن الحاكم الظاهر وكتب للمستنصر
القاضي ولي الدين بن خيران وولي الدولة موسى بن الحسن بعد انتقاله
الى الوزارة وابو سعيد العميدي وكتب للامر الحافظ ابو الحسن علي بن
ابي اسامة الحلبي الى ان توفي فكتب ولده ابو المكارم الى ان توفي ومعه

امين الدين تاج الرياسة ابو القاسم علي بن سليمان المعروف بابن الصيرفي
والقاضي كافي الكفاة محمود بن الموفق اسعد بن قادوس وابن ابي الدم اليهودي
ثم كتب بعده الى ابي المكارم القاضي موفق الدين ابو الحجاج يوسف بن الخلال بقية
ايام الحافظ الى اخر ايام العاضد وبه تخرج الفاضل ثم اشترك العاضد مع ابن
الخلال في ديوان القاضي جلال الدين محمود الانصاري ثم كتب القاضي الفاضل عبد
الرحيم البيساني بين يدي ابن الخلال في وزارة صلاح الدين فلما ملك صلاح الدين
كتب له القاضي الفاضل ثم اضيفت اليه الوزارة ثم كتب بعده لابنه العزيز ثم
لولده المنصور ومات و كتب للكامل امين الدين بن سليمان المعروف بكاتب الدرج
الى ان مات فكتب بعده امين الدين بن عبد المحسن بن حمود الحلبي ثم كتب للصالح
ايضا ثم ولي ديوان الانشاء الصاحب بهاء الدين بن الشاعر المشهور ثم صرف
و ولي بعده الصاحب فخر الدين بن ابراهيم بن لقمان الاسعردي فاقام الى
انقراض الدولة الايوبية و كتب بعدها للمعز ايبك ثم للمظفر قطز ثم
للظاهر بيبرس ثم للمنصور قلاوون ثم نقله قلاوون من ديوان الانشاء
للوزارة و ولي ديوان الانشاء مكانه القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر وهو
اول من سمي كاتب السر و سبب ذلك ما حكاه الصلاح الصفدي ان الملك الظاهر
رفع اليه مرسوم انكره فطلب محيي الدين بن عبد الظاهر وانكر عليه فقال يا خوند
هكذا قال لي الامير سيف الدين بن بلبان الدوادار فقال السلطان ينبغي ان يكون
للملك كاتب سر يتلقى المرسوم منه شفاها وكان قلاوون حاضرا من جملة الامراء
فوقرت هذه الكلمة في صدره فلما تسلطن اتخذ كاتب سر فكان فتح الدين
هذا اول من شهر بهذا الاسم وكان هو والوزير بن لقمان بين يدي السلطان
فحضر كتاب فاراد الوزير ان يقراه فاخذ السلطان الكتاب منه ودفعه الى
فتح الدين وامره بقراءته فعظم ذلك على ابن لقمان وكانت العادة اذ ذاك انه لا
يقرا احد على السلطان كتابا بحضرة الوزير و استمر فتح الدين في كتابة
السر الى ان توفي ايام الاشرف خليل فولي مكانه تاج الدين بن الاثير الى ان
توفي و ولي شرف الدين بن عبد الوهاب بن فضل الله العمري ثم نقله الناصر

اول من سمي كاتب السر صح

في سنة

في سنة احدى عشرة وسبعماية الى كتابة السر بدمشق و ولي مكانه جلال
الدين بن تاج الدين بن الاثير الى ان اخرج و ولي محيي الدين بن فضل الله وولده
شهاب الدين معه تاليه لكبر سنه ثم صرفا و ولي شرف الدين بن الشهاب محمود
ثم صرف و اعيد محيي الدين بن فضل الله وولده شهاب الدين ثم صرفا الى الشام
و ولي علاء الدين بن فضل الله اخو شهاب الدين فاستمر في الوظيفة نيفا وثلاثين
سنة الى ان مات سنة تسع وسبعين وسبعماية و ولي ولده بدر الدين محمد الى
ان تسلطن برقوق فصرفه و ولي اوحد الدين عبد الواحد بن اسماعيل التركماني
الى ان مات في ذي الحجة سنة ست وثمانين واعيد بدر الدين الى ان تسلطن
برقوق الثانية فصرفه و ولي علاء الدين علي بن عيسى الكركي الى ان مات
سنة اربع وتسعين و اعيد بدر الدين الى ان مات في شوال سنة ست وتسعين
و ولي بدر الدين محمود الكلستاني الى ان مات في جمادى الاولى سنة احدى
وثمانماية و ولي فتح الدين فتح الله بن مستعصم التبريزي ثم صرف و ولي
سعد الدين بن غراب مدة يسيرة ثم صرف ابن غراب و اعيد فتح الدين
ثم صرف و ولي فخر الدين بن المزوق ثم صرف و اعيد فتح الدين الى ان مات
قبض عليه المؤيد سنة ست عشرة وثمانماية و ولي ناصر الدين محمد بن
البارزي الى ان مات في شوال سنة ثلاث وعشرين و ولي ولده كمال الدين محمد
ثم صرف و ولي علم الدين داود الكويز الى ان مات سنة ست وعشرين
و ولي جمال الدين يوسف بن الصفي الكركي ثم صرف و ولي قاضي القضاة شمس
الدين الهروي الشافعي ثم صرف و ولي نجم الدين بن حجي ثم صرف و ولي بدر
الدين محمد بن مزهر الى ان مات في جمادى الاخرة سنة اثنتين وثلاثين و ولي
ولده جلال الدين محمد ثم صرف و ولي الشريف شهاب الدين الدمشقي الى ان
مات بالطاعون و ولي شهاب الدين احمد بن السفاح الحلبي الى ان مات سنة
خمس وثلاثين و ولي الوزير كريم الدين بن عبد الكريم كاتب المناخ مضافا للوزارة
ثم صرف بعد اشهر و اعيد الكمال البارزي ثم صرف في رجب سنة تسع
وثلاثين و ولي محب الدين بن الاشقر ثم صرف و ولي صلاح الدين محمد بن الصاحب

بدر الدين حسن بن نصر الله الى ان مات بالطاعون سنة احدى واربعين وولي
مكانه ابوه الصاحب بدر الدين حسن ثم صرف في ربيع الاخر سنة اثنتين
واربعين واعيد ابن البارزي الى ان مات في صفر سنة ست وخمسين واعيد ابن
الاشقر ثم صرف في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وولي محب الدين بن
الشحنة ثم صرف بعد ستة اشهر واعيد ابن الاشقر ثم صرف في جمادى
الاولى سنة ثلاث وستين واعيد ابن الشحنة ثم صرف في شوال سنة ست
وستين وولي القاضي برهان الدين بن الديري ثم صرف بعد نصف شهر وولي
القاضي تقي الدين ابو بكر بن كاتب السر بدر الدين بن مزهر فاستمر الى
الان عامله بالطافه وختم لنا وله بخير امين ثم توفي في رمضان سنة ثلاث
وتسعين وولي ولده القاضي بدر الدين

ذكر جوامع مصر

اعلم ان مدينة مصر لم يكن بها مسجد تقام فيه الجمعة سوى جامع
عمرو بن العاص الى ان قدم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس من العراق
في طلب مروان الحمار سنة ست وثلاثين ومائة فنزل عسكره في شمال الفسطاط
وبنو هنالك الابنية فسمي ذلك الموضع بالعسكر واقيمت هناك الجمعة في
مسجد فصارت الجمعة تقام بجامع عمرو وبجامع العسكر الى ان بنى السلطان
احمد بن طولون جامعه حين بنى القطائع فابطلت الجمعة من جامع العسكر وصارت
الجمعة تقام بجامع عمرو وبجامع ابن طولون الى ان قدم جوهر القائد واختط
القاهرة وبنى الجامع الازهر في سنة ستين وثلاثمائة فصارت الجمعة تقام بثلا
ثة ثم ان العزيز بالله بنى في ظاهر القاهرة من جهة باب الفتوح الجامع الذي
يعرف اليوم بجامع الحاكم سنة ثمانين وثلاثمائة واكمله ابنه الحاكم ثم بنى الحاكم
جامع المقس وجامع راشدة فكانت الجمعة تقام في هذه الجوامع الستة الى ان
انقضت دولة العبيديين في سنة سبع وستين وخمسمائة وبطلت الجمعة من
الجامع الازهر وبقيت فيما عداه فلما كانت الدولة التركية احدثت عدة
جوامع فبني في زمن الظاهر بيبرس جامع بالمنشية في سنة تسع وستين

وجامع

وجامع بالحسينية ثم بنى الناصر بن قلاوون الجامع الجديد بمصر في سنة اثنتي
عشرة وسبعمائة وبنى امراؤه وكتابه في ايامه نحو ثلاثين جامعا وكثرت في
هذا القرن وما بعده الى الان ولعلها الان في مصر والقاهرة اكثر من مائتي جامع
قال هشام بن عمار حدثنا المغيرة بن المغيرة حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني
عن ابيه قال افتتح عمر البلدان وكتب الى ابي موسى وهو على البصرة يامره ان
يتخذ مسجد الجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى
مسجد الجماعة وكتب الى سعد بن ابي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب
الى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب الى امراء اجناد الشام ان لا ي
بدوا الى القرى وان ينزلوا المدائن وان يتخذوا في كل مدينة مسجدا واحدا ولا
يتخذ القبائل مساجد وكان الناس متمسكين بامر عمر وعهده قال القضاعي
لم تكن الجمعة تقام في زمن عمرو بن العاص بشيء من ارض مصر الا بجامع الفسطاط
قال ابن يونس جاء نفر من غافق الى عمرو بن العاص فقالوا انا نكون في الريف
فنجتمع في العيدين الفطر والاضحى ويؤمنا رجل منا قال نعم قالوا والجمعة قال
لا ولا يصلي الجمعة بالناس الا من اقام الحدود واخذ بالذنوب واعطى الحقوق

جامع عمرو بن العاص

قال ابن المتوج في كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتامل هو الجامع العتيق المشهور
بتاج الجوامع قال الليث بن سعد ليس لاهل القرية مسجد اغير وكان الذي حاز
موضعه قيسبة بن كلثوم التجيبي ويكنى ابا عبد الرحمن ونزله في حصارهم الحصن
فلما رجعوا من الاسكندرية قال عمرو لقيسبة في منزله هذا ان يجعله مسجدا
فقال قيسبة فاني اتصدق به على المسلمين فسلمه اليهم فبني في سنة احدى
وعشرين وكان طوله خمسين ذراعا في عرض ثلاثين ويقال انه وقف على اقامة
قبلته ثمانون من الصحابة منهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة
ابن الصامت وابو الدرداء وابو ذر وابو بصرة وفضالة بن عبيد وعقبة بن
عامر ورافع بن مالك وغيرهم ويقال انها كانت مشرقة جدا وان قرة بن شريك
لما هدم المسجد وبناه في زمن الوليد تيامن بها قليلا وذكر ان الليث بن سعد

وعبد الله بن لهيعة كانا يتيامنان اذا صليا فيه ولم يكن للمسجد الذي بناه عمرو
محراب مجوف وانما قرة بن شريك جعل المحراب المجوف واول من احدث ذلك عمر بن عبد
العزيز وهو يومئذ عامل الوليد على المدينة حين هدم المسجد النبوي وزاد فيه
واول من زاد في جامع عمرو مسلمة بن مخلد وهو امير مصر سنة ثلاث وخمسين شكا
الناس اليه ضيق المسجد فكتب الى معاوية فكتب معاوية اليه يامره بالزيادة
فيه فزاد فيه من بحريه وجعل له رحبة من البحري وبيضه وزخرفه ولم يغير
البناء القديم ولا احدث في قبليه ولا غير فيه شيئا و كان عمرو قد اتخذ منبرا
فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعزم عليه في كسره اما بحسبك ان تقوم
قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك فكسره وذكر انه زاد فيه من شرقيه
حتى ضاق الطريق بينه وبين دار عمرو بن العاص وفرشه بالحصر وكان مفروشا
بالحصا قال في كتاب الهند العزيزي ان مسلمة نقض جميع ما كان عمرو بن العاص
بناه وزاد فيه من شرقيه وبنى فيه اربع صوامع في اركانه الاربعة برسم الاذان
ثم هدمه عبد العزيز بن مروان ايام امرته بمصر في سنة تسع وسبعين
وزاد فيه من ناحية الغرب وادخل فيه الرحبة التي كانت في بحريه ثم في سنة
تسع وثمانين امر الوليد نائبه بمصر برفع سقفه وكان مطاطيا ثم هدمه قرة بن
شريك بامر الوليد سنة اثنين وتسعين وبناه فكانوا يجمعون في قيسارية العسل
حتى فرغ من بنائه في رمضان سنة ثلاث وتسعين ونصب فيه المنبر الجديد في
سنة اربع وتسعين وعمل فيه المحراب المجوف وعمل للجامع اربعة ابواب ولم يكن
له قبل الا بابان وبنى فيه بيت المال بناه اسامة بن زيد التنوخي متولي الخراج
بمصر سنة سبع وتسعين فكان مال المسلمين فيه ثم زاد فيه صالح بن علي بن
عبد الله بن عباس وهو يومئذ امير مصر من قبل السفاح وذلك في سنة ثلاث
وثلاثين ومائة فادخل فيه دار الزبير بن العوام واحدث له بابا خامسا ثم زاد
فيه موسى بن عيسى الهاشمي وهو يومئذ امير مصر من قبل الرشيد في
شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر بن الحسين
وهو امير مصر من قبل المامون في جمادى الاخرة سنة اثنتي عشرة ومائتين

بتكامل ذرع الجامع مائة وتسعون ذراعا بذراع العمل طولا في مائة وخمسين
عرضا و يقال ان ذرع جامع ابن طولون مثل ذلك سوى الازقة المحيطة بجوانبه
الثلاث ونصب عبد الله بن طاهر اللوح الاخضر فلما احترق الجامع احترق ذلك
اللوح فجعل احمد بن محمد العجيفي هذا اللوح مكانه وهو الباقي الى اليوم و لما
تولى الحارث بن مسكين القضاء من قبل المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين امر ببناء
هذه الرحبة لينتفع الناس بها وسلك زيادة ابن طاهر واصلح السقف ثم زاد
فيه ابن ايوب احمد بن محمد بن شجاع صاحب الخراج في ايام المعتصم في سنة
ثمان وخمسين ومائتين ثم وقع في مؤخر المسجد الجامع حريق في ليلة الجمعة
لتسع خلون من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين فامر خمارويه بن احمد
ابن طولون بعمارته على يد العجيفي فاعيد على ما كان ونفق فيه ستة
الاف واربعمائة دينار وكتب اسم خمارويه في دائرة الرواق الذي عليه
اللوح الاخضر و زاد فيه ابو حفص العباسي ايام نظره في قضاء مصر
خلافة ناحية الغرفة التي يؤذن فيها المؤذنون في السطح وذلك في سنة
ست وثلاثين وثلاثمائة ثم زاد فيه ابو بكر محمد بن عبد الله الخازن
رواقا مقداره تسعة اذرع وذلك في رجب سنة سبع وخمسين وثلاثمائة
ومات قبل اتمامه فاتمه ابنه علي وفرغ في رمضان سنة ثمان وخمسين ثم
بنا فيه الوزير ابو الفرج يعقوب بن كلس بامر العزيز بالله الفوارة التي
تحت قبة بيت المال وهو اول من عمل فيه فوارة و في سنة سبع وثمانين وثلا
ثمائة بيض المسجد ونقشت الواجهة وذهب على يد برجوان الخادم وعمل
فيه تنور يوقد كل ليلة جمعة و في سنة ثلاث واربعمائة انزل اليه من
القصر الف ومائتين وتسعين مصحفا ما بين ختمات وربعات فيها ما هو
مكتوب بالذهب كله ومكن الناس من القراءة فيها وانزل اليه تنور من
فضة استعمله الحاكم بامر الله برسم الجامع فيه مائة الف درهم فضة
فاجتمع الناس وعلق بالجامع بعد ان قلعت عتبتا الباب حتى ادخل به
ثم في ايام المستنصر في رمضان سنة ثمان وثلاثين واربعمائة زيد فيه

المقصورة في شرقيها وغربيها وعمل منطقة فضة في صدر المحراب الكبير اثبت
عليها اسم امير المومنين وجعل لعمودي المحراب اطواقا فضة فلم يزل ذلك الى
ان استبد السلطان صلاح الدين بن ايوب فازاله في ربيع الاخر سنة اثنين
واربعين واربعماية وعمل مقصورة خشب ومحراب ساج منقوش بعمود بن صندل
برسم الخليفة تنصب له في زمن الصيف وتقلع في زمن الشتاء اذا صلى الامام
في المقصورة الكبيرة و في سنة اربع وستين وخمسماية تمكن الافرنج من ديار
مصر وحكموا في القاهرة حكما جايرا فتشعث الجامع فلما استبد السلطان
صلاح الدين جدده في سنة ثمان وستين وخمسماية ورخمه ورسم عليه اسمه
وعمر المنظرة التي تحت المادنة الكبيرة وجعل لها سقاية و لما تولى تاج
الدين بن بنت الاعز قضاء الديار المصرية اصلح ما مال منه وهدم ما به من الغرف
المحدثة وجمع ارباب الخبرة واتفق الراي على ابطال جريان الماء الى فوارة الفسـ
الفسقية وكان الماء يصل اليها من بحر النيل فامر بابطاله لما كان فيه من
الضرر على جدار الجامع وحدث السلطان بيبرس في عمارة ما تهدم من الجامع
فرسم بعمارته وكتب اسم الظاهر على اللوح الاخضر وجليت العمد كلها وبقي
الجامع باسره وذلك في رجب سنة ست وستين وستماية ثم جدد في
ايام المنصور قلاوون سنة سبع وثمانين وستماية و لما حدثت الزلزلة
في سنة اثنتين وسبعماية تشعث الجامع فجدده ميلاد نايب السلطنة ثم
تشعث ايام الظاهر برقوق فجدده الرييس برهان الدين ابراهيم بن عمر
المحلي رييس التجار وازال اللوح الاخضر وجدد لوحا اخضر بدله وهو
الموجود الان وانتهت عمارته في سنة اربع وثمانماية قال ابن المتوج
ذرع هذا الجامع اثنان واربعون الف ذراع بذراع البز المصري القديم وهو
ذراع الحصر القديم المستمر الى الان وذرعه بذراع العمل ثمانية وعشرون
الف ذراع وعدد ابوابه ثلاثة عشر بابا و من تولى امامة هذا الجامع
ابو رجب العلا بن عاصم الخولاني وهو اول من سلم في الصلاة تسليمتين بهذا
الجامع بكتاب ورد عليه من المامون يامره بذلك وصلى خلفه الشافعي حين

قدم

قدم مصر فقال هكذا تكون الصلاة ما صليت خلف احد اتم صلاة من ابي رجب ولا
احسن و لما تولى القصص حسن بن الربيع بن سليمان في زمن المتوكل سنة اربعين
ومايتين امر بترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة وامر ان تصلى التراويح
وكانت تصلى قبل ذلك ست تراويح قال القضاعي ولم يكن الناس يصلون بالجامع
صلاة العيد حتى كانت سنة ست وثلاثماية صلى فيها رجل يعرف بعلي بن احمد
ابن عبد الملك الفهمي صلاة العصر و يقال انه خطب من دفتر نظرا وحفظ عنه
انه قال اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مشركون فقال بعض الشعراء

وقام في العيد لنا خاطب ** فحرض الناس على الكفر

و ذكر بعضهم انه كان يوقد في الجامع العتيق ثمانية عشر الف فتيلة وان المطلق
برسمه خاصة لوقود كل ليلة احدى عشر قنطارا زيتا طيبا و قال المقريزي
اخبرني شهاب الدين احمد بن عبد الله الاوحدي قال اخبرني المورخ ناصر
الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات قال اخبرنا العلامة شمس الدين محمد
ابن عبد الرحمن بن الصايغ الحنفي انه ادرك قبل الوباء الكاين في سنة تسع
واربعين وسبعماية نيفا واربعين حلقة لاقراء العلم لا تكاد تبرح منه

جامع احمد بن طولون

هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور
باجابة الدعاء و قيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات وابتدا
في بناء هذا الجامع الامير ابو العباس احمد بن طولون بعد بنايه القطايع وهي مد
ينة بناها ما بين سفح الجبل جنب القلعة الان وبين الكبارة وما بين كوم الجارح
وقناطر السباع فهذه كانت القطايع وكان ابتداء بنايه في سنة ثلاث وستين
ومايتين وفرغ منه سنة ست وستين و بلغت النفقة عليه في بنايه مائة الف
دينار وعشرين الف دينار و قيل انه قال اريد ان يبنى بناء ان احترقت مصر او
غرقت بقي فقيل يبنى بالجير والرماد والاجر الاحمر ولا تجعل فيه اساطين رخام فانه
لا صبر لها على النار فبنى هذا البناء فلما اكمل بناءه امر بان يعمل دايره منطقة
عنبر معجون ليفوح ريحها على المصلين وامر الناس بالصلاة فيه فلم يجتمع فيه احد

وظنوا انه بناه من مال حرام فخطب فيه وحلف انه ما بنى هذا المسجد بشيء
من ماله وانما بناه بكنز ظفر به وان العشاري الذي نصبه على منارته وجده
في الكنز فصلى الناس فيه وسألوه ان يوسع قبلته فذكر ان المهندسين
اختلفوا في تحرير قبلته فرأى في المنام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا احمد
قبلة هذا الجامع على هذا الموضع وخط له في الارض صورة ما يعمل فلما كان الفجر
مضى مسرعا الى ذلك الموضع فوجد صورة القبلة في الارض مصورة فبنى المحراب
عليها ولا يسعه ان يوسع فيه لاجل ذلك فعظم شأن الجامع وسألوه ان يوسع
فيه زيادة فزاد فيه قال الخطيب وكبا ابن طولون فرسه بمصر فغاصت قوائم
فرسه في الرمل فامر بكشف ذلك الموضع فظهر له كنز فيه الف الف دينار
فانفقها في ابواب البر والصدقات وبنا منها الجامع وانفق عليه مائة الف دينار
وعشرين الف دينار وبنى المرستان وانفق عليه ستين الف دينار و قال صاحب
مرآة الزمان قرأت في تاريخ مصر ان ابن طولون كان لا يعبث قط وانه اخذ يوما
درجا من الكاغد وجعل يعبث به ويلقي بعضه في يده فعجب الحاضرون فقال
اصنعوا منارة الجامع على هذا المثال وهي اليوم قائمة على ذلك حول الجامع ولم
يتعل للجامع فسال المعبرين فقالوا يخرب ما حوله ويبقى الجامع قائما وحده
قال ومن اين لكم هذا قالوا من قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وقوله
عليه السلام اذا تجلى الله لشيء خضع له فكان كما قالوا و في الخطط للمقريزي
بنا احمد بن طولون جامعه على بناء جامع سامري وكذلك المنارة وبيضه وحلقه
وفرشه بالحصر العبداني وعلق فيه القناديل المحكمة بالسلاسل النحاس المفر
غة الحسان الطوال وحمل اليه صناديق المصاحف وكان في وسط صحنه قبة مشبكة
من جميع جوانبها وهي مذهبة على عشرة عمد رخام مفروشة كلها بالرخام
وتحت القبة قصعة رخام سعتها اربعة اذرع في وسطها فوارة تفور
بالماء وكانت السطح علامات للزوال والسطح بدرابزين ساج فاحترق جميع
هذا كله في ساعة واحدة في ليلة الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى
سنة تسع وسبعين وثلاثمائة فلما كان في محرم سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

امر

امر العزيز بالله بن المعز بناء فوارة عوضا عن التي احترقت قال المقريزي ولما
كمل بناء جامع احمد بن طولون صلى فيه القاضي بكار اماما وخطب به ابو يعقوب
البلخي واملا به الحديث الربيع بن سليمان والامام الشافعي ودفع اليه احمد بن
طولون في ذلك كيسا فيه الف دينار وعمل الربيع كتابا فيما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من بنا لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنا الله له بيتا في الجنة
و دس احمد بن طولون عيونا للسماع بما تقوله الناس من العيوب في الجامع
فقال رجل محرابه صغير وقال اخر ما فيه عمود وقال اخر ليس له ميضاة فجمع
الناس وقال اما المحراب فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطه لي
واصبحت فرأيت النمل قد اطافت بالمكان الذي خطه لي واما العمد فاني بنيت
هذا الجامع من مال حلال وهو الكنز وما كنت لاشوبه بغيره وهذه العمد
اما من مسجد او كنيسة ونزهته عنها واما الميضاة فها انا ابنيها خلفه
ثم عمل في مؤخره ميضاة وخزانة شراب فيها جميع الاشربة والادوية وعليها
خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث من الحاضرين الصلاة واوقف
على الجامع اوقافا كثيرة ليس فيها سوى الرباع ونحوها ولم يتعرض الى شيء من
اراضي مصر البتة ثم لما وقع الغلاء في زمن المستنصر خربت القطايع باسرها
وعدم السكن هنالك وصار ما حول الجامع خرابا وتوالت الايام فتشعث الجامع
وخرب اكثره وصارت المغاربة بابلها وقتاعها عند ما تقدم ايام الحج وتمادى
الامر على ذلك ثم ان لاجين لما قتل الاشرف خليل بن قلاوون هرب واختفى
بمنارة هذا الجامع فنذر لئن نجاه الله من هذه الشدة ليعمرنه فنجاه الله تعالى
وتسلطن فامر بتجديده وفوض امره الى الامير علم الدين بن سنجر الدويلي فعمره
ووقف عليه وقفا ورتب فيه دروس التفسير والحديث والفقه على المذاهب
الاربعة والقراءات والطب والميقات حتى جعل من جملة ذلك وقفا على الديكة
تكون في سطح الجامع في مكان مخصوص بها لانها تعين الموقتين وتوقظهم
في السحر فلما قرأ كتاب الوقف على السلطان اعجبه كل ما فيه الا امر الديكة
فقال ابطلوا هذا لا يضحكوا الناس علينا فابطل و اول من ولي نظره بعد تجديده

الامير علم الدين سنجر العادلي وهو اذ ذاك دوادار السلطان كاجين ثم ولي
نظره قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ثم وليه امير مجلس في ايام الناصر
محمد بن قلاوون فلما مات وليه قاضي القضاة عز الدين بن جماعة ثم وكان
الناصر للقاضي كريم الدين فجدد فيه ما تغير فلما انكبه السلطان عاد نظره
للقاضي الشافعي الى ايام السلطان حسن فتولاه الامير صرغتمش وتوفر في
مدة نظره من مال الوقف ماية الف درهم فضة وقبض عليه وهي حاصله فباشره
قاضي القضاة الى ايام الاشرف شعبان فوقف نظره الى الامير المعالي اليوسفي
الى ان غرق فتحدث فيه القاضي الشافعي الى ان فوض الظاهر برقوق نظره
الى الامير قطلوبغا الصفوي ثم عاد نظره الى القضاة بعد الصفوي وهو
بايديهم الى اليوم و في سنة اثنتين وتسعين وسبعماية جدد الرواق البحري
الملاصق للماذنة البازدار مقدم الدولة عبيد بن محمد بن عبد الهادي وجدد
فيه ايضا ميضاة بجانب الميضاة القديمة

الجامع الازهر

هذا المسجد اول مسجد اسس بالقاهرة انشاه القايد جوهر الكاتب الصقلي
مولى المعز لدين الله لما اختط القاهرة وابتدا بناه في يوم السبت لست بقين
من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وثلاثماية وكمل بناه لسبع خلون من رمضان
سنة احدى وستين و كان به طلسم لا يسكنه عصفور ولا حمام ولا يمام وكذا
ساير الطيور ثم جدده الحاكم بامر الله ووقف عليه اوقافا وجعل فيه تنورين
فضة وسبعة وعشرين قنديلا فضة ونصب في محرابه منطقة فضة كما كان
في محراب جامع عمرو فقلعت في زمن صلاح الدين يوسف بن ايوب فجاء وزنها
خمسة الاف درهم نقرة وقلع ايضا المناطق من بقية الجوامع ثم ان المستنصر
جدد هذا الجامع ايضا وجدده الحافظ وانشا فيه مقصورة لطيفة بجوار الباب
الغربي الذي في مقدم الجامع ثم جدد في ايام الظاهر بيبرس و لما بنى
الجامع الازهر كانت الجمعة تقام فيه حتى بنى الجامع الحاكمي فانتقلت الخطبة اليه
وكان الخليفة يخطب في جامع عمرو جمعة وفي جامع ابن طولون جمعة وفي الجامع

الازهر

الازهر جمعة ويستريح جمعة فلما بني الجامع الحاكمي صار الخليفة يخطب فيه ولم
تنقطع الجمعة من الجامع الازهر بالكلية فلما ولي السلطان صلاح الدين بن
ايوب قلد وظيفة القضا صدر الدين بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهو
امتناع اقامة خطبتين في بلد واحد كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه
فابطل الخطبة من الجامع الازهر واقرها بالجامع الحاكمي لكونه اوسع فلم يزل
الجامع الازهر معطلا من اقامة الخطبة فيه الى ايام الظاهر بيبرس فتحدث في
اعادتها فيه فامتنع قاضي القضاة ابن بنت الاعز وصمم فولى السلطان قاضيا
حنفيا فاذن في اعادتها فاعيدت

جامع الحاكم

اول من اسسه العزيز بالله بن المعز وخطب فيه وصلى بالناس ثم اكمله الحاكم
بامر الله وكان اولا يعرف بجامع الخطبة ويعرف اليوم بجامع الحاكم و يقال له الجا
مع الانور وكان تمام عمارته في سنة ثلاث وتسعين وثلاثماية وجلس عليه
الحاكم وقد هدم في الزلزلة الكاينة في سنة اثنتين وسبعماية فجدده بيبرس
الجاشنكير ورتب فيه دروسا على المذاهب الاربعة ودرس حديث ودرس نحو
ودرس قراءات و من بناء الحاكم ايضا جامع راشدة بجوار رباط الاثار وعرف بجامع
راشدة لانه في خطة راشدة قبيلة من لخم وصلى به الحاكم الجمعة ايضا و من
بنايه ايضا الجامع بالمقس على شاطي النيل ووقف عليه اوقافا ثم جدد في سنة
سبعين وسبعماية الوزير شمس الدين بن المقسي و من الجوامع التي بنيت في
خلافة بني عبيد الجامع الاقمر بناه الامر باحكام الله والجامع الافخر وهو الذي
يقال له اليوم جامع الفكاهين بناه الخليفة الظافر وجامع الصالح خارج باب زويلة
بناه الملك الصالح طلايع بن رزيك وزير الخليفة الفايز

ذكر امهات المدارس
والخانقاة العظيمة بالديار المصرية

قال اول من بنى المدارس في الاسلام الوزير نظام الملك قوام الدين الحسن بن علي
الطوسي وكان وزير السلطان الب ارسلان السلجوقي في عشر سنين ثم وزر لولده

ملك شاه عشرين سنة وكان يحب الفقهاء والصوفية ويكرمهم ويؤثرهم بنى
المدرسة النظامية ببغداد وشرع فيها في سنة سبع وخمسين واربعمائة
وفرغت سنة تسع وخمسين وجمع الناس على طبقاتهم فيها يوم السبت عاشر ذي
القعدة ليدرس فيها الشيخ ابو اسحاق الشيرازي فجاء الشيخ ليحضر الدرس
فلقيه صبي في الطريق فقال يا شيخ كيف تدرس في مكان مغصوب فرجع الشيخ
واختفى فلما ايسوا من حضوره ذلك اليوم درس بها ابو نصر بن الصباغ
عشرين يوما ثم ان نظام الملك احتال على الشيخ ابي اسحاق ولم يزل يرفق به حتى
درس بها بحضور يوم السبت مستهل ذي الحجة والقى الدرس بها الى ان توفي وكان
يخرج اوقات الصلوات فيصلي لمسجد خارجها احتياطا و بنى نظام الملك ايضا
مدرسة بنيسابور تسمى النظامية درس بها امام الحرمين واقتدى بها الناس
في بناء المدارس و قد انكر الحافظ الذهبي في تاريخ الاسلام على من زعم ان نظام
الملك اول من بنى المدارس وقال قد كانت المدارس البيهقية بنيسابور قبل ان
يولد نظام الملك والمدرسة السعيدية بنيسابور ايضا بناها الامير نصر بن
سبكتكين اخو السلطان محمود لما كان واليا بنيسابور ومدرسة ثالثة بنيسا
بور بناها ابو سعد اسماعيل بن علي بن المثنى الواعظ الصوفي شيخ الخطيب
ومدرسة رابعة بنيسابور ايضا بنيت للاستاذ ابي اسحاق قال الحاكم في ترجمة
الاستاذ ابي اسحاق لم تبن بنيسابور مدرسة قبلها مثلها وهذا صريح في انه
بني قبلها غيرها قال القاضي تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى ارموت
بفكري وغلب على ظني ان نظام الملك اول من رتب فيها المعاليم للطلبة فانه لم يتضح
لي هل كان للمدارس قبله معاليم ام لا والظاهر انه لم يكن لهم معلوم انتهى و اما
مصر فقال ابن خلكان لما ملك السلطان صلاح الدين بن ايوب الديار المصرية لم
يكن بها شيء من المدارس فان الدولة العبيدية كان مذهبها مذهب الرافضة
والشيعة فلم يكونوا يقولون بهذه الاشياء فبنى السلطان صلاح الدين بالقرافة
المدرسة الصغرى المجاورة للامام الشافعي وبنى مدرسة مجاورة للمشهد الحسيني
بالقاهرة وجعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء المنصورين خانقاه وجعل

دار

دار عباس الوزير العبيدي مدرسة للحنفية وهي المعروفة الان بالسيوفية وبنى
المدرسة التي بمصر المعروفة بزين التجار للشافعية وتعرف الان بالشريفية وبنى
بمصر مدرسة اخرى للمالكية وهي المعروفة الان بالقمحية و قد حكي ان الخليفة
المعتضد بالله العباسي لما بنى قصره ببغداد استزاد في الذرع فسئل عن ذلك
فذكر انه يريده ليبني فيه دورا ومساكن ومقاصير يرتب في كل موضع رؤسا
كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ويجري الارزاق السنية
ليقصد كل من اختار علما او صناعة رئيس ما يختاره فياخذ عنه و قد ذكر الواقدي
ان عبد الله بن ام مكتوم قدم مهاجرا الى المدينة فنزل دار القراء

ذكر المدرسة الصلاحية بجوار
الامام الشافعي رضي الله عنه

وينبغي ان يقال لها تاج المدارس وهي اعظم مدارس الدنيا على الاطلاق لشرفها
بجوار الامام وكان بانيها اعظم الملوك ليس في ملوك الاسلام مثله لا قبله ولا بعده
السلطان صلاح الدين بن ايوب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وجعل التدريس والنظر
بها للشيخ نجم الدين الخبوشاني وشرط له من المعلوم في كل شهر اربعين دينارا
معاملة صرف كل دينار ثلاثة عشر درهما وثلث درهم عن التدريس وجعل له عن
معلوم النظر في اوقاف المدرسة عشرة دنانير ورتب له من الخبز في كل يوم
ستين رطلا بالمصري وراويتين من ماء النيل قال المقريزي وولي تدريسها جماعة من
الاكابر الاعيان ثم خلت من مدرس ثلاثين سنة واكتفي فيها المعيدين وهم عشرة
انفس فلما كان سنة ثمان وسبعين وستمائة ولي تدريسها تقي الدين وقرر له
نصف المعلوم فلما مات وليها الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد بربع المعلوم
فلما ولي الصاحب برهان الدين الخضر السنجاري التدريس قرر له المعلوم الشا
هد به كتاب الوقف وقد استمر فيه الخبوشاني الى ان مات سنة سبع وثما
نين وخمسمائة فوليها شيخ الشيوخ صدر الدين ابو الحسن محمد بن حمويه الجويني
في حياة الواقف فلما مات الواقف عزل منها واستمرت عليها ايدي بني السلطان
واحدا بعد واحد ثم خلصت بعد ذلك وعاد اليها الفقهاء والمدرسون كذا في

تاريخ ابن كثير وذكر المقريزي في الخطط ان صدر الدين بن حمويه ولي تدريس
الشافعي وانه وليها كمال الدين احمد ومات ثم وليها قاضي القضاة تاج الدين
ابن بنت الاعز ثم وليها قاضي القضاة تقي الدين بن رزين ثم وليها قاضي
القضاة تاج الدين بن بنت الاعز ثم وليها قاضي القضاة شيخ الاسلام تقي
الدين ابن دقيق العيد ثم وليها عز الدين بن مسكين ثم وليها في سنة احدى عشرة
وسبعمائة ضياء الدين النشائي ثم وليها شمس الدين بن القماح ثم ضياء الدين
المناوي ثم شمس الدين بن اللبان ثم شمس الدين بن خطيب بيرود ثم بهاء
الدين بن الشيخ تقي الدين السبكي ثم ابن قاضي القضاة بهاء الدين ابو البقا
محمد بن عبد البر السبكي ثم ولده بدر الدين ثم البرهان بن جماعة ثم الشيخ
سراج الدين البلقيني ثم اعيد البرهان بن جماعة ثم اعيد بدر الدين بن ابي
البقا السبكي ثم قاضي القضاة عماد الدين احمد بن عيسى الكركي ثم اعيد البدر
ابن ابي البقا الى ان مات ثم وليها بعده ولده جلال الدين محمد الى ان مات فوليها
بعده شمس الدين البيري اخو جمال الدين الاستادار ثم عزل في سنة ثنتي
عشرة وثمانمائة لما نكب اخوه ووليها نور الدين بن عمر بن علي التلواني واقام
بها مدة طويلة الى ان مات في ذي القعدة سنة اربع واربعين وثمانمائة وهو
الحوار شيوخها مدة ووليها بعده العلا القرقشندي ثم ابن حجر ثم الوناي
ثم القاياتي ثم الصفتي ثم الشرف المناوي ثم السراج الحمصي ثم اعيد
المناوي الى ان مات ثم ولده زين العابدين ثم ابن امام الكاملية ثم الحصني
ثم الشيخ زكريا

خانقاه سعيد السعدا

ووقفها السلطان صلاح الدين بن ايوب وكانت دار السعيد السعدا قنبر ويقال
عنبر عتيق الخليفة المستنصر فلما استبد الناصر صلاح الدين بالامر وقفها على
الصوفية في سنة تسع وستين وخمسمائة ورتب لهم في كل يوم طعاما ولحما وخبزا
وهي اول خانكات عملت بديار مصر ونعت شيخها بشيخ الشيوخ واستمر ذلك
بعدهم الى ان كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة وضاعت الاحوال
وتلاشت الرتب يلقب كل شيخ خانقاه بشيخ الشيوخ وكان سكانها من

الصوفية

الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجى بركتهم وولي مشيختها الاكابر وحيث
الطلوع في كتب الطبقات في ترجمة احد انه ولي مشيخة الشيوخ فالمراد مشيختها
وشيخها شيخ الشيوخ هذا هو المراد عند الاطلاق وقد وليها عن الواقف صدر
الدين محمد بن حمويه الجويني ثم ولده كمال الدين احمد ثم ولده معين
الدين حسين اخو كمال الدين ثم وليها قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الاعز
ثم وليها الشيخ صابر الدين بن حسن البخاري ثم وليها شمس الدين محمد بن ابي
بكر الايكي ثم وليها قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ثم اعيد الايكي ثم
وليها كريم عبد الكريم بن الحسين الايكي ثم وليها العلامة علاء الدين القو
نوي ثم وليها مجد الدين موسى بن احمد بن محمود الاقصرائي ثم وليها شمس
الدين محمد بن ابراهيم النفشواني ثم وليها الشيخ كمال الدين ابو الحسن
الخوارزمي ثم وليها سراج الدين بن عمر الصعيدي الى ان مات سنة تسع واربعين
وسبعمائة ثم وليها الشيخ بدر الدين بن حسن بن العلامة علاء الدين القو
نوي الى ان مات سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة ثم وليها جلال الدين بن جار
الله الحنفي الى ان مات سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ثم وليها علاء الدين
احمد بن محمد السيرامي ثم وليها الشيخ برهان الدين بن الانبابي ثم وليها شمس
الدين محمد بن محمود بن عبد الله الحنفي المعروف بابن اخي جار الله ثم
اعيد البرهان الانبابي ثم وليها شهاب الدين بن الانصاري ثم اعيد ابن
اخي جار الله ثم وليها شمس الدين محمد بن علي مدة متطاولة الى ان مات
سنة عشرين وثمانمائة ثم وليها شمس الدين البيري اخو جمال الدين الاستا
دار ثم وليها الشيخ شهاب الدين بن المحمرة ثم جمال الدين يوسف بن احمد
اليونيني المعروف بابن المجد ثم اعيد ابن المحمرة ثم القاياتي ثم الشيخ خالد
ثم تقي الدين القلقشندي ثم السراج العبادي ثم العرواي ثم السفطي حي

المدرسة الكاملية

وهي دار الحديث وليس بمصر دار حديث غيرها ودار الحديث التي بالشيخونية
بناها الملك الكامل وكانت عمارتها في سنة احدى وعشرين وستمائة قال

المقريزي وهي ثاني دار عملت للحديث فان اول من بنى دار حديث على وجه الارض
الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق ثم بنى الكامل هذه الدار
وجعل شيخها ابا الخطاب عمر بن دحية ثم وليها بعده اخوه ابو عمرو عثمان
ابن دحية ثم وليها الحافظ زكي الدين بن عبد العظيم المنذري ووليها شرف
الدين بن ابي الخطاب بن دحية ثم وليها بعده المحدث محيي الدين بن سراقة
ثم وليها تاج الدين بن القسطلاني المالكي ثم وليها الرشيد العطار ثم
وليها النجيب عبد اللطيف الحراني ثم وليها القطب القسطلاني الشافعي
ثم وليها ابن دقيق العيد ثم وليها ابو عمرو بن سيد الناس والد الحافظ
فتح الدين بن البدر بن جماعة ثم وليها عماد الدين محمد بن علي بن عبد
الدمياطي ومات سنة واحد واربعين وسبعماية ثم العز بن جماعة ثم نزل
عنها للجمال بن التركماني الى ان مات سنة اربع وستين وسبعماية ووليها الشيخ
زين الدين بن العراقي ثم لما ولي قضاء المدينة سنة ثمانين وسبعماية استقر
فيها الشيخ سراج الدين بن الملقن

المدرسة الصالحية

بين القصرين وهي اربع مدارس للمذاهب الاربعة بناها الملك الصالح نجم الدين
ايوب بن الملك الكامل شرع في بنيانها سنة تسع وثلاثين قال المقريزي
وهذه المدرسة من اجل مدارس القاهرة الا انها قد تقادم عهدها فرثت
فلما فتحت انشد فيها الاديب الجزار

ألا هكذا يبني المدارس من بنى ⁂ ومن يتغالى في الثواب وفي البنا

وفي ابيات اخر قال السراج الوراق

مليك له في العلم حب واهله ⁂ فلله حب ليس فيه ملام
فشيدها للعلم مدرسة غدا ⁂ عراق اليها شيق وشآم
ولا تذكرن يوما نظامية لها ⁂ فليس يضاهي ذا النظام نظام

قال ابن السنة الشاعر وقد نظر الى قبر الصالح وقد دفن الى جانب مد

بالمالكية من مدرسته

بنيت لارباب العلوم مدارسا ⁂ لتنجو بها من هول يوم المهالك
وضاقت عليك الارض لم تلق منزلا ⁂ تحل به الا الى جنب مالك

المدرسة الظاهرية

القديمة للملك الظاهر بيبرس البندقداري شرع في بنائها في سنة احدى
وستين وستماية وتمت في اول سنة اثنتين وستين ورتب لتدريس الشافعية
بها تقي الدين بن رزين والحنفية مجد الدين بن عبد الرحمن بن الكمال عمر بن العديم
ولتدريس الحديث الحافظ شرف الدين الدمياطي ولاقراء القراءات بالروايات
كمال الدين المقري ووقف بها خزانة كتب

المدرسة المنصورية

انشاها والمارستان المنصور قلاوون وكان على عمارتها الامير علم الدين سنجر
الشجاعي فلما تمها دخل عليه الشرف البوصيري فمدحه بقصيدة اولها

انشأت مدرسة ومارستانا ⁂ لتصحح الابدان والاديانا

فاجيبه لذلك واجزل عطاءه ورتب في هذه المدرسة دروس فقه على المذاهب
الاربعة ودرس تفسير ودرس حديث ودرس طب

المدرسة الناصرية

ابتداها العادل كتبغا واتمها الناصر محمد بن قلاوون وفرغ من بنائها سنة
ثلاث وسبعماية ورتب بها دروسا للمذاهب الاربعة قال المقريزي ادركت
هذه المدرسة وهي محترمة الى الغاية يجلس بدهليزها عدة من الطواشية
ولا يمكن غريبا ان يصعد اليها

الخانقاه البيبرسية

بناها الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير سنة سبع وسبعماية موضع دار
الوزارة ومات بعد ان تسلطن فاغلقها الناصر بن قلاوون في سلطنته الثالثة
مدة ثم امر بفتحها قال المقريزي وهي اجل خانقاه بالقاهرة بنيانا واوسعها
مقدارا واتقنها صنعة والشباك الكبير الذي بها هو الشباك الذي كان بدار
الخلافة ببغداد وكانت الخلفاء تجلس فيه حمله الامير البساسيري من بغداد لما

غلب على الخليفة القائم العباسي وارسل به الى صاحب مصر

خانقاه قوصون بالقرافة

بنيت في سنة ست وثلاثين وسبعمائة واول من ولي مشيختها الشمس محمود الاصبهاني الامام المشهور صاحب التصانيف المشهورة وكانت من اعظم جهات البر واعظمها خيرا الى ان حصلت المحن في سنة ست وثمانمائة فتلاشى امرها كما تلاشى غيرها

خانقاه شيخو

بناها الامير الكبير راس نوبة الامراء الجمدارية شيخو العمري استادار الناصر محمد بن قلاوون ابتدا عمارتها في المحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة وفرغ من عمارتها في سنة سبع وخمسين وسبعمائة ورتب فيها اربعة دروس على المذاهب الاربعة ودرس حديث ودرس قراءات ومشيخة اسماع الصحيح والشفا وفي ذلك يقول ابن ابي حجلة

ومدرسة للعلم فيها مواطن ... فشيخو بها فرد وابناؤه جمع
لئن بان منها في القلوب مهابة ... فوافقها الليث واشبالها سبع

ومات شيخو بعد فراغها بسنة في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وشرط في شيخها الاكبر وهو شيخ حضور التصوف وتدريس الحنفية ان يكون اعلم الحنفية بالديار المصرية وان يكون عارفا بالتفسير والاصول وان يكون قاضيا وهذا الشرط عام في جميع ارباب الوظايف بها واول من تولى المشيخة بها الشيخ اكمل الدين محمد بن محمود البابرتي واول من تولى تدريس الشافعية بها الشيخ بهاء الدين بن الشيخ تقي الدين السبكي واول من تولى تدريس المالكية بها الشيخ خليل صاحب المختصر واول من تولى تدريس الحنابلة بها قاضي القضاة موفق الدين واول من تولى تدريس الحديث بها جمال الدين عبد الله بن الزيلعي واقام الشيخ اكمل الدين في المشيخة الى ان مات في رمضان سنة ست وثمانين وولي بعده عز الدين يوسف بن محمود الرازي الى ان مات في المحرم سنة اربع وتسعين وولي بعده جمال الدين محمود بن احمد القيصري المعروف بابن العجمي ثم عزل في سنة خمس وتسعين وولي الشيخ سيف الدين بن السيرامي مضافا

المشيخة

المشيخة الظاهرية ثم ولي بدر الدين الكلستاني ثم عزل وولي الشيخ زاده الخبرواني ثم ولده ناصر الدين سنة سبع وثمانمائة ثم ولي بعده جمال الدين ابن العديم سنة ثمان وثمانمائة ثم وليها امين الدين بن الطرابلسي سنة اثنتي عشرة ثم اعيد ابن العديم ثم وليها شرف الدين بن التباني سنة خمس عشرة الى ان مات في صفر سنة سبع وعشرين وولي الشيخ سراج الدين قارئ الهداية الى ان مات سنة تسع وعشرين ووليها الشيخ زين الدين التفهني ثم صرف في صفر سنة ثلاث وثلاثين بالقضا ووليها صدر الدين ابن العجمي فمات في رجب من عامه ووليها العبد الفقير ثم وليها الشيخ باكير

مدرسة صرغتمش

ابتدا في عمارتها في رمضان سنة ست وخمسين وسبعمائة وتمت في جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وهي من ابدع المباني واجلها ورتب فيها درس فقه على مذهب الحنفية وقرر فيها القوام الاتقاني ودرس حديث وقال العلامة شمس ابن الصايغ

ايهنك يا صرغتمش ما بنيته ... لاخراك في دنياك من حسن بنيان
به يزدهي الترخيم كالزهر بهجة ... فلله من زهر ولله من باني

مدرسة السلطان حسن

ابن الناصر محمد بن قلاوون شرع في بنايها سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وكان في موضعها دور واسطبلات قال المقريزي لا يعرف معبد من معابد المسلمين يحكي هذه المدرسة في كبر قالبها وحسن هندامها وضخامة شكلها اقامت العمارة فيها مدة ثلاث سنين لا تبطل يوما واحدا وارصد لمصروفها في كل يوم عشرين الف درهم عنها نحو الف مثقال ذهبا حتى قال السلطان لولا ان يقال ملك مصر عجز عن اتمام ما بناه لتركت بناءها من كثرة ما صرف وذرع ايوانها الكبير خمسة وستون ذراعا في مثلها ويقال انه اكبر من ايوان كسرى بخمسة اذرع وفيها اربع مدارس للمذاهب الاربعة قال ابن حجر يقال ان السلطان حسن اراد ان يعمل في مدرسته درس فرائض فقال له البهاء السبكي هو باب من ابواب الفقه فاعرض عن ذلك فما تغوو فوقع قضية في الفرايض

مشكلة فسيل عنها الشبكي فلم يجب عنها فارسلوا الى الشيخ شمس الدين
الكلاي فقال انما كان الجواب في باب من ابواب الفقه فالعد لا يجيب فشق ذلك
على بهاء الدين وندم على ما قال و كان السلطان عزم على ان يبني اربع منابر
يؤذن عليها فتمت ثلاث منابر الى ان كان يوم السبت سادس ربيع الاخر
سنة اثنتين وستين وسبعماية سقطت المنارة التي على الباب فهلك تحتها
نحو ثلاثماية نفس من الايتام الذين كانوا قد رتبوا بمكتب السبيل ومن غيرهم
فلهج الناس بان ذلك ينذر بزوال الدولة فقال الشيخ بهاء الدين السبكي في ذلك
ابياتاً ... ابشر فسعدك يا سلطان مصر اتى ... بشيره بمقال صار كالمثل

ان المنارة لم تسقط لمنقصة ... لكن لسر خفي قد تبين لي
من تحتها قرئ القرآن فاستمعت ... فالوجد في الحال اداها الى الميل
لو انزل الله قرآنا على جبل ... تصدعت راسه من شدة الوجل
تلك الحجارة لم تنقض بل هبطت ... من خشية الله لا للضعف والخلل
وغاب سلطانها فاستوحشت ورمت ... بنفسها لجوى في القلب مشتعل
فالحمد لله حظ العين زال بما ... قد كان قدره الرحمن في الازل
لا يعتري البوس بعد اليوم مدرسة ... شيدت بنيانها للعلم والعمل
ودمت حتى ترى الدنيا بها امتلات ... علما فليس بمصر غير مشتغل

فاتفق قتل السلطان بعد سقوط المأذنة بثلاثة وثلاثين يوما

المدرسة الظاهرية

كان الشروع في عمارتها في رجب سنة ست وثمانين وانتهت في رجب سنة
ثمان وثمانين وكان القايم جركس الخليلي امير اخور و قال الشعراء في ذلك
واكثروا فمن احسن ما قيل

الظاهر الملك السلطان همته ... كادت لرفعتها تسمو على زحل
وبعض خدامه طوعا لخدمته ... يدعو الجبال فتاتيه على عجل
و قال ابن العطار في ذلك

قد انشا الظاهر السلطان مدرسة ... فاقت على ارم مع سرعة العمل

يكفي الخليلي ان جاءت لخدمته ... شم الجبال لها تاتي على عجل

قال الحافظ ابن حجر ومن راى الاعمدة التي بها عرف الاشارة ونزل السلطان اليها
في الثاني عشر من رجب ومد بها سماطا عظيما وتكلم فيها المدرسون واستقر
علاء الدين السيرامي مدرس الحنفية بها وشيخ الصوفية وبالغ السلطان في
تعظيمه حتى فرش سجادته بيده واستقر اوحد الدين الرومي مدرس الشافعية
وشمس الدين بن مكين مدرس المالكية وصلاح الدين بن الاعمى مدرس الحنابلة
واحمد زاده العجمي مدرس الحديث وفخر الدين الضرير امام الجامع الازهر مدرس
القراءات قال ابن حجر فلم يكن فيهم من هو ما يوفي فنه على غيره من الموجودين
غيره ثم بعد مدة قرر فيها سراج الدين البلقيني مدرس التفسير وشيخ الميعاد

المدرسة المؤيدية

انتهت عمارتها في سنة تسع عشرة وثمانماية وبلغت النفقة عليها اربعين
الف دينار و اتفق بعد ذلك بسنة ميل المأذنة التي بنيت على البرج الشمالي
بباب زويلة وكان الناظر على العمارة بهاء الدين بن البرجي فانشد تقي الدين
ابن حجة في ذلك على البرج من بابي زويلة انشئت ... منارة بيت الله والمعهد المنجي

فاخنى بها البرج اللعين اما لها ... الا صرخوا يا قوم باللعن للبرج
و قال شعبان الاثاري

عتبنا على ميل المنار زويلة ... وقلنا تركت الناس بالميل في هرج
فقالت قريني برج نحس امالني ... فلا بارك الرحمن في ذلك البرج

وقال ابن حجر

لجامع مولانا المؤيد رونق ... منارته بالحسن تزهو وبالزين
تقول وقد مالت عن القصد امهلوا ... فليس على جسمي اضر من العين

وقال العيني

منارة كعروس الحسن اذ جليت ... وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا اصيبت بعين قلت ذا غلط ... ما اوجب الهدم الا خسة الحجر
و قال فخر الدين بن النبيه رحمه الله تعلى

يقولون في ميل المنار تواضع ** وعيني اقوال وعندي جليها

فلا البرج أخنى والحجارة لم تعب ** ولكن عروس أثقلتها حليها

بجامع مولانا المؤيد أنشئت ** عروس سمت ما خلت قط مثالها

وقد علمت أن لا نظير لها انثنت ** وأعجبها والعجب عنا أمالها

ربــاط الآثار

بالقرب من بركة الحبش عمّره الصاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حنا وفيه قطعة خشب وحديدة وأشياء أخر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بني إبراهيم أهل ينبع ذكروا أنها لم تزل موروثة عندهم من واحد إلى واحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها إلى هذا الرباط وهي به إلى اليوم يتبرك بها ومات الصاحب تاج الدين في جمادى الآخرة سنة سبع وسبعمائة وللأديب جلال الدين بن خطيب داريا في الآثار

يا عين إن بعد الحبيب وداره ** ونأت مرابعه وشط مزاره

فلقد ظفرت من الزمان بطائل ** إن لم تريه فهذه آثاره

ذكر الحوادث الغريبة الكائنة بمصر في ملة الإسلام من غلاء ووباء وزلازل وآيات

في سنة أربع وثلاثين من الهجرة قال سيف الدين بن عمر إن رجلا يقال له عبد الله ابن سبا كان يهوديا فأظهر الإسلام وسار إلى مصر فأوحى إلى طائفة من الناس كلاما اخترعه من عند نفسه مضمونه أنه يقول للرجل أليس قد ثبت أن عيسى ابن مريم سيعود إلى هذه الدنيا فيقول الرجل بلى فيقول له ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه فما ينكر أن يعود إلى هذه الدنيا وهو أشرف من عيسى ثم يقول وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب فمحمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء ثم يقول فهو أحق بالأمر من عثمان وعثمان معتد في ولايته ما ليس له فأنكروا عليه فافتتن به بشر كثير من أهل مصر وكان ذلك مبدأ تألبهم على عثمان وفي سنة ست وستين وقع الطاعون بمصر وفي سنة سبعين كان الوباء بمصر قاله

الذهبي

الذهبي في العبر وفي سنة أربع وثمانين قتل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ابن قيس الكندي وقطع رأسه فأمر الحجاج فطيف به في العراق ثم بعث بها إلى عبد الملك بن مروان فطيف به في الشام ثم بعثه إلى أخيه عبد العزيز بن مروان وهو بمصر فطيف به فيها ودفن بمصر وجثته بالرخج فقال بعض الشعراء في ذلك

هيهات موضع جثة من رأسها ** رأس بمصر وجثة بالرخج

وفي سنة خمس وثمانين كان الطاعون بالفسطاط ومات فيه عبد العزيز بن مروان أمير مصر وفي سنة خمس وأربعين ومائة انتثرت الكواكب من أول الليل إلى الصباح فخاف الناس ذكره صاحب المرآة وفي سنة ثمانين ومائة كان بمصر زلزلة شديدة سقطت منها رأس منارة الإسكندرية وفي سنة ست عشرة ومائتين وثب رجل يقال له عبدوس الفهري في شعبان ببلاد مصر فتغلب على نواب أبي إسحاق بن الرشيد وقويت شوكته واتبعه خلق كثير فركب المأمون من دمشق في ذي الحجة إلى الديار المصرية فدخلها في المحرم سنة سبع عشرة وظفر بعبدوس فضرب عنقه ثم كر راجعا إلى الشام وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين ظهر في السماء شيء مستطيل دقيق الطرفين عريض الوسط من ناحية المغرب فأقام من المغرب إلى العشاء الآخرة ثم ظهر خمس ليال وليس بضوء كوكب ولا كوكب بذنب ثم نقص قاله في المرآة وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين أقبلت الروم في البحر في ثلاثمائة مركب وأبهة عظيمة فكبسوا دمياط وسبوا وأحرقوا وأسرعوا الكرة في البحر وسبوا ستمائة امرأة وأخذوا من الأمتعة والأسلحة شيئا كثيرا وفر الناس منهم في كل جهة فكان من غرق في بحيرة تنيس أكثر ممن أسر ورجعوا إلى بلادهم ولم يتعرض لهم أحد وفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين زلزلت الأرض ورجمت السويداء قرية بناحية مصر من السماء ووزن حجر من الحجارة فكان عشرة أرطال وفي سنة أربع وأربعين ومائتين اتفق عيد الأضحى وعيد الفطير لليهود وشعانين النصارى في يوم واحد قال ابن كثير وهذا عجيب غريب وقال في المرآة لم يتفق في الإسلام مثل ذلك وفي سنة خمس وأربعين ومائتين زلزلت مصر وسمع بتنيس صيحة دائمة طويلة مات

منها خلق كثير وفي سنة ست وستين ومائتين قتل اهل مصر عاملهم الكرخي
قاله في المرآة وفي سنة ثمان وستين ومائتين قال ابن جرير اتفق ان اول رمضان
كان يوم الاحد وكان الاحد الثاني الشعانين والاحد الثالث الفصح والاحد
الرابع النيروز والاحد الخامس انسلاخ الشهر وفي سنة تسع وستين
ومائتين في المحرم كسفت الشمس وخسف القمر واجتماعهما في شهر نادر قاله
في المرآة وفي ايام احمد بن طولون تساقطت النجوم فراعه ذلك فقال للعلماء
والمنجمين عن ذلك فما اجابوا بشيء فدخل عليه الجمل الشاعر وهو في الحديث فانشد

« قالوا تساقطت النجوم لحادث فنظ عسير »
« فاجبت عند مقالهم » بجواب محتنك خبير »
« هذي النجوم الساقطات » نجوم اعداء الامير »

فتفاءل ابن طولون بذلك ووصله وفي سنة ثمان وسبعين ومائتين قال ابن الجوزي
لليلتين بقيتا من المحرم طلع نجم ذو جمة ثم صارت الجمة ذؤابة قال وفي
هذه السنة وردت الاخبار ان نيل مصر غار فلم يبق منه شيء وهذا شيء
لم يعهد مثله ولا بلغنا في الاخبار السابقة فغلت الاسعار بمصر بسبب ذلك
وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين زفت قطر الندى بنت خمارويه بن احمد بن
طولون من مصر الى الخليفة المعتضد ونقدوا لها في جهازها ما لم ير مثله
كان من جملته الف تكة مجوهرة وعشر صناديق جوهر ومائة هاون ذهب
ثم بعد كل حساب ارسل معها مائة الف دينار لتشتري بها من العراق ما قد
تحتاج اليه مما لا ينتهيا باله مثله بالديار المصرية وقال بعض الشعراء «

« يا سيد العرب الذي وردت له » باليمن والبركات سيدة العجم »
« فاسعد بها بالسعود هابكا انها » ظفرت بما فوق المطالب والنعم »
« شمس الضحى زفت الى بدر الدجا » فتكشفت بهما عن الدنيا الظلم »

وفي سنة اربع وثمانين ومائتين ظهر بمصر ظلمة شديدة وحمرة في الافق حتى
جعل الرجل ينظر الى وجه صاحبه فيراه احمر اللون جدا وكذلك الجدران فمكثوا
كذلك من العصر الى الليل فخرجوا الى الصحراء يدعون الله ويتضرعون حتى كشف

عنهم

عنهم حكاه ابن كثير وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين ظهر رجل بمصر يقال
له الخلنجي فخلع الطاعة واستولى على مصر وحارب الجيوش وارسل اليه الخليفة
المكتفي جيشا فهزمهم ثم ارسل اليه جيشا اخر عليهم المعتضدي فهزم
الخلنجي وهرب ثم ظفر به وامسكه ثم سير به الى بغداد وفي سنة تسع
وتسعين ومائتين ظهر ثلاث كواكب مذنبة احدها في رمضان واثنان في ذي القعدة
تبقى اياما ثم تضمحل حكاه ابن الجوزي وفيها استخرج من كنز بمصر خمسمائة
الف دينار من غير موانع ووجد في هذا الكنز ضلع انسان طوله اربعة عشر
شبرا وعرضه شبر فبعث بذلك الى الخليفة المقتدر واهدى معه من مصر تيس
تيس يحلب لبنا ضرعه
لضرع يحلب لبنا حكى ذلك الصولي وصاحب المرآة وابن كثير وفي سنة
احدى وثلاثمائة سار عبيد الله المهدي المتغلب على المغرب في اربعين الفا الى
مصر حتى بقي بينه وبين مصر يومان فكسر الخاصة النيل فحال الماء بينهم وبين مصر
ثم جرت حروب فرجع المهدي بعد ان ملك الاسكندرية والفيوم وفي سنة
اثنتين وثلاثمائة عاد المهدي الى الاسكندرية وتمت وقعة كبيرة ثم رجع الى
القيروان وفي سنة ست وثلاثمائة اقبل القائم بن المهدي في جيوشه فاخذ
الاسكندرية واكثر الصعيد ثم رجع وفي سنة سبع وثلاثمائة كانت الحروب
والاراجيف الصعبة بمصر ثم لطف الله واوقع المرض بالمغاربة ومات جماعة من
امرائهم واشتدت علة القائم وفيها انقض كوكب عظيم وتقطع ثلاث قطع وسمع
بعد انقضاضه صوت رعد شديد هائل من غير غيم وفي سنة ثمان وثلاثمائة
ملك العبيدي جزيرة الفسطاط فخرجت الخلق وشرعوا في الهرب والجفل
وفي سنة تسع وثلاثمائة استرجعت الاسكندرية الى نواب الخليفة ورجع
العبيدي الى المغرب وفي سنة عشر وثلاثمائة في جمادى الاخرة ظهر كوكب له
ذنب طوله ذراعان وذلك في برج السنبلة وفي شعبان منها اهدى نائب مصر
الى الخليفة المقتدر هدايا من جملتها بغلة معها فلوها يتبعها ويرضع منها
وغلام يصل لسانه الى طرف انفه حكاه صاحب المرآة وابن كثير وفي سنة
ثلاث عشرة وثلاثمائة في اخر المحرم انقض كوكب من ناحية الجنوب الى الشمال

قبل مغيب الشمس فأضاءت الدنيا منه وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد وفي سنة ثلاثين وثلاثمائة في المحرم ظهر كوكب بذنب رأسه إلى المغرب وذنبه إلى المشرق وكان عظيما جدا وذنبه منتشر وبقي ثلاثة عشر يوما إلى أن اضمحل وفي سنة أربع وأربعين زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت ودامت ثلاث ساعات وفزع الناس بالدعاء إلى الله وفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة رجع حجيج مصر من مكة فنزلوا واديا فجاءهم سيل فأخذهم كلهم فألقاهم في البحر عن آخرهم وفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة قطعت بنو سليم الطريق على الحجيج من أهل مصر وأخذوا منهم عشرين ألف بعير بأحمالها وعليها من الأموال والأمتعة ما لا يقوم كثرة وبقي الحاج في الوادي فهلك أكثرهم وفي أيام كافور الإخشيدي كثرت الزلازل بمصر فأقامت ستة أشهر فأنشده محمد بن القاسم قصيدة منها

ما زلزلت مصر من سوء يراد بها … لكنها رقصت من عدله طربا

كذا رأيته في نسخة عتيقة من كتاب مهذب الطالبين تاريخ كتابتها بعد السبعمائة ثم رأيت ما يخالف ذلك كما سأذكره وفي سنة تسع وخمسين انقض كوكب في ذي الحجة فأضاء الدنيا حتى بقي له شعاع كالشمس ثم سمع له صوت كالرعد وفي سنة ستين وثلاثمائة سارت القرامطة في جمع كثير إلى الديار المصرية فقتلوا هم وجنود جوهر القائد قتالا شديدا بعين شمس وحاصروا مصر شهورا ومن شعر أمير القرامطة الحسين بن أحمد بن بهرام

زعمت رجال الغرب أني هبتهم … فدمي إذن ما بينهم مطلول

يا مصر إن لم أسق أرضك من دم … يروي ثراك فلا سقاني النيل

وفي هذه السنة سار رجل من مصر إلى بغداد وله فرجان فقطعهما وكواهما وكان أبيض بان عليه فبرية حكاه صاحب المرآة وفي سنة ثلاث وستين خرج بنو هلال وطائفة من العرب على الحجاج فقتلوا منهم خلقا كثيرا وعطلوا على من بقي منهم الحج في هذا العام ولم يحصل لأحد في هذه السنة سوى حج أهل العراق وحدهم وفي سنة سبع وستين كان أمير الحاج المصري الأمير

باد

باديس بن زيري فاجتمع إليه اللصوص وسألوه أن يضمنهم الموسم هذا العام بما شاء من الأموال فأظهر لهم الإجابة وقال اجتمعوا كلكم حتى أضمنكم كلكم فاجتمع عنده بضع وثلاثون لصا فقال هل بقي منكم أحد فحلفوا أنه لم يبق منهم أحد فعند ذلك أمر بقطع أيديهم كلهم ونعم ما فعل وفي سنة أربع وثمانين انفرد بالحج أهل مصر ولم يحج ركب العراق ولا الشام لخوف طريقهم وكذا في سنة خمس وثمانين والتي بعدها وفي سنة ست وثمانين خرج من مصر أربعة عشر قطعة من الأسطول فقتلت ونهبت وأحرقت ونهبت أموال التجار وأخذت سراري العزيز وحظاياه وكان حالا لم ير أعظم منه ذكره ابن المتوج وفي سنة تسعين أمر الحاكم بمصر بقتل الكلاب فقتلت كلها وفي سنة اثنتين وتسعين ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة انقض كوكب أضاء كضوء القمر ليلة التمام ومضى الضياء وبقي جرمه متوهجا نحو ذراعين في ذراع برأي العين ويشعل بعد ساعة وفي هذه السنة انفرد المصريون بالحج ولم يحج أحد من بغداد وبلاد المشرق وأخيفت الأعراب بالفساد وكذا في سنة ثلاث وتسعين وفي سنة ثلاث وتسعين أمر الحاكم بقطع جميع الكروم التي بديار مصر والصعيد والإسكندرية ودمياط فلم يبق بها كرم احترازا من عصر الخمر وفي سنة خمس وتسعين أصاب الحاج في الطريق عطش شديد بحيث هلك كثير منهم وفي سنة ست وتسعين في ليلة الجمعة مستهل شعبان طلع نجم يشبه الزهرة في كبره وضوئه عن يسرة القبلة متوهجا وله شعاع على الأرض كشعاع القمر وثبت إلى النصف من ذي القعدة ثم غاب وفي هذه السنة أمر الحاكم الناس بالسجود إذا ذكر اسمه في الخطبة وفي سنة سبع وتسعين انفرد المصريون بالحج ولم يحج أهل العراق لفساد الطريق بالأعراب وكسى الحاكم الكعبة القباطي البيض وفي سنة ثمان وتسعين هدم الحاكم الكنائس التي ببلاد مصر ونادى من لم يسلم وإلا فليخرج من مملكتي أو يلتزم بما أمر به من تعليق صلبان كبار على صدور النصارى وزن الصليب أربعة أرطال بالمصري وتعليق خشبة على تمثال عجل وزنها ستة أرطال في عنق اليهودي وفي هذه السنة كان سيل عظيم حتى غرق الخندق ذكره ابن المتوج وفي سنة تسع وتسعين انفرد المصريون بالحج وفي سنة

اربعماية بنا الحاكم دار العلم وفرشها ونقل اليها الكتب العظيمة مما يتعلق
بالسنة واجلس فيها الفقهاء والمحدثين واطلق قراءة بفضايل الصحابة واطلق صلاة
الضحى والتراويح وبطل الاذان بحي على خير العمل وكثر الدعاء له ثم بعد ثلاث
سنين هدم الدار وقتل خلقا ممن كان بها من الفقهاء والمحدثين واهل الخير والديا
نة ومنع من صلاة الضحى والتراويح و في سنة احدى واربعماية انفرد المصريون
بالحج و في سنة اثنتين واربعماية كتب محضر ببغداد في نسب خلفاء مصر الذين
يزعمون انهم فاطميون وليسوا كذلك وكتب فيه جماعة من العلماء والقضاة والفقها
والاشراف والاماثل والمعدلين والصالحين شهدوا جميعا ان الناجم بمصر وهو
منصور بن نزار المتلقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزي
والنكال والاستيصال بن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا اسعده الله
فانه لما صار الى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي ومن تقدم من سلفه
من الارجاس والانجاس عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ادعيا خوارج
كان لهم في ولد علي بن ابي طالب ولا يتعلقون منه بنسب وانه منزه عن باطلهم
وان الذي ادعوه من الانتساب اليه باطل وزور وانهم لا يعلمون ان احدا من اهل
بيوتات الطالبيين توقف عن اطلاق القول في هولاء الخوارج انهم ادعيا وكان هذا
الانكار لباطلهم شايعا في الحرمين و في اول امرهم بالمغرب منتشرا انتشارا
يمنع من ان يدلس على احد كذبهم او يذهب وهم الى تصديقهم وان هذا الناجم بمصر
هو وسلفه كفار وفساق فجار وملحدون وزنادقة معطلون وللاسلام جاحدون
ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون قد عطلوا الحدود واباحوا الفروج
واحلوا الخمور وسفكوا الدماء وسبوا الانبياء ولعنوا السلف وادعوا الربوبية
وكتب في ربيع الاخرة سنة اثنتين واربعماية وقد كتب خطه في المحضر خلق
كثيرون فمن العلويين المرتضى والرضي وابن الازرق الموسوي وابو طاهر بن ابي
الطيب ومحمد بن محمد بن عمر وبن ابي يعلى ومن القضاة ابو محمد بن الاكفاني وابو
القاسم الجزري وابو العباس بن السوري ومن الفقهاء ابو حامد الاسفراييني
وابو محمد بن الكشفلي وابو الحسين القدوري وابو عبد الله الصيمري وابو عبد

الله

الله البيضاوي وابو علي بن حكمان ومن الشهود ابو القاسم التنوخي في كثير في
سنة ثلاث واربعماية قال ابن المتوج رسم الحاكم بان لا تقبل الارض بين يديه ولا
يخاطب بمولانا ولا بالصلاة عليه وكتب بذلك سجلا في رجب قال وفيها حبس النسا
ومنعهن من الخروج في الطرقات واحرق الزبيب وقطع الكرم وغرق العسل قال ابن
الجوزي وفي رمضان انقض كوكب من المشرق الى المغرب غلب ضوءه على ضوء القمر وتقطع
قطعا وبقي ساعة طويلة و في سنة خمس واربعماية زاد الحاكم في منع النساء
من الخروج من المنازل ومن دخول الحمامات ومن التطلع من الطاقات والاسطحة ومنع
الخفافين من عمل الخفاف لهن وقتل خلقا من النساء على مخالفته في ذلك وهدم
بعض الحمامات عليهن وغرق خلقا كثيرا و في سنة سبع واربعماية ورد الخبر
بتشعيث الركن اليماني من المسجد الحرام وسقوط جدار بين يدي قبر النبي صلى
الله عليه وسلم وسقوط القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس قال ابن كثير وكان
ذلك من اغرب الاتفاقات واعجبها و في سنة سبع ايضا انفرد المصريون بالحج
ولم يحج احد من بلاد العراق لفساد الطرقات بالاعراب و كذا في سنة ثمان
و في سنة احدى عشرة واربعماية قال ابن المتوج عز القوت ثم اهان بعد
اراجيف عظيمة و في ايام الحاكم قال ابن فضل الله في المسالك زلزلت مصر حتى
رجفت ارجاوها وضجت الامة لا يدرى كيف جاوزها فقال محمد بن قاسم بن عاصم شاعر
الحاكم ** بالحاكم العدل اضحى الدين معتليا ** نجل الهدى وسليل السادة الصلحا **
** ما زلزلت مصر من كيد يراد بها ** وانما رقصت من عدله فرحا **
و كانت ايام الحاكم من سنة ست وثمانين وثلاثماية الى سنة احدى عشرة واربعماية
و في سنة ثلاث عشرة واربعماية قال ابن كثير جرت كاينة غريبة ومصيبة
عظيمة وهي ان رجلا من المصريين من اصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصر
يين على امر سوء فلما كان يوم الجمعة وهو يوم النفر الاول طاف هذا الرجل بالبيت
فلما انتهى الى الحجر الاسود جاء ليقبله فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات
متواليات وقال الى متى نعبد هذا الحجر ولا محمد ولا علي فيمنعني مما افعله فاني
اهدم هذا البيت فاتقاه اكثر الحاضرين وتاخروا عنه وذلك انه كان رجلا طوالا

جسيما احمر اشقر وعلى باب المسجد جماعة من الفرسان وقوما يشفعون من اراده بسوء
فتقدم اليه رجل من اهل اليمن معه خنجر فوجاه بها وتكاثر عليه الناس فقتلوه
وقطعوه قطعا وتتبعوا اصحابه فقتل منهم جماعة ونهب اهل مكة ركب المصريين وجرت
فتنة عظيمة جدا وسكن الحال واما الحجر الشريف فانه سقط منه ثلاث فلق مثل
الاظفار وبدا ما تحتها اسمر يضرب الى صفرة محببا مثل الخشخاش فاخذ ابنو شيبة
تلك الفلق فعجنوها بالمسك واللك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت وذلك
ظاهر فيه الى الآن وفي سنة سبع عشرة منع الظاهر صاحب مصر من ذبح البقر
السليمة من العيوب التي تصلح للحرث وكتب عن لسانه كتابا قرئ على الناس فيه
ان الله سابغ نعمته وبالغ حكمته خلق ضروب الانعام وعلم بها منافع الانام
فوق ان يحمى البقر المخصوصة بعمارة الارض المذللة لصالح الخلق فان ذبحها مما
عليه الفساد واضرار بالعباد وفي تلك السنة انفرد المصريون بالحج ولم يحج
اهل العراق والمشرق لفساد الاعراب وكذا في سنة ثمان عشرة وفي سنة
تسع عشرة لم يحج احد من اهل المشرق ولا من اهل الديار المصرية ايضا الا قوما
من خراسان ركبوا في البحر من مدينة مكران فانتهوا الى جدة فحجوا وفي سنة
عشرين حج اهل مصر دون غيرهم وفيها في رجب انقضت كواكب كثيرة
شديدة الصوت قوية الضوء وفي سنة احدى وعشرين تعطل الحج من العراق
ايضا وقطع على حجاج مصر الطريق واخذت الروم اكثره وفي سنة ثلاث وعشر
ين تعطل الحج من العراق ايضا وفيها قال ابن المتوج استحضر خليفة مصر
الظاهر بن الحاكم كل من في القصر من الجواري وقال تجتمعون لاصنع لكم يوما سر
حسنا لم ير مثله بمصر وامر كل من كان له جارية فليحضرها ولا تبقى جارية الا
مزينة بالحلي والحلل ففعلوا ذلك حتى لم تترك جارية الا احضرت فجعلهن في
مجلس ودعى بالبنائين فبنى ابواب المجلس عليهن حتى ماتوا عن آخرهن وكان
جمعهن يوم الجمعة لست خلون من شوال وعدتهن الفان وستمائة وستون جارية
فلما مضى لهن ستة اشهر اضرم النار عليهن واحرقهن بثيابهن وحليهن
فلا رحمه الله ولا رحم الذي خلفه وفي سنة خمس وعشرين كثرت الزلازل

بمصر وفيها انقض كوكب عظيم وسمع له صوت مثل الرعد وضوء مثل المشاعل وقال
ان السماء انفرجت عند انقضاضه حكاه في المرآة ولم يحج احد سوى اهل مصر
وكذا في سنة ست وعشرين وسنة ثمان وعشرين وفي سنة ثمان وعشرين
بعث صاحب مصر بمال لينفق على نهر بالكوفة ان اذن الخليفة العباسي في ذلك
فجمع القائم بامر الله الفقهاء وسالهم عن هذا المال فافتوا بان هذا فيء للمسلمين
يصرف في مصالحهم فاذن في صرفه في مصالح المسلمين وفي سنة ثلاثين واربعما
ئة تعطل الحج من الاقاليم باسرها فلم يحج احد لا من مصر ولا من الشام ولا من العراق
ولا من خراسان وفي سنة احدى وثلاثين والتي تليها تفرد بالحج اهل مصر وكذا
في سنة ست وثلاثين وسبع وثلاثين وتسع وثلاثين وثلاث سنين بعدها وفي
سنة احدى واربعين في ذي الحجة ارتفعت سحابة سوداء ليلا فزادت على ظلمة
الليل وظهر في جوانب السماء كالنار المتلهبة فانزعج الناس لذلك واخذوا في الدعا
ء والتضرع فانكشفت بعد ساعة وفي سنة خمس واربعين وثلاث تليها
انفرد اهل مصر بالحج وفي سنة ثمان واربعين واربعمائة قال في المرآة عم الوبا
والقحط بمصر والشام وبغداد والدنيا وانقطع ماء النيل واتفقت غريبة قال ابن
الجوزي ورد كتاب من مصر ان ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور فوجدوا عند
الصباح موتى احدهم على باب النقب والثاني على راس الدرجة والثالث على الثياب
المكورة وفيها في العشر الثاني من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر نجم له ذوابة
بيضاء طولها في رأي العين نحو عشرة اذرع في نحو عرض ذراع ولبث على هذا
الحال الى نصف رجب ثم اضمحل وفي سنة احدى وخمسين وسنتين بعدها انفرد
اهل مصر بالحج وفي شوال من هذه السنة لاح في السماء في الليل ضوء عظيم
كالبرق يلمع في موضعين احدهما ابيض والآخر احمر الى ثلث الليل وكبر الناس
وهللوا حكاه في المرآة وفي سنة ثلاث وخمسين في جمادى الآخرة لليلتين
بقيتا فيه كسفت الشمس كسوفا عظيما جميع القرص ومكث اربع ساعات حتى
بدت النجوم واوت الطيور الى اوكارها لشدة الظلمة وفي سنة خمس
وخمسين وقع بمصر وباء شديد كان يموت منها في كل يوم الف جنازة وفي

سنة ست وخمسين وقعت فتنة عظيمة بين عبيد مصر والترك واقتتلوا وغلب
العبيد على الجزيرة التي في وسط النيل بين مصر والجيزة وانتصب الحرب بين الـ
الفريقين و في سنة ثمان وخمسين في العشر الأول من جمادى الأولى ظهر كوكب
كبير له ذوائب عرضها نحو ثلاثة أذرع وطولها أذرع كثيرة وبقي الى أواخر
الشهر ثم ظهر كوكب آخر عند غروب الشمس قد استدار نوره عليه كالقمر
فارتاع الناس وانزعجوا فلما أعتم الليل رمى ذوائبه نحو الجنوب وأقام أياما في
رجب وذهب و في سنة ستين وأربعمائة كان ابتداء الغلا العظيم بمصر الذي
لم يسمع بمثله الدهور من عهد يوسف الصديق واشتد القحط والوبا سبع
سنين متوالية بحيث أكلوا الجيف والميتات وأفنيت الدواب وابيع الكلب بـ
بخمسة دنانير والهر بثلاثة دنانير ولم يبق لخليفة مصر سوى ثلاثة أفراس
بعد العدد الكثير ونزل الوزير يوما عن بغلته فغفل الغلام عنها لضعفه من
الجوع فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها وأكلوها فأخذوا فصلبوا فأصبحوا وقد
أكلهم الناس ولم يبق الا عظامهم وظهر على رجل يقتل الصبيان والنساء ويبيع
لحومهم ويدفن رؤوسهم وأطرافهم فقتل وبيعت البيضة بدينار وبلغ الاردب
القمح مائة دينار ثم عدم أصلا حكى صاحب المرآة أن امرأة خرجت من القا
هرة ومعها مد جوهر فقالت من يأخذه بمد قمح فلم يلتفت اليها احد وقال
بعضهم سني القحط ببغداد وقد علم المصريين أن جمودهم سنو يوسف فيها
وطاعون عمواس أقامت به حتى استوت بنفسه وأوحش منها جيفة أحد
الناس و في سنة اثنتين وستين زلزلت مصر حتى تخرب أحد زوايا جامع عمرو
وفيها ضرب صاحب مصر اسم ابنه ولي العهد على الدينار وسمي الأمري ومنع
التعامل بغيره و في سنة خمس وستين اشتد الغلاء والوباء بمصر حتى أن ال
أهل البيت كانوا يموتون في ليلة وحتى أن المرأة أكلت رغيفا بألف دينار وباعت
عروضها ولها قيمة بألف دينار واشترت به حملة قمح وحمله الحمال على ظهره فنهب
الناس فنهبت المرأة مع الناس فجاء لها رغيف واحد و كان السودان يقفون
في الأزقة يصطادون النساء بالكلاليب فيأكلون لحومهن واجتازت امرأة بزقاق

القناديل فعلقها السودان بالكلاليب وقطعوا من عجزها قطعة وقعدوا يا
كلونها وغفلوا عنها فخرجت من الدار واستغاثت فجاء الوالي وكبس الدار فأخرج
منها الوبا من القتلى و في سنة ست وثمانين وسنين بعدها انفرد المصريون
بالحج و في سنة احدى وتسعين حدث بمصر ظلمة عظيمة شديدة غشيت
أبصار الناس حتى لم يبق أحد يعرف أين يتوجه و في سنة سبع وتسعين عز
القمح بمصر ثم هان وفيها تولى الآمر بمصر فضرب الفضة السوداء المشهورة
بالآمرية و في سنة خمس عشرة وخمسمائة هبت ريح سوداء بمصر فاستمرت
ثلاثة أيام فأهلكت خلقا كثيرا والدواب والأنعام و في سنة سبع عشرة
أوفى النيل بعد النيروز بتسعة أيام وزاد عن السنة عشرة أذرع وأحد عشر
اصبعا لا غير وعز السعر ثم هان و في حدود هذه السنة احترق جامع عمرو
و في سنة خمس وستين حاصرت الافرنج دمياط خمسين يوما بحيث أنهم ضيقوا
على أهلها وقتلوا منهم فأرسل نور الدين بن محمود الشهيد اليهم جيشا عليهم
صلاح الدين يوسف بن أيوب فأجلوهم عنها وكان الملك نور الدين بن شديد الا
هتمام بذلك حتى أنه قرأ عليه بعض طلبة الحديث جزءا فيه حديث مسلسل
بالتبسم فطلب منه أن يتبسم ليتصل التسلسل فامتنع من ذلك وقال اني لأستحي
من الله أن يراني متبسما والمسلمون يحاصرهم الافرنج بثغر دمياط و في كتاب أبي
شامة أن بعضهم رأى في تلك الليلة التي أجلي فيها الافرنج عن دمياط رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول سلم على نور الدين وبشره بأن الافرنج قد رحلوا
عن دمياط فقال له الرائي يا رسول الله بأي علامة فقال بعلامة لما سجد يوم
كذا وقال في سجوده اللهم انصر دينك ومن هو محمود الكلب فأصبح الرائي وبشر
نور الدين بذلك وأعلمه بالعلامة ففرح ثم جاء الخبر بإجلائهم تلك الليلة
فرحم الله هذا الملك وأمثاله و في سنة ثلاث وثمانين قال ابن الأثير في الكامل كان
أول يوم منها يوم السبت وكان يوم النيروز وذاك أول سنة الفرس واتفق أنه سنة
الفرس الروم أيضا وفيه نزلت الشمس برج الحمل وكذلك كان القمر في برج الحمل أيضا
قال وهذا شيء يبعد وقوع مثله و في سنة ثلاث وتسعين ورد كتاب من القاضي

العاضد من مصر الى القاضي محيي الدين بن التركي يخبره فيه بان في ليلة الجمعة من
التاسع من جمادى الآخرة اتى عارض فيه ظلمات متكاثفة وبروق خاطفة ورياح
عاصفة بقوي اهويتها واشتد هبوبها بقد ابعث لا معانه وارتفعت لها صواعق
مصعقات فرجفت لها الجدران واصطفقت وتلاوت على بعضها واعتنقت وثار بين
السماء والارض عجاج فقيل لعل هذه على هذه قد انطبقت ولا تحسب ان جهنم قد
سال منها واد وعاد منها عاد وزاد عصف الريح الى ان انطفات سرج النجوم
ومزقت اديم السماء ومحت ما فوقه من الرقوم فكان كما قال الله تعالى يجعلون اصابعهم
في آذانهم من الصواعق كما قلنا ويردون ايديهم على اعينهم من البوارق لا عاصم
من الخطف للابصار ولا ملجأ من الخطب الا بعاقل الاستغفار وفر الناس نساء
ورجالا واطفالا ونفروا من دورهم خفافا وثقالا لا يستطيعون حيلة ولا
يهتدون سبيلا فاعتصموا بالمساجد الجامعة واذعنوا للنازلة باعناق خاضعة
ووجوه عانية ونفوس عن الاهل والمال سالية ينظرون من طرف خفي ويتوقعون
اي خطب جلي قد انقطعت من الحياة علقهم وعميت عن النجاة طرقهم ووقعت الفكرة
فيما هم عليه قادمون وقاموا الى صلاتهم ووددوا ان لو كانوا من الذين هم عليها
دائمون الى ان اذن الله في الركود واسعف الهاجدين بالهجود واصبح كل منهم
يسلم على رفيقه ويهنيه بسلامة طريقه ويرى انه قد بعث بعد النفخة وافاق
بعد الصيحة والصرخة وان الله قد رد له الكرة وادب بعد ما كان ياخذه على
الغرة ووردت الاخبار بانها كسرت المراكب في البحار والاشجار في القفار
واتلفت خلقا كثيرا من السفار ومنهم من فر فلم ينفعه الفرار الى ان قال ولا
يحسب المجلس اني ارسلت القلم محرفا والقول مجزفا فالامر اعظم ولكن الله
سلم ونرجوا ان الله قد ايقظنا بها ووعظنا ونبهنا بها ولهنا بها من عناية
من رأى القيمة عيانا ولم يلتمس عليها من بعده برهانا الا اهل بلد ما اقتضى
الاولون مثلها في المثلات ولا سبقت لها سابقة في المعضلات والحمد لله الذي
من فضله ان جعلنا نخبر عنها ولا تخبر عنا ونسال الله ان يصرف عنا عارض الحرص
والغرور وفي سنة ست وتسعين قال الذهبي في العبر كسر النيل من ثلاثة

عشر

عشر ذراعا الا ثلاثة اصابع فاشتد الغلاء وعدمت الاقوات ووقع الوباء وعظم
الخطب الى ان آل بهم الامر الى ان اكل الآدميون الموتى وقال ابن كثير في هذه
السنة والتي بعدها كان بديار مصر غلاء شديد فهلك الغني والفقير وعم
الجليل والحقير وهرب الناس منها نحو الشام ولم يصل منهم الا القليل وتخطفهم الافرنج
من الطرقات وغروهم في انفسهم واغتالوهم بالقليل من الاقوات وكان الامير لولو
احد الحجاب بالديار المصرية يتصدق في هذا الغلاء في كل يوم باثني عشر الف
رغيف على اثني عشر الف فقير وفي سنة سبع وتسعين قال الذهبي في العبر
كان الجوع والموت المفرط بالديار المصرية وجرت امور تتجاوز الوصف ودام ذلك
الى نصف العام الآتي فلو قال القائل مات ثلاثة ارباع الاقاليم لما بعد والذي دخل
تحت قلم الحشرية في مدة اثنين وعشرين شهرا مائة الف واحد عشر الفا بالقا
هرة وهذا نزر في جنب ما هلك بمصر والحواضر في البيوت والطرقات ولم يدفن
وكله نزر في جنب ما هلك بالاقليم وقيل ان مصر كان فيها تسعماية منسج للحصر
فلم يبق الا خمسة عشر منسجا فقس على هذا وبلغ الفروج مائة درهم ثم عدم
الدجاج بالكلية لولا ما جلب من الشام واما اكل لحوم الآدميين فشاع وتواتر
هذا كلام الذهبي وقال صاحب المرآة في هذه السنة كان هبوط النيل ولم
يعهد ذلك في الاسلام الا مرة واحدة في دولة الفاطميين ولم يبق منه الا شيء
يسير واشتد الغلاء الغلاء والوباء بمصر فهرب الناس الى المغرب والحجاز واليمن
والشام وتفرقوا وتمزقوا كل ممزق قال وكان الرجل يذبح ولده الصغير فتساعده
امه على طبخه وشيه واحرق السلطان جماعة فعلوا ذلك ولم ينتهوا وكان الرجل
يدعو صديقه واحب الناس اليه الى منزله ليضيفه فيذبحه وياكله وفعلوا
بالاطباء ذلك وفقدت الميتات والجيف وكانوا يخطفون الصبيان من الشوارع
فياكلونهم وكفن السلطان في مدة يسيرة ما ينيف الف وعشرين الفا وامتلات
طرقات المغرب والحجاز واليمن بوم من الناس وصلى امام جامع الاسكندرية في
يوم واحد على سبعماية جنازة قال العماد الكاتب في سنة سبع وتسعين
وخمسماية اشتد الغلاء واشتد البلاء وتفرقت الجماعة وهلك الفقراء فكيف من

الضعيف ونحف السمين بكيف العجيب وخرج الناس من الموت وخذروا من الديار
وتعرفت بروز مصر في الامصار ولقد رايت الاوامر على الرمال والجبال باركة تحت
الاحمال ومواكب الافرنج واقفة بساحل البحر الملح يستروا الجناح باللحم قال
صاحب المرءاة وغيره وكان في هذه السنة في شعبان زلزلة هائلة من الصعيد
هدمت بنيان مصر ومات تحت الهدم خلق كثير وفي سنة تسع وتسعين في ليلة
السبت سلخ المحرم ماجت النجوم في السماء شرقا وغربا وتطايرت كالجراد المنتشر
يمينا وشمالا ودام ذلك الى الفجر وانزعج الخلق وضجوا بالدعاء ولم يعهد مثل ذلك
الا في عام البعث وفي سنة احدى واربعين ومايتين قاله صاحب المرءاة وغيره
وفي سنة ستماية كانت زلزلة عظيمة بديار مصر قاله ابن الاثير في الكامل
وفيها اخذت الافرنج واستباحوها دخلوا من رشيد في النيل ذكره
الذهبي في العبر وفي سنة سبع وستماية دخلت الافرنج من البحر من غربي
دمياط وساروا في البر فاخذوا قرية فوة واستباحوها قتلا وسبيا وردوا
في الحال ولم يدركهم الطلب وفي سنة ثمان وستماية كانت زلزلة عظيمة
هدمت بمصر والقاهرة دورا كثيرة ومات خلق تحت الهدم وفي سنة خمس عشرة
وستماية حاصر الافرنج دمياط ووقعت حروب كثيرة يطول شرحها وجدت
الافرنج في المحاصرة وعملوا عليهم خندقا كبيرا وثبت اهل البلد ثباتا لم يسمع
بمثله وكثر فيهم القتل والجراح والموت وعدمت الاقوات ثم سلموها بالامان
في شعبان وطار عقل الافرنج وتسارعوا اليها من كل فج وشرعوا في تحصينها
واصبحت دار هجرتهم وجوابها اخذ ديار مصر واشرف الاسلام على خطة خسف
واقبلت التتار من المشرق والافرنج من المغرب وعزم المصريون على الجلاء فثبتهم
الكامل الى ان سار اليه اخوه الاشرف والمعظم وحصل الفتح وفي سنة ثمان وعشر
ين وستماية كان غلاء شديد في ديار مصر قاله ابن كثير وبلغ النيل ستة عشر
ذراعا وثلاث اصابع فقط بعد توقف عظيم ووصل القمح خمسة دنانير الاردب
فرسم السلطان بفتح الاهراء وشون الامراء ان يباع بثمانين درهما الاردب من غير
زيادة فانحط السعر ذكره ابن المتوج وفي سنة تسع وعشرين وصل النيل الى

ثمانية

ثمانية عشر ذراعا وستة اصابع وتاخر نزوله حتى خاف الناس من عدم نزوله
فغلا السعر ثم نزل فانحط السعر وفي سنة احدى وثلاثين قدم الى الملك الكامل
هدية من الافرنج فيها دب ابيض وشعره مثل شعر السبع ينزل البحر فيصطاد
السمك فياكله وفي سنة اثنتين وثلاثين كان الوباء العظيم بمصر وفي سنة
ثلاث واربعين كان الغلاء بمصر فقاسى اهلها شدايد وفي سنة سبع واربعين
نزلت الافرنج دمياط برا وبحرا وملكوها ثم استنقذت منهم وفي سنة تسع
واربعين صليت صلاة العيد يوم الفطر بعد العصر قال وهذا اتفاق غريب وفي سنة
سبع وخمسين حصلت بديار مصر زلزلة عظيمة جدا وفي سنة احدى وستين جهز
الظاهر بيبرس اخشابا وآلات كثيرة لعمارة المسجد النبوي بعد حريقه فطيف
بها بالديار المصرية فرحا بها وتعظيما لشانها ثم ساروا بها الى المدينة وفي
سنة اثنتين وستين كان بديار مصر غلاء عظيم وفرق الظاهر الفقراء على الامراء والاغنياء
والزمهم باطعامهم وفرق قمحا كثيرا ورتب كل يوم للفقراء ماية اردب تخبز وتفرق عليهم
وفي هذه السنة ولد بمصر ولد ميت له راسان واربعة اعين واربعة ايد واربعة
ارجل وفي سنة ثلاث وستين وقع حريق عظيم بديار مصر اتهم به النصارى فعا
قبهم السلطان عقوبة عظيمة وفيها استجد الظاهر بمصر القضاة الثلاثة من كل
مذهب قاض وفي سنة اربع وستين قال ابن المتوج حفر السلطان الظاهر بحر مصر
بنفسه وعسكره ما بين الروضة والمنشاة وفي سنة خمس وستين كبا الفرس
بالملك الظاهر فانكسرت فخذه فحصل له عرج وفي سنة ست وستين كانت كاينة
الحبيس النصراني كان كاتبا ثم ترهب واقام بمغارة جبل حلوان فقيل انه ظفر بكنز
للحاكم صاحب مصر فواسى منه الفقراء والمستورين من كل ملة واشتهر امره
وشاع ذكره وانفق في ثلاث سنين اموالا عظيمة فاحضره السلطان وتلطف به
فابى عليه ان يفي به بجلية امره واخذ يراوغه ويغالطه فلما اعيا شق عليه
وبسط عليه العذاب فمات قال الذهبي في العبر وقد افتى غير واحد بقتله
خوفا على ضعفاء الايمان من المسلمين ان يضلهم ويغويهم وفي سنة سبع وستين
رسم السلطان باراقة الخمور وابطال المفسدات والخواطي من الديار المصرية والشامية

وحبست الخواطي حتى يتزوجن وكتب الى جميع البلاد بذلك واسقط الضرايب التي
كانت مرتبة عليها وفي هذه السنة حج السلطان فاحسن الى اهل الحرمين
وغسل الكعبة بماء الورد بيده وفي اواخر ذي الحجة من هذه السنة هبت ريح شديدة
بديار مصر غرقت ماينيف من ماية مركب في النيل وهلك فيها خلق كثير ووقع مطر شديد
به جدا واصابت النار ضيعة اهلكتها حكاه ابن كثير وفي سنة تسع وستين
شدد السلطان في امر الخمور وهدد من يعصرها بالقتل واسقط الضمان في ذلك وكان
الف دينار كل يوم بالقاهرة وحدها وكتب بذلك توقيع قري على منبر مصر
والقاهرة وسارت البريد بذلك في الافاق وفي سنة سبعين قال قطب الدين في
جمادى الاخرة ولدت زرافة بقلعة الجبل وارضعت من بقرة قال وهذا شيء لم يعهد
مثله وفي سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين قال ابن كثير طيف بالمحمل
وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة وكان يوما مشهودا فلعل كان هذا ابتدا
ذلك واستمر ذلك كل عام الى الان وفي سنة تسع وسبعين في يوم عرفة وقع
ببلاد مصر برد كبار اتلف كثيرا من الغلال ووقعت صاعقة بالاسكندرية واخرى
تحت الجبل الاحمر على حجر فاحرقته فاخذ ذلك الحجر وسبك فخرج منه الحديد
وفي سنة ثمانين وستماية مدت جزيرة كبيرة في بحر النيل تجاه قرية بولاق
واللوق وانقطع بسببها بحر النيل ما بين قلعة المقس وساحل البحر واستدت
ونشف بالكلية واتصل ما بين المقس وجزيرة الفيل فاراد السلطان حفره فقالوا
انه لا يفيد ونشف على الابد ما سبق على ذلك وفي سنة احدى وثمانين في شعبان
طافوا بكسوة الكعبة ولعبت مماليك الملك المنصور قلاوون ايام الكسوة بالرماح
والسلاح وهو اول ما وقع ذلك بالديار المصرية واستمر ذلك الى الان يعمل سنين
ويبطل سنين وفي سنة احدى وتسعين في الرابع والعشرين من المحرم وقع حريق
عظيم بقلعة الجبل اتلف شيئا كثيرا من الدنانير والنفايس والكتب وفي سنة
ثلاث وتسعين قال ابن المتوج كثرت الفلوس وردها ارباب المعايش وجعلت بالميزان
بربع نقرة كل اوقية ثم سدس الاوقية وتحرك السعر بسبب ذلك وكان القمح في
اول السنة بثلاثة عشر درهم الاردب فانتقل الى ستين درهما الاردب وفيها

قز

قال ابن المتوج كانت زلزلة بديار مصر وفي سنة اربع وتسعين اوفى النيل في
السادس من ايام النسيء وكسر وبلغ مجموع زيادته ستة عشر ذراعا وسبعة
عشر اصبعا وحصل في هذه السنة بديار مصر غلاء شديد واستهلت سنة خمس
وتسعين واهل الديار المصرية في قحط وجوع شديد ووباء مفرط حتى اكلوا الجيف
ونبشت حواصل السلطان من الغلة وقامت جنود السلطان ثلاثة ايام حتى
انقضت النفاوة المعلنة في البلد وبلغ الاردب القمح ماية وسبعين درهما نقرة
وذلك عبارة عن ثمانية مثاقيل ذهب ونصف مثقال والخبز كل رطل وثلث بالمصري
بدرهم نقرة واكلت الضعفاء الكلاب وطرحت الاموات في الطرقات وكانوا
يحفرون الحفاير الكبار فيلقون فيها الجماعة الكثيرة وابيع الفروج بالاسكندرية
بستة وثلاثين درهما نقرة وبالقاهرة بتسعة عشر والبيض كل ثلاثة
بدرهم وافنيت الحمير والخيل والبغال والكلاب ولم يبق شيء من هذه الحيوانات
يلوح وفي جمادى الاخرة خف الامر واخذ في الرخص وانحط سعر القمح الى خمسة
وثلاثين درهم الاردب وفي سنة ست وتسعين بلغت زيادة النيل الى اواخر توت
خمس عشرة ذراعا وثمانية عشر اصبعا ثم نقص ولم يوف وفي سنة سبع
وتسعين توقف النيل ثم اوفى في اخر ايام النسيء وفي سنة ثمان وتسعين في المحرم
ظهر كوكب ذو ذوابة وفي سنة تسع وتسعين اوفى النيل في ثالث عشر توت
وفي شعبان سنة سبعماية امر بمصر والشام اليهود بلبس العمايم الصفر والنصارى
بلبس العمايم الزرق والسامرة بلبس العمايم الحمر واشتهر ذلك الى الان وقال
الشعراء في ذلك فقال العلاء الوداعي

لقد الزموا الكفار شاشات ذلة ⁂ تزيدهم من لعنة الله تشويشا
فقلت لهم ما البسوكم عمايما ⁂ ولكنهم قد البسوكم براطيشا
١٠ اخر تعجبوا للنصارى واليهود معا ⁂ والسامريين لما عمموا الخرقا
كانما بات بالاصباغ مغتسلا ⁂ نسر السماء فاضحى فوقهم فرقا

وفي سنة اثنتين وسبعماية كانت الزلزلة العظمى بمصر وكان تاثيرها بالا
سكندرية اعظم من غيرها وطلع البحر الى نصف البلد واخذ الجمال والرجال وغرقت

المواكب وسقطت بمصر دور كثيرة وهلك تحت الردم خلق كثير و في هذه السنة
قال النويري في تاريخه قرأت في بعض الكتب الواردة من القاهرة انه لما كان بتا
ريخ يوم الخميس رابع جمادى الاخرة ظهرت دابة عظيمة الخلقة من بحر النيل الى ارض
المنوفية وصفة لونها لون الجاموس بلا شعر واذناها كاذان الجمل وعينيها و
وفرجها مثل الناقة يغطي فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمك
ورقبتها مثل غلظ الثور المحشو تبنا وفمها وشفتاها مثل الكربال ولها اربعة انياب
اثنان من فوق واثنان من اسفل طولها دون الشبر وعرض اصبعين وفي فمها ثمانية
واربعون ضرسا وسنا مثل بيادق الشطرنج وطول يديها من باطنها الى الارض شبران
ونصف ومن ركبتها الى حافرها مثل بطن الثعبان اصفر مجعد ودور حافرها مثل
السكرجة باربعة اظافير مثل اظافير الجمل وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف
وطولها من فيها الى ذنبها خمسة عشر قدما وفي بطنها ثلاثة كروش ولحمها
احمر وزفرته مثل السمك وطعمه كلحم الجمل وغلظ جلدها اربعة اصابع ما تعمل
فيه السيوف وحمل جلدها على خمسة اجمال مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد
جمل واحضروه للقلعة بين يدي السلطان وحشوه تبنا واقاموه بين يديه
و في هذه السنة ابطل الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عيد الشهيد
بمصر وذلك ان النصارى كان عندهم تابوت فيه اصبع يزعمون انه من بعض اصابع
شهدائهم وان النيل لا يزيد ما لم يلق فيه هذا التابوت وكان يجتمع النصارى
من سائر النواحي الى شبرا وتقع هناك امور فضيعة من سكر وغيره فابطل
ذلك الى يومنا هذا ولله الحمد و في سنة اربع وسبعمائة ظهر في معدن الز
مرد قطعة زنتها مائة وخمسة وسبعون مثقالا فاخفاها الضامن ثم حملها
الى بعض الملوك فدفع فيها مائة الف وعشرين الف درهم فابى ان يبيعها بذلك
فاخذها الملك منه غصبا وبعث بها الى السلطان فمات الضامن غما وفيها اوفى
النيل رابع توت وكذا في سنة خمس و في سنة تسع وسبعمائة توقف النيل
واستسقى الناس فلم يسقوا وانتهت زيادته في سابع عشر من توت الى
خمس عشرة ذراعا وسبعة عشر اصبعا ثم نقص ثم زاد وفي سنة عشر

ذراعا في تاسع عشر بابه وتشاءم الناس بسلطنة بيبرس وغنت العامة في
ذلك سلطاننا ركين ونائبنا دقين يجينا الماء من اين يجيبوا لنا الاعرج يجي الماء
ويدحرج و في هذه السنة لما عاد ابن قلاوون في اعادة اهل الذمة الى لبس
العمائم البيض بالعلائم وانهم قد التزموا للديوان بسبعمائة الف دينار كل سنة
زيادة على الجالية فسكت اهل المجلس وقام الشيخ تقي الدين بن تيمية رده في
ذلك وتكلم كلاما عظيما ورد على الوزير مقالته وقال للسلطان حاشا ان تكون
من ينصر اهل الذمة فاصغى اليه السلطان واستمر لبسهم للاصفر والازرق ثم
عمل ذلك ببغداد ايضا في سنة اربع وثلاثين اقتداء بملك مصر و في سنة
خمس عشرة وسبعمائة وقع الشروع في روك الاقطاعات بمصر وابطل السلطان
مكوسا كثيرة وانفردت التي بقيت من المكس واضيف للوزير وافرد لكل
نائب من الدولة ولكل امير جهة من البلاد ولم يكن الوزير يتعلق به جهة من
مكس فيها وكذا كان لا يتولاه العلماء وقضاة القضاة و في سنة عشرين
وسبعمائة حصل بالديار المصرية مرض كثير قل ان سلمت منه دار وغلت الادوية
والاشربة وبيعت الرمانة الحامضة بثلاثة ارباع نقرة والعناب الرطل المصري
بستة دراهم نقرة وكذلك الاجاص والقراصيا واللوز القلب وتمت شدة
عظيمة ولكن كان المرض سليما والموت قليلا ذكره في العبر و في سنة
احدى وعشرين كان بالقاهرة حريق كثير متتابع خارج عن الوصف ودام اياما
في اماكن واحترق جامع ابن طولون وما حوله باسره ثم ظفر بفاعله وهم جماعة
من النصارى يعملون قوارير فيها النفط فقتلوا واحرقوا وهدم غالب كنائس
النصارى بمصر ونهب الباقي وبقيت القاهرة اياما لم يظهر فيها احد من
النصارى وبقي لا يظهر نصراني الا ضربه العوام وربما قتلوه و في هذه السنة
قال الذهبي في العبر نقلت من خط بدر الدين بن العزاري ان كلبة بالقاهرة ولدت
ثلاثين جروا وانها احضرت بين يدي السلطان فعجب منها وسال المنجمين عن ذلك
فلم يكن عندهم علم منه و في سنة اثنتين وعشرين ابطل السلطان المكس المتعلق
بالماكول و في سنة اربع وعشرين رسم السلطان بابطال الملاهي بالديار المصرية

وحبس النساء المغزواني وحصل بالديار المصرية موت كثير وفي هذه السنة نو
نودي على الفلوس ان يتعامل بها بالرطل كل رطل بدرهمين ورسم بضرب فلوس
زنة الفلس منها درهم وفي سنة خمس وعشرين وقع بالقاهرة مطر كثير قل ان وقع
مثله وجاء سيل الى النيل حتى تغير لونه وزاد نحو اربع اصابع وفي هذه السنة
حضر السلطان الناصر بن قلاوون عند قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة يسمع
عليه عشرين حديثا من تساعياته وخلع عليه خلعة عظيمة وفرق من الذهب
والفضة على الفقراء نحو ثلاثين الف درهم وفي سنة سبع وعشرين رسم بقتل
الكلاب بالديار المصرية وفي سنة تسع وعشرين رسم ان لا يباع مملوك تركي
لكاتب ولا لعامي وفي سنة اربعين نودي على الذهب كل دينار بخمسة وعشرين
درهما وكان بعشرين درهما وان يتعاملوا به ولا يتعاملوا بالفضة فشق ذلك
على الناس ثم بطل ذلك وفي سنة اربع واربعين اشتد الملك نائب السلطنة
على والي القاهرة في اراقة الخمور ومنع المحرمات وعاقب جماعة كثيرة على ذلك
واخرب خزانة البنود وكانت دار فسوق وفجور وبنى مكانها مسجدا ونادى من
احضر سكرانا او معه جرة خمر خلع عليه فقعد العامة لذلك بكل طريق وانوا
بجندي سكران فضربه وقطع خبزه واخلع على الآتي به وصار له مهابة عظيمة
وكف الناس عن اشياء كثيرة حتى اعيان الامراء فقال بعض الشعراء في ذلك

ان الملك الحاج غدا اسعد — يا لاظهر الارض فهما سلكت
بالامر من دونه سوقه — والملك الظاهر هو ان ملكت

وفي سنة سبع واربعين قل ماء النيل جدا وصار ما بين المقياس ومصر يخاض
وصار من بولاق الى المنشية طريقا يمشى فيه وبلغت راوية الماء درهمين فضة
وكانت بنصف درهم وفي سنة تسع واربعين كان الطاعون العام بمصر وغيرها
وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة امر بان يكون ازار النصرانية ازرق وازار اليهو
دية اصفر وازار السامرية احمر وفي سنة سبع وخمسين في ربيع الاخر هبت
ريح من جهة المغرب وامتدت من مصر الى الشام في يوم وليلة وغرقت ببولاق
نحو ثلاثمائة مركب واقلعت من النخيل والجميز ببلاد مصر وبلبيس شيا كثيرا

ربع حصة

وفي سنة احدى وستين وقع الوباء بالديار المصرية وفي سنة اربع وستين
كان الطاعون بديار مصر وفي سنة خمس وستين وقع الفناء في البقر فهلك
منها شيء كثير وفي سنة سبع وستين اخذت الافرنج مدينة الاسكندرية
وقتلوا واسروا فخرج السلطان لقتالهم ففروا وتركوها وفي سنة تسع
وستين وقع الوباء بالديار المصرية وفي سنة ثلاث وسبعين رسم للاشراف
بالديار المصرية والشامية ان يسموا عمائمهم بعلامة خضراء تمييزا لهم من الناس
ففعل ذلك في مصر والشام وغيرهما وفي ذلك يقول ابو عبد الله بن جابر
الاندلسي الاعمى نزيل حلب

جعلوا لابناء الرسول علامة — ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم — يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره ومن احسنها قول الاديب
شمس الدين بن محمد بن ابراهيم الدمشقي

اطراف تيجان اتت من سندس — خضر باعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها — شرفا ليعرفهم من الاطراف

وفي هذه السنة زاد النيل زيادة مفرطة وثبت الى ايام من هاتور فاجتمع
جماعة بالجامع الازهر وجامع عمرو وسالوا الله في هبوطه وعمل ابن حجلة
مقامته المشهورة وفي هذه السنة اراد السراج الهندي قاضي الحنفية ان
يساوي قاضي الشافعية في لبس الطرحة وتولية القضا في البلاد وتقرير مودع
الايتام فاجيب الى ذلك فاتفق انه توعك عقب ذلك وطال مرضه الى ان مات
ولم يتم الذي اراده وفي سنة اربع وسبعين وقعت صاعقة على القلعة فا
حرقت منها شيئا كثيرا واستمر الحريق اياما وفي هذه السنة عقد الجاي مجلسا
بالعلماء في اقامة خطبة المنصورية فافتى البلقيني وابن الصايغ بالجواز وخالف
الباقون وصنف البلقيني كتابا في الجواز وصنف العراقي كتابا في المنع وجمع
ايضا القاضي برهان الدين بن جماعة جزءا في المنع وفي سنة خمس وسبعين
توقف النيل عن الزيادة وابطا الوفا الى اخر توت واجتمع العلماء والصلحاء بالجامع

عمرو واستسقعوا وكسر الخليج تاسع توت عن نقص اربع اصابع من العادة ثم
نودي بصيام ثلاثة ايام وخرجوا الى الصحرا مشاة وحضر غالب الاعيان ومعظم
العوام وصبيان المكاتب ونصب المنبر فخطب عليه شهاب الدين القسطلاني خطيب
جامع عمرو وصلى صلاة الاستسقا ودعوا وابتهلوا وكشف راسه واستغاث الناس
وتضرعوا وكان يومًا مشهودا وابتدا الغلا وزادت الاسعار وفي هذه السنة
في اول جمادي الاولى حدثت زلزلة لطيفة وفيها ابتدات قراءة البخاري في
رمضان بالقلعة بحضرة السلطان وربت الحافظ زين الدين العراقي قاريا ثم اشرك
معه شهاب الدين بن العرياني يوما بيوم وامر السلطان مشايخ العلم ان يحضروا
عنده سامعين فتباحثوا بحضرة جماعة من الاكابر وفيها ابطل ضمان المغاني وكسر
القواديس التي كانت في بيع الخمور وقري بذلك مرسوم على المنابر وكان ذلك
بتحريك البلقيني واعانه اكمل الدين والبرهان بن جماعة **و**في سنة ست
وسبعين وقع الغلا بالديار المصرية وبيع كل رمانة بستة عشر درهما وفي
فرد بدينار وكل فروج بخمسة واربعين درهما وكل بطيخة بتسعين درهما وفي
هذه السنة احضروا الى الاشمونين الى الامير بنتا خمس عشرة سنة يذكر
انها لم تزل بنتا الى هذه الغاية فاسد الفرج وظهر لها ذكر وانثيان واحتملت
فشاهدوها وسموها محمدا ولهذه القصة نظيرة ذكرها ابن كثير في
تاريخه **قال** ابن حجر ووقع في عصرنا نظير ذلك في سنة اثنين واربعين
وثمانماية **و**في سنة سبع وسبعين وصلت هدايا اصطنبول من الروم وفي جملة
الهدية صندوق فيه شخوص لها حركات كلما مضت ساعة من الليل ضربت تلك
الشخوص بانواع الملاهي وكلما مضت درجة سقطت بندقة **و**في سنة ثمان
وسبعين في شعبان خسف الشمس والقمر جميعا فطلع القمر خاسفا ليلة السبت
رابع عشرة وكسفت الشمس بين الظهر والعصر يوم السبت ثامن عشرينه
وفي سنة ثمانين كان بديار مصر حر عظيم ودام اياما وفي هذه السنة في
ذي القعدة عند برقوق اتابك العساكر مجلسا بالقضاة والعلماء وذكر ان اراضي
بيت المال اخذت منه بالحيلة وجعلت اوقافا من بعد الناصر بن قلاوون وضاف

بيت المال بسبب ذلك **قال** الشيخ سراج الدين البلقيني اما ما وقف على خديجة
وعويشة وفطيمة فنعم واما ما وقف على المدارس والعلماء والطلبة فلا
سبيل الى نقضه لان لهم في الخمس اكثر من ذلك فانفصل الامر على مقالة البلقيني
وفي هذه السنة ظهر كوكب له ذوابة ويبقى مدة يرى في اول الليل من ناحية
الشمال امر بتبطيل الوكلا من دور القضاة **و**في سنة احدى وثمانين رسم الامير
بركة بنفي الكلاب من مصر ورسم بان يعمل على قنطرة فم الخور سلسلة تمنع المراكب
من الدخول الى الخليج والى بركة الرطلي فقال بعض الشعراء في ذلك

من رام من دهرنا عجبا ✤ فلينظر الكلب بالمسلسل

وفي ربيع الاخر من هذه السنة احدث السلام على النبي صلى الله عليه وسلم عقب
صلاة العشاء ليلة الاثنين مضافا الى ليلة الجمعة ثم احدث بعد عشر سنين عقب
كل اذان الا المغرب **و**في سنة ثلاث وثمانين ابتدا الطاعون بالقاهرة وفيها
امطرت السماء مطرا عظيما حتى صار باب زويلة خوضا الى بطون الخيل وخرج
سيل عظيم الى جهة طرى فغرق زرعها واقام الماء اياما ولم يعهد الناس مثل
ذلك بالقاهرة **و**فيها ظهر نجم له ذوابة قدر رمحين من جهة القبلة **و**في
سنة اربع وثمانين وقع الغلاء بمصر وفيها شرع جركس الخليلي في عمل جسر
بين الروضة ومصر وطوله مايتين قصبة في عرض عشرة عند موردة الحبش وعمل
على النيل طاحونا تدور في الماء **و**في هذه السنة قال ابن حجر توجه الظاهر
برقوق الى بولاق فاجتاز من الصليبة وقناطر السباع وفم الخور قال وكانت عادة
السلاطين قبله من زمن الناصر لا يظهرون الا في الاحيان ولا يركبون الا من طريق
الجزيرة الوسطى قال ثم تكرر ذلك منه وشق القاهرة مرارا وجرى على ما
العهد في زمن الامرة وابطل كثيرا من رسوم السلطنة واخذ من بعده بطريقته
في ذلك الى ان لم يبق من رسمها الا القليل في زماننا **و**في هذه السنة بنى
السلطان قناطر بني منجا واحكم عمارتها **و**في سنة خمس وثمانين نزل السلطان
الى النيل وكسر الخليج بحضرته **قال** ابن حجر ولم يباشر ذلك سلطان قبله من زمن
الظاهر بيبرس **و**في سنة سبع وثمانين زلزلت مصر والقاهرة زلزلة لطيفة في

ليلة الثالث عشر من شعبان وفيها احضرت صغيرة ميتة لها راسان وصدر
واحد ويدان فقط ومن تحت السرة صورة شخصين كاملين كل شخص بفرج انثى
ورجلين فشاهدها الناس وهي ميتة وفيها وقع الغلا بمصر وفي سنة ثمان
وثمانين في جمادى الاخرة زلزلت الارض زلزلة لطيفة وفي هذه السنة عز
الفستق عزة شديدة الى ان بيع الرطل منه بمثقال ذهب ونصف وفي سنة
تسع وثمانين ضربت الدراهم الظاهرية وجعل اسم السلطان في دايرة الدرهم
واعطى من ذلك للجيش فرفع عن قريب ووقع نظيره لولده الناصر فرج في
الدنانير الناصرية وفي سنة تسعين اصاب الحاج في رجوعهم عند ثغرة
حامد سيل عظيم اهلك خلقا كثيرا وفي هذه السنة وقع الطاعون بالقا
هرة وفي سنة احدى وتسعين في شعبان امر نجم الدين الطنبدي المحتسب
ان يزاد بعد كل اذان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما يصنع ذلك ليلة
الجمعة بعد العشاء فصنعوا ذلك الا في المغرب لضيق الوقت وفي سنة اثنتين
وتسعين عطش الحاج بعجرود حتى بلغت القربة مائة درهم فضة وفي
سنة ثلاث وتسعين امر كمشبغا نايب الغيبة ان لا تخرج النساء الى الترب
بالقرافة وغيرها ومنع النساء من لبس القمصان الواسعة الاكمام وشدد في
ذلك وفي هذه السنة في جمادى الاخرة ظهر كوكب عظيم بذوايب طوال
وفي سنة اربع وتسعين وقع الوباء في البقر حتى كاد اقليم مصر ان يفنى
منها وفي هذه السنة امر اصحاب العاهات والقطعان ان يخرجوا من القاهرة
وفيها ضربت بالاسكندرية فلوس ناقصة الوزن عن العادة طمعا في الربح فال
الامر فيها الى ان كانت اعظم الاسباب في فساد الاسعار ونقص الاموال وفي
سنة تسع وتسعين وسبعمائة استاذن كاتب السر بدر الدين الكلستاني
السلطان له ولجميع المتعممين ان يلبسوا الصوف الملون في المواكب فاذن لهم وكا
نوا لا يلبسون الا الابيض خاصة وفيها ولدت امراة بظاهر القاهرة اربعة
ذكور احياء وفي سنة ثمانماية هبت ريح شديدة بالقاهرة حتى اتفق الشيوخ
العتق انهم لم يسمعوا بمثلها وفي سنة احدى وثمانماية ذكر اهل الهيئة

انه يقع في اول يوم منها زلزلة وشاع ذلك في الناس فلم يقع شيء من ذلك
وفي رجب سنة اربع ظهر كوكب كبير قدر الثريا له ذوابة ظاهرة النور
جدا فاستمر يطلع ويغيب ونوره قوي يرى مع ضوء القمر حتى ريء بالنهار
في اوايل شعبان فاوله بعضهم بظهور ملك شيخ المحمودي وفي سنة ست
وثمانماية نودي على الفلوس بان يتعامل بها بالميزان وسعرت كل رطل بستة دراهم
وكانت فسدت الى الغاية بحيث صار وزن الفلس ربع درهم بعد ان كان مثقالا وفي
سنة عشر وقع الطاعون بالديار المصرية وفي سنة خمس عشرة ضربت الدراهم
الخالصة زنة الواحد نصف درهم والدينار ثلاثين منه وفرح الناس بها وبطلت
الدراهم النقرة وكان ضربها قديما في كل درهم عشره فضة وتسعة اعشاره نحاس
وفي سنة ست عشرة فشى الطاعون بمصر وفي سنة سبع عشرة امر المويد
بضرب الدراهم المويدية وفي سنة ثمان عشرة كان الطاعون بالقاهرة وفي سنة
تسع عشرة كان الطاعون بالقاهرة وكثر الوبا بالصعيد في الوجه البحري وفي
هذه السنة امر الملك المويد الخطبا اذا وصلوا الى الدعاء له في الخطبة ان
يهبطوا من المنبر درجة ليكون ذكر اسم الله ورسوله اعلا من المكان الذي يذ
كر فيه السلطان فصنع ذلك ابن حجر في الجامع الازهر وابن النقاش بجامع ابن طو
لون قال ابن حجر وكان مقصد السلطان في ذلك جميلا وفي سنة عشرين ولدت
جاموسة ببلبيس مولودا براسين وعنقين واربعة ايدي وسلسلتي ظهر واحد
ورجلين اثنين لا غير وفرج واحد انثى والذنب مفروق باثنين فكانت من بديع
صنع الله وفي هذه السنة امسك نصراني زنى بامراة مسلمة فاعترفا فحكم
برجمهما فرجما خارج باب الشعرية واحرق النصراني بعد موت المراة وفي سنة
اثنتين وعشرين فشا الطاعون بالديار المصرية وفي سنة خمس وعشرين زلزلت
القاهرة زلزلة لطيفة وفي سنة سبع وعشرين جدد للمشايخ الذين يحضرون
سماع الحديث بالقلعة فراجي سنجاب وهو اول من فعل بهم ذلك وفي سنة ثمان
وعشرين وقع ببولاق حريق عظيم احترق فيه ثلثها وهلك من الدواب والناس
والاطفال شيء كثير وفي سنة ثلاث وثلاثين كان الطاعون العظيم بالديار المصرية

فى سنة احدى او اثنتين كان الطاعون بالديار المصرية

ذكر كوكب الذنب

قال صاحب المرآة ان اهل النجوم يذكرون ان كوكب الذنب طلع فى وقت قتل قابيل هابيل وفى وقت الطوفان وفى وقت نار ابراهيم الخليل وعند هلاك قوم عاد وثمود وقوم صالح وعند ظهور موسى وهلاك فرعون وفى غزوة بدر وعند قتل عثمان وعلى وعند قتل جماعة من الخلفاء منهم الراضى والمعتز والمهتدى والمقتدر قال وابدا نرى الاحداث عند ظهور هذا الكوكب الزلازل والاهوال قلت يدل لذلك ما اخرجه الحاكم فى المستدرك من طريق ابن ابى مليكة قال غدوت على ابن عباس فقال ما نمت البارحة قلت لم قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت ان يكون الدجال قد طرق

ذكر الطريق المسلوك الى مكة شرفها الله تعالى

قال ابن فضل الله الممالك السلطانية وجماهير الركبان لا تخرج الا من اربع جهات مصر ودمشق وبغداد وتعز قال فيخرج الركب من مصر بالمحمل السلطانى والسبيل المسبل للفقراء والضعفاء والمنقطعين بالماء والزاد والاشربة والادوية والعقاقير والاطباء والكحالين والمجبرين والجرائحية والولاة والائمة والمؤذنين والامراء والجند والقاضى والشهود والدواوين والامناء ومغسل الموتى فى اكمل زى واتم ابهة واذا نزلوا منزلا او رحلوا مرحلا تدق الكوسات وينفر النفير ليؤذن للناس بالرحيل والنزول فاذا خرج الركب من القاهرة نزل البركة على مرحلة واحدة فيقيم عليها ثلاثة ايام او اربعة ثم يرحل الى البويب فى خمس مراحل ثم الى نخل فى خمس مراحل وقد عمل فيها الامير الملك الجوكندار المنصورى احد امراء المشورة فى الدولة الناصرية ابن قلاوون بركا واتخذ لها مصانع ثم يرحل الى ايلة فى خمس مراحل وبها العقبة العظمى فينزل منها الى بحر بحر القلزم ويمشى على بحره حتى يقطعه من الجانب الشمالى الى الجانب الجنوبى ويقيم به اربعة ايام او خمسة وبه سوق عظيم فيه انواع المتاجر ثم يرحل الى حقل مرحلة واحدة ثم الى مدين فى اربع مراحل وبه مغارة شعيب عليه الصلاة والسلام ويقال

انها

ان ماءها هو الذى سقى عليه موسى عليه الصلاة والسلام بنات شعيب ثم يرحل الى عيون القصب فى مرحلتين ثم الى المويلحة فى ثلاث مراحل ثم الى الازلم فى اربع مراحل وماؤه من افسد المياه وهناك خان بناه الامير الملك الجوكندار وعمل هناك بئرا ايضا ثم الى الوجه فى خمس مراحل وماؤه من اعذب المياه ثم الى اكرى فى مرحلتين وماؤه اصعب ماء فى هذه الطريق ثم الى الحوراء وهى على ساحل بحر القلزم فى اربع مراحل وماؤها شبه ماء البحر لا يكاد يشرب ثم الى نبط فى مرحلتين وماؤها عذب ثم الى ينبع فى خمس مراحل ويقيم عليه ثلاثة ايام ثم الى الدهناء فى مرحلة ثم الى بدر فى ثلاث مراحل وهى مدينة حجازية وبها عيون وجداول وحدائق وبها اشجار فرضة المدينة الشريفة ثم يرحل الى رابغ فى خمس مراحل وهى بازاء الجحفة التى هى الميقات ثم يرحل الى خليص فى ثلاث مراحل وبها بركة عملها الامير ارغون الناصرى ثم الى بطن مر فى ثلاث مراحل وفى طريقه بئر عسفان ثم يرحل من بطن مر الى مكة المشرفة مرحلة واحدة ثم يرجع فى منازله الى بدر فيعطف الى المدينة الشريفة فيرحل الى الصفراء فى مرحلة ثم الى ذى الحليفة فى ثلاث مراحل ثم الى المدينة الشريفة فى مرحلة ثم يرجع الى الصفراء ويأخذ بين جبلين فى فجوة تعرف بنقب على حتى يأتى الينبع فى ثلاث مراحل ثم يستقيم على طريقه الى مصر

ذكر قدوم المبشر سابقا بخبر سلامة الحاج

كان ذلك فى عهد الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فمن بعدهم وله حكمة لطيفة قل من يعرفها قال الحافظ ابن كثير فى تاريخه فى قصة حصر عثمان واستمر الحصار بالدار حتى مضت ايام التشريق ورجع المبشر من الحج بالخبر بسلامة الناس واخبر بان اهل الموسم عازمون على الرجوع الى المدينة ليكفوهم عن امير المؤمنين و اخرج مالك فى الموطا عن ابن دلاف عن ابيه ان رجلا من جهينة كان يشترى الرواحل فيغالى بها ثم يسرع السير فيسبق الحاج فافلس فرفع امره الى عمر فقال اما بعد ايها الناس ان الاسيفع اسيفع جهينة رضى من دينه ان يقال سبق الحاج الا وانه ادان معرضا فاصبح وقد رين به فمن كان له

عليه يزوليا تنا بالغداة نقسم ماله بين غرمائه ثم اياكم والدين واخرج
الخطيب البغدادي في تالي التلخيص من طريق عبد الملك بن عمير عن عبد
الله بن عمر بن الخطاب قال تخرج الدابة من جبل جياد في ايام التشريق والناس
بمنى قال فلذلك جاء سايق الحاج بخبر سلامة الناس

ذكر التشبه باهل عرفة في الوقوف بالجامع وذكر حمايم الرسايل

قال ابن كثير في تاريخه في سنة سبع وستين وخمسماية اتخذ السلطان نور
الدين الشهيد الحمايم الهوادي وذلك لامتداد مملكته واتساعها فانها
من حد النوبة الى همذان فلذلك اتخذ في كل قلعة وحصن الحمام التي تحمل
الرسايل الى الافاق في اسرع مدة وايسر عدة وما احسن ما قال فيهن القاضي
الفاضل الحمام ملايكة الملوك وقد اطنب في ذلك العماد الكاتب واطرف واطرب
واعجب واغرب وفي سنة احدى وتسعين وخمسماية اعتنى الخليفة الناصر لدين
الله بحمام البطاقة اعتناء كثيرا حتى صار يكتب بانساب الطير المحاضر وانه من
ولد الطير الفلاني وقيل انه بيع بالف دينار وقد الف القاضي محيي الدين بن عبد
الظاهر في امور هذه الحمام كتابا سماه تمايم الحمايم وذكر فيه فصلا فيما ينبغي
ان يفعله المنطو وما جرت العادة في ذلك فقال ان الجاري به العادة انها لا تحمل
الا في جناحها لامور منها حفظها من المطر ولقوة الجناح والواجب انه اذا
انطلق من مصر لا يطلق الا من امكنة معلومة فاذا خرجت الى الاسكندرية فلا
يسرح الا من قنية عقبة بالجيزة والى الشرقية من مسجد التبن ظاهر القاهرة
والى دمياط من بيسوس بشك نحو ميجز والذي استقرت قواعد الملك عليه ان
طاير البطاقة لا يلهو الملك عنه ولا يغفل لحظة فيا لي بمهمات لا تستدرك اما من
واصل واما من هارب واما من متجدد في الثغور ولا يقطع البطاقة من الحمام الا السلطان
بيده من غير واسطة فاذا كان ياكل لا يمهل حتى يفرغ وان كان نايما لا يمهل
حتى يستيقظ بل ينبه قال وينبغي ان يكتب التطاير في ورق الطير المعروف بذلك
قال ورايت الاوايل لا يكتبون في اولها بسملة قال وانا ما كتبتها قط الا بسملة

للبركة

للبركة ويورخ بالساعة واليوم لا بالسنين وينبغي ان لا يكثر في نعوت المخاطب
فيها ولا يذكر في البطايق حشو الالفاظ ولا يكتب الا لب الكلام وزبدته ولا
بد ان يكتب شرح الطاير ورفيقه ان كانا طايرين في شرحها حتى ان تاخر الواحد
يرقب حضوره او يطلق ليلا يكون قد وقع في برج من ابراج المدينة ولا يعمل للبطايق
هامش ولا حمدلة وجرت العادة بان يكتب في اخرها وحسبنا الله ونعم الوكيل
كان ذلك حفظا لها ومن بعد ان في وضعها تاج الدين احمد بن سعيد بن الاثير كاتب
الانشاء طارما حارتها الرياح فاصبح تخلفه وراها تبكي عليها السحب وصدق
من سماها انبياء الطير لانها مرسلة بالكتب وفيها يقول ابو محمد احمد بن محمد
علوي بن ابي عقال القيرواني الملقب بالرعطا

حمر تفوت الريح في طيرانها ... يا عقل بين غدوها ورواحها
تاتي باخبار الغد وعشية ... لمسير شهر تحت ريش جناحها
وكانها الروح الامين بوحيه ... نجت الهداية منه في ارواحها
حبذا الطاير المصون يطرقنا ... في الامر بالطاير الميمون سعها
فامت على الهدهد المذكور اذ حملت ... كتب الملوك وصلتها اعاليها
تاتي بكل كتاب خوط ضبه ... نصون لطوله عيوننا وتخفيها
فما تكون عين الشمس تنظره ... ولا يجوز ان يلقيه من فيها
منسوبة لرسالات الملوك فيا ... لمنسوب تسمو وتدعوها مسميها
اكرم بجيش سعيد ما سعادته ... فما سلك فيها فكر حاكيها
حمامنا الغار يوم الغار حومته ... فبالها وقفة عزت مساعيها
وفوقه عند ذاك الباب شرفه ... وللسعادة اوقات توافيها
ويوم فتح رسول الله مكته ... عند الدخول اليها من بواديها
صفت تظلل من شمس كتيبته ... الخضراء طهر فيه توالبها
فظللت فيها كانت تود هدى ... لو قابلتها باغوا فتنهيها
فعند ما خطت بالقرب امنها ... فشرفت بعطايا جل مهديها
فما يخل الذي يصيد ثنا ولها ... ولا ينال المنا بالغار مصليها

ولا يطيرنا وراق العرفي ولا … تنبو عنها بما فيه امانيها
سمت بملك المعالي غير ذي دنس … لا ان تضيم ولو جزت نواصيها
وانظر لها كيف تاتي الخلايق من … ان الرسول تحت كامل فيها
من المقام الى دار السلام ولم … يخف النهار لقوم في دواعيها
ورب ماض عن الهند ملتفتا … حبات فلفله وارثه مبطيها
فجاء في يومه في اثر سابقة … حفظا لخوض طابت اياديها
مناقب لرسول الله الوهـا … لدى نبوته الغراء يكفيها

ومن انشاء القاضي الفاضل في وصف حمام الرسايل سرحت لا تزال اجنحتها تحمل من الكتايب اجنحة وتجهز جيوش المقاصد والاقلام اسلحة وتحمل من الاخبار ما تحمل الضماير وتطوي الارض اذا نشرت الجناح للطاير وتزوي لها الارض حتى ترى ما سيبلغه ملك هذه الامة وتقرب منها السماء حتى تراها لا يبلغه وهم ولا همة وتكون مراكب الاغراض والاجنحة قلوعا وتركب البحر لضيق ابشية هبوب الرياح موجا مرفوعا وتعلق الحاجات على اعجازها ولا تعوق الارادات عن انجازها ومن بلاغات النطايق استعادة ما هي مشهورة مابه السجع ومن بيان كتبها الغت البيان فهي اليها داية الوجع وقد سكنت النجوم فهي انجم واعوت في كفايتها فهي للحاجات اسهم وكادت تكون ملايكة لانها رسل واذا ربطت بالرقاع صارت اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع وقد باعد الله من اسفارها وقربها وجعلها طيف خيال اليقظة الذي صدق العين وما كذبها وقد اخذت عهود اداء الامانة في رقابها اطواقا وصارت حوافي من وراء الخوافي وغطت سرها المودوع بكتمان صحبته عليه ذيول ريشها الضوافي يرغم انف النوى بتقريب العهود وتكاد العيون بـلا حطتها تلاحظ نجم السعود وهي انبياء الطير لكثرة ما تاتي به من الانبا وخطباؤها لانها تقوم على منابر الاغصان مقام الخطبا وقال في وصفها شيخ الكتاب ذو البلاغة السديد ابو القاسم شيخ القاضي الفاضل واما الحمام الرسايلي فهي من ايات المستنطقة الالسن بالتسبيح العاجز عن وصفها اعجاز البليغ

العجيب فيما تجلد البطايق ونري به مسرعة من الاخبار الواضحة الحقايق وتعاليه في الجو محلقا عند مطاره وتهديه على الطريق التي علمها ليامن من ادراك فوت الادراك واخطاره ونظره الى المقصد الذي يسرح اليه منـه علي ووصوله في اقرب الساعات بما يبطل به البريد في ابعد الايام من الخبـر الجلي وحبسه معانده الريح وسر السفار فسافته وايثاره بالمتجردات فكانه ناطق وان كان في كونه يا تي لحم لا على ظهر المركوب ويرجع حاملا على ظهره للمكتوب ولا يبرم على تذكار الهديل ولا تكرار الهدير ولا يسلم من الدواب في الخدمة زايدا على التقدير وفي تقدمه بالبشاير يكون المعني بقولهم ايمن طاير ولا غرو ان فارق رسل اهل الارض وفاتهم وهو من رسل العنان عنانه والجو ميدانه والجناح مركبه والرياح موكبه والانتهاء الغاية شوطه والشوق الى اهله سوطه مع امنه ما يحدث لمبيتات السفار ورحلات القفار من مخاوف الطوارق وطوارق المخاوف ومتالف الغوايل وغوايل المتالف الا ما يبشر من اعتراض جارح وانقضاض كاسر فيكفيه سعادة الدولة تا فيه وتصد عنه تصيبه لانه احد جيشها من الطيور الذين يجريان في اعدايها هذا بالانذار والجارح كيدهم في تضليل وذاك بما ترى وانها المنصورة عليهم من تضليل قال القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى ولما وقفت على ما انشاه القاضي الفاضل رحمه الله تعالى وعلى ما انشاه الشيخ السديد رحمه الله تعالى اردت ان اجري الخاطر فانشات وانا غير مخاطب احدا بل مخاطر وابن الثرى من الثريا وما الحسن لكل احد بينها وعلي ان اجيب وما علي ان اجيد وما كل وليد يدرك شيا والوليد ولا كل كاتب عبد الرحيم ولا عبد الحميد فقلت واما الحمام الرسايلي فكم اعتقت عن جوب القفار وكم خرقت على جيوبها على اسرى اسرا وكم اغارت السهام اجنحة فما حسنت بتلك العارية المطا يقة كم قال جناحها الطالب النجاح لا جناح وكم سرت فجهدت المساء اذا اجهد غيرها من الساريين الصنايع وكم سابقت الصبا والجوانب فما تنبهما ولم تخرج بسلام المشتاقين الى امتطاء كاهل الرياح كم حسب كرعنها ملك وكم قال مسرحها

لحبيبه بها فوق غصن لو ولك . كم اجملت في الهوى تقلبا واذا تغنت الحمام على
الغصون صمتت عن الهديل والهدير تأدبا . كم دعت شكا بيفينها . ورفعت
شكوى ببينها . وكم ادت امانة ولم تعلم اجنحتها بما في شمالها ولا شمالها
بما في يمينها . كم التفت منها الساق بالساق . فاحسنت لو بها المساق . وكم
اخذت عهود الامانة فسدت اطواقا في الاعناق . ويقال ما تضمنته البطائق
بعض ما تعلق منها في الرياض من الاوراق . فسبق القمح وكم استفتح بها للتبشير
الحاجات بالفتح . فيعوت الطرف السابق والطرف الراي الرامق . وما تليت سورة
البروج الا وتلي سورة الطارق . كم الشيء . مطارها عن والسلكة والسليك وكم
عنيت في خدمة سلطانها عن العنا وقال كل منهما لمن فيه اليك عن الايك . ما
احوج نصد يقيما في رسالتها الى الاعوان بثالث . وكم قيل في كل منهما لمن سامر
هذا حكم في خدمة ابناء يابث . كم سرحا باحسان وكم طار في افق واستحق
ان يقال لها فارس اسحاب اذا قيل لغيرها فارس رهان . حامله علم لمن هو اعلم
به منها يعني السعادة والسعادة فلا تحوجهم الى الاستغناء تعذر وعوج وبال
ولا تبوح . فكم غنيت باجتماعها بالفها عن ان تنوح . كما سارت تحت امر سلطا
نها احسن السير . وكم افهمت ان ملكه سليمان ان سخر له منها بهمات الطيران
من السهم المفوق . وكم من البطائق مختلفة وغير مختلفه . كم ظللت من كبد وكم
بدت في مقصورة تصبح في السما والسنا دونها مقصورة ابن دريد و من انشاء
الاديب تقي الدين ابي بكر بن حجة في ذلك سوح كما سرح العيون الا دون رسالة
المقبولة وطلب السبق فكم مرض يبصر البرق سرحا ولا استطاع صحبته المقفولة
وهي جناح التنعيم مفصول واست اذيالها بعرق السحب مبلولة وارسل فاق الناس
وكنا به المصدق وانقطع كوكب الصبح خلفه فقال عند التقصير كنت نجابا وعلى يدي
يخلق بوديه ما جاء على يديه من الترسل فتهيج الاشواق وما فرحت الحمائم بحسن الاداء
في الاوراق واصبحنا على الهدى فقال ضل صاحبكم وما غوى ومن روى عنه حديثه
الحفظ المسند معن عكرمة فقد روى فطيرمع الهوى لحوط صلاحه ولم يبق على السير
المصون جناح اذا دخل تحت جناحه ان يبرز من مقصه لم يبق المبرح المتورد

به ويعلق عليه تلك التميمة ما سجن لاصبر على السجن وضيعته الاطواق ولقد
احمدت عاقبته على الاطلاق ولا تمشي على عود الاما لدموع السحب من حدائق
الرياض ولا الطلول من كبد الجو الاكان مهما مريشا يبلغ به الاغراض كم فلا
تضاربريش القوادم كالاهداب لعين الشمس وابسى عند الهبوط لعيون
الهلال التفيلة كالطمس فهو الطائر الميمون والامين الذي اذا اودع سرا
والملوك جملها بطاقة فهو من الطيور التي خلا لها الجو فنقرت ما شاءت من
حبات النجوم والفحى التي من اخذ عنها شرح المغلطات فقد اعرب عن دقائق
المفهوم والمقدمة والنتيجة للكتاب الجلي في منطق الطير وهي من جملة
الكتاب الذي اذا وصل القارئ منه الى الفتح يهلك كنه الخبر ان يصدر البارز
بغير علم فكم جمعت بين طرفي كتاب وارسال العقبان على بديع السجع اجمعت
عن رد الجواب نعم رعت النسور بفتوة جيب الفلا ورعى الذباب الشهد وهو
ضعيف ما قدمت الاوان تغني من شمايلها اللطيفة نعم الفادمة واظهرت لنا من
صوافيها ما كانت له خير كاتمة كم اهدت من مخلبها وهي قادمة راجية وكم
حنت اليها الجوارح وهي ايدا ام الله اطلاقها غير جارحة وكم ادامت من كورسي
السجع ما هو ازور من قهوة الانشا وابهج على زهر المنثور من صبح الاعشى وكم
عامت فجور الفضا ولم تحتل عوج الجبال وكم جاءت ببشارة وخضبت الكف ورمت
من تلك الانملة فلامة الهلال وكم زاحمت النجوم بالمناكب حتى طعنت بكف الخضيب
واغبرت كانها دمعة سقطت على خد الشفيق لامر مريب وكم لمع في اصيل الشمس
خضاب كفها الوضاح والله تعالى يديم بافناء ابوابه العالية الحان السواجع ولا
يوجع بتغريدها مطوما بين الباديه والراجع

ذكر علامة المملكة في الخلع والزي

قال ابن فضل الله واما القضاة والعلماء فخلعهم من الصوف بغير طراز ولهم الطرحة
واصل الصوف ان يكون ابيض وتحته اخضر واما زي القضاة والعلماء فهو لوف متسع الكم
بغير تفريج فتحته على كتفه وشاش كبير منه ذوابة بين الكتفين طويلة واما
من دون هؤلاء فالفرجية الطويلة الكم بغير تفريج والذوابة ايضا واما زهادهم

بعض الذوابة ويميلها الى الكتف الايسر ومنهم من يلبس الطيلسان واما قاضي
القضاة الشافعي فرسمه الطرحة وبها يمتاز ومراكبهم البغال ونعال من الكنبوش
الزناري وهو من الجوخ شبه بالعبا المحوية مستدير من وراء البغل والنسبة الخطبا
ولمه ورا اسود للشعار العباسي وشاش اسود وطرحة سودا و اما زي
الامراء والجند فتقدم عند ذكر السلطان و اما خلعهم وخلع الوزراء ونحوهم
فاسقطتها من كلام ابن فضل الله لانها ما بين حرير وذهب وذلك محرم شرعا
وقد التزمت ان لا اذكر في هذا الكتاب شيئا اسال عنه في الاخرة

ذكر عادة السلطان في الكتابة على التقاليد

قال ابن فضل الله عادته اذا كتب لاحد من النواب يكتب اسمه فقط فان كان من
كبارهم وهو من في الشيوخ كتب والده فلان وان كان من القضاة والعلما كتب اخوه
فلان

ذكر معاملة مصر

قال ابن فضل الله في المسالك معاملة مصر الدراهم ثلثاها فضة وثلثها نحاس
والدرهم ثمانية عشر خروبة الخروبة ثلاث قمحات والمثقال اربعة وعشرون خروبة
والدرهم منها قيمته ثمانية واربعون فلسا والدينار الحبشي ثلاثة عشر درهما
وثلث درهم و اما الكيل فيختلف فبمصر الاردب وهو ست ويبات الويبة اربعة
ارباع الربع اربعة اقداح ما بين اثنان وثلاثون قدحا هذا اردب مصر وفي س
اريافها يختلف الاردب من هذا المقدار الى انهى ما ينتهي ثمان ويبات والرطل اثنى
عشر اوقية الاوقية اثني عشر درهما قال صاحب المرآة في سنة خمس وستين
من الهجرة ضرب عبد الملك بن مروان ضرب على الدنانير والدراهم اسم الله تعالى
قال الهيثم وسببه انه وجد دراهم ودنانير تاريخها قبل الاسلام باربعماية
سنة عليها مكتوب باسم الاب والابن وروح القدس فسبكها ونقش عليها
اسم الله تعالى وايات من القران واسم الرسول صلى الله عليه وسلم واختلفوا في
صورة ما كتب فقيل جعل في وجه لا اله الا الله وفي الاخر محمد رسول الله وورخ
وقت ضربها و قيل جعل في وجه قل هو الله احد وفي الاخر محمد رسول الله و قال
القضاعي كتب على احد الوجهين الله احد من غير قل ولما وصلت الى العراق امر

حقق الربع والمثقال

الحجاج

الحجاج فزيد فيها في الجانب الذي فيه محمد رسول الله في جوانب الدرهم مستديرا
ارسله بالهدى ودين الحق الاية واستمر نقشها كذلك الى زمن الرشيد فاراد
تغييرها فقيل له هذا امر قد استقر والفه الناس فابقاها على ما هي عليه اليوم
ونقش عليها اسمه و قيل اول من غير نقشها المنصور كتب عليها اسمه اما الوزن
فما تعرض احد لتغييره انتهى كلام صاحب المرآة

ذكر بقية لطايف مصر

قال الكندي ذكر يحيى بن عثمان عن احمد بن عبد الكريم قال جلت الدنيا ورايت
اثار الانبياء والملوك والحكماء ورايت اثار سليمان بن داود وبيت المقدس وتدمر
والاردن وما بنته الشياطين فلم ار مثل مصر ولا مثل الاثار التي بها والابنية وحكيا
بها ومصر ثمانون كورة ليس فيها الا وفيها طرايف وعجايب من اصناف الابنية
والطعام والشراب والفاكهة والثياب وجميع ما ينتفع به الناس وتدخره الملوك
وصعيدها ارض حجازية حرها كحر الحجاز تنبت النخل والاراك والقرظ والدوم والعشر
واسفل ارضها شامي يمطر مطر الشام وتنبت نبات الشام من الكرم والتين والموز
وساير الفواكه والبقول والرياحين ويقع به الثلج ومنها لوبيه ومراقيه بوادي
وجبال وغياض وزيتون وكروم برية بحرية جبلية بلاد ابل ومواشي ونتاج وعسل
ولبن وكل كورة من مصر مدينة قال الله تعالى وابعث في المداين حاشرين وفي كل
مدينة منها اثار عجيبة من الابنية والصخور والرخام والبرابي وتلك المداين كلها
توتى في الماء في السفن تحمل المتاع والطعام والالة الى الفسطاط تحمل السفينة
الواحدة ما يحمله خمسماية بعير قال الكندي وليس في الدنيا بلد يأكل اهله صيد
البحر طريا غير اهل مصر قال وذكر بعض اهل العلم انه ليس بالدنيا شجرة الا
وهي بمصر عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ويوجد بمصر في كل وقت
من الزمان من الماكول والمادوم والمشموم وساير البقول والخضروات لا ينقطع منه
شيء لبرد ولا لحر و ذكر ان بخت نصر قال لابنه بلسطان ما اسكنتك مصر الا لهذه
الخصال وبلسطان هو الذي بنى قصر الشمع و قال بعض من سكن مصر لولا ما
طوبة وخروب امشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤونه

وعسل ابيب وعنب مسرى ورطب توت ورمان بابه وموز هتور ما سكنت مصر
و اخرج ابن عساكر من طريق الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول ثلاثة
اشياء دواء للداء الذي لا دواء له الذي اعيى الاطباء ان يداووه العنب ولبن اللقاح
وقصب السكر ولولا قصب السكر ما سكنت مصر و قال بعضهم يجتمع بمصر في وقت
واحد ما لا يجتمع بمدينة وذلك البنفسج والسوسن والورد والمنثور والنرجس
وشقائق النعمان والبهار والياسمين والنسرين والنيلوفر والنمام والرزنجوش
والريحان والنارنج والليمون والتفاح الشامي والاترج والباقلا الخضرا والعنب
والتين والموز واللوز الاخضر والسفرجل والكمثرا والرمان والنبق والقثا والخيار
والطلع والبلح والبسر والرطب واللفت والقنبيط والاسفاناخ والقرع والجزر
والباذنجان كل ذلك يجتمع في وقت واحد من السنة و قال بعض من صنف في
فضائل مصر بمصر الحمير المريسية والبقر الحسنة والخيل البجاوية والاغنام النو
بية والدجاج الحبشية والمراكب الحربية والسفن الزيبقية والمناشف الحلية
والستور البهناوية والغلائل العصبية والحوم السمسطارية والبغال السنه
ية والسلال الوهبانية والمضارب السلطانية ويحمل الى العراق وغيرها من مصر
زيت الحجر والعسل النحل وتفتخر به على اعسال الدنيا و يروى ان النبي صلى
الله عليه وسلم بارك فيه لما اهداه اليه المقوقس وبمصر يزرع البلسان
ودهنه يستعمل في اكثر العلاج والنفط وهو من الة الحرب التي بها قهر
الاعداء ودهن الخروع وزيت البزر والدهن الصيني وزيت الخردل وزيت الخس
ودهن القرطم وزيت السلجم وخشب اللبخ وهو املح من الابنوس اليوناني
وفي صعيد مصر خشب الابنوس الابلوي وسائر العقاقير التي تدخل في العلاج
والطب وكلما زرع في ارض مصر ينبت وفيها من نبات الهند والصين مثل
الاهليلج والخيار شنبر والتمر الهندي وغيره مما لا يوجد في بلد من البلاد
الاسلامية وبها الشب الواحي وهو ابلغ من اليماني والافيون والشاهترج وال
العصفر والزجاج الملون والجزع والصوان وهو حجر لا يعمل فيه الحديد وكانت
الاوائل تعمله وتقطعه ومنه العمد الجابية التي لا تكون بسائر الدنيا وكل

جامات

جامات مصر بالرخام لكثرته عندهم وكذلك صحونهم ودورهم وبها الحجارة المسماة
بالكدان تبلط بها الدور ويفرش بها الدرج وبها من الحصر العبداني ومن سائر
اصناف الحصر ما لا يوجد في غيرها ومن مصر يجهز البز الابيض من الريف وغيره الذي
يعمل بدمياط وتنيس وبالاسكندرية تعمل الوشي الذي يقوم مقام وشي الكو
فة وبالصعيد يعمل من الجلود انواع الانطاع وبالبهنسا الستور التي هي احسن
ستور الارض والبسط واجله والبراقع وستور الخيم وانواع المضارب والاكسية
والطيالس وكان يعمل باخميم الفرش الذي تسمى قطوع الخز وبمصر من اصناف
الرقيق ما ليس ببلد من البلدان واصناف الطير الحسن الصوت في صعيدها مثل
القمري والنوبي والنواح والدبسي والحمر والابلق والكروان الذي ليس مثله في بلد
ومنها يحمل الطير الى البلدان في الشرق والغرب والاشماع المتخذة من الشهد مر
وعسل الاسطوس والنبيذة المعمولة من القمح والعقد الامالح والطبرزد وما
طوبة الذي لا يعد له شيء ولا يتغير على ممر الايام والسمك الابريس الذي هو
ملك الاسماك والبوري الطري والمملوح والبلاطي الذي كانه دروع من الفضة
وطيور الماء وطير الحواصل يعمل من جلده الجباب الناعمة والفرا الابيض الذي
يقوم مقام الفنك في لينه ودفئه وبها الكتان ومنها يحمل الى سائر الارض
والقراطيس وبها من العلم القديم ما ليس ببلد كعلم الطب اليوناني والمساحة
والنجوم والحساب القبطي واللحون والشعر الرومي وفيها من سائر الثمار والا
شجار والمشمومات والعقاقير والحشائش والنبات ما لا يحصى والعصفور يفرخ
بمصر في كانون وليس ذلك في بلد الا بها و قال الكندي بمصر معدن الزمرد
وليس في الدنيا زمرد الا معدن بمصر ومنها يحمل الى سائر الدنيا قال وبها معدن
الذهب يفوق على كل معدن قال وبها القراطيس وليس هي في الدنيا الا بمصر
و قال غيره من خصائص مصر القراطيس وهي الطوامير وهي احسن ما يكتب فيه
من حشيش ارض مصر ويعمل طوله ثلاثين ذراعا واكثر في عرض شبر و قيل
ان يوسف عليه السلام اول من اتخذ القراطيس وكتب فيها قال الكندي وبها
من الطرز والقصب التنيسي والشرب والدبيقي ما ليس بغيرها وبها الثياب الصوف

والاكسية المرعز وليس هي في الدنيا الا بمصر و يحكى ان معاوية لما كبر كان
لا يدفا فاتفقوا انه لا يدفيه الا الاكسية تعمل بمصر من صوف المرعز العسلي
غير مصبوغ فعمل له منها عدد فما احتاج منها الا الى واحدة وبها طراز البهنسا
من الستور والمضارب ما يفوق ستور الارض وبها من الفتلج العجيب من الخيل والبغال
والحمير ما يفوق نتاج اهل الدنيا وليس في الدنيا فرس في نهاية الصورة في
العلو غير العلو المصري وليس في الدنيا فرس لا يردف غير المصري وسبب
ذلك قصر سافيه وبلاغة صدره وقصر ظهره و يحكى ان الوليد عزم على
اجراء الحلبة فكتب الى الامصار ان يوجه اليه بخيار خيل كل بلد فلما اجتمعت
عرضت فمرت به المصرية فلما راها رقيقة القصب كبيرة المفاصل والاعطاف
قال هذه خيل ما عندها طائل فقال له عمر بن عبد العزيز وابن الخير كله الا ما
لهذه فقال له ما تترك تعصبك لمصر يا ابا حفص فلما اجريت الخيل جاءت المصر
ية كلها سابقة ما خالطها غيرها قال وبها زيت الحار ودهن البلسان
والافيون والابريسم وشراب العسل والبسر البرني الاحمر والمليح والمجلس
والكبر والشمع والعسل وخل الخمر والنرجس والجلبان والورد والنبيذ
والاترج و ذكر ان مريم عليها السلام شكت الى ربها قلة لبن عيسى
فالهمها ان غلت النبيذ فاطعمته اياها و ذكر بعضهم ان رهبان الشام كا
يكادون يرون الاعمش من اكل العدس ورهبان مصر سالمون من ذلك لاكلهم
الجلبان والبقر التي بمصر احسن البقر صورة وليس في الدنيا بقر اعظم خلقا
منها حتى ان العضو منها يساوي اكبر ثور من غيرها وبها الحطب الصنط
والابنوس الابلق والقرظ الذي يعلف الدواب و ذكر انه يوقد بالحطب
الصنط عشرين سنة في الكانون والتنور فلا يوجد له رماد لطول هذه المدة
وجميزتها في وقت الربيع من احسن مناظر الدنيا و قال صاحب مباهج الفكر
يقال ان بمصر سبعمائة وخمسين معدنا يوجد بجبل المقطم الذهب والفضة
والماهان والياقوت الا انه لطيف جدا يستعمل في الاكحال والادوية وفي اسوان
يغاص على الساذج ومعدن التبر ومعدن الزمرد وليس في الدنيا غيره وبجبال

القلزم

القلزم المتصلة بجبل المقطم حجر المغناطيس ومن خصائص مصر بركة النطرون
وينبت في ارض مصر سائر ما ينبت في الدنيا انتهى و قال صاحب غرائب العجا
ئب بمصر بئر البلسم بالمطرية يسقى بها شجر البلسان ودهنه عزيز والخاصية
في البئر فان المسيح عليه السلام اغتسل فيها وليس في جميع الدنيا موضع ينبت
فيه البلسان الا هذا الموضع و قد استاذن الملك الكامل اباه العادل في زرعه
فاذن له ففعل فلم ينجح ولم يخلص منه دهن فسال اباه ان يجري له ساقية من المطرية
اليه ففعل فلم ينجح قال وبارض مصر حجر القيء اذا اخذه الانسان بيده غلب
عليه القيء حتى يتقيا جميع ما في بطنه فان لم يلقه من يده خيف عليه التلف
و قال الكندي جعل الله مصر متوسطة الدنيا وهي في الاقليم الثالث والرابع
فسلمت من حر الاقليم الاول والثاني ومن برد الاقليم السادس والسابع فطاب هواها
ونقي جوها وضعف حرها وخف بردها فسلم اهلها من المشاتي في الجبال ومصايف
عمان وصواعق تهامة ودماميل الجزيرة وجرب اليمن وطواعين الشام وغلا العراق
وعقارب عسكر مكرم وطحال البحرين وحمى خيبر وامنوا من غارات الترك وجيوش
الروم وطوائف العرب ومكائد الديلم وسرايا القرامطة وسيول الانهار وقحط
الامطار وقد اكتنفها معادن رزقها وقرب تصرفها بكثرة خصبها ورغد عيشها
ورخص سعرها و قال الجاحظ في مصر ان اهلها مستغنون عن كل بلد حتى
لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور لغني اهلها بما فيها عن سائر الدنيا وفيها
ما ليس بغيرها وهو حيوان السقنقور والنمس ولولاه لاكلت الثعابين اهلها ومنها
والسمك الرعاد والحطب الصنط الذي لو وقد منه يوما اجمع ما وجد من رماده
مل كف صلب العود سريع الوقود بطيء الخمود و يقال انه الابنوس لكنه
البقعة قصرت عن الكمال فجاء احمر شديد الحمرة ودهن البلسان والافيون وهو
عصارة الخشخاش واللبخ وهو ثمر في قدر اللوز الاخضر الا ان الماكول منه الظاهر
والاترج الابلق والزمرد واهلها ياكلون صيد بحر الروم وبحر فارس طريا وفي
كل شهر من شهورها القبطية صنف من الماكول والمشروب والمشموم يوجد فيه
دون غيره فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هتور وسمك كهيك وماء طوبة

وخروب امشير ولبن برمهات وورد برمودة ونبق بشنس وتين بونه وعسل
ابيب وعنب مسرى وان صيفها خريف وشتاها ربيع وما تقطعه الحر في ساير البلاد
من الفواكه يوجد فيها في الحر والبرد انه هي في الاقليم الثالث والاقليم الرابع
فسلمت من حر الاول والثاني وبرد السادس والسابع و يقال لو لم يكن من فضل
مصر الا انها تغني في الصيف عن الخيش والثلج وبطون الارض وفي الشتاء عن
الوقود والفرا لكفاها و مما وصفت به ان صعيدها حجازي حر يحكي الحجاز ينبت
النخل والدوم وهو شجر المقل والفرك والاهليلج والفلفل والخيار شنبر واسفل
ارضها شامي يمطر مطر الشام وتقع فيه الثلوج وينبت التين والزيتون والعنب
والجوز واللوز والفستق وساير الفواكه والبقول والرياحين وهي ما بين اربع
صفات فضة بيضا او مسكة سودا او زبرجدة خضرا او ذهبة صفرا وذلك
ان نيلها يطبقها فيصير كانه فضة بيضا ثم ينصب عنها فيصير مسكة سودا
ثم تزرع فتصير زبرجدة خضرا ثم يستحصد فيصير ذهبة صفرا و حكى
ابن زولاق في كتابه ان امير مصر موسى بن عيسى كان واقفا بالميدان عند بركة
الحبش فالتفت يمينا وشمالا وقال لمن كان معه من جنده اترون ما ارى قالوا وما
يرى الامير قال ارى عجبا ما في شيء من الدنيا مثله فقالوا يقول الامير فقال ارى ازهار
وحيطان نخل وبستان شجر ومنازل سكنى ونهرا عجاجا وارض زرع ومراعي
ماشية ومرابط خيل وساحل بحر وقانص وحش وصايد سمك وملاح سفينة
وحادي ابل ومغايرا ورملا وسهلا وجبلا فهذه سبعة عشر مسيرها في اقل
من ميل و لهذا قال ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسي يصف الرصد الذي
بظاهر مصر . يا نزهة الرصد الذي قد نزهت ❊ عن كل شيء حلا في جانب الوادي ..
.. فذا غدير وذا روض وذا جبل .. فالضب والنون والملاح والحادي ..
قال ابن فضل الله في المسالك مملكة مصر من اجل ممالك الارض لما حوت
من الجهات المعظمة والارض المقدسة والمساجد الثلاثة التي تشد اليها
الرحال وقبور الانبياء والطور والنيل والفرات وهما من الجنة وبها معدن
الزمرد ولا نظير له في اقطار الارض وحسب مصر فخرا ما تفردت به من هذا

النخل والدوم وهو شجر المقل

المعدن

المعدن واستمداد ملوك الارض منها وبينه وبين قوص مسافة ثمانية ايام
بالسير المعتدل والماء تنزل حوله لاجل القيام بحفره وهو في الجبل الاخر
على شرقي النيل في منقطع من البر لا عمارة عنده ولا قريبا منه والماء عنه
مسيرة نصف يوم وهذا المعدن في صدر مغارة طويلة في حجر ابيض منه يضرب
فيستخرج منه الزمرد وهو كالعروق فيه قال واكثر محاسن مصر مجلوبة
اليها حتى بالغ بعضهم فقال ان العناصر الاربعة مجلوبة الماء وهو النيل مجلوب
من الجنوب والتراب مجلوب من حمل الماء والا فهي رمل محض لا تنبت والنار لا توجد
بها شجرتها وهو الصوان الا اذا جلب اليها والهوا لا يهب اليها الا من
احد البحرين اما الرومي واما الخارج من القلزم اليها وهي كثيرة الحبوب
من القمح والشعير والفول والحمص والعدس والبسلة واللوبية والدخن والارز
وبها الرياحين الكثيرة كالحبق والاس والورد وغيرها وبها الاترج والنا
رنج والليمون والحامض والكباد والموز الكثير وقصب السكر الكثير والرطب
والعنب والتين والرمان والتوت والفرصاد والخوخ واللوز والجميز والنبق
والبرقوق والقراصيا والتفاح واما السفرجل والكمثرا فقليل وكذلك الزيتون
مجلوب من الفيوم وبها البطيخ الاصفر انواع والاخضر والخلبا والقثا على انواع
والقلقاس واللفت والجزر والقنبيط والفجل والبقول المنوعة وبها انواع الدواب
من الخيل والجمال والبغال والحمير والبقر والجواميس والغنم والمعز ومما يوصف من
دوابها بالجودة الحمير والبقر والغنم لعظمها وبها الاوز والدجاج والحمام
ومن الوحش الغزلان والنعام والارنب واما من انواع الطير فكثيرة كالكركي
وغيره واوسط الاسعار في غالب اوقاتها الاردب القمح بخمسة عشر درهما
والشعير بعشرة وبقية الحبوب على هذا الانموذج واما الارز فيبلغ اكثر
من ذلك واما اللحم فاقل سعره الرطل نصف درهم ويعمل بمصر معامل كالتنانير
يعمل بها البيض ويوقد تجاهها نار لطيفة تحاكي حضانة الدجاجة البيض وتخرج
في تلك المعامل الفراريج وهي معظم دجاجهم وبها ما يستطاب من الالبان
والاجبان وبها العسل بمقدار متوسط بين القلة والكثرة واما السمك فكثير جدا

وقيمته المعهودة على الغالب من السعر الرطل بدرهم ونصف ومنها يجلب
السكر الى جميع البلاد وقد نشا بها ما كان يذكر من سكر الاهواز وبها
الكتان المعدوم المثل المنقول منه ومما يعمل منه فيما شد الى اقطار الارض وبنيا
نها بالحجر واكثره بالطوب واعلاق النخل والجريد وخشب الصنوبر مجلوب اليهم
من الروم في البحر ويسمى عندهم النقي وبها المدارس والخوانق والربط والز
وايا والعمائر الجليلة الفائقة المعدومة المثل المفروشة بالرخام المسقوفة
بالاخشاب المموهة الملمعة بالذهب واللازورد قال وحاضرة مصر تشتمل
على ثلاث مدن عظام الفسطاط وهو بناء عمرو بن العاص وهي المسماة عند العا
مة بمصر العتيقة والقاهرة بناها جوهر القائد لمولاه الخليفة المعز وقلعة
الجبل بناها قراقوش للملك الناصر صلاح الدين ابي المظفر يوسف بن ايوب
واول من سكنها العادل وقد اتصل بعض هذه الثلاثة ببعض بسور بناه قرا
قوش بها الا انه قد انقطع الان في بعض الاماكن وهذا السور الذي ذكره
القاضي الفاضل في كتاب كتبه الى السلطان صلاح الدين بقوله والله يحيي الموتى
حتى يستدير بالبلدين نطاقه ويمتد عليهما رواقه فما عقيلة ما كان
معصمها ليترك بغير سوار ولا خصرها ليخلى بلا منطقة نضار قال وبها
المرستان المنصوري المعدوم النظير لعظم بنيانه وكثرة اوقافه وبها البسا
تين الحسان والمناظر النزهة والدور المطلة على البحر وعلى الخلجانات الممتدة
فيه اوقات مده وبها القرافة تربة عظمى لمن من اهلها وبها العمائر الفخمة
وهي من احسن البلاد ابان ربيعها للغدر الممتدة من مقطعات النيل بها وما
يحفها من زروع اخرجت شطاها وفتقت ازهارها وبها من محاسن الاشياء
ولطائف الصنائع ما يكفي شهرته ومن الاسلحة والقماش والزركش والمصوغ
والمكفت وغير ذلك مما يكاد يعد تجويد هابه والرماح الذي لا يعمل في
الدنيا احسن منها انتهى كلام ابن فضل الله وقال الكندي في فضل مصر بهم
العجائب والبركات بجبلها المقدس ونيلها المبارك وبها الطور الذي كلم
الله عليه موسى مع ان اهل العلم ذكروا ان الطور من المقطم وانه داخل فيما

وقع

وقع عليه القدس قال كعب كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام من الطور الى
الطرف المقطم في القدس وبها الوادي المقدس وبها القى موسى عصاه وبها
فلق البحر لموسى وبها ولد موسى وهارون وبها ولد عيسى وبها كان ملك يوسف
وبها النخلة التي ولدت تحتها مريم عيسى بريف مذكورة اهناس وبها اللجة
التي ارضعت عندها مريم عيسى باشمون فخرج من هذه اللجة الزيت وبها مسجد
ابراهيم ومسجد يعقوب ومسجد موسى ومسجد يوسف ومسجد مارية سرية
رسول الله صلى الله عليه وسلم طعن اوصته ان يبنى بها مسجد ابنتي وبها مجمع البحر
ين وهو البرزخ الذي قال الله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان
و قال وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا
و قال غيره لاهل مصر القلم المعروف بقلم الطير وهو قلم البرابي وهو قلم عجيب
الحروف قال ومصر عند الحكماء العالم الصغير سليل العالم الكبير لانه ليس في بلد
غريب الا وفيها مثله واغرب منه وتفضل على البلدان بكثرة عجائبها ومن عجائبها
النمس وهي اقتل للثعابين بمصر من القنافذ للافاعي بسجستان وبمصر جبل يكتب
بحجارته كما يكتب بالمداد وجبل يؤخذ منه الحجر فيترك في الزيت فيقد كما يقد
السراج و يقال انه ليس على الارض زيت ولا حجر الا وفي مصر مثله وليس يطلب
في ساير الدنيا الاموال المدفونة الا بمصر و يقال ان بمصر بقلة من مسها بيده
ثم مس السمك الرعاد لم ترعد يده وبها حجر الخل يطفو على الخل وبها حجر
القيء اذا امسكه الانسان بيده تقيا كلما في بطنه وبها خرزة تجعلها المراة
على حقوها فلا تحبل وبها حجر يوضع على حرف التنور فيتساقط خبزه وكان قد
يوجد بصعيدها حجارة رخوة تكسر فتقد كالمصابيح و من عجائبها عرق
كان به لا لاة مدورة من حجارة السبب من كون اهل مصر لا يحملون الضيم قال
محمد بن الربيع الجيزي سمعت يحيى بن عثمان بن صالح يقول قدم سعد بن ابي
وقاص في خلافة عثمان رسولا من قبل عثمان الى اهل مصر ايام ابن ابي حذيفة
فتلقوه خارجها من الفسطاط ومنعوه من دخولها فقال لهم لتسمعوا ما اقول
لكم فامتنعوا عليه فدعى عليهم ان يضربهم الله تعالى بالذل هذا او معناه فلقد

وسعد ممن عرف باجابة الدعوة لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له اللهم
استجب له اذا دعاك وفي تذكرة الصلاح الصفدي كان الشيخ تاج الدين الفزاري
يقول ان الحكماء واهل التجارب ذكروا ان من اقام ببغداد سنة وجد في علمه
زيادة ومن اقام بالموصل سنة وجد في عقله زيادة ومن اقام بحلب سنة وجد في
نفسه شحا ومن اقام بدمشق سنة وجد في طباعه غلظة وفظاظة ومن اقام
بمصر سنة وجد في اخلاقه رقة وحسنا وفي مناهج الفكر يروى عن كعب انه
قال لما خلق الله الاشياء قال العقل انا لاحق بالشام قالت الفتنة وانا معك وقال
الخصب انا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال الشقا انا لاحق بالبادية فقالت
الصحة وانا معك وقال محمد بن حبيب لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة
اشياء الايمان والحيا والنجدة والفتنة والكبر والشقا والغنى والفقر والذل
والشفا فقال الايمان انا لاحق باليمن فقال الحياء وانا معك وقالت النجدة انا لاحقة
بالشام فقالت الفتنة وانا معك وقال الكبر انا لاحق بالعراق فقال النفاق وانا
معك وقال الغنا انا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال الفقر انا لاحق بالبادية
فقال الشفاء وانا معك وقال غيره ان الله جعل البركة عشرة اجزاء فتسعة
منها في قريش وواحد في ساير الناس وجعل الغيرة عشرة اجزاء فتسعة منها
في الاكراد وواحد في ساير الناس وجعل الجفا عشرة اجزاء فتسعة منها في
البربر وواحد في ساير الناس وجعل النجابة عشرة اجزاء فتسعة منها في
الروم وواحد في ساير الناس وجعل الصناعة عشرة اجزاء فتسعة منها في
الصين وواحد في ساير الناس وجعل الشهوة عشرة اجزاء فتسعة منها في
النساء وواحد في ساير الناس وجعل العلم عشرة اجزاء فتسعة منها في الانبياء
وواحد في ساير الناس ويحكى ان الحجاج سال ابن القرية عن طبايع اهل البلاد
فقال اهل الحجاز اسرع الناس الى فتنة عنها رجالها حفاة ونساوها عراة واهل
اليمن اهل سمع وطاعة ولزوم الجماعة واهل عمان عرب استنبطوا واهل البحرين
نبط استعربوا واهل اليمامة اهل جفاء واختلاف اراء واهل فارس اهل باس
شديد وعز عتيد واهل العراق ابحث عن صغيرة واضيع لكبيرة واهل الجزيرة

من يمكث ببغداد سنة وجد بعلمه نفعا

لما خلق الله الخلق خلق معه عشرة اشياء

ان الله جعل البركة عشرة اجزاء

اشجع فرسان واقتل للاقران واهل الشام اطوعهم لمخلوق واعصاهم لخالق واهل مصر
عبيد لمن غلب اكيس الناس صغارا واجهلهم كبارا وعن ابن القرية قال الهند بحر
ها در وجبلها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وكرمان ماوها وشل وتمر
ها دقل ولصها بطل وخراسان ماوها جامد وعدوها جاهد وعمان حرها شديد
وصيدها عتيد والبحرين كناسة بين المصرين والبصرة ماوها ملح وحربها
صلح ماوى كل تاجر وطريق كل عابر والكوفة ارتفعت عن حر البحرين وسفلت عن
برد الشام وواسط جنة بين حماة وكنة والشام عروس بين نسوة جلوس ومصر
هواها راكد وحرها متزايد بطول الاعمار وروح نيسابور وياقوت سرنديب ولولو
عمان وزبرجد مصر وعقيق اليمن وجزع ظفار ومرجان افريقية وحيات اصبهان
وثعابين مصر وعقارب شهرزور وحوارات الاهواز وبراغيث ارمينية وفار ارزن
ونمل ميافارقين وذباب تل فافان واوزاع بلد وفي الملابس برود اليمن ووشي
صنعاء وريط الشام وقصب مصر وديباج الروم وخز السوس وحرير الصين
واكسية فارس وحلل البحرين وسقلاطون بغداد وعمايم الابلة وبيض الري
وملحم مرو وتكك ارمينية ومناديل الدامغان وجوارب قزوين وفي المراكب
عتاق البادية ونجايب الحجاز وبراذين طخارستان وحمير مصر وبغال برذعة وفي
الامراض حلواي من الشام وطحال البحرين ودماميل الجزيرة وحمى خيبر وجنون
حمص وعرق اليمن ودا مصر وبرسام العراق والنار الفارسية وفروج بلخ ومنه
وقال الجاحظ في كتاب الامصار الصناعة بالبصرة والفصاحة بالكوفة والخنث
ببغداد والطرمذة بسمرقند والعي بالري والجفا بنيسابور والحسن بهراة والمروة
ببلخ والبخل بمرو والعجايب بمصر وقال غيره قراطيس سمرقند لاهل المشرق
كقراطيس مصر لاهل المغرب وقال القاضي الفاضل اهل مصر على كثرة عددهم وما
ينسب من وفور المال الى بلدهم مساكين يعملون في البحر ومجاهيد يدابون في
البر ومن العجايب شجرة العباس في دندرا من صعيد مصر وهي شجرة متو
سطة واوراقها قصيرة منبسطة فاذا قال الانسان يا شجرة العباس جاء الناس
تجمع اوراقها وتفترق لوقتها

ذكر النيل

قال البقاعي في كتاب سجع الهديل لم يسم نهر من الانهار في القرآن سوى النيل في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم قال اجمع المفسرون على ان المراد هنا باليم نيل مصر و اخرج احمد ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النيل وسيحان وجيحان والفرات من انهار الجنة قال ابن عبد الحكم حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن يزيد بن ابي حبيب عن ابي الخير عن كعب الاحبار انه كان يقول اربعة انهار من الجنة وضعها الله في الدنيا فالنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة اخرجه الحارث في مسنده والخ والخطيب في تاريخه حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن واهب بن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب فاذا اراد الله ان يجري نيل مصر امر كل نهر ان يمده فامدته الانهار بمائها وفجر الله له الارض عيونا فاذا انتهت جريته الى ما اراد الله اوحى الله الى كل ماء ان يرجع الى عنصره اخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره وقال حدثنا عثمان ابن صالح اخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب ان معاوية بن ابي سفيان سال كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا قال اي والذي فلق البحر لموسى اني لاجده في كتاب الله يوحي اليه في كل عام مرتين يوحي اليه عند جريه ان الله يامرك ان تجري فيجري ما كتب الله ثم يوحي اليه بعد ذلك يا نيل عد حميدا و اخرج الخطيب في تاريخه وابن مردويه في تفسيره والضياء المقدسي في صفة الجنة عن ابن عباس مرفوعا انزل الله تعالى من الجنة الى الارض خمسة انهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل واستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم والحجر من البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل منها الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه

الاشياء من الارض عدم اهلها خيرها يتلون فيما يقابله و اخرج الحارث بن ابي اسامة في مسنده وابن عبد الحكم في تاريخ مصر والخطيب في تاريخ بغداد والبـ والبيهقي في البعث عن كعب الاحبار قال نهر النيل نهر العسل في الجنة ونهر دجلة نهر اللبن في الجنة ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة ونهر سيحان نهر الماء في الجنة و اخرج البيهقي في شعب الايمان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال غار النيل على عهد فرعون فاتاه اهل مملكته فقالوا ايها الملك اجر لنا النيل قال اني لم ارض عنكم فذهبوا ثم اتوه فقالوا ايها الملك اجر لنا النيل قال اني لم ارض عنكم فذهبوا ثم اتوه فقالوا ايها الملك ماتت البهائم وهلكت الابكار لئن لم تجر لنا النيل لنتخذن الها غيرك قال اخرجوا الى الصعيد فخرجوا فتنحى عنهم بحيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه فالصق خده بالارض واشار بالسبابة قال اللهم اني خرجت اليك خروج العبد الذليل الى سيده واني اعلم انك تعلم اني اعلم انه لا يقدر على اجرائه احد غيرك فاجره فجرى النيل جريا لم يجر قبله مثله فاتاهم فقال اني قد اجريت لكم النيل فخروا له سجدا وعرض له جبريل فقال ايها الملك اعني على عبد لي قال وما قصته قال عبد لي ملكته على عبيدي وخولته مفاتيحي فعاداني فاحب من عاداني وعادى من احببت قال بئس العبد عبدك لو كان لي عليه سبيل لغرقته في بحر القلزم قال ايها الملك اكتب لي كتابا فدعا بكتاب ودواة فكتب ما جزاء العبد الذي خالف سيده فاحب من عادى وعادى من احب الا ان يغرق في بحر القلزم قال يا ايها الملك اختمه لي فختمه بخاتمه ثم دفعه اليه فلما كان يوم البحر اتاه جبريل بالكتاب فقال خذ هذا ما حكمت به على نفسك و اخرج الحارث اثرا متصل الاسناد في امر النيل اخبرني ابو الطيب الانصاري اجازة عن الحافظ ابن الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي عن ابي الفتح محمد بن محمد الميدومي وبه انبانا امة الحق شامية بنت الحافظ صدر الدين الحسن بن محمد بن محمد سماعا اخبرنا ابو حفص عمر بن طبرزد سماعا انبانا ابو القاسم اسماعيل بن احمد السمرقندي وغيره سماعا قالوا اخبرنا ابو الحسين احمد بن محمد النقور سماعا اخبرنا ابو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص سماعا اخبرنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن عيسى السكري ابو اسماعيل محمد بن اسماعيل الترمذي

وابو بكر محمد كاتب الليث قال حدثني الليث بن سعد رضي الله عنه قال بلغني
انه كان رجل من بني العيص بن اسحاق بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام خرج هاربا
من ملك من ملوكهم حتى دخل ارض مصر فاقام بها سنين فلما راى عجائب نيلها وما
ياتي به عاهد الله تعالى عليه ان لا يفارق ساحلها حتى يبلغ منتهاه ومن حيث يخرج
او يموت قبل ذلك فسار عليه قال بعضهم ثلاثين سنة في الناس وثلاثين سنة في
غير الناس وقال بعضهم خمسة عشر كذا وخمسة عشر كذا حتى انتهى الى بحر
اخضر فنظر الى النيل ينشق مقبلا فصعد على البحر فاذا رجل قائم يصلي تحت
شجرة من تفاح فلما رآه استانس به وسلم عليه فسأله الرجل صاحب الشجرة
فقال له من انت قال انا حايد بن ابي شالوم بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم قال
فما الذي جاء بك يا حايد قال جئت من اجل هذا النيل فما جاء بك الى هاهنا يا عمران
قال جاء بي الذي جاء بك حتى انتهيت الى هذا الموضع فاوحى الله الي ان قف
في هذا الموضع فوقفت حتى ياتيني امره قال له حايد اخبرني يا عمران ما انتهى
اليك من امر هذا النيل وهل بلغك في الكتب ان احدا من بني آدم يبلغه قال له
عمران نعم بلغني ان رجلا من بني العيص يبلغه ولا اظنه غيرك قال له حايد يا عمران
اخبرني كيف الطريق اليه قال له عمران لست بشيء الا ان تجعل لي ما اسالك قال
وما ذاك يا عمران قال اذا رجعت الي وانا حي اقمت عندي حتى يوحي الله تعالى
الي بامره او يتوفاني فتدفنني فان وجدتني ميتا دفنتني واذهب قال نعم لك ذلك
علي قال له سر كما انت على هذا البحر فانك ستاتي دابة ترى اخرها ولا ترى
اولها فلا يهولنك امرها فاركبها فانها دابة معادية للشمس اذا طلعت اهوت
اليها لتلتقمها حتى تحول بينها وبينها حجبها واذا غربت اهوت اليها لتلتقمها
فتذهب بك الى جانب البحر فسر عليها راجعا حتى تنتهي الى النيل فسر
عليه فانك ستبلغ ارضا من حديد جبالها واشجارها وسهولها من حديد فان
انت جزتها وقعت في ارض من نحاس جبالها واشجارها وسهولها من نحاس فان
انت جزتها وقعت في ارض من فضة فان انت جزتها وقعت في ارض من ذهب جبا
لها واشجارها وسهولها من ذهب فيها ينتهي اليك علم النيل فسار حتى

انتهى

انتهى الى ارض الذهب فسار فيها حتى انتهى الى سور من ذهب وشرفه من
ذهب وقبة من ذهب لها اربعة ابواب فنظر الى ماء ينحدر من فوق ذلك السور
حتى يستقر في القبة ثم ينصرف في الابواب الاربعة فاما ثلاثة فتغيض
في الارض واما واحد فيسير على وجه الارض وهو النيل فشرب منه واستراح ث
واهوى الى السور ليصعد فاتاه ملك فقال له يا حايد قف مكانك فقد انتهى
اليك علم هذا النيل وهذه الجنة وانما ينزل من الجنة فقال اريد ان انظر الى ما في
الجنة فقال انك لن تستطيع دخولها اليوم يا حايد قال فاي شيء هذا الذي
ارى قال هذا الفلك الذي تدور فيه الشمس والقمر وهو شبه الرحى قال اني
اريد ان اركبه فادور فيه فقال بعض العلماء انه قد ركبه حتى دار الدنيا
قال بعضهم لم يركبه فقال له يا حايد انه سياتيك من الجنة رزق فلا تؤثر
عليه شيئا من الدنيا وانه لا ينبغي لشيء من الجنة ان يؤثر عليه شيء من
الدنيا بقي ما بقيت قال فبينما هو كذلك واقف اذ نزل عليه عنقود من عنب
فيه ثلاثة اصناف لون كالزبرجد الاخضر ولون كالياقوت الاحمر ولون كاللؤلؤ
الابيض ثم قال يا حايد اما ان هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها فا
رجع يا حايد فقد انتهى اليك علم النيل فقال هذه الثلاثة التي تغيض في الارض
ما هي قال احدها الفرات والاخر دجلة والاخر جيحان فارجع فرجع حتى انتهى
الى الدابة التي ركبها فركبها فلما اهوت الشمس لتغرب قذفت به من جانب
البحر فاقبل حتى انتهى الى عمران فوجده ميتا حين مات فدفنه واقام على قبره
ثلاثا فاقبل شيخ متشبه بالناس اغر من السجود ثم اقبل الى حايد وسلم
عليه ثم قال له يا حايد ما انتهى اليك من علم هذا النيل فاخبره فلما اخبره
قال له هكذا نجده في الكتب ثم طرى ذلك التفاح في عينيه وقال الا تاكل
منه قال معي رزق قد اعطيته من الجنة ونهيت ان اوثر عليه شيئا من الدنيا قال
له صدقت يا حايد ولا ينبغي لشيء من الجنة يوثر بشيء من الدنيا وقد رايت
في الدنيا مثل هذا التفاح انما انبتت له في الارض ليست من الدنيا وانما هذه الشجرة
من الجنة اخرجها الله لعمران ياكل منها وما تركها الا لك ولو قد وليت عنها

فعضها فلم يزل يطربها في عينيه حتى اخذ منها تفاحة فعضها فلما عضها
عوقب ثم قال اتعرفه هو الذي اخرج اباك من الجنة اما انك لو سلمت بهذا
معك لاكل منه اهل الدنيا قبل ان يفنى وهو مجهود ان يبلغه واقبل حايد حتى
دخل ارض مصر فاخبرهم بهذا فمات بباب مصر و بهذا الاسناد الى عبد الله
ابن صالح قال حدثني ابن لهيعة عن وهب بن عبد الله المعافري عن عبد الله بن
عمرو في قوله تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم قال كانت
الجنان بجانبي هذا النيل من اوله الى اخره في الشقين جميعا من اسوان الى رشيد
وكان له سبع خلج خليج الاسكندرية وخليج سردوس وخليج منف وخليج
الفيوم وخليج المنهى متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء وزروع ما بين
الجبلين كله من اول مصر الى اخرها ما يبلغه الماء وكانت جميع مصر كلها يومئذ
تروى من ستة عشر ذراعا و بهذا الاسناد الى ابن لهيعة عن يزيد بن
ابي حبيب انه كان على نيل مصر فرضة لحفر خلجها واقامة سورها وبناء قنا
طرها وقطع جزايرها مائة الف وعشرين الف فاعل معهم الطور والمساحي
يعتملون ذلك لا يدعون ذلك شتاء ولا صيفا و ذكر بعض الاخباريين ان
حايد هذا لم ينسا وانه اوتي الحكمة وانه سال الله تعالى ان يريه منتهى النيل
فاعطي قوة على ذلك فوصل الى جبل القمر وقصد ان يطلع الى اعلاه فلم يقدر
فسال الله فيسر عليه فصعد فراى خلفه البحر الزفتي وهو بحر اسود
منتن الريح مظلم فراى النيل يجري في وسطه كانه سبيكة الفضة و قال
صاحب مناهج الفكر ذكر ابو الفرج قدامة ان مجموع ما في المعمور من الانهار
مايتان وثمانية وعشرون نهرا منها ما يجري من المشرق الى المغرب ومنها
ما يجري من الشمال الى الجنوب ومنها ما جريانه كنهر النيل من الجنوب الى الشمال
ومنها ما هو مركب من هذه الجهات كالفرات وجيحون فاما النيل فذكر قدامة
ان انبعاثه من جبل القمر وراء خط الاستواء من عين تجري منها عشرة
انهار كل خمسة منها تصب الى بطيحة ثم تخرج من كل بطيحة نهران وتجري
الانهار الاربعة الى بطيحة كبيرة في الاقليم الاول ومن هذه البطيحة يخرج

بحر

بحر النيل و ذكر صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ان هذه البحيرة
تسمى بحيرة كورى منسوبة لطايفة من السودان يسكنون حولها متو
حشين ياكلون من وقع اليهم من الناس فاذا خرج النيل منها يشق بلاد كورى
ثم بلاد بنه طايفة من السودان بين كانم والنوبة فاذا بلغ دنقلة مدينة
النوبة عطف من غربيها الى المغرب وانحدر الى الاقليم الثاني فيكون على شطيه
عمارة النوبة وفيها هناك جزاير متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرق
الى الجنادل واليها تنتهي مراكب النوبة انحدارا ومراكب الصعيد الاعلا صعودا
وهناك احجار مضرسة البروز للمراكب الا في ايام زيادة النيل ثم ياخذ الى الشمال
فيكون على شرقيه مدينة اسوان من الصعيد الاعلا ثم يمر بين جبلين مك
مكتنفين لاعمال مصر شرقي وغربي في الفسطاط فاذا تجاوزها مسافة يوم
انقسم قسمين احدهما يمر حتى يصب في بحر الروم عند دمياط ويسمى بحر
المشرق وهو عمود النيل ومعظمه يمر حتى يصب في بحر الروم عند رشيد ويسمى
بحر الغرب ومسافة النيل من منبعه الى ان يصب في رشيد سبعماية فرسخ وثمانية
واربعون فرسخا و قيل انه يجري في الخراب اربعة اشهر وفي بلاد السودان
شهرين وفي بلاد الاسلام شهرا وليس في الارض نهر يزيد حين تنقص
الانهار غيره وذلك ان زيادته تكون في القيظ الشديد في شمس السرطان
والاسد والسنبلة و روي ان الانهار تمده بمايها وقال قوم ان زيادته من
ثلوج يذيبها الصيف وعلى حسب مددها تكون كثرته وقلته و ذهب
اخرون الى ان زيادته بسبب امطار كثيرة تكون ببلاد الحبشة و ذهب
اخرون الى ان زيادته من اختلاف الرياح وذلك ان الشمال اذا هبت عاصفة
تهيج البحر الرومي فيسترجع منه ما ورد اليه فيفيض و زعم اخرون ان زيا
دته من عيون على شاطيه يراها من سافر ولحق باعاليه و قال اخرون ان مجراه
من جبال الثلج وهي بجبل قاف وانه يخترق البحر الاخضر ويمر على معادن الذهب
والياقوت والزمرد والمرجان فيسير ما شاء الله الى ان ياتي بحر الاوبج قالوا
ولولا دخوله في البحر الملح وما يختلط به منه لم يستطع شربه لشدة حلاوته

وزيادته بتدريج وترتيب في زمان مخصوص ومدة معلومة وكذلك نقصه
ومنتهى زيادته التي يحصل بها الري لارض مصر ستة عشر ذراعا والذراع
اربعة وعشرون اصبعا فما زاد على الستة عشر ذراعا واحدا ازداد في الخراج
مائة الف دينار لما يروي من الاراضي العالية والغاية القصوى في الزيادة ثمانية
عشر ذراعا هذا في مقياس مصر فاذا انتهى فيه الى ذلك كان في الصعيد
الاعلا اثنين وعشرين ذراعا لارتفاع البقاع التي يمر عليها ويسوق الري
اليها فاذا انتهت زيادته فتحت خلجانات وترع فيجري الماء فيها يمينا
وشمالا الى البلاد البعيدة عن مجرى النيل بحكمة دبرت بالعقول السليمة
وقدرت ومنافع مهدت في الزمن القديم وقررت وللنيل ثمان خلجانات خليج
الاسكندرية وخليج دمياط وخليج منف وخليج المنهى حفره يوسف
عليه السلام وخليج اشموم وخليج سردوس حفره هامان لفرعون وخليج
سخا وخليج حفره عمرو بن العاص زمن عمر بن الخطاب ويحصل لاهل مصر يوم
وفاء الستة عشر التي هي قانون الري سرور شديد بحيث يركب الملك
في خواصه ولفه الجواري المزينة الى المقياس ويمد فيه سماطا ويخلق العمود
الذي يقاس فيه ويخلع على القياس ويعطيه صلة مقررة له و قد ذكر بعض
المفسرين انه يوم الزينة الذي وعد فرعون موسى بالاجتماع فيه هذا كله
كلام مباهج الفكر و قد اختلف في ضبط جبل القمر فقيل انه بفتح القاف
والميم بلفظ احد النيرين قال التيفاشي وانما سمي بذلك لان العين تقمر
منه اذا نظرت اليه لشدة بياضه قال وبذلك ايضا سمي القمر قمرا قال وهذا
الجبل يستطيل من المشرق الى المغرب نهايته في ناحية المغرب الى حد الخراب
ونهايته في المشرق الى مثل ذلك وهو نفسه بجملته في الخراب من ناحية
الجنوب وله اعراق في الهوى منها طوال ومنها دونه قال في مختصر المسالك
وذكر بعضهم ان اناسا انتهوا الى هذا الجبل وصعدوه فراوا وراءه بحرا عجاجا
ماؤه اسود كالليل يشقه نهر ابيض كالنهار يدخل الجبل من جنوبه ويخرج
من شماله ويصب على قبة هرمس المبنية هناك و زعموا ان هرمس الهرامسة

وهو ادريس عليه الصلاة والسلام بلغ ذلك الموضع وبنى فيه قبة و ذكر بعضهم
ان اناسا صعدوا الجبل فصار الواحد منهم يضحك ويصفق بيديه ويلقي نفسه الى ما
وراء الجبل فخاف البقية ان يصيبهم مثل ذلك فرجعوا و قيل ان اولئك انما راوا حجر
الباهت وهي احجار براقة كالفضة البيضا تتلالا كل من نظرها يضحك والتصق بها
حتى يموت ويسمى مغناطيس الناس و ذكر بعضهم ان ملكا من ملوك مصر الاول
جهز ناسا للوقوف على اول النيل فانتهوا الى جبال من نحاس فلما طلعت عليها
الشمس انعكست عليهم الاشعة الواقعة عليها فاحرقتهم و قيل انهم انتهوا
الى جبال براقة لماعة كالبلور فلما انعكست عليهم اشعة الشمس الواقعة
عليها احرقتهم و قال صاحب مرآة الزمان ذكر احمد بن مختار ان العين التي هي
اصل النيل هي اول العيون من جبل القمر ثم ينبعث منها عشرة انهار نيل مصر
احدها قال والنيل يقطع الاقليم الاول ثم يجاوزه الى الثاني ومن ابتدائه من جبل
القمر الى انتهائه الى البحر الرومي ثلاثة آلاف فرسخ ويبتدي بالزيادة الى
نصف حزيران وينتهي في بلوك قال واختلفوا في سبب زيادته فقال قوم لا يعلم
ذلك الا الله و قال آخرون سببه زيادة عيونه و قال آخرون وهو الظاهر
سببه كثرة المطر والسيول ببلاد الحبشة والنوبة وانما تاخر وصوله الى الصيف
لبعد المسافة ورد ذلك قوم بان عيونه التي تحت جبل القمر تتكدر في ايام
زيادته فدل على انه بفعل الله من غير زيادة المطر قال وجميع الانهار تجري الى القبلة
سواء فانه يجري الى ناحية الشمال وكذا العاصي بحماه قال ومتى بلغ ستة عشر
ذراعا استحق السلطان الخراج واذا بلغ ثمانية عشر ذراعا قالوا يحدث بمصر
وباء عظيم واذا بلغ عشرين ذراعا مات ملك مصر و قال ابن المتوج من عجايب
مصر النيل الذي ياتي من غامض علم الله في زمن القيظ فيعم البلاد سهلا ووعرا
يبعثه الله في ايام مدده الريح الشمال فيصده وله البحر الملح ويصير له كالجسر
ويزيد فاذا بلغ الحد الذي هو تمام الري واوان الزراعة بعث الله الريح الجنوب
فسكنته واخرجته الى البحر الملح وانتفع الناس بالزراعة و من عجايب هذا
النيل ان فيه سمكة لطيفة تسمى الرعاد من مسها او بعود متصل بيده او جذب

شبكة هي فيها او قصبة سنارة وقعت فيها رعدت يده ما دامت فيها ومن
يقلة من يشتها بيده ثم مس الرعاد لم ترتعد وفي النيل خيل تظهر في بلد
النوبة ويصيدونها وفي سن من اسنانها شفاء من وجع المعدة وقال التيفاشي
سبب زيادة النيل هبوب ريح تسمى الملثن وذلك لسببين احدهما انها تحمل
السحاب الماطر خلف خط الاستواء فتمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة
والثاني انها تاتي في وجه البحر الملح فتقف ماؤه في وجه النيل فيتراجع حتى
يروي البلاد وفي ذلك يقول الشاعر

اشفع فللشافع اعلاية ... عند ذوي واسنى واطرف محسن
فالنيل ذو فضل ولكنه ... بالشكر في ذلك للملثن

وقال صاحب سجع الهديل ذكر جماعة من المنجمين وارباب الهيئة ان النيل
يجيء من خلف خط الاستواء باحدى عشر درجة ونصف وياخذ نحو الجنوب الى
ان ينتهي الى دمياط والاسكندرية وغيرهما عند عرض ثلاثين في الشمال
قالوا فمن ابتدائه الى نهايته اثنان واربعون ومائة درجة كل درجة ستون
ميلا وثلث بالتقريب فيكون طوله من الموضع الذي يصب منه الى البحر الملح ثمانية
آلاف ميل وستماية واربعة عشر ميلا وثلثا ميل على القصد والاستواء وله
تعريجات شرقا وغربا يطول بها ويزيد على ما ذكرناه ونقلت من خط الشيخ
عز الدين بن جماعة من كتاب لعرفي الطب قال منبع النيل من جبل القمر وراء خط
الاستواء باحدى عشر درجة ونصف وامتداد هذا الجبل خمسة عشر درجة
وعشرين دقيقة يخرج منه عشرة انهار من اعين فيه ترمي كل خمسة الى بحيرة
عظيمة مدورة بعد مركزها عن اول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة والبعد
عن خط الاستواء في الجنوب سبع درج واحدى وثلث دقيقة وهاتان البحيرتان
متساويتان وقطر كل واحدة خمس درج ويخرج من كل واحدة اربعة انهار
ترمي الى بحيرة صغيرة مدورة في الاقليم الاول بعد مركزها عن اول العمارة بالمغرب
ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعن خط الاستواء من الشمال درجتان
من الاقليم الاول وقطرها درجتان ومصب كل واحد من الانهار الثمانية في هذه

البحيرة

البحيرة غير مصب الاخر ثم يخرج من هذه البحيرة نهر واحد وهو نيل مصر
ويمر ببلاد النوبة وينصب اليه نهر اخر ابتداؤه من غير مركزها على خط
الاستواء في بحيرة كبيرة مستديرة قطرها ثلاث درج وبعد مركزها من اول
العمارة بالمغرب احدى وسبعون درجة فاذا تعدى النيل مدينة مصر الى مد
ينة يقال لها شطنوف تفرق هناك الى نهرين يرميان الى البحر الملح احدهما
يعرف ببحر رشيد والاخر ببحر دمياط وهذا البحر اذا وصل الى المنصورة يخرج منه
نهر يعرف ببحر اشمون يرمي الى بحيرة هناك وباقيه يرمي الى البحر المالح عند
دمياط وهذه صورة ذلك

وذكر الجاحظ في كتاب الامصار ان مخرج نهر النيل والسند من موضع واحد
واستدل على ذلك باتفاق زيادتهما وكون التمساح فيهما وان سبيل زراعتهم في
البلدين واحد وقال المسبحي في تاريخ مصر في بلاد مكنة امة من السودان
ارضهم منبت الذهب يفترق النيل نهرين احدهما ابيض وهو نيل مصر والاخر اخضر
ياخذ الى المشرق فيقطع البحر الملح الى بلاد السند وهو نهر مهران قال ابن
عبد الحكم حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه
قال لما فتح عمرو بن العاص مصر اتى اهلها اليه حين دخل بؤونة وهو من اشهر
العجم فقالوا له ايها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم وما ذاك قالوا
انه اذا كان ثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين
ابويها فارضينا ابويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب افضل ما يكون ثم القيناها

في هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما
قبله فاقاموا بؤونة وابيب ومسرى لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء
فلما رأى ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر قد اصبت ان
الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك ببطاقة فالقها في داخل النيل
اذا اتاك كتابي فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله
عمر امير المؤمنين الى نيل اهل مصر اما بعد فان كنت تجري من قبلك فلا تجر وان
كان الواحد القهار يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك فالقى عمرو البطا
قة في النيل قبل الصليب بيوم وقد تهيأ اهل مصر للجلاء والخروج منها لانه
لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله تعالى ستة
عشر ذراعا وقطع الله تلك السنة عن اهل مصر حدثنا عثمان بن صالح
اخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب ان موسى عليه الصلاة والسلام دعى
على فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى ارادوا الجلاء حتى طلبوا الى موسى
ان يدعو الله رجاء ان يؤمنوا فدعى الله فاصبحوا وقد اجراه الله في تلك
الليلة ستة عشر ذراعا فاستجاب الله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه
موسى عليه الصلاة والسلام

ذكر مزايا النيل

قال التيفاشي اتفق العلماء على ان النيل اشرف الانهار في الارض لاسباب منها
عموم نفعه فانه لا يعلم نهر من الانهار في جميع الارض المعمورة يسقي ما يسقيه
النيل ومنها الاكتفاء بسقيه فانه يزرع عليه بعد تصويبه ثم لا يسقى الزرع
حتى يبلغ منتهاه ولا يعلم ذلك في نهر سواه ومنها ان ماءه اصح المياه واعذ
بها واعدلها وافضلها ومنها مخالفته لجميع انهار الارض في خصال هي منافع
فيه ومضار في غيره ومنها انه يزيد عند نقص سائر المياه وينقص عند
زيادتها وذلك اوان الحاجة اليه ومنها انه يأتي ارض مصر في اوان اشتداد
القيظ والحر ويبس الهوى وجفاف الارض فيبل الارض ويرطب الهوى ومنها
ان كل نهر من الانهار العظام وان كانت فيه منافع فلا بد ان يتبعها مضار في
اوان طغيانه بافساد ما يليه ونقص ما يجاوره والنيل موزون على ديار مصر

ان

بوزن معلوم وتقدير مرسوم لا يزيد عليه ولا يخرج عن حده ذلك تقدير العزيز
العزيز العليم ومنها ان المعهود في سائر الانهار ان تأتي من جهة المشرق الى
المغرب وهو يأتي من جهة المغرب الى الشمال فيكون فعل الشمس فيه دائبا واثرها
في اصلاحه متصلا ملازما وفي ذلك يقول الشاعر

مصر ومصر ماؤها عجيب ونهرها يجري به الجنوب

ومنها ان كل الانهار توقف على منبعه واصله والنيل لا يوقف له على اصل فانه ليس
في الدنيا نهر يصب في بحر الصين والروم غيره وليس في الدنيا نهر يزيد ثم
يقف ثم ينقص ثم ينصب على الترتيب والتدريج غيره وليس في الدنيا نهر يزرع
عليه ما يزرع على النيل ولا يجبى من خراج غلة زرعه ما يجبى من خراج غلة زرع
النيل و قال صاحب مناهج الفكر النيل اخف المياه واحلاها وارواها وامراها
واعمها نفعا واكثرها خراجا يحكى انه جبي في ايام كنعاوس احد ملوك القبط
الاول مائة الف الف وثلاثون الف الف دينار وجباه عزيز مصر مائة الف الف دينار
وجباه عمرو بن العاص اثني عشر الف الف دينار وجباه عبد الله بن ابي سرح
اربعة عشر الف الف دينار ثم نزل الى ان جبي ايام جوهر القائد ثلاثة آلاف
الف ومائة الف دينار و سبب تقهقره ان الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق
في الرجال الموكلين بحفر خلجه واصلاح جسوره وزم قناطره وسد ترعه وقطع
القصب وازالة الحلفا وكانوا مائة الف وعشرين الف رجل مرتبين على كور مصر
سبعين الفا للصعيد وخمسين الفا لاسفل الارض و يحكى انها مسحت ايام هشام
ابن عبد الملك فكان ما يركبه الماء مائة الف الف فدان والفدان اربعمائة قصبة
والقصبة عشرة اذرع واما احمد بن المدبر فانه اعتبر ما يصلح للزرع بمصر في
وقت ولايته فوجده اربعة وعشرين الف الف فدان والباقي قد استبحر وتلف
واعتبر مدة الحرث فوجدها ستين يوما والحراث الواحد يحرث خمسين فدانا فكانت
محتاجة الى اربعمائة الف واربعين الف حراثا و قال صاحب مرآة الزمان ذكر احمد
ابن مختار ان في النيل عجائب منها التمساح فلا يوجد الا فيه ويسمى في مصر
التمساح وفي بلاد النوبة الورل ووراء النوبة الشوشار قال والتمساح

لا يدخله وما يأكله يتكون في بطنه دودًا فإذا آذاه خرج إلى البرية
فينقض عليه طائر فيأكل ما بين أسنانه وما يظهر من الدود وربما يطبق عليه
التمساح فيبلعه. وذكر ابن حوقل أن بنيل مصر أماكن لا يضر التمساح فيها
كعدوة أبو صير والفسطاط قال وفي النيل السقنقور ويكون عند أسوان وفي
حدودها. وقيل إنه من نسل التمساح إذا وضعه خارج الماء فما قصد الماء صار
تمساحا وما قصد البر صار سقنقورا وله قضيبان كالضب. وفيه السمك الرعاد
إذا وقع في شبكة الصياد لا يزال ترتعد يداه ورجلاه حتى يلقيها أو يموت
وهي نحو الذراع. وفيه سمك على صورة الفرس والمكان الذي يكون فيه لا يقربه
تمساح. وفيه شيخ البحر سمكة على صورة آدمي وله لحية طويلة ويكون
بناحية دمياط وهو مشؤوم فإذا رئي في مكان دل على القحط والموت والفتن
ويقال إن دمياط ما تنكب حتى يظهر عندها.

ذكر ما قيل في النيل من الأشعار

قال الثعالبي قد ذكرت العرب النيل في أشعارها وضربت به الأمثال قال فيه
ابن محمد بن كرب فيما أورده الجاحظ في كتاب الأمصار

ما النيل أصبح زاخرًا بمدوده ... وجرت له ريح الصبا فجرى بها

قال بعضهم:
واها لهذا النيل أي عجيبة ... بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى في العام وهو مسلم ... حتى إذا ما مل عاد مودع
مستقبل مثل الهلال فدهره ... أبدا يزيد كما يزيد ويرجع

ظافر الحداد:
والنيل مثل عمامة ... سود مغشاة بأخضر
والجسر فيها كالطراز ... وموجه رقم مصور
تعويجه ما درجته ... الرياح من التكسر

وقال يصف افتراقه عند رأس الروضة
لله يوم أتانا النيل ... فيه بجملة وتفصيل
في منظر مشرق على خضر ... كأنه في الظلام قنديل
يبدي لنا جانبا جزيرته ... أشياء فيها للعين تأميل

كأنما

كأنما البحر عنده مفترق ... الماء من رأسها سراويل
ورقة جسمه وتحريكه الموج ... وفي تكبه بالخليج تهميل

آخر:
ولما توسطنا على النيل غدوة ... ظننت وقلب القوم باللهو صال
عشارينا إنسانا له الماء مقلة ... وليس له إلا المجاريف أجفان

محيي الدين بن عبد الظاهر

نيل مصر لمن تأمل مرأى ... حسنه معجز الحسن معجب
كم به شاب بردها وعجيب ... كيف شابت بالنيل والنيل خضب

وقال:
كم قطع الطرف نيل مصر ... حتى لقد خافه السبيل
بالسيف والرمح من غدير ... ومن قناة لها تصول

آخر:
زادت أصابع نيلنا ... وطغت وطافت في البلاد
وأتت بكل مسرة ... ما هي أصابع بل أيادي

النصير الحمامي:
إن نيل النيروز قل الوفا ... يجعل العالم صبغ القفا
فقد كفى من دمعهم ما جرى ... وما جرى من نيلهم ما كفا

ناصر الدين حسن بن النقيب

كأن النيل ذو فهم ولب ... لما يبدو لعين الناس منه
فيأتي عند حاجتهم إليه ... ويمضي حين يستغنون عنه

آخر:
النيل قال وقوله ... إذ قال أهل مسامعي
في غيظ من طلب العلا ... عم البلاد منافعي
وعيونهم بعد الوفا ... فقلعتها بأصابعي

شمس الدين بن دانيال الحكيم

كأنما النيل الخضم إذ بدا ... يرويه حديثا وهو ذو تسلسل
لما رأى الأرض بها شقيقة ... ضمها بماء الصندل

آخر:
يا نيل جد على حسن العوائد في ... أرجاء مصرك واجبر كل مرتزق
واعلم بأنك مصري فلست ترى ... حلو المعاهد لم يأت بالملق

خليل بن الكتبي

مولاي إن البحر لما زرته ... حياك وهو أخو الوفا بالإصبع

فانظر لبسطته فروتيك التي ... في مشتهاه وروضة المتمتع

أرخى عليه الستر لقا جبينه ... خجلا ومد تضرعا بالأذرع

آخر

سد الخليج بكسر جبر الورى ... طرا فكل قد غدا مسرورا

الماء سلطان فكيف تواترت ... عنه البشاير إذ غدا مكسورا

شمس الدين بن سبط الملك الحافظ

لله در الخليج إن له ... تفضلا لا نزال نشكره

حسبك منه بأن عادته ... يجبر من لا يزال يكسره

الصلاح الصفدي

رأيت في أرض مصر إذ حللت بها ... عجائبا ما رآها الناس في جيل

تسود في عيني الدنيا فلم أرها ... تبيض إلا إذا ما كنت في النيل

ركبت في النيل يوما مع أخي أدب ... فزال عني من قيل ومن قال

شرحت يا فخر صدر القوم قلت له ... لا تنكروا الآن للنيل

وقال

قالوا علا نيل مصر في زيادته ... حتى لقد بلغ الأهرام حين طما

فقلت هذا عجيب في بلادكم ... إن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

وقال

قد زاد هذا النيل في عامنا ... فأغرق الأرض بإنعامه

وكاد أن يعطي من مائه ... عزا على إزار أهرامه

تميم بن المعز العبيدي

يوم لنا بالنيل مختصر ... ولكل يوم لذاته قصر

والسفن تجري كالخيول بنا ... صعدا وجيش الماء منحدر

فكأنما أمواجه عكن ... وكأنما داراته سرر

آخر

مد نيل الفسطاط بالفيض بحر ... ذا خر فيه السفين تعوم

فكأن الأرضين منه ... وكأن المصباح فيه نجوم

الظاهر

ولقد يجري النيل فيه إذا ... الصبا أربابه في سيرها عسكرا

يجري بشط نهر السمرية ذيلا ... ونهو تهز البيض هندية تترا

إذا مر حاكى الورد غصنا وإن صبا ... حكى ماؤه لونا ولم نعده نشرا

أيدمر

كيمياء النيل خالصة ... قد أتتنا منه بالعجب

كأنه من ذوب اللجين فقد ... عاد بالتدبير من ذهب

وافى بالحسين مبتهجا ... فهو في عجب وفي طرب

ومغاني مصر تسمعه ... نغمة الشادي بلا صخب

ونسيم الريح لاعبة ... من خلال الروض بالقضب

إبراهيم بن عبدون الكاتب

والنيل فيه الجانبين كأنما ... صيغت بصفحته صحيفة صيقل

يأتيك من كدر الزواخر مده ... فيمسك من ماء يد ومصندل

فكأن ضوء البدر في تمويجه ... برق يلوح في سحاب مسبل

وكأن نور السرج من جنباته ... زهر الكواكب تحت ليل أليل

مثل الرياض مفضضا أنواره ... يبدو العين مشبه وممثل

أربى إذا كثروا من قليل ... وبدا في الحقيقة من هلال

الأمير تميم بن المعز

انظر إلى النيل في مده ... بموج يزيد ولا ينقص

كأن معاطف أمواجه ... معاطف جارية ترقص

أيدمر التركي

انظر إلى النيل السعيد المقبل ... والماء في أنهاره كالسلسل

أضحى يريك الحسن بين صروره ... من لونه وسوى من صندل

وجرى فيه الرياح مسلسلا ... يا حسنه من مطلق ومسلسل

وترى زوارقه على أمواجه ... قد صوبت للناظر المتأمل

مثل العقارب فوق حيات غدت ... تسعى بها في عدوها ما يأتلي

بعضهم

وكأنما أسماكه من فضة ... من جهد ذائب ما به من أول

أتطلب من زمانك ذو وفاء ... وتأمل ذاك جهلا من بنيه

لقد عدم الوفاء به وإني ... لأعجب من وفاء النيل فيه

ومن كلام القاضي الفاضل في وصف النيل. النيل المصري الذي يكسو الفضا
ثوبا فضا ويدلي من الارض ماءه سراجا من النور مضيا ويبتدع تيارا وافيا
في صدر الحرث فيلد الخصب ويدفع امهات خليجه الزراع فياتي اقناوها
بالعطف والادب. وقال فيه ايضا واما النيل فقد امتدت اصابعه وتكسر
بالموج اضالعه ولا يعرف الا قاطع طريق مسواه ولا من يرجى ويخاف الا
اياه. وقال ايضا واما النيل المبارك فقد ملا البقاع وانتقل من الاصبع الى
الذراع فكانما ثار على الارض فغطاها واغار عليها فاسعدها ما تخطاها
وقال ضياء الدين بن نصر الله بن الاثير واما النيل المبارك فقد تنفس حتى
قامت اضالعه واشار الينا بالخصب اصابعه فلا مذاقا يحكي جنى النحل
واحمرت صفحته فقلنا اتى قاتل المحل يتلوه. ومن كتاب السجع الجليل فيما جرا
من النيل واما البحر الذي بني عليه عنوان هذه العبودية فلا تسل ما جرا
منه ما نقلت الرواة من العجايب عنه وذلك انه عم في اول قدومه بالنفع
البلاد وساوى بين بطون الاودية وظهور الوهاد وقدم المجرد مبشرا
بوفائه فجمع لا نظير له في الاحاد واحمرت على من طلب الغلاء عيونه وتكفل
للمعسر بان يوفي بعد وفائه ديونه ونزل البحر حين اخذ منه طالع الارتفاع
واحدق بالقرى فاصبح كانه سماوات كواكبها الطيلح فلم يكن بعد ذلك
الا كلمح البصر او هو اقرب حتى جال في شوارع مصر كما عسل الطريق الثعلب
وجاس خلال ديارها فاصبح على ذوابيها المبثوثة بسطه واحاط بمركب
المقياس احاطة الدايرة بالنقطة ثم علت امواجه واشتد اضطرابه وكاد
يمتزج بنهر المجرة الذي العمارة بده والنجوم حياته وشرق حتى ليس للشرق
مشرق وغرب حتى ليس للغرب مغرب الى ان قال اما دير الطين فقد لبس سقوف
حيطانه واقتلع اشجار غيطانه واتى على ما فيه من حاصل وغلة فكان كما
قيل دار الطين بله واما الجيزة فقد طغى الماء على قناطرها وتجسر ووقع
القصب من قامته حين علا عليه الماء وتكسر فاصبح بعد اخضراره شاحبا
الاهاب ناصل الخضاب عارفا بني قعر بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من

فوقه سحاب وقطع طريق نوابتها على من فيها من المنقطعين والفقرا وترك الطائح
كالصالح يمشي على الماء فبتنا واصبحنا ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين واحد
ركبهم الغرق فايسوا من الخلاص وغشيهم من اليم ما غشيهم فبنا ولات حين مناص
وخر عليهم السقف من فوقهم فانهدت قواعدهم واستغاثوا من كثرة الماء. فالذين
امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم واما الروضة فقد احاط بها احاطة الكمام
بزهره والكاين عباب خمره فكانها فيه بساط اخضر وكانه فيها طراز مذهب
فكم بها من سطح ومصطبة وسافر بما حصل له من المقيم المقعد وحايك اصبح حول
نوله ينير وحار من قبوله بالمغتبط على الجيزة فجاز ونمير ويحم وصل الماء من
منزله الى الجهة الخارجة فاصبح في احسن تقويم ودخل الى بيت امراضه فنظر
نظرة في النجوم فقال اني سقيم فاصبح في الطريق عليه كآبة وصفرة وذي من
عده في المحاجر لا يحصى لها اجتماع وحمرة شاعر اوقعه في الضرورة فجر المديد
واشتغل بهدم داره عن بيت القصيد وعروضي ضاقت عليه الدايرة فقال هذه
الفاصلة وقلع من عروض بيته وقد اربح بقلعه مفاصله ونحوي اشتغل عن
زيد وعمرو وذهل عن اسنوا الماء والخشية عن المفعول معه والمفعول به
وطار عقله لا سيما حين تصانيف ابن عصفور واجتراز البحر واثاث بيته جار ومجرور
واما الجزيرة الوسطى فقد افسد جل ثمارها واتى على معاقبها فلم يدع شيا
من ورد بها وخيارها والحو فجوهها بالمعدوم والطلوع في باحج روضها الانجب
وترك فلقاسها بيدة وزجره على شفا جرف واما المنشاة فقد اصبحت للبحر
مقرة بعد ان كانت للعيون قرة وقيل لمغنيها انى يحيي هذه الله بعد موتها
فقال يحييها الذي انشاها اول مرة وقال على ما فيها من شورة العلات كل الميل
وتركها تتلو بها الذي سقنا مصراعي الباب يا ابانا منع منا الكيل واما
فقد اصبحت صعيدا زلقا من الملق وقامت قيامة المار بها حتى التفت الساق
بالساق من الزلق فكم اقتلع بها شجرة لترد وسها وترك سافيه تنوح على
اختها التي اصبحت خاوية على عروشها واما الخليج الحاكمي فقد خرج عسكر
موجه فعم الكسر على جميعه وهرب من قسي قناطره كالسهم من الرمية وتواضع

حين اقبل بحارة زويلة عتبات غرفه العالية وترك السقائين في حال يعجز عن
وصفها صريح الدكا وجمال الراوية فاصبحوا من الكساد وقد سيموا الاقالة
قايلين في شوارع مصر بالله السلامة

ذكر البشارة بوفاء النيل

جرت العادة في كل سنة اذا اوفى النيل ان يرسل السلطان بشيرا بذلك الى
البلاد لتطمين قلوب العباد وهذه عادة قديمة ولم تزل كتاب الانشاء ينشئون
في ذلك الرسايل البليغة فمن انشاء القاضي الفاضل في وفاء النيل عن السلطان
صلاح الدين بن ايوب نعم الله سبحانه وتعالى من اصفاها فروعا واحفاها اسوعا
وامدها بخير مواهب واهنئها حسن عواقب النعمة بالنيل المصري الذي يبسط
الامال ويقبضها مدة وجزرة ويربي النبات بحره ويحيي مطلعه الحيوان من
ويحيي ثمرات الارض صنوان وغير صنوان وينشر مطوي حريرها وينشر
مواتها ويوضح معنا قوله تعالى وبارك فيها وقدر فيها اقواتها وكان وفاء النيل
المبارك يوم كذا فاسفر وجه الارض وان كانت تتعب وامن يوم بشراه من كان تاريخ
خايفا يترقب ورأينا الانابة عن لطايف الله التي خيبت الظنون ووفت
بالرزق المضمون ان في ذلك لايات لقوم يوقنون وقد اعلمناك لتوفي حقه
من الاذاعة وتعيده من الاشاعة وتتصرف على ما انصرفك من الطاعة وتشهر ما
ورد به البشير من البشرى بابانته وتمده بما يعمل رسمه تهنيئا على عادته
وكتب القاضي محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر عن السلطان الى نايب
السلطنة بحلب بشارة بوفاء النيل اعز الله انصار المقر وسره بكل بهجة
وهناء بكل مقدمة سرور تقدم للخصب منتجة وبكل نعمى لا تصبح لمنة السحاب
محوجة وبكل رحمى لا يستقل امدها بالمادة ولا الليالي بها المتلجة هذه المكاتبة
تفهمه ان نعم الله وان كانت متعددة ومنحه وان غدت بالبركات متوددة
بان اشملها واكملها واجلها وافضلها واجزلها وانهلها واتمها واعمها
واصفاها والمهابتها اجزأت المنن والمنح وانزلت في امرك سيح المقطم اغزر سيح
وانتت بما يعجب الزراع ويسمل الهراع ويجبر البلاد الماع ويغل الاقطاع

وتنفث

وتنفث ابواهه وامواجه وعد حطاها افواهه وامواجه وسيسر وعيد الريح من حيث
يسري ويغيظ مريد الاجاج القموح لان يمتد السركان كما يغيظ الحوت لا الدنيئة المشتهى
ويأتي بجيبه بالغلة باكثر من اليوم وفي اليوم باكثر من الامس ويركب الطريق مجدا
بان ظهر في جبهة حمرة فهي ما يعرض للمسافر من حر الشمس ولو لم تكن مشقة
طويلة لما قيست بالذراع ولولا ان مقياسه اشرف البقاع لما اعتبر ما تأخر
من ما حوله الماضي بقاع فبينا يكون في الباب اذا هو في الطاق وبينا يكون في
الاحتراق اذا هو في الاغتراق لا عراق وبينا يكون في المدارج اذا هو في الاسوا
ر وبينا يكون في الجباب اذا هو في الجبال وبينا يقال الزيادة فهذه الامواه امد
يقال الغلالة هذه الاموال وبينا يكون ما اذا اصبح حبرا وبينا هو يكسب ثمان
فما اكسب تحويه وبينا يقيم عراة قد اتى تجار تكم حسنة مقطعاته على من
الجديدين وكم اعانته موارته مقياسه على الغرق من جلالد سيس على العمود بان ثم
الله لطفه في الاساس يد على الله رجمي واجوايه بالرحمة التي تفقه العيون بالتفرج
والقلب بالتفريج فاقبل جيشه بمراكبه وجاء يطأ الجوب بالصواري من مراكبه
ومصافن بجاجد الجسور في بيت المجنة وشافه المقطم بالتراس من جزله والشيو
من خليجه ولما تكامل ايابه واصبح في ديوان الفلاح والفلاحة حسابه واظهر
ما عنده من ذخاير التيسير ووعد ابعد ولعله عمود من ذلك على اطابعه
وكانت السنة عشرين راغا تسمى ما الشلطان نزلنا وحضرنا المجلس الوفاء
المعقود واستوفينا شكر الله تعالى بقبض ما هو من زيادته محسوب ومن صد
فاتنا مخرج ومن المقطم مرد وعد ووقع تيار بين ايدينا مسطورا يعوق وعلمت
يدنا الشريفة بالخلوق وحمدنا الشير كما حمدنا السير وصرفنا في القرى
للقرى ولم يمض في العام الماضي ما جعلنا له من الشكر شكرا ان وعمل هو ما جرى
وحضرنا الى الخليج واذا به امة قد تلقونا بالدعاء المجاب وترطن بامر نساء ان
يحشو من سد في وجوه المداحين التراب ومر بسد في المسار ويجيدها ويزور منازل
القاهرة ويعودها واذا سيل عن ارض الطبالة قال جيتنا بليلي وعن خليجها قال
وهي جنت بغيرنا وعن من بركة النيل قال واخرى بنا مجنونة لا نريدها وما برح

حتى تغوص عن القيعان البقيعة من المراكب بالسرور المرفوعة ومن الارض المحروثة
من جوانب الادراء بالزرابي المبثوثة وانقضى هذا اليوم على سرور لمثله
فليعمل العاملون واصبحت مصر جنة فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
واهلها في ظل الامن خالدون فليأخذ حظه من هذه البشرى التي ما كتبنا بها
حتى كتبت بها الرياح الى نهر المجرة الى البحر المحيط ونطقت بها رحمة الله
تعالى المجاورة بيته من فلا بسر الثغور ونادى المحيط وبشرت بها مطايا
الدهر الذي يسير من حوض غير منقوص ويتشارك بها الابتهاج في العالم فلا
مصر دون مصر بها مخصوص والله تعالى يجعل الاولياء فيه ولثنا ينتهجون بكل
امر جليل وخير ان الجهات يفرحون بجريان النيل وكتب الصلاح الصفدي
بشارة الى بعض في بعض الاعوام ضاعف الله نعمة الجناب وسر نفسه بالنفس
بشرى واسمعه من الهناء كل اية اكبر من الاخرى واقدم عليه من المسار ما
يتحرز نافله ويتحرى ويساق اليه كل طليعة اذا انفجر صبحها نفر في البر وتغرى
واورد لديه من انباء الخصب ما يتبرم به محل المحل ويتبرى هذه المكاتبة الى
الجناب العالي تخصه بسلام بزفه كالماء انسجاما ويروق كالزهر ابتساما وتحفه
بثناء جعل المسك له ختاما وضرب له على الرياض النافحة خياما ويقص عليه
من ماء النيل الذي خص الله البلاد المصرية بزيادته ووفائه واغنى به قطرها عن
القطر فلم يحتج الى مد كابته ووفائه وذهب من منه الغمام الذي ان جاد فلا بد
من شهقة رعد ودمعة بكائه فهي الارض التي لا تنوع للامطار في جوها
مطار ولا يرم للقطار في بقعتها قطار ولا يرمد الا بوجهها عيون النوار
ولا تشيب بالثلوج مفارق الطرق ورؤوس الجبال ولا تعقد فيها حلى النجوم
لاندراج الليلة تحت السحب من اليوم وامس ولا يتمسك في شتائها المساكين
كما قيل بحبال الشمس واتت ارض تعج عجاجها بالبحر العجاج وتزدحم في ساحتها
نتها امواج الامواج من ارض لا تبال السفيا الا بجري لان القطر سهام والضباب
عجاج قد انعقد ولا يعم الغيث بقاعها لان السحب لا تراها الا بسراج البرق
اذا ابعد فلو خاض النيل فيافي الارض لقال عنه فيما التزكي عين اصبع ولو

فاخرها

فاخرها لقال انت بالجبال اثقل وانا بالخلق اطيع والنيل له الايات الكبرى وفيه
العجائب والعبر منها وجود الوفاء عند عدم الصفا وبلوغ الهرم اذا احتج
والنصوم وامن كل قرية اذا قطع الطريق فرح قطان الاوطان اذا انكسر وهو
كما يقال سلطان وهو اكرم منتمى واكرم منتجع وافخر محتبى واعظم محتدى
الى غير ذلك من خصائصه وبراءته من النقائص وهو انه في هذا العام المبارك
جذب البلاد من الجدب وخلصها بواوعه ونطقها مختار فه التي لا تراع من ترا
عه وخصها بسواريه الضواري تحت قلوعه وما في الا عمد قلاعه وراعي
الادب في زيادة بنا الشريعة فحط العنا في كل يوم تخبر قاعة في رقاعه حتى
اذا اكمل الستة عشر ذراعا وقلت سرا بنى الخير سراعا وفتح ابواب الرحمة
بتغليقه وجد في طلب تخليقه تضرع بهذا راعه الينا وسلم عنق الوفاء
بأصابعه علينا ونشر علم ستره وطلب للكرم لطاعة خير العالم بكسره
فرسمنا بان يخلق ويعلم تاريخ هنائه ويعلق بكسر الخليج وقد يكاد يعلو
فرح موجه ويهيل كثيب سد هول هيجه وقد خاض وسر زرابي المبثو
ثة ويجوس خلال الجنايا كان له فيها خبايا موروثة ومرق كالسهم من قسي
قناطره المنكوسة وعلا ذنبه حركته ولولاه لظهرت في باطنه من سده ور
انا سد اسعدها المعكوسة وبشر بركة الفيل ببركة العام وجعل المجنونة
من تيار المتحدر في السلاسل والاغلال ومل الكف الرجاء باموال الامواه
وان حنفي عبارة شكره امواج الامواه واعلم الافلاك بعجزها عما يدخل
من خراج البلاد وهنات طالعه بالطوالع التي نزلت بركاتها من الله على
العباد وهذه عوائد الالطاف الالهية بنا التي لم تزل تجلس على موائدها
وتأخذ منها ما تهيئه لرعايانا من فوائدها وتحض بالشكر فوائد ما فهي
تدب حولنا وتدريج وتحض فوائدها بالثناء والمدح والحمد فهي تدخل الينا
وتخرج فليأخذ الجناب العالي حظه من هذه البشرى التي جادت بالمن والمنح
وانهلت ايا ديها المعروفة بالسح والسيح وليتلقاها بشكر يضي به في
الدجا اديم الافق ويتخذها عقدا يحيط منه بالعنق الى النطق وليتفع

الجناب العالي بان لا يحرك الميزان في هذه البشرى ما يجانبه لسانه وليعط
كل عامل في بلاده ما ينذر لكلا امانه وليعمل بمقتضى هذا المرسوم حتى لا يرى
في اسقاط الجباية جنايه والله يديم الجناب العالي لقص الانباء الحسنة عـ
عليه ويمتعه بما يعن من التهاني والافراح لديه **وكتب** الاديب
تقي الدين بن حجة بشارة عن الملك المويد سنة تسع عشرة وثمانماية وينهي
لعلمه الكريم لظهور ءاية النيل الذي عاملنا فيه بالحسنى وزيادة واجراء لنا
في طرق الوفاء على اجمل عادة ونقلوا اصابعه ليزول الايهام باعلن المسلمون
بالشهادة كسر يسري فامسى كل قلب بهذا الكسر مجبورا وانبعثا عـ
بنور وزوره فما برح هذا الاسم بالسعد المويد مكسورا حتى فتحا القصود ان ـ
بالراية البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الاسلام وارشفها ريقه الحلو فمالت
اغصان غصونها اليه وشبت حرقى في الصعيد بالقصب وقد سبكه الذهبية
الى جزيرة الذهب بضرب الناصرية وانصل فاء دينار وقلنا لولا انه صبغ ثغره
لما جار عليه ذلك الاحمرار واطال الله عمر زيادته فقد ترد الى الاثار وعمته
البركة فما جرى بسواقي مكة الى ان غدت جنة تجري من تحتها الانهار وحض
مشتهي الروضة في صدره وحنى عليها حنو المرضعات على الفطيم واشبعه
على ظماه لا الذ من المدامة للنديم وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك
الابيات وسقى الارض سلافه الخمرية فخذ منه يخلو النبات وادخله الى جنات
النخيل والاعناب فالوالنوى والحب فاوضح جنين النبت واحيى له امهات الضعف
والاب وصافحته كفوف المتسوق لخواتمه العقيقية ولبس الورد تشريفه عـ
وقال الجوز تكون شوكتي في ايامه قوية ونسي الزهري بحلاوة لقايه مرارة
النوى وماتت به محذورات الاشجار فارخت صغاير فروعها عليه من شدة الهوى
واستوفى النبات ما كان له في ذمة الري من الديون وما زج الحوامض بحلاوته
فهام الناس بالسكر والليمون وانحدرت اليه الكباد وامتد ولا كن فوق فـ
سد لما حظي منه بسهم لا يرد ولبس شربوش الاترج وترفع الى ان لبس عـ
بعده التاج وفتح منشور الارض لعلامته سعة الرزق وقد تعدا امره وراح عـ

يتناول

يتناول معالم الشنبر وعلم باقلامها ورسم لكل سد بالافراج وسرح مطابق
السجن فخفقت اجنحتها بحلول بشايره واشار باصابعه الى فتل الحبل فبادر الخصب
الى امتثال اوامره وحظي بالمعشوق وبلغ من كل قند مناه فلا سكن على البحر
الا فحرك ساكنه بعد ما تهمه وادعو بابه المياه من شبابه امواجه الى تقبيل فم
الخور وزاد بسرعة فاستعلى المصريون رايه على الغور وترك في بركة الحبش
فدخل التكرور في طاعته وحمل على الجهات البحرية بكسر المنصورة وعلا على
الطويلة بشهامته وظهر في مسجد الخضر عين الحياة باقر الله عينه وصار
اهل ميافارقين في فرح بين المالح وبينه وطلب المالح رده بالقصر وطعن في حلاوة عـ
عما يليه فاشعر الا وقد ركبه عليه ونزل في ساحله وامست وادته وابري على
وجنات الدهر عاطفة وتغلغل ارباب امواجه على عصور الجوارف واضطربت كالخنا
بفة ومال سيف النخيل اليه فلثم ضغ طلعه وقبل سعالفه وامست سواقي الجواري
بالحسنات في حمرة وجناته وكلما زاد زاد الله في حسناته فلا بقي سد الا
حصل له من فيض نعماه فتوح ولا فيت خليج الا عاشر به ودبت فيه الروح ولا كنه
احمرت عينه على الناس من زيادة وترفع فقال له المقياس عند ذي قبالة كل عين اصبع
ونشر اقلام قلوعه وحمل وله على ذيد الخريز فجرى وراء ان يهجم على غير بلاده عـ
فباد واليه عزمنا المويد وكسر وقد اثرنا المقر بهذه البشرى الذي يفصلها
برا وبحرا وحمد ثناه على البحر لا حرج وشرحنا له حالا وصدرا لياخذ حظه من
هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة ويتنشق من طيبها نشرا فقد حملنا له
من طيبات ذلك النسيم انفاسا عاطرة والله تعالى يوصل بشايرنا الشريفة بسمعه
الكريم ليصير تهانيه كل وقت مشتبها ولا يبرح من نيلها المبارك وانعامنا الشريفة
على كلا الحالين في وفاء

ذكر المقياس

قال ابن عبد الحكم كان اول من قاس النيل بمصر يوسف عليه الصلاة والسلام
ووضع مقياسا بمنف ثم وضعت العجوز دلوكة ابنة زبا مقياسا بانصنا وهو
صغير الذرع ومقياسا باخميم ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وهو
صغير ووضع اسامة بن زيد التنوخي في خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وهي

المسماة الان بالروضة وهو اكبرها حدثنا يحيى بن بكير قال ادركت
القياس يقيس في مقياس منف ويدخل بزيادته الى الفسطاط هذا ما ذكره ابن
عبد الحكم قال التيفاشي ثم هدم المامون مقياس الجزيرة واسسه ولم يتمه
فاتمه المتوكل بناء وهو الموجود الان وقال صاحب مباهج الفكر المقياس الذي في
بانصنا ينسب لاشمون بن قفطيم بن مصر ثم ويقال انه من بناء دلوكة وبناؤه
كالطيلسان وعليه اعمدة بعدد ايام السنة من الصوان الاحمر ورايت في بعض
المجاميع ما نصه قال زيد بن حبيب وجدت في رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد
ابن عبد المنعم قال لما فتحت مصر عرف عمر بن الخطاب ما يلقى اهلها من الغلا
عند وقوف النيل عن حد في مقياس لهم فضلا عن تقاصيره وان فرط الاستشعار
يدعوهم الى الاحتكار ويدعوا الاحتكار الى تصاعد الاسعار بغير قحط فكتب
عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص يساله عن شرح الحال فاجابه عمرو اني وجدت
ما تروى به مصر حتى لا يقحط اهلها اربعة عشر ذراعا والحد الذي يروى
منه سائرها حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة اخرى ستة عشر
ذراعا والنهايتين المخوفتين في الزيادة والنقصان وهما الظما والاستبحار اثنتى
عشرة ذراعا في النقصان وثمان عشرة ذراعا في الزيادة هذا والبلد في ذلك
الوقت محفور الانهار معقود الجسور عندما تسلموه من القبط وخميرة العمارة فيه فا
ستشار عمر بن الخطاب علي بن ابي طالب رضي الله عنه في ذلك فامره ان يكتب اليه
بان يبني مقياسا وان ينقص ذراعين على اثنتى عشر ذراعا وان يقر ما بعدها
على الاصل وان ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعا يكون مبلغ الزيادة
على الاثنتى عشر ثمانية واربعون اصبعا وهي الذراعان وجعل الاربع عشرة
ست عشرة والست عشرة ثمان عشرة والثمان عشرة عشرون ذراعا وهي
المستقرة الان وقال بعضهم كتب الخليفة جعفر المتوكل الى مصر بامر ببناء
المقياس الجديد الهاشمي في الجزيرة سنة سبع واربعين ومايتين وكان الذي
يتولى امر المقياس النصارى فورد كتاب امير المومنين المتوكل في هذه السنة
على بكار بن قتيبة قاضي مصر بان لا يتولى ذلك الا مسلم يختاره فاختار القاضي

بكار لذلك ابا الرداد عبد الله بن عبد السلام المؤدب فاقامه القاضي بكار لمرا
عاة المقياس واجرى عليه الرزق وبقي ذلك في ولده الى الان وقال صاحب المرآة
المقياس الظاهر الان بناه المامون وقيل انما بناه اسامة بن زيد التنوخي في
خلافة سليمان بن عبد الملك ثم جدده المامون وبنى احمد بن طولون مقيا
سين احدهما بقوص وهو قائم الان والاخر بالجزيرة وقد انهدم انتهى وللقاضي
محيي الدين بن عبد الظاهر في العمود الذي يطلع به المقياس قياس النيل في
كل يوم بزيادة النيل

قد قلت لما اتى المقياس في يده ... عمود به النيل قد عمه وفاء نوديه
ايام سلطاننا سعد السعود وقد ... عم القياس بجري الماء في العمود

ذكر جزيرة مصر
وهي المسماة الان بالروضة

قال المقريزي اعلم ان الروضة تطلق في زمننا على الجزيرة التي بين مدينة مصر وبين
مدينة الجيزة وعرفت في اول الاسلام بالجزيرة وبجزيرة مصر ثم قيل لها جزيرة
الحصن وعرفت بالروضة في زمن الافضل بن امير الجيوش الى اليوم انتهى والجزيرة
كل بقعة في وسط البحر لا يعلوها البحر سميت بذلك لانها جزرت اي قطعت
وفصلت عن تخوم الارض فصارت منقطعة وفي الصحاح الجزيرة واحدة جزائر البحر
سميت بذلك لانقطاعها عن معظم الارض وقال ابن المتوج في كتابه ايقاظ
المتغفل في ايقاظ المتامل انما سميت جزيرة مصر بالروضة لانه لم يكن بالديار
المصرية مثلها وبحر النيل حايز لها ودائر عليها وكانت حصينة وفيها من
البساتين والثمار ما لم يكن في غيرها ولما فتح عمرو بن العاص مصر تحصن
الروم بها مدة فلما طال حصارها وهرب الروم منها خرب عمرو بن العاص بعض
ابراجها واسوارها وكانت مستديرة عليها واستمرت الى ان عمر حصنها احمد
ابن طولون في سنة ثلاث وستين ومايتين ولم يزل هذا الحصن حتى خربه النيل
وقال المقريزي اعلم ان الجزائر التي هي الان في بحر النيل كلها حادثة في
الاسلام ما عدا الجزيرة التي تعرف اليوم بالروضة تجاه مدينة مصر وصاحوا

الحصن الذي يعرف اليوم بقصر الشمع في مصر حتى فتحه الله عنوة على المسلمين كانت هذه الجزيرة حينئذ تجاه القصر لم يبلغني الى الان متى حدثت واما غيرها من الجزائر فكلها قد تجددت بعد فتح مصر والى هذه الجزيرة التجا المقوقس لما فتح الله على المسلمين القصر وصار فيها هو ومن معه من جموع الروم والقبط وقال ابن عبد الحكم كان بالجزيرة في ايام عبد العزيز بن مروان امير مصر خمسماية فاعل عدة لحريق كان في البلاد او هدم وقال الكندي بنيت بالجزيرة الصناعة في سنة اربع وخمسين والصناعة اسم لمكان قد اعد لانشاء المراكب البحرية واول صناعة عملت بارض مصر التي بنيت بالروضة في سنة اربع وخمسين من الهجرة فاستمرت الى ايام الاخشيد فانشا صناعة بساحل فسطاط مصر وجعل موضع الصناعة التي بالروضة بستانا وسماه المختار وقال القضاعي حصن الجزيرة بناه احمد بن طولون في سنة ثلاث وستين ومايتين ليحرز فيه حرمه وماله وكان من سبب ذلك مسير موسى بن بغا من العراق واليا على مصر وجميع اعمال ابن طولون وذلك في خلافة المعتمد على الله فلما بلغ احمد بن طولون مسيره تاهب لحربه بفسطاط مصر فلم يجد لها الا من جهة النيل فبنى الحصن بالجزيرة التي بين الفسطاط والجيزة ليكون معقلا لحرمه وذخايره واتخذ مائة مركب حربية سوى ما ينضاف اليها من العشاريات وغيرها فلما بلغ موسى بن بغا الى الرقة تثاقل عن المسير لعظم شان ابن طولون وقوته ثم لم يلبث موسى ان مات وكفي ابن طولون امره وقال الحسن بن داود يمدح احمد بن طولون

لما نوى ابن بغا بالرقتين ملا ... ساقيه دفا الى الكعبين والعقب
بنى الجزيرة حصنا يستجن به ... بالعسف والضرب والصناع في تعب
وواثب الجيزة القصوى يخندقها ... وكاد يصعق من خوف ومن رعب
له مراكب فوق النيل راكدة ... لما سوى القار للنظار والخشب
ترى عليها لباس الذل مذ بنيت ... بالشط ممنوعة من عزة الطلب
فما بناها لغزو الروم محتسبا ... لكن بناها غداة الروع للهرب

وقال سعيد القاص من ابيات

وان

وان جئت راس الجسر فانظر تاملا ... الى الحصن او عرج الله على الجسر
ترى اثرا لم يبق من يستطيعه ... من الناس من بدو البلاد ومن حضر

وما زال حصن الجزيرة هذا عامرا ايام بني طولون حتى اخذه النيل شيئا بعد شيئا وقد بقيت منه بقايا متقطعة الى الان وكان نقل الصناعة من الجزيرة الى ساحل مصر في شعبان سنة خمس وعشرين وثلثماية وسمي مكانها البستان المختار وصرف على بنائه خمسة الاف دينار فاتخذه الاخشيد متنزها له وصار يفاخر به اهل العراق ولم يزل متنزها الى ان زالت الدولة الاخشيدية بعد والكافورية وقدمت الدولة العبيدية فكان فيه المعز والعزيز وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس بها وال وقاض وكان يقال القاهرة ومصر والجزيرة فلما استولى الافضل شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالي انشا في جنوب الجزيرة مكانا نزها سماه الروضة وتردد اليه ترددات كثيرة ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة قال ابن ميسر في تاريخ مصر انشا الافضل الروضة في الجزيرة وكان يمضي كل يوم اليها في العشاريات الموكبية وكان قتل الافضل في سنة خمس عشرة وخمسماية قال وفي سنة ست عشرة وخمسماية نقل المامون البطائحي الوزير عمارة المراكب الحربية من الصناعة التي بجزيرة مصر وبنى عليها منظرة كانت باقية الى اخر ايام الدولة العلوية فلما استبد الخليفة الامر انشا بجوار البستان المختار في جزيرة الروضة مكانا لمحبوبته البدوية عرف بالهودج على شاطي النيل في شكل غريب ولم يزل الامر يتردد اليه للنزهة فيه الى ان ركب اليه يوما فلما كان براس الجسر وثب عليه قوم كانوا قد كمنوا له بالروضة فضربوه بالسكاكين حتى اثخنوه وذلك يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة سنة اربع وعشرين وخمسماية ونهبت سوق الجزيرة ذلك اليوم قال ابن المتوج اشترى الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب جزيرة مصر المشهورة بالروضة من بيت المال المعمور في شعبان سنة ست وستين وخمسماية وبقيت على ملكه الى ان سير السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ولده الملك عثمان الى مصر ومعه عمه الملك العادل كتب الى الملك المظفر ان يسلم لهما البلاد ويقيم عليه

الى الشام فلما ورد عليه الكتاب ووصل ابن عبد العزيز وعمه الملك العادل شق
عليه خروجه من الديار المصرية وتحقق انه لا عود له اليها ابدا فوقف مدرسته
التي تعرف في مصر بالمدرسة التقوية وكانت قديما تعرف بمنازل العز على فقهاء
الشافعية ووقف عليها جزيرة الروضة بكمالها ووقف ايضا مدرسة بالفيوم
وسار الى عمه صلاح الدين الى دمشق فملكه حماه ولم يزل الحال كذلك الى ان
ولي الملك الصالح نجم الدين ايوب فاستاجر الجزيرة من القاضي فخر الدين ابي محمد
عبد العزيز بن قاضي القضاة عماد الدين بن ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد المعروف
بابن السكري مدرس المدرسة المذكورة لمدة ستين سنة في دفعتين كل دفعة
قطعة فالقطعة الاولى من جامع غين الى المناظر طولا وعرضا من البحر الى البحر
واستاجر القطعة الثانية وهي باقي ارض الجزيرة الدائر عليها بحر النيل حين
ذاك واستولت على ما كان بالجزيرة من النخل والجميز والعروس فانه لما عمر الملك
الصالح مناظر قلعة الجزيرة قطعت النخل ودخلت في العمائر واما الجميز فانه كان
بشاطي بحر النيل صف جميز يزيد على اربعين شجرة وكان اهل مصر يتفرجون تحتها
في زمن النيل والربيع فقطعت جميعها في الدولة الظاهرية وعمرت بها شواني عوض
الشواني التي كان سيرها الى جزيرة قبرص وتكسرت هناك واستمر تدريس
المدرسة التقوية بيد القاضي فخر الدين الى حين وفاته ثم وليها بعده ولده
القاضي عماد الدين ابو الحسن علي وفي ايامه سلم له القطعة المستاجرة من الجز
يرة اولا وبقي بيد السلطنة القطعة الثانية الى الان وكان الافراج عنها في
سنة ثمان وتسعين وستمائة في الدولة الناصرية ولم يزل القاضي عماد الدين
مدرسها الى حين وفاته فوليها ولده وهو مدرسها الان في شعبان سنة اربع
عشرة وسبعمائة هذا كله كلام ابن المتوج قال المقريزي ولم تزل الروضة
مسكنا للناس الى ان تسلطن الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محمد
فانشا بالروضة قلعة واتخذها سرير ملكه وعرفت بقلعة المقياس وبقلعة الرو
ضة وبقلعة الجزيرة وبالقلعة الصالحية وكان الشروع في حفر اساسها يوم
الاربعاء خامس شعبان ووقع الهدم في الدور والقصور والمساجد التي كانت

بجزيرة

بجزيرة الروضة وتحول الناس من مساكنهم التي كانت بها وهدم كنيسة كانت لليعا
قبة بجانب المقياس وادخلها في القلعة وانفق في عمارتها اموالا جمة وبنا فيها
الدور والقصور وعمل لها ستين برجا وبنا بها جامعا وغرس بها جميع الاشجار
ونقل اليها من البرابي العمد الصوان والعمد الرخام وشحنها بالاسلحة والات
الحرب وما يحتاج اليه من الغلال والاقوات خشية من محاصرة الافرنج فانهم
كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر وبالغ في اتقانها مبالغة عظيمة حتى انه
قيل استقام كل حجر فيها بدينار وكل طوبة بدرهم وكان الملك الصالح يقف بنفسه
ويرتب ما يعمل فصارت تدهش من كثرة زخرفها وتحير الناظر اليها حسن سقو
فها المزخرفة وبديع رخامها و يقال انه قطع من الموضع الذي انشا فيه هذه
القلعة الف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى الى ملوك مصر لحسن منظره وطيب
طعمه وخرب البستان المختار والهودج وهدم ثلاثة وثلاثين مسجدا كانت بالرو
ضة وادخلت في القلعة و اتفق له في بعض هذه المساجد خبر عجيب قال
الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد اليغموري سمعت الامير جمال الدين بن يوسف بن
يغمور بن جلدك يقول من عجيب ما شاهدته من الملك الصالح انه امرني ان اهدم
مسجدا بالجزيرة بمصر فاخرت ذلك وكرهت ان يكون هدمه على يدي فاعاد الامر
وانا اكاسر عنه فكانه فهم عني ذلك فاستدعى بعض خدمه وانا غائب وامره
ان يهدم ذلك المسجد وان يبني مكانه قاعة وقدر له صفتها فهدم ذلك
المسجد وعمر تلك القاعة مكانه وكملت وقدم الافرنج على الديار المصرية وخرج
الملك الصالح مع عساكره اليهم ولم يدخل تلك القاعة التي بنيت في مكان المسجد
فتوفي السلطان بالمنصورة وجعل في مركب واتي به الى الروضة فجعل في تلك
القاعة التي بنيت مكان المسجد مدة الى ان بنيت له التربة التي في جنب مدارسه
بالقاهرة وكان النيل في القديم محيطا بالروضة طول السنة وكان فيما بين ساحل
مصر والروضة جسر من خشب وكذلك فيما بين الروضة والجيزة جسر من
خشب يمر عليهما الناس والدواب من مصر الى الروضة ومن الروضة الى الجيزة وكان
هذان الجسران من مراكب مصطفة بعضها بجانب بعض وهي مربوطة ومن فوق المراكب

اخشاب ممدة وفوقها تراب وكان عرض الجسر ثلاث قصبات ولم يزل هذا الجسر دايما الى ان قدم المامون مصر فاحدث جسرا جديدا فاستمر الناس يمرون عليه وكان عبور العساكر التي قدمت من المعز وعليهم جوهر القايد على هذين الجسرين وكان الجسر المتصل بالروضة كرسيه حيث الروضة المدرسة الخروبية قبلي دار النحاس وكان النيل عندما عزم الملك الصالح على عمارة قلعة الروضة قد انطرد عن بر مصر ولا يحيط بالروضة الا في ايام الزيادة فلم يزل يحفر السجن في ناحية الجزيرة ويحفر فيما بين الروضة ومصر ما كان هناك من الرمال حتى عاد ماء النيل الى بر مصر واستمر هناك فانشا جسرا عظيما ممتدا من بر مصر الى الروضة وجعل عرضه ثلاث قصبات وكان كرسيه حيث المدرسة الخروبية قبلي دار النحاس وصار اكثر مرور الناس بانفسهم ودوابهم في المراكب لان الجسر قد احسوا بحصولها في جسر قلعة السلطان وكان الامراء اذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة السلطانية بقلعة الروضة يترجلون عن خيولهم عند البر ويمشون في طول هذا الجسر الى القلعة ولا يمكن احد من العبور عليه راكبا سوى السلطان فقط ولما كملت تحول اليها باهله وحرمه واتخذها دار ملك واسكن معه فيها مماليكه البحرية وكانت عدتهم نحو الالف وما برح الجسر قايما الى ان خرب المعز ايبك قلعة الروضة بعد سنة ثمان واربعين وستماية فاهمل ثم عمره الظاهر بيبرس على المراكب وعمله من ساحل مصر الى الروضة ومن الروضة الى الجيزة لاجل عبور العسكر عليه لما بلغه حركة الافرنج ☙ وقال علي بن سعيد في كتاب المغرب وقد ذكر الروضة هي امام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة وبها مقياس النيل وكانت متنزها لاهل مصر فاختارها الصالح بن الكامل سرير السلطنة وبنى فيها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البنا عالي السمك لم تر عيني احسن منه وفي هذه الجزيرة كان الهودج الذي بناه الامير الخليفة لزوجته البدوية التي هام في حبها والمختار بستان الاخشيد وقصره وله ذكر في شعر تميم ابن المعز وغيره ☙ ولشعراء مصر في هذه الجزيرة اشعار منها قول

ابي الفتح بن قادوس الدمياطي ☙

ارى سرح الجزيرة من بعيد ☙ كاحداق تغازل في المغازل ☙
كان مجرة الخدراء خطت ☙ واثبتت المنازل في المنازل ☙

وكنت ابيت بعض الليالي في الفسطاط فيرى عيني ضحك البدر في وجه النيل امام سور هذه الجزيرة الدري اللون ولم انفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة مبانيها وهو من اعظم السلاطين همة في البناء وابصرت في هذه الجزيرة ايوانا للجلوس لم تر عيني مثاله ولا يقدر ما انفق عليه وفيه من الكتابة بصفايح الذهب والرخام الابنوسي والكافوري والمجزع ما يذهل الافكار ويستوقف الابصار ويفضل عما احاط به السور ارض طويلة في بعضها حاضر حظر به على اصناف الوحوش التي يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج يتقطع فيها مياه النيل فينظر فيها احسن منظر وقد تفرجت كثيرا في طرف هذه الجزيرة مما يلي بر القاهرة فقطعت بها عشيات مذهبات واذا زاد النيل فصل ما بينها وبين الفسطاط بالكلية وفي ايام احتراق النيل يتصل برها ببر السلطان من جهة خليج القاهرة ويبقى موضع الجسر تكون فيه المراكب وركبت مرة في هذا النيل ايام الزيادة مع الصاحب المحسن محيي الدين بن ندا وزير الجزيرة وصعدنا الى جهة الصعيد ثم انحدرنا واستقبلنا هذه الجزيرة وابراجها تتلالا والنيل قد انقسم عنها فقلت ☙

تامل لحسن الصالحية اذ بدت ☙ مناظرها وابراجها مثل النجوم تلالا ☙
وللقلعة الغراء كالبدر طالعا ☙ يفرج صدر الماء عنه هلالا ☙
ووافى اليها الماء بعد نهاية ☙ كما زار مشغوف يروم وصالا ☙
وعانقها من فرط شوق لحسنها ☙ فمد يمينا نحوها وشمالا ☙

ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت دولة بني ايوب فلما ملك السلطان الملك المعز عز الدين ايبك التركماني اول ملوك الترك بمصر امر بهدمها وعمر منها مدرسته المعروفة بالمعزية في رحبة الحنا بمدينة مصر وطمع في القلعة من له جاه فاخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك كثيرة وغير ذلك وبيع من اخشابها ورخامها

اشياء جليلة فلما صارت مملكة مصر الى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس
البندقداري اهتم بعمارة قلعة الروضة ورسم للامير جمال الدين يوسف بن يغمور
ان يتولى اعادتها كما كانت فاصلح بعض ما تهدم منها ورتب بها الخزان واعادها
الى ما كانت عليه من الحرمة وامر بابراجها ففرقت على الامراء واعطى برج الزاوية
للامير سيف الدين قلاوون الالفي والبرج الذي يليه للامير عز الدين الحلي والبرج
الثالث من برج الزاوية الغربي للامير بدر الدين الشمسي وفرقت بقية الابراج
على سائر الامراء ورسم ان يكون بنوباتهم جميع الامراء واصطبلاتهم فيها وسلم
المفاتيح لهم فلما تسلطن الملك المنصور قلاوون شرع في بناء المارستان
والقبة والمدرسة المنصورية فعمل من قلعة الروضة هذه ما يحتاج اليه من
العمد الصوان والعمد الرخام التي كانت قبل عمارة القلعة واخذ منها رخاما
كثيرا واعتابا جليلة مما كان في البرابي وغير ذلك ثم اخذ منها السلطان
الناصر محمد بن قلاوون ما احتاج اليه من العمد الصوان في بناء الايوان المعروف
بدار العدل من قلعة الجبل وبالجامع الجديد الناصري ظاهر مدينة مصر واخذ
غير ذلك حتى ذهبت كان لم تكن قال المقريزي وتاخر منها عقد جليل
تسميه العامة القوس كان مما يلي جانبها الغربي ادركناه باقيا الى سنة
عشرين وثمانمائة وبقي من ابراجها عدة قد انفلت كثير منها وبنى الناس
فوقها دورهم المطلة على النيل وعادت الروضة بعد هدم القلعة منها
منتزها تشتمل على دور كثيرة وبساتين عدة وجامع تقام فيه الجمعات والاعياد
ومساجد ؛ وفي الروضة يقول الاسعد بن مماتي ؛

جزيرة مصر لا عدتك مسرة ؛ ولا زالت اللذات فيك اتصالها ؛
فكم فيك من شمس على غصن بانة ؛ تميت وتحيي هجرها ووصالها ؛
مغانيك فوق النيل اضحت هوادجا ؛ ومختلفات الموج فيها جمالها ؛
ومن عجب الاشياء انك جنة ؛ ترف على اهل الضلال ظلالها ؛

وقال الظافر الحداد

انظر الى الروضة الغناء والنيل ؛ واسمع بدايع تشبيهي وتمثيلي ؛

وانظر

وانظر الى البحر مجموعا ومفترقا ؛ هناك اشبه شيء بالسراويل ؛
والريح تطويه احيانا وتنشره ؛ نسيمها بين تعويج وتعديل ؛

الاسعد بن مماتي في الروضة وقد حلها السلطان الملك الكامل ؛

جزيرة مصر انت اشرف موضع ؛ على الارض لما حل فيك محمد
ففيك البحر لكن كيف ذا ؛ على الناس اندى بالعطاء واجود
واصبحت الاغصان من فرح به ؛ تمايل والاطيار فيك تغرد
يروق نسيم حين جاء وجد ولي ؛ وتنشد وهزار حين ترقص املد

ذكر خليج مصر

قال المقريزي هذا الخليج بظاهر فسطاط مصر ويمر من غربي القاهرة وهو
خليج قديم احتفره بعض قدماء ملوك مصر بسبب هاجر ام اسماعيل عليه الصلاة
والسلام حين اسكنها ابراهيم عليه الصلاة والسلام بمكة ثم عادت الدهور
والاعوام فجدد حفره ثانيا بعض من ملك مصر من ملوك الروم بعد الاسكندر فلما
فتحت مصر على يد عمرو بن العاص جدد حفره باشارة امير المومنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في عام الرمادة وكان يصب في بحر القلزم كما تقدم في اول الكتاب
ولم يزل على ذلك الى ان قام محمد بن عبد الله بن حسن بن علي بن ابي طالب بالمد
ينة فكتب الخليفة المنصور الى عامله بمصر ان يطم هذا الخليج حتى لا تحمل
الميرة من مصر الى المدينة فطم وانقطع من حينئذ اتصاله ببحر القلزم وصار على
ما هو عليه الان وكان هذا الخليج يقال له اولا خليج امير المومنين يعني عمر بن
الخطاب لانه الذي اشار بتجديد حفره ثم صار يقال له خليج مصر فلما بنيت
القاهرة بجانبه من شرقيه صار يعرف بخليج القاهرة والان تسميه العامة بالخليج
الحاكمي وتزعم ان الحاكم احتفره وليس بصحيح وكان اسم الذي حفره في زمن
ابراهيم طوطونس وهو الجبار الذي اراد اخذ سارة وجرى له معها ما جرى
ووهب لها هاجر فلما اسكنت هاجر مكة وجهت اليه تعرفه انها بمكان
جدب فامر بحفر نهر في شرقي مصر بسفح الجبل حتى ينتهي الى مرفى في
السفن في البحر الملح وكان يحمل لها الحنطة واصناف الغلات فتنقل الى جدة

وتحمل من هناك الى المطايا فاخبى بلد الحجاز منه وكان اسم الذي حفره ثانيا امير
ادرمان قيصر وكان عبد العزيز بن مروان بنى عليه قنطرة في سنة ٦٩ وكتب
اسمه عليها ثم جددها تكين امير مصر في سنة ثلاث عشرة وثلاثماية ثم
جددها الاخشيد في سنة احدى وثلاثين وثلاثماية ثم عمرت في ايام العزيز
وكان موضع هذه القنطرة خلف خط السبع سقايات وهي التي كانت تفتح
عند وفاء النيل في زمن الخلفاء وكان الخليفة يركب لفتح الخليج فلما انحسر
النيل عن ساحل مصر قرب الجرف اهملت هذه القنطرة فدثرت وعملت قنطرة
السد عند فم خور النيل وكان الذي انشاها الملك الصالح ايوب في سنة سبع
واربعين وستماية قال ابن عبد الظاهر واول من رتب حفر خليج القاهرة
على الناس المامون ابن البطايحي وجعل عليه واليا بمفرده ولابي الحسن بن
الساعاتي في يوم كسر الخليج

ان يوم الخليج يوم من الحسن … بديع المرئي والمسموع
كم لديه من ليث غاب صؤول … ومهاة مثل الغزال المروع
وعلى السد عزة قبل ان تملكه … ذلة المحب الخضوع
كسروا جسره هناك فحاكى … كسر قلب يتلوه فيض الدموع

ذكر الخليج الناصري

حفره الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعماية لما
على الخانقاه وسرياقوس واراد اجراء الماء من النيل اليها ليرتب عليه السوا
في والزراعات وفوض امره الى ارغون النايب فحفر في مدة شهرين من اول
جمادى الاول الى سلخ جمادى الاخرة وبنى فخر الدين ناظر الجيش عليه قنطرة
الفخر وبنى قديدار والي القاهرة قنطرة قديدار وقناطر الاوز وقناطر
الاميرية

ذكر ارض الطبالة

علم الدين ايدمر التركي

ارض طبالة مستنزه عجب … بالنيل ملتف الحلى العين بهجته
كانما الخلق فيها يوم جمعتها … جمع القيامة قد صحت حسنته

لله

لله حور وولدان تطوف بها … من كل من تذهل الالباب فتنته
وبركة الماء منها ان منظرها … والعشب يبدو وباعلا الماء خضرته
كان نور شعاع الشمس بادية … عند الاصيل بصفو الماء سترته
سيف يلوح على المرآة مصلتا … من خالص الذهب الابريز حليته

ذكر بركة الحبش

قال ابن المتوج هذه البركة مشهورة في مكانها وقد اتصل ثبوت وقفها على
قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة على انها وقف على الاشراف الاقارب والطالبيين
نصفين بينهما بالسوية النصف على الاقارب والنصف على الطالبيين وثبت قبله
عند قاضي القضاة بدر الدين يوسف السنجاري ان النصف منها وقف على الاشراف
الاقارب بالاستفاضة بتاريخ ثاني عشر ربيع الاخر سنة اربعين وستماية
وثبت عند قاضي القضاة عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام بالاستفاضة ايضا
انها وقف على الاشراف والطالبيين بتاريخ التاسع والعشرين من ربيع الاخر سنة
اربعين وستماية وفي سنة احدى واربعين وسبعماية امر الناصر بن قلاوون
بحفر خليج من النيل الى حائط الرصد ببركة الحبش وحفر عشرة ابار كل بير
اربعون ذراعا وركب عليها السواقي ليجري الماء منها الى القناطر التي تحمل الماء
الى القلعة فشق الخليج من مجرى رباط الاثار وكان مهما عظيما وامر الناصر
في هذه السنة بتجديد جامع راشدة وكان قد تهدم غالبه ظافر الحداد
في بركة الحبش

تاملت نهر النيل طولا وخلفه … من البركة الغناء شكل مقدر
فكان وقد لاحت بشطيه خضرة … وكانت وفيها الماء باد موفر
عمامة شرب في حواشيه خضرة … اضيف اليها الطيلسان مقور

ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسي

لله يوم ببركة الحبش … والافق بين الضياء والغبش
ونحن في روضة مفوفة … ادبج بالنور عطفها ووشي
قد نسجتها يد الغمام لنا … فنحن من نسجها على فرش

ذكر ما قيل في الانهار والاشجار

وصف الشتاء والربيع من الاشعار

شمس الدين بن التلمساني

ولما جلا فصل الربيع محاسنا * وصفو ماء البحر اذ غرد القمري
اتاه النسيم الرطب رقة روحه * ينقط وجه الماء بالذهب المصري

وقال تعجب في ذري الاوراق ورق * بغني الافنان من طرب بشوق
وكم بسمت زهور الزهر عجبا * وبالاكمام كم رقصت غصون

ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن بخنون المخزومي يصف نارنجة في نهر

ولقد رميت مع العشي بنظرة * في منظر عن البشاشة يبهج
نهر صقيل كالحسام بشطه * روض لنا نفحاته تتارج
يثني معاطفه الصبا في برده * موشية بيد الغمامة ينسج
والماء فوق صفايه نارنجة * تطفو به وعبابه يتموج
حمراء باسمة الاديم كانها * وسط المجرة كوكب تتاجج

القاضي عياض

كانما الزرع وخاماته * وقد تبدت فيه ايدي الرياح
كتائب تجفل مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

كتب القاضي شهاب الدين بن فضل الله الى الامير الجائي الدوادار

بلذات ساكن في رباها * بلد تحسد الثريا ثراها
قد تعالت الى السماء فسكناك * بالفتح على البطاح رواها
حمد الطل في الزهر فقلنا * انه عقد جوهر لرباها
وجرى الماء في الرياض فقلنا * كسرت فوقه الغواني حلاها
مثل ما انت في معانيك فرد * هي فرد البلاد في معناها

يقبل الارض وينهي انه لما عبر على هذه الربى المعشبة والغدران التي كانها صفائح فضة مذهبة ثم مر على قرية تعرف بوسيم تفتر من شنب زهرها عن ثغر بسيم استحسن مراها ونظم في معناها ما يعرضه على الخاطر الكريم ليوقف المملوك بتوقيف عليم او يتجاوز عن تقصيره تجاوز حليم لمن يقبل باهر لعيشها الرغد الني

في كل سبج يلتقي ماء الحياة والخضر وكذلك ما في مصر في زمان ربيعها الصفاء ماء واعتلال نسيم افسمت ما تحوي البلاد نظيرها لما نظرت الى جمال وسيم وقال

ما بين اكناف البطاح * مسك يدور على الرياح
من حيث يلقى الروض في * ازهاره ريان صاح
والروح في السحر البهيم * يطير مسكي الجناح
بشرى تعشق الغصون * بها على عين الصباح
والنيل في تياره * المنصب مهتز الصفاح
ويد السحائب كالجبال * تجول امثال الفماح
فوكبت من صهواتها * دهماء ساكنة الجناح
حراقة تجري على اسم * الله في الماء القراح
والافق مثل حديقة * خضراء مزهرة النواح
تحكي النجوم بنبتها * نور تدفق في اقاح
وافتادت الجور الليل * الترميم الى الرواح
فكانه زنجية * جذبت باطراف الوشاح
وبدا الصباح كموجة * الجاني المهلل لاقتداح
وحديقة غنى الرباب * لها بتوقيع السحاب
فتمايلت حتى لقد * رقصت على صوت الرباب

قال رحمه الله تعالى في نيل مصر

مواكب تجري بدور المواكب فكم * بها فلك في جواه يسري الكواكب

ابن عبد الظاهر وقد به اشياء ليست في سواه تولت فمن الهواء وتها ون ومن القضيب تقضب ومن النسيم تلطف ومن الغدير تعطف نور الدين بن علي ابن سعيد الغماري الاندلسي

كانما النهر صفحة كتبت * اسطرها والنسيم منشيها
لما ابانت عن حسن منظرها * مالت عليه الغصون تقروها

الصلاح الصفدي قال خلي صف ارض مصر * وقت كتانها بوصف محقق

فلت ارض بالنيل يروي ثراها ... فلهذا الكتان نور ازرق

ابن الواسطي كأنما السفن بأرجائها ... وهي على الماء جاريات

عقارب في وسع اذنابها ... تسري على ابطن حيات

ابن الساعاتي ولقد ركبت البحر وهو كحلية ... والموج تحسبه جباه تركض

وكأنما سلت به امواجه ... بيضاء تذهب تارة وتنهض

كم نمنم اغرابه حياته ... الا النسيم يهب ساعة يرقض

مجير الدين بن تميم

يا حسنه من جدول فتنت به ... يلهي برونق حسنه من ابصرا

ما زلت انذر عيوننا حوله ... خوفا عليه ان يصاب فيعثرا

يا بي وراء تمايلي جوريه ... حتى هوى من شاهق فتكسرا

وقال وحديقة مالت معاطف دوحها ... من غير سكر والنهر ساع قد غدا

بسعاية الاغصان يحتوي

وقال لم لا اهيم الى الرياض وحسنها ... واظل منها تحت ظل ضاف

والزهر (والروض) حياني بثغر باسم ... والماء يلقاني بقلب صاف

وقال ونهر حالف الاهواء حتى ... غدت طوعا له في كل امر

اذا شرفت على الاغصان الفت ... اليه بها فيا خدها وتجري

وقال تامل الى الدولاب والنهر اذ جرى ... ودمعهما بين الرياض غدير

كأن نسيم الروض قد ضاع منهما ... فاصبح ذا يجري وذاك يدور

ناصر الدين بن النقيب وروضة قد سوسن الغصن بها ... لما غدا فيها نسيم الشمال

قد جن في ارجائها جدولا ... فهو على وجه الثرى سلسل

١٠ اخر وحديقة باكرتها مطلولة ... والشمس ترشف ريق ازهار الربى

ينعكس الماء الزلال على الحصى ... واذا انتهى نحو الرياض تشعبا

١٠ اخر مياه بوجه الروض تجري كأنها ... صفائح تبر قد سبكن جداولا

كأن بها من شدة الجري جنة ... وقد البستهن الرياح سلاسلا

ابن مرفول كأنما النهر اذ مر النسيم به ... والغيم يهمي وضوء البرق جزيدا

واشرق الهام ولمع البرق يوم وغى ... خاف الغدير سطاها فاكتسى زردا

اخر يا حسن وجه النهر حين بدا ... والسحب تهطل فوقه هطلا

فكأنه درع وقد ملأت ... ايدي الكماة عيونه نبلا

في روضة فرق النهار نجومها ... لسماء كابر ادهن توقدا

والنجم فوق غديرها اذ يرى الصبا ... سمرا فاضحت الصفيحة مبردا

تاج الدين مظفر الذهبي

وجدول خط بينه ... سطور كتب الفصول

بدا عليه ارتعاش ... كذاك خط العليل

الشهاب محمود والسرو مثل عرايس ... لفت عليهن الملا

شمرن فضل الازر عن ... سوق خلاخلهن ما

والنهر كالمرآة تبصر ... وجهها فيه السما

قاضي القضاة نجم الدين بن العديم

كأنما الروض وقد حفت به ... اشجاره بصاحبته الاعين

مرآة عيد قد وقفن حولها ... ينظرن فيهن ايهن احسن

١٠ اخر شجرات الخريف تكثر منه ... غير سؤال الى الرياح نشاطا

تتعرى من لبسها وهو ستر ... ثم تلقيه للنديم بساطا

انظر الى الروض النضير فحسنه ... للعين فرجة وكان خضرته السما

ونهره فيه المجرة

ابن وكيع

غدير يجعد امواهه ... هبوب الرياح ومر الصبا

اذا الشمس من فوقه اشرقت ... توهمته جوشنا مذهبا

سيف الدين علي بن قزل

في يوم غيم من لغاته جيوده ... غنى الحمام وطابت الانداء

والروض بين تكبر وتواضع ... سمح القضيب به ونحر الماء

١٠ اخر يا حسنها من روضة ضاع نشرها ... فنادت عليه في الرياض طيور

ودولابها الحنى تعد ضلوعه ... لكثرة ما يبكي بها ويدور

سعد الدين بن عربي

شاهدت دولابا له أدمع ٭ تكلفها للروض بالري
يا عجبا له من فلك دائر ٭ ما فيه برج غير مائي

آخر
وناعورة قد فارقت ٭ أنا غير من جنسها ٭ تدور على قلبها ٭ وتبكي على نفسها

وجيه الدين المناوي

جوارة تحسب من حسنها ٭ سبيكة من فضة خالصة
تلهيك بالحسن وقد أصبحت ٭ جارية ساهية راقصة

الصلاح الصفدي

النهر مولى والنسيم حوليه ٭ هذا كلام لست فيه أشكك

وقال
لولم يكن في خدمة النهر انبرى ٭ ما كان يصقل ثوبه ويحرك
لما زها زهر الربيع بروضة ٭ وغدا له الفضل المبين عليه
قام الحمام له خطيبا بالثنا ٭ وجرى الغدير مخلقا بين يديه

مجير الدين بن تميم

تكسر الماء لما أن جرى وغدا ٭ الدولاب يندبه شجوا ويبكيه
وأصبح الغصن بالأوراق ملتطما ٭ والورق فوق كراسي الدوح ترثيه

وقال
والنهر قد علق الغصون بجيبه ٭ أضحت تطيل صدوده وجفاءه
فتراه يجري لاثما أقدامه ٭ وحوت شكوى الذي يلقاه

وقال
بعث الربيع رسالة بقدومه ٭ للروض فهو بفوره ريحان
ولطيب ما قرأ الهزار لشدوه ٭ مضمونها مالت له الأغصان

شمس الدين بن التلمساني

كأنما البرق خلال السما ٭ من فوق غيم ليس بالكاذب

وقال
طراز تبر في قباء أزرق ٭ من تحته فروة سنجاب
فصل الشتا منع الثاني الطرف ٭ لما كسي الألوان وهي عوار
لم يلبس الغيم السما مطارفا ٭ حتى كسي الزرقاء بيض إزار

مجير الدين بن تميم

ودولاب

ودولاب روض كان من قبل أغصن ٭ تميس فلما فرقتها يد الدهر
تذكر عهدا بالرياض وكله ٭ عيون على أيام عصر الصبا تجري

آخر
وناعورة قد ضاعفت بنواحها ٭ نواحي وأجرت مقلتي دموعها
وقد ضعفت مما تئن وقد غدت ٭ من الضعف والشكوى تعد ضلوعها

نور الدين علي بن سعيد الأندلسي

لله دولاب يفيض بسلسل ٭ في روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحت فيه الحمائم شجوها ٭ فيجيبها ويرجع الألحانا
فكأنه دنف يطوف بمعهد ٭ يبكي ويسأل فيه عمن بانا
ضاقت مجاري طرفه عن دمعه ٭ فتفتحت أضلاعه أجفانا

ابن منير الطرابلسي

هي مثل الأفلاك شكلا وفعلا ٭ قسمت قسم جاهل بالحقوق
بين على الأنام بنكسه الحظ ٭ ويعلو بسافل مرزوق

آخر
النهر مكسو غلالة فضة ٭ فإذا جرى سيل فثوب نضار
وإذا استقام رأيت صفحة منصل ٭ وإذا استدار رأيت عطف سوار

إبراهيم بن خفاجة الأندلسي

النهر قد رقت غلالة خصره ٭ وعليه من صبغ الأصيل طراز
تترقرق الأمواج فيه كأنها ٭ عكن الخصور تهزها الأعجاز

بعضهم
إن هذا الربيع شيء عجيب ٭ تضحك الأرض من بكاء السماء
ذهب حيثما ذهبنا ودر ٭ حيث درنا وفضة في الفضاء

ابن قلاقس
كأنما الرعد والسحاب وقد ٭ حل هتونا والبرق قد لاحا
ثلاثة من عداهم نجروا ٭ وقد غدا نحوهم وقد راحا
فسل هذا سيفا له وبكى ٭ هذا وهذا من خيفة صاحا

ذكر الرياحين والأزهار الموجودة في البلاد المصرية وما ورد فيها من الآثار النبوية والأشعار الأدبية

ما ورد في الفاغية وهي نور الحنا أخرج البيهقي في شعب الإيمان

عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الرياحين في الدنيا والآخرة الفاغية وأخرج البيهقي عن أنس قال كان أحب الرياحين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاغية

ما ورد في الورد

وورد فيه أحاديث كلها موضوعة منها حديث علي مرفوعا لما أسري بي إلى السماء سقط إلى الأرض من عرقي فنبت منه الورد فمن أحب أن يشم رائحتي فليشم الورد أخرجه ابن عدي في كامله وحديث أنس مرفوعا الورد الأبيض خلق من عرقي ليلة المعراج وخلق الورد الأحمر من عرق جبريل وخلق الورد الأصفر من عرق البراق أخرجه أبو فارس في كتاب الريحان والحديثان أوردهما ابن الجوزي في كتاب الموضوعات ونص على وضع الثاني أيضا الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر قال صاحب مباهج الفكر كان الخليفة المتوكل قد حمى الورد ومنعه من الناس كما حمى النعمان ابن المنذر الشقيق واستبد به وقال لا يصلح للعامة فكان لا يرى إلا في مجلسه وكان يقول أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا أولى بصاحبه وإلى هذا أشار ابن سكرة بقوله

للورد عندي محل ... لأنه لا يمل
كل الرياحين جند ... وهو الأمير الأجل
إن جاء عزوا وتاهوا ... حتى إذا غاب ذلوا

قال ابن البيطار في مفرداته الورد أصناف أحمر وأصفر وأبيض وأسود زاد غيره وأزرق وحكى صاحب نشوار المحاضرة أنه رأى وردا أسود حالك السواد له رائحة ذكية وأنه رأى بالبصرة وردة نصفها أحمر ونصفها الآخر أبيض ناصع البياض والورقة التي قد وقع الخط فيها كأنها مقسومة بقلم وقال صاحب مباهج الفكر رأينا بثغر الإسكندرية الورد الأصفر كثيرا وعدة ورق وردة فكانت ألف ورقة قال وحكى لي بعض الأصحاب أنه رأى بدمشق وردة لها وجهان أحدهما أحمر والآخر أبيض لا يشوب أحدهما شيء من الآخر قال وحكى أخي أنه رأى بحلب وردة لها وجهان أحدهما أحمر والآخر أصفر قال وحكى بعض الأصحاب أنه رأى إنسانا يجري إلى شجر الورد ماء مخلوطا بالنيل فسألته فقال

إن الورد يكون أزرق بهذا العمل قال صاحب المباهج والظاهر من الورد الأسود أنه احتيل عليه كذلك وقال الحافظ الذهبي في الميزان روى قريش بن أنس عن كليب ابن وائل لا يعرف أنه رأى بالهند وردا أبيض الورد مكتوب محمد رسول الله وروى ابن العديم في تاريخه بسنده إلى علي بن عبد الله الهاشمي الرقي قال دخلت الهند فرأيت في بعض قراها وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط أبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك وقلت إنه معمول فعمدت إلى وردة لم تفتح ففتحتها فكان فيها مثل ذلك وفي البلد منه شيء كثير وأهل تلك البلدة يعبدون الحجارة لا يعرفون الله عز وجل ويقال ورد جور وبنفسج جرجان ونيلوفر شروان ومنثور بغداد وزعفران قم وشاهسفرم سمرقند وقال أبو العلاء صاعد الأندلسي في ماكورة ورد

وددتك يا سيدي وردة ... يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر ... فغطت بأكمامها رأسها

أبو عبادة البحتري

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ... من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النوروز في غلس الدجى ... أوائل ورد كن بالأمس نوما

محمد بن عبد الله بن طاهر

أما ترى شجرات الورد قد ظهرت ... لنا بدائع قد ركبن في قضب
كأنهن يواقيت يطوف بها ... زبرجد وسطه شذر من الذهب

فقيل إنه نظم في هذين البيتين قول أزدشير بن بابك وقد وصف الورد هو در أبيض وياقوت أحمر على كراسي زبرجد أخضر يوسطه شذر من ذهب أصفر

الناشي

قضب الزبرجد قد حملن عقائقا ... أثمارهن فراضة العقيان
وكأنه مع القطر في أهدابه ... دمع مرته بوادر الأجفان

محمد بن عبد الله بن طاهر

مداهن من يواقيت مركبة ... على الزبرجد في أجوافها ذهب
كأنه حين يبدو من مطالعه ... صب يقبل حبا وهو يرتقب

خاف الملال اذا طالت اقامته * فظل يظهر احيانا ويحتجب

أبو طالب الرقي

ووردة من نبات معطار * جئت بها في لطيف اسوار
كانها وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

العماد الاصبهاني

قلت للورد ما لشوكك يدمي * كلما قد امسه جوارحي
قال لي هذه الرياحين جندي * انا سلطانها وشوكي سلاحي

في الورد الاصفر لبعضهم

رعى الله وردا غدا اصفرا * بهيا نضيرا يحاكي النضارا
وسقى غصونا بدا اثمرت * وحملت منه شموسا صغارا

المجير الطغراي

شجرات ورد اصفر تحدث * في قلب كل متيم طربا
سبكت يد الصنع اللجين بها * وكسته صبغا من نقا عجبا
اخر من ذا راى من قبله عجبا * مصموم من مطارد وخضر
اتى مستلئما بالشوك فيه * نصال زمرد وبراس تبر

في الورد الازرق من وصف بستان لبعضهم وبه وارد من الورد قد اينع في رقة الهواء اللطيف شبهوه بدمعة العاشق الآلف. تالله جيوة من الأليف. فهو يحكيه زرقة ومثالا. كالعرق في خد ظبي تريف. ورقا زرق كزرق يواقيت يطلعن من لجين مشرف

السري الرفاء

وروض كساه الغيث اذ جاد ديمة * مجاسد وشي من بهار ومنثور
بدا ابيض الورد الجني كانما * تبسم للناشي بمسك وكافور
كأن اصابعا منه تحت ابيضاضه * برادة تبر في مداهن بلور

في الورد الاسود لابي احمد الطرازي

لله اسود ورد ظل يلحظنا * من الرياض باحداق المها بيض
كانها وجنات الزنج نقطها * كف الامام بانصاف الدنانير

اخر

اخر وورد اسود خلناه لما * تنشق نشوة ملك الزمان
مداهن عنبر خضر وفيها * بقايا من سحيق الزعفران

علي بن الرومي يهجو الورد

يا مادح الورد لا ينفك من غلطه * الست تنظره في كف ملتقطه
كانه سرم بغل حين يبرزه * عند البراز وباقي الروث في وسطه

قال ابن المعتز يرد عليه

يا هاجي الورد لا حييت من رجل * غلطت والمرء قد يؤتى على غلطه
هل تنبت الارض شيئا من ازاهرها * اذا تجلت تجلي الوشي من نمطه
احلى واشهى من ورد لشارب * كانما المسك مذرور على وسطه

علي بن الرومي في تفضيل النرجس على الورد

اتقاس الاعين النجل * باسوام البغال

ابو هلال العسكري يرد عليه

افضل الورد على النرجس * لا اجعل الانجم كالشمس
ليس الذي يقعد في مجلس * مثل الذي يمثل في مجلس

علي بن سعيد المورخ

من فضل النرجس فهو الذي * يرضى بحكم الورد اذ يواس
اما ترى الورد غدا قاعدا * وقام في خدمته النرجس

والناس يشبهون عدم دوام الورد بقلة بقاء الورد ولهذا كتب ابو دلف الى عبد الله بن طاهر يعاتبه

ارى حبكم كالورد ليس بدايم * ولا خير فيمن لا يدوم له عهد
وودي لكم كالآس حسنا ونضرة * له زهرة تبقى اذا فني الورد

فاجابه عبد الله بن طاهر

وشبهتنا بالورد وهو شبيه به * وهل زهرة الا وسيدها الورد
وودك كالآس المديد مذاقه * وليس له في الطيب قبل ولا بعد

واعتذر لذلك الحسن عن قلة لبث الورد فقال

للورد حسن وإشراق إذا نظرت ... إليه عين محب هاجه الطرب
خاف الملال إذا دامت إقامته ... فصار يظهر حينا ثم يحتجب

ما ورد في النرجس

روي فيه حديث موضوع أيضا أخرجه الديلمي في مسند الفردوس وابن الجوزي في الموضوعات بسند مسلسل بالقضاة عن علي مرفوعا شموا النرجس ولو في اليوم مرة ولو في الشهر مرة ولو في السنة مرة ولو في الدهر مرة فإن في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلا شم النرجس قال بقراط كل شيء يغذي الجسم والنرجس يغذي العقل وقال جالينوس من كان رغيفان فليجعل نصفه في النرجس فإنه راعي الدماغ والدماغ راعي العقل وقال الحسن بن سهل من شم النرجس في الشتاء أمن البرسام في الصيف وقال بعض الأدباء النرجس نزهة الطرف والطرف وعلل الروح ومادة الروح وكان كسرى أنوشروان مغرقا بالنرجس ويقول هو ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرد أخضر وقال الأنباري لا نستحي أن نضع في مجلس فيه النرجس لأنه أشبه شيء بالعيون الناظرة وقال الشاعر

فإذا فضيت لنا بعين مراقب ... في الحب فلتك من عيون النرجس

أبو نواس

لدى نرجس غض القطاف كأنه ... إذا ما منحناه العيون عيون
مخالفة في شكلهن فصفرة ... مكان سواد والبياض جفون

ابن المعتز

كأن عيون النرجس الغض حولنا ... مداهن تبر حشوهن عقيق
إذا بلهن القطر خلت دموعها ... بكاء جفون كحلهن خلوق

كشاجم

كأنما نرجسنا ... وقد شدا من كثب
أنامل من فضة ... تحمل كاسا من ذهب

الصنوبري

أضعف قلبي النرجس المضعف ... ولا عجب أن صبا مولف
كأنه بين رياحيننا ... أعشار أيدي ضمها مصحف

ابن وكيع

ابن وكيع

ونرجس السحايق الوصي ينعق ... كأنما صفرته على بياض يقف
أعشار جزء ذهبت ... في ورق من ورق

أبو بكر بن حازم

ونرجس ككؤوس التبر لايحة ... من الزبرجد قد قامت بها ساق
كأنهن عيون هن هاورق ... لهن ما خالف العقيان أحداق
وأحسن ما في الوجود العيون ... وأشبه شيء بها النرجس
تطل تلاحظ وجه النديم ... فودا وجيد أفيستانس

الصنوبري

وعندنا نرجس أنيق ... يحيي بأنفاسه النفوس
كأن أجفانه بدور ... كأن أحداقه

وقال

أرأيت أحسن من عيون النرجس ... أو من تلاحظهن وسط المجلس
در تشقق من نواحيه على ... قضب الزبرجد فوق بسط السندس

ابن الرومي

ونرجس كالثغور مبتسم ... لقد دموع المحزن الشاكي
أبكاه قطر الندى وأضحكه ... فهو مع القطر ضاحك باكي
انظر إلى نرجس في روضة أنق ... غناء قد جمعت شيء من الزهر
كأن ياقوتة صفراء قد طبعت ... في غصنها حولها ست من الدرر

آخر

أبصرت باقة نرجس ... في كف من أهواه غضه
وكأنها قضب الزبرجد ... جمعت ذهبا وفضه

ومن رسالة لضياء الدين بن الأثير يصف متنزها جاء فيه وصف النرجس في حافتي نرجس ويقول هذا صاحب القد المائس والذي عينه عين متيقظ ومجيده جيد ناعس وهو بكر الربيع والبكر أكرم الأولاد على الوالد وقد جعل ذا عين اثنين إذ لم يلد غيره أن لا يكون واحد

ما ورد في البنفسج

وفيه أحاديث ذكرها ابن الجوزي في الموضوعات منها حديث أبي سعيد مرفوعا فضل هذا البنفسج على سائر الأدهان كفضلي على سائر الخلق بارد في الصيف

حار في الشتاء اخرجه ابن حبان في تاريخ الضعفا والحاكم في تاريخ نيسابور والديلمي في مسند الفردوس وروي ايضا بهذا اللفظ من حديث ابي هريرة وانس اخرجهما الخطيب البغدادي ومن حديث علي اخرجه ابن الجوزي وقال في الاربعة انها موضوعة واخرج ابو نعيم في الحلية من حديث الحسين بن علي مرفوعا فضل دهن البنفسج على ساير الادهان كفضل ولد عبد المطلب على ساير قريش وفضل البنفسج كفضل الاسلام على ساير الاديان قال ابو نعيم هذا حديث غريب من جعفر بن محمد لم نكتبه الا بهذا الاسناد عن هذا الشيخ افادناه الدارقطني واخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ايضا قال ابن وحشية البنفسج نوعان جبلي وبستاني والجبلي دقيق الورق ازرق اللون والبستاني عريض الورق حايل اللون ويوجد فيه الابيض على لون الشمع ولا يوجد الا بمصر ويسمى الكوفي ومن عجيب امره ان الانسان اذا تغوط في مجاري الماء اليه مات وذبل وكذا ان خرج منه وجعل في مزرعته وانه اذا دام عليه الضباب يوما او نحوه يضعف ومتى توالى نقصت زهرته وصغر ورقه وتغيرت رايحته ومن الاشياء المضادة له القصب فانه لا يكاد يصلح بقربه ولا ينمو وان وقعت صاعقة على اربعماية منه فان هلك سريعا ويضره ايضا البرد والرعد الشديد المتتابع والسموم وريح الشمال الباردة والمطر الكثير واما الابار والدخان وتراب المقبرة من رسالة ابي العلا عطاء بن يعقوب الخوارزمي بنفسجة سماوية اللباس ° مسكية الانفاس ° واضعة راسها على ركبتها كعاشق مهجور ° تنطوي على قلب مسجور ° كشفا يا النفس في بنان الكاعب ° والنقش في اصابع الكاتب ° او الكحل في الالحاظ الملاح ° المراض الصحاح ° الفاترات الفاتنات المحسنات القاتلات لازوردية الورق بزرقتها على زرق اليواقيت ° كاوايل النار في اطراف كبريت او اثر القرص في خدود البزاري وعذار من خلعت فيه العذار ابو القاسم بن هذيل الاندلسي

بنفسج جمعت اوراقه فحكت ° كحلا تشرب دمعا يوم تشتيت
او لازورد به اربت بزرقتها ° وسط الرياض على زرق اليواقيت

كانه وضعاف القضب تحمله ° اوايل النار في اطراف كبريت

اخر
بنفسجي غدا كي الريح مخصوص ° ما في زمانك اذ وافاك تنغيص
كانما شعل الكبريت منطفى ° او خد اغيد بالتجميش مقروص

اخر
ما سر البنفسج في اغصانه فحكى ° زرق الفصوص على بيض القراطيس
كانه وهبوب الريح تعطفه ° بين الخمايل اعراف الطواويس

اخر في البنفسج الابيض

كان البنفسج فيما حكى ° اخلاف المونقه
يلوح فتحسب طاقاته ° فصوصا من الفضة المحرقه

الامير عبد الله البكالي

يا مهديا لي بنفسجا ارجا ° يرتاح صدري له وينشرح
بشرني عاجلا بصحته ° بان ضيق الامور ينفسح

نجم الدين بن تميم الحموي

عاينت ورد الروض يلطم خده ° ويقول وهو على البنفسج محنق
لا تقربوه وان تضوع نشره ° فيما سكم فهو العدو الازرق

اخر
بنفسج الروض نام مجتبا ° وقال طيبي بلحو ضح
ما قبل الزهر في احتفال ° والبان من غيظه فتح

ما قيل في النيلوفر

قال ابن التلميذ النيلوفر اسم فارسي معناه النيلي الاجنحة والنيلي الارياش و قال ابن وحشية الفرس تسميه نيلوفر والعرب لينوفر والهند نيلوفك والنبط نيلوفر قال ابن التلميذ ومن عجايبه انه يدور وجهه الى الشمس اذا طلعت فيزيد انفتاحه بزيادة علو الشمس فاذا اخذت في الهبوط ابتدا ينضم على ذلك الترتيب حتى ينضم انضماما كاملا عند الغروب ويبقى مضموما الليل كله فاذا طلعت اخذ في الانفتاح وهذا دابه ابدا قال وهو نبات قمري يزيد بزيادة القمر وينقص بنقصانه قال ابو بكر الزبيدي الاندلسي

وبركة نزهو بنيلوفر ° نسيمها يشبه ريح الحبيب

حتى اذا الليل ناو فتحه ۞ ومالت الشمس لوقت المغيب
اطبق جفنيه على جفنته ۞ وغاص في البركة خوف الرقيب
وبركة احيى بها ماؤها ۞ من زهرها كل نبات عجيب
كأن نيلوفرها عاشق ۞ نهاره يرقب وجه الحبيب
حتى اذا الليل بدا نجمه ۞ وانصرف المحبوب خوف الرقيب
اطبق جفنيه عسى في الكرى ۞ يبصر من فارقه عن قريب

اخر
يا حبذا بركة نيلوفر ۞ قد جمعت من كل فن عجيب
ازرق في احمر في ابيض ۞ كفوصة في صحن خد الحبيب
كأنه يعشق شمس الضحى ۞ فانظره في الصبح وعند المغيب
اذا تجلت يتجلى لها ۞ حتى اذا غاب سناها يغيب

اخر
انظر الى بركة نيلوفر ۞ محمرة الاوراق خضراء
كأنما ازهارها اخرجت ۞ السنة النار من الماء

اخر
ونيلوفر ما هبت الرياح ۞ وعانقه الماء صفوا ورفقا
بجا اوراقه في الغدير ۞ السنة النار حمرا وزرقا

اخر
صفر المراوح يضمها شرق ۞ ويفتح عند نشرها العطر
تحملها خيزرانة ذبلت ۞ ذبول صب اذابه الهجر
كأنها اذ رأيت السنة ۞ انطقها للمهيمن الشكر
خناجر من خناجر نزعت ۞ فهي على الماء من دم حمر

الصغراوي
ونيلوفر احداقه ابدا صحى ۞ كأن به سكرا وليس به سكر
اذا انفتحت اوراقه فكأنها ۞ وقد ظهرت الوانها البيض والصفر
انامل صباغ صبغن بنيلة ۞ وراحتها بيضاء في وسطها تبر

ابن الرومي
يرتاح للنيلوفر القلب الذي ۞ لا يستفيق من الغرام وجهده
والورد اضحى في الروائح عبده ۞ والنرجس المسكي خادم عبده
يا حسنه في بركة قد اصبحت ۞ محشوة مسكا يشاب بنده

مهجور

مهجور حبه كل يوم راسه ۞ كالمستجير يريد من صده
وكأنه اذ غاب عند مسائه ۞ في الماء فانحجبت نضارة قده
صب تهدده الحبيب بهجره ۞ فلما يعرف نصبه من وجده

الوجيه ابن الذروي يهجو النيلوفر
ونيلوفر ابدى لنا باطنه ۞ مع الظاهر المخضر حمرة عناب
يشبهه لما فصدنه هجاءه ۞ بكاسات حجام بها لوثة الدم

البشنين قال في مباهج الفكر واما النيل بمصر نبتت في اماكن منخفضة قد وقف فيها الماء وهو نبات يشبه النيلوفر وليست له رائحة ذكية فيسمى النشنين يتخذ منه دهن وهو نوعان نوع يسمى الجزيري يشبه الرمان ويسميه اهل مصر الخابجلان والاخر يسمونه العربي وله اصل يسمى البشارون

ما ورد في الآس

اخرج ابن السني وابو نعيم كلاهما في الطب النبوي عن ابن عباس قال اهبط آدم من الجنة بثلاثة اشياء بالآسة وهي سيدة ريحان الدنيا وبالسنبلة وهي سيدة طعام الدنيا وبالعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا و اخرج ابن ابي حاتم في تفسيره وابن السني عن ابن عباس قال اول شيء غرس نوح حين خرج من السفينة الآس و اخرج ابن السني عن عائشة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستاك بعود الآس وعود الرمان فانهما يحركان عرق الجذام و اخرج ابن السني عن الاوزاعي يرفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن التخلل بالآس وقال انه يسقي عرق الجذام و في مباهج الفكر اليونان تسمي الآس موسينا وتسميه العامة المرسين و قال ابن وحشية الآس سيد الرياحين ويعظم حتى انه يشجر ويثمر ثمرا فيه والحمر وهو ثلاثة انواع اخضر وهو المشهور واصفر وهو ما قد يسمى مزور فالاول وازرق الغرواني وهو ان يطلب في اصوله عند الزرع روث الفيل قال الاخيطل الاهوازي:

للآس فضل بقائه ووفائه ۞ ودوام منظره على الاوقات
قامت على اغصانه ورقاته ۞ كفصوص نبل حين مؤتلفات

ومشمومة مخضرة اللون غضة ؞ حوت منظرا للناظرين انيقا

ابن وكيع

اذا شمها المعشوق خلنا اخضرارها ؞ وجنة فيروزج او عقيقا

خليلي ما للآس يعبق نشره ؞ اذا هب انفاس الرياح العواطر

حكى لونه اصداغ ريم معذر ؞ وصورته آذان خيل بوافر

ما ورد في الريحان

وهو الحبق وروي فيه احاديث موضوعة منها حديث ابن عباس مرفوعا نعم الريحان ينبت تحت العرش وماء شفاء للعين اخرجه العقيلي وقال باطل لا اصل له وابن الجوزي في الموضوعات وورد نحوه من حديث انس اخرجه الخطيب البغدادي وقال موضوع وابن الجوزي ايضا و اخرج الخطيب في تالي التلخيص من حديث جابر مرفوعا المرزنجوش مزروع حول العرش قال فانه اكان في دار لم يدخلها الشيطان قال الخطيب باطل قال ابن الجوزي وروى بسند مجهول من حديث انس مرفوعا ان في الجنة بيتا سقفه من مرزنجوش قال في مباهج العبر العرب تطلق اسم الريحان على كل نبت له ريح طيبة والحبق انواع منه الريحان النبطي وهو عريض الورق ويسمى الباذروج وهو الحماحم المعروف عند الناس المتخذ في البساتين وحبق ترنجاني وله رائحة كرائحة الاترج ويسمى الباذرنجويه والباذرنجويه واسمه بالفارسية مرماحوز بالزاي المعجمة وهو دقيق الورق وحبق قرنفلي وله رائحة كرائحة القرنفل ويسمى الفرنجمشك بالفارسية وحبق صعتري وله رائحة كرائحة الصعتر وحبق كرماني ويسمى بالفارسية الشاهسفرم ومعناه ملك الرياحين والعرب تسميه الضيمران والضومران وهو دقيق الورق جيد ايكاد ان يكون من السواد وحبق العين وهو المرزنجوش والعرب تسميه العنبر ويقال انه النمام وريحان الكافور ويسمى بالفارسية سوسن شكله شكل المنثور زهره وورقه يوجد بازورائحة الكافور و قال السري الرفاء يصف حوض ريحان

وبساط ريحان كساه زبرجد ؞ عبثت به ايدي النسيم فارعدا

يشتاقه القوم الكرام فكلما ؞ مرض النسيم سعوا اليه عودا

[illegible] الحق مزروع حول عرش ربي

ابو الفضل الميكالي

اعددت محتفلا ليوم فراغي ؞ روضا غدا انسان عين الباغ

روض يروض هموم قلبي حسنه ؞ فيه ليوم اللهو ايّ مساغ

واذا انثنت قضبان ريحانه ؞ حنت تثنى سلاسل الاصداغ

ابو القاسم الصقلي

انا بالريحان مفتون ؞ ولا مثل الحماحم

فتامله تجد عذرا ؞ لصب القلب هائم

الطغرائي

غلمة الجنة خضر ؞ القمص في حمر العمائم

مواضع من الريحان تسقى ؞ سقوط الكالي او درّ العهاد

ملابسهنّ خضر مشبعات ؞ كشبّرين يهزلن السّواد

اذا ذرّت عليها المسك ريح ؞ وجاد بعيضهن بفي الغوادي

ابن المعتز

تخللها الرياح فسرحتها ؞ صنيع المشط في اللمم الجعاد

وحماحم كاسنّة ؞ في كل معترك قويم

والجن بزغت لتحرف ؞ كل شيطان رجيم

او مثل اعراف الدّيوك ؞ لدا مبارزة الخصوم

او كالشقيق تحرشت ؞ بفروعه ايدي النّسيم

او ياكل صبغت شبابا ؞ من دم الخد اللطيم

ابن وكيع

هذا الحماحم زهره ؞ فيه حياة النّفوس

كانّه حين يبدو ؞ براده الابنوس

آخر

اما ترى الريحان اهدى لنا ؞ حماحما منه يحيا نسا

تحسبه في ظله والندا ؞ زمردا يحمل مرجانا

ابن وكيع في الصعتر

ارق من ارجل النمل وادكى ؞ من نفحة الزعفران

كسطور كسين نقطا وشكلا ؞ من يد كاتب ظريف البنان

صاعد الاندلسي في الريحان الترنجي

لم أدر ما مثل رقيبان مررت به … إن الزمرد أغصان وأوراق

من طيبه سرق الأترج نكهته … يا قوم حتى من الأشجار سراق

اخر: ثم كبى العرف مشكور الأيادي … كريم عرفه يسلي الحزينا

أغار على الترنج وفيه حكاه … وزاد على أسهم العاو بونا

ما قيل في المنثور

انظر إلى المنثور في ميدانه … يرنو إلى الناظر من حيث نظر

كجوهر مختلف ألوانه … أسلمه سلك نظام فانتثر

اخر: انظر إلى المنثور ما بيننا … وقد كساه الطل قمصانا

كأنما عاقته أيدي الجنى … من أحمر الياقوت مرجانا

من خواصه أنه لا يعبق له رائحة إلا ليلا وفيه يقول الشاعر

ينم مع الإظلام طيب نسيمه … ويخفى مع الإصباح كالمستتر

كعاطرة ليلا لوعد حبيبها … وكانت صباحا نسيم التعطر

ما قيل في الياسمين

كتب ناصر الدين بن النقيب إلى نصير الحمامي ملغزا فيه

يا من يحل اللغز في ساعة … كلمحة من طرفة العين

ما اسم إذا انقصت منه … في الخط حرفا صار اسمين

فأجابه نصير

يعرفه مولانا وإنعامه … الفوت لي حقا بلا مين

اسم سداسي لطيف به … تنابه تظهر للعين

لا كنه بغدو سمينا إذا … أسقطت منه أولاه حرفين

أبو إسحاق الحصري يصف الياسمين قبل انفتاحه

خليلي هبا وانفضا عنكما الكرى … وقوما إلى روض ونشر عبيق

بفقد لاح راس الياسمين منورا … كأطراف در قمعت بعقيق

يميل إلى ضعف الغصون كأنها … له كالنائم غشية وبفيق

إذا الريح أدنته إلى الأنف خلته … نسيم حبيب ضمخت بخلوق

اخر

اخر: وروضة نورها بترق … مثل عروس إذا تزف

كأنما الياسمين فيها … أنامل ما لها أكف

أبو بكر بن القوطية

وأبيض ناصع فاق في الأديم … يطلع فوق غصن نشيم

كأن نوار الجني منه … سماء قد تحلت بالنجوم

اخر: كأن الياسمين الغض لما … أدرت عليه وسط الروض عيني

سماء للزبرجد قد تبدت … لنا فيها نجوم من لجين

المعتمد بن عباد

كأنما ياسميننا الغض … كواكب في السماء تبيض

والطرق الحمر في بواطنه … كخد عذراء مسه عض

ابن عبد الظاهر

وياسمين قد بدا نبته … أزهاره لمن يصب

كمثل ثوب أخضر … عليه قطن قد ندف

اخر: وياسمين غصن النشر … يزري بريح العنبر السحري

يلوح من فوق غصون له … كمثل أقراط من الدر

ابن الحداد الأندلسي

بعثت بالياسمين الغض مبتسما … وحسنه بات تن والعين

بعثته مثلا من صدق معتقدي … فانظر تجد لفظه يأسا من البين

لا مرحبا بالياسمين … وإن غدا في الروض زينا

صحفته فوجدته … متقابلا يأسا ومينا

وياسمين إن تأملته … حقيقة بصورته شيئا

لأنه يأس ومين وقد … أحبه فظ الياس والمينا

ما قيل في النسرين

قال ابن وحشية الياسمين والنسرين متقاربان حتى كأنهما أخوان وكل واحد منهما نوعان أبيض وأصفر ولهما شقيق أحمر ورقه أكبر من ورقهما يسمى

جلنسرين قال عبد الرزاق بن علي النحوي

زان حسن الخد ابو النسرين حتى * فالجنا في رياضه مفتون
قد جرى فوقه اللجين وإلا * فهو من ماء فضة موضون
أشبه الخد الحسان بياضا * وحوته شبيه القد غصون

آخر

أكرم بنسرين بديع الضيا * من نشره مسكا وكافورا
ما إن رأينا قط من قبله * زبرجدا يثمر بلورا

آخر

انظر لنسرين غدا * يلوح على قضيب أملد
كمداهن من فضة * فيها برادة عسجد
جنتك من أيدي الغصون * بها أكف زبرجد

ما قيل في الأقحوان

مجير الدين بن محمد بن تميم

لا تمش في روض وفيه شقائق * أو الأقحوان غبّ كل غمام
إن اللواحظ والخدود أجلها * عن وطئها في الأرض بالأقدام

آخر

كأن نور الأقحوان * إذ لاح غب القطر
أنامل من لجين * أكفها من تبر

علي بن عبادة الإسكندري

والأقحوانة تحكي وهي ضاحكة * عن واضح غير ذي ظلم ولا شنب
كأنها شمسة من فضة سرحت * خوف الوقوع بمسمار من الذهب

ظافر الحداد

والأقحوانة تحكي ثغر غانية * تبسمت فيه من عجب ومن عجب
في القد والند والريق الشهي وطيب الريح واللون والتفليج والشنب
كشمسة في لجين في زبرجدة * قد شرفت حول مسمار من الذهب

الجمال علي بن ظافر المصري

انظر فقد أبدى الأقاح مباسما * ضحكت تهللا في قدود زبرجد
كفصوص در لطفت أجرامها * قد نظمت من حول شمس عسجد

آخر

طلعت يد الأقحوان بزهرة * تاهت بها في الروضة الأزهار

أبدت ذراع زبرجد وأناملا * من فضة في كفها دينار

ما قيل في البان

شمس الدين بن محمد بن التلمساني

تنسم زهو البان عن طيب نشره * وأقبل في وصف (حسن) يجل عن الوصف
هلموا إليه بين قصف ولذة * فإن غصون البان تصلح للقصف

الشهاب محمود

دعتني أيدي النسيم * بجلق وعندي بعض الكسل
فسل كيف حال قدود الملاح * وعن حال سمر القنا لا تسل

أبو جلنك الشاعر يهجو القاضي شمس الدين بن خلكان

لله بستان حللنا دوحه * في جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه سنانيرا رأت * قاضي القضاة فحركت أذنابها

تاج الدين بن شقبي

قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قريب تشتكي الحرا
أما ترى البان بأغصانه * قد قلب الفرو إلى برا

ابن الرومي

يصوغ لنا كف الربيع حدائقا * كعقد عقيق بين سمط لآل
وفيهن نوار الشقائق قد حكى * خدود غوان نقطت بغوال

كشاجم

يروح القلب غاية التفريج * ابتهاجي ما بين روض بهيج
وكأن الشقيق فيه أكاليل * عقيق على رؤوس زنوج

أبو العلاء السروجي

جام تكون من عقيق أحمر * مليت قرارته بمسك أذفر
خرط الربيع مثاله فأقامه * بين الرياض على قضيب أخضر

أبو بكر الصنوبري

وكأن محمر الشقيق * إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشرن * على رماح من زبرجد

البلدي: انظر الى مقل الشقيق ... تضمنت حدق السبج
من فوق اغصان حسان ... وما سمعن من العوج

آخر: شقيقة شق على الورد ما ... قد لبست من كثرة الصبغ
كأنها في حسنها وجنة ... يلوح فيها طرف الصدغ

في زهر النارنج للقاضي الفاضل

قد يمّم هبا قد قضى النجم نحبه ... وهبّ نسيم ناعم يوقظ الفجرا
وقد ازهر النارنج ازرار فضة ... تزر على الاشجار اوراقها الخضرا

في الخشخاش ابن وكيع

وخشخاش فانا منه تعرى ... قميص فيروزج عن جسم در
كاقداح من البلور صينت ... باغشية من الديباج خضر

في نور الكتان ابن وكيع

ذوائب كتان تمايل في الضحى ... على خضر اغصان من الدر فيح
كأن اصفرار الزهر فوق اخضرارها ... مداهن تبر ركبت في زبرجد

آخر: كأنه حين يبدو ... مداهن اللازورد
اذا السماوية تقول ... هذا فرند

ابن الرومي:
وحبشي من الكتان اخضر ناعم ... سقا نبته داني الرباب مطير
اذا ما وجت فيه الشمال تتابعت ... ذوائبه حتى يقول غدير

ذكر الفواكه ما ورد في البطيخ

اخرج ابن عدي في الكامل عن عايشة قالت كان احب الفواكه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرطب والبطيخ و اخرج الطبراني والحاكم في المستدرك عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياخذ الرطب بيمينه والبطيخ في يساره فياكل الرطب بالبطيخ وكان احب الفاكهة اليه قال في مباهج الفكر البطيخ ثلاثة اصناف هندي ويسمى بمصر البطيخ الاخضر وبالحجاز الحبحب وصيني ويسمى بمصر الاصفر وفيه يقول الشاعر

ثلاث هن في البطيخ زين ... وفي الانسان منقصة وخله

(هامش) كان ... يأكل الرطب بالبطيخ

خشونة

خشونة لمسه والثقل فيه ... وصفرة لونه من غير علة

وخراساني ويسمى بمصر العبدلي منسوب لعبد الله بن طاهر فانه الذي ادخله مصر قال ابو طالب المأموني في البطيخ الهندي

ومشعشع فيها طوابق خضرة ... كما اخضر مجرى السيل من صيب المزن
كحقة عاج صينت بزبرجد ... حوت قطع الياقوت في عطب القطن

آخر: اتى لي صديق واهدى اليّ فتاة ... بها يهتدي الصديق الى الصديق
فقال زبرجد فيه شهد ... وحشو الشهد شيء كالعقيق

آخر: رايتها في كف جانيها ... وقد بدت في غاية الحسن
كسلة خضراء مختومة ... على الفصوص الحمر في القطن

ابو طالب المأموني في البطيخ الاصفر

بطيخة مسكية عسلية ... لها ثوب ديباج وعرف مدام
مقدمة ملء الاكف كانها ... من الجزع كبرى لم توف بنظام
لها حلة من جلنار وسوسن ... مقمدة بالآس غيث غمام
تمازج فيها لون حب وعاشق ... كساه الهوى والبين ثوب سقام
اذا فضلت للآكلين كانها اهلة ... وان لم تفض فيه بدر تمام

آخر: يقطع بالسكين بطيخة ضحى ... على طبق في مجلس لاصاحبه
كبدر منير قد سما اهله ... على هالة في الافق بين كواكبه

آخر: اتانا الغلام ببطيخة ... وسكينة اشبعوها صقالا
فقطع بالبرق شمس الضحى ... وناول كل هلال هلالا

آخر: الا فانظروا البطيخ وهو مشقق ... وقد حاز في التشقيق كل انيق
صفائح بلور بدت في زمرد ... مركبة فيها فصوص عقيق

ما ورد في الرمان

اخرج عبد الله بن احمد في زوايد المسند وابن السني بسند رجاله ثقات عن علي بن ابي طالب قال كلوا الرمان بشحمه فانه دباغ للمعدة و اخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس انه كان ياخذ الحبة من الرمان فياكلها فقيل له لم تفعل

(هامش) على قول النبي ... بالرطب

هذا قال بلغني انه ليس في الارض رمانة تلقح الا بحبة من حب الجنة فلعلها هذه. قال بعضهم:

ورمانة جمع الرمان ايديها ... فتبسمت من ناظر الاغصان
فكانما هي حقة من عسجد ... قد اودعت خرزا من المرجان

آخر: ورمانة مثل نهد الكاعب الريم ... تزهى بشكل ولون غير مذموم
كأنها حقة من عسجد مليت ... من اليواقيت نثرا غير منظوم

آخر: ولاح رماننا فابهجنا ... بين صحيح وبين مفتوت
من كل مصفرة من عجب ... تفوق في الحسن كل منعوت
كأنها حقة فان فتحت ... فصرة من فصوص ياقوت

آخر: طعم الوصال يصونه طعم النوى ... سبحان خالق ذا وذا من عود
فكأنها والخضر من اوراقها ... خضر الثياب على نهود الغيد

آخر: خذوا صفة الرمان عني فان لي ... لسانا عن الاوصاف غير قصير
حقاق كامثال العقيق ضمنت ... فصوص بلخش في غشاء حرير

في جلنارة ابو فارس الحمداني:

وجلنار مشرق ... على اعالي شجره
فواضة من ذهب ... في خرق معصفره

عبد الله بن المعتز:

ابن وكيع: وجلنار كاحمرار الخد ... او مثل اعراف ديوك الهند
وجلنار مخصب ... ضوامه ينشوفه
بدا لنا في غصن ... خضر من الورق مبسط
يحكي بصوت عقيق ... في قبة من زبرجد

آخر: كانما الجلنار لما ... اظهر العرض للعيون
انامل كلها خضيبا ... منسم كادا على الغصون

ما ورد في الموز

اخرج الخطيب في رواة مالك بن انس قال ليس في الدنيا شيء يشبه ما في الجنة

نبه على ما قاله ما منه رضي الله عنه في الموز

الموز

الا الموز لان الله تعالى يقول اكلها دائم وانت ترى الموز في الشتاء والصيف. دخل القاضي ابو بكر بن قريعة على عز الدولة بن بويه وبين يديه طبق فيه موز فلم يدعه اليه فقال ما بال الامير لا يدعوني الى القمر يأكل الموز فقال له صفه حتى اطعمك منه فقال ما اصف من عرايس ديباجة فيها شبابيك ذهبية كأنها حشيت زبدا وعسلا وخبيصا من سلا الطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل المقشر لين المكسر يذهب الطعم بين الطعوم مسلسل في الحلقوم. وقال النجم بن اسرائيل:

اتعنه موزا شهي المنظر ... مستحكم النضج لذيذ المخبر
كان تحت جلده المزعفر ... لفات زبد عجنت بسكر

ابن الرومي: للموز احسان بلا ذنوب ... ليس بمعدود ولا محسوب
يا حبذا الموز الذي ارسلته ... لقد اتانا طيب من طيب
في لونه وطعمه وريحه ... كالمسك او كالتبر او كالضرب
واتت به الطباق متصعدا ... كأنه مكاحل من ذهب

آخر: يحكي اذا قشرته ... انياب افيال صغار
ذو باطن مثل الاقاح ... وظاهر مثل البهار

ما ورد في النخل

اخرج الشيخان عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة مثلها مثل المسلم اخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في قلبي انها النخلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي النخلة. واخرج ابو يعلى في مسنده وابن السني عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم وليس من الشجر شيء يلقح غيرها. قال في مباهج الفكر وقال ان مما اكرم الله به الاسلام النخل انه قدر جميع نخل الدنيا لاهل الاسلام فغلبوا على كل موضع هو فيه. وقال الدينوري في المجالسة حدثنا احمد بن عبد العزيز حدثنا ابي عن محمد بن يزيد بن مطني قال محمد ابن اسحاق كل نخلة على وجه الارض فمنقولة من الحجاز نقلها العمالقة الى المشرق ونقلها الكنعانيون الى الشام ونقلها الفراعنة الى باب النوبة وفي اعمالها

وحملها التابعة في سيوفهم الى اليمن وعمان والبحرين وغيرها الحمد لله

روض يحضر العذار وجدول … نقشت عليه يد النسيم مواردا

والنخل كالهيف الحسان تزينت … فلبسن من اثمارهن قلائدا

في الطلع: كأنما الطلع يحكي … لناظريه حين افتتل

سلاسلا من لجين … بعضها حول صندل

في الجمار: اهدى لنا جمارة … من لبسن اختي من عداده

فكأنما هي جسمه … لما تجرد من ثيابه

في البلح الاخضر

اما ترى النخل تشوق بلحا … جاء يبشر بدولة الرطب

فكأنما من زبرجد خرطت … مقمعات الرؤوس بالذهب

في الاصفر: اما ترى البسر الذي … قد جاءنا بالعجب

فكأنما من فضة … قد طليت بالذهب

في الاحمر: انظر الى البسر قد تبدا … ولونه قد حكى الشقيقا

كأنما خوصه عليه … زبرجد مثمر عقيقا

ما ورد في الاترج

اخرج الشيخان عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المومن الذي يقرا القرآن مثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب و اخرج ابن السني عن ابي كبشة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر الى الاترج والحمام الاحمر

يا حبذا اترجة … تحدث للنفس طربا

كأنها كافورة … لها غشاء من ذهب

الاسعد بن مماتي

لله بل للحسن اترجة … تذكر الناس بامر النعيم

كأنها قد جمعت نفسها … من هيبة القاضي عبد الرحيم

ابن المعتز: اترجة قد اتتك بترا … لا تقبلنها وان سررتنا

لأنها اترجة بانني … رأيت مقلوبها هجرتنا

قف على قول سيد البشر في الاترج والحمام الاحمر

ورد

ما ورد في القصب

اخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول ثلاثة اشياء للداء الذي اعيى الاطباء ان يداووه العنب ولبن اللقاح وقصب السكر ولولا قصب السكر ما اقمت بمصر لبعضهم

فكيد سمر القنا ولكن … تراه في جسمه حلاوة

وكلما زدته عذابا … ادركت من ريقه حلاوة

في الكمثرى: حبا بكمثراة لونها … لون محب زايد الصبوة

تشبه ثدي البنت ان افعمت … وهي لها ان قلبت اسوة

في الخوخ: كأنما الخوخ في دوحة … وقد بدا احمر العندمي

بنادق من ذهب اصفر … قد خضبت انصافها بالدم

ما قيل في التين

اخرج ابن السني وابو نعيم في مسند الفردوس عن ابي ذر قال اهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم طبق من تين فقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة بلا عجم لقلت هي التين وانه يذهب البواسير وينفع من النقرس

كشاجم: اهلا بتين جاءنا … منضدا على طبق

كسفرجة مضمومة … قد جمعت بلا حلق

ابن المعتز: انعم بتين طاب طعما واكتسى … حسنا وفاق فمنظر من مخبر

في برد ثلج في فم انثى وفي … العبير وطيب طعم السكر

يحكي اذا ما صف في اطباقه … خيما ضربن من الحرير الاخضر

في اللوز الاخضر بن المعتز

ثلاثة اثواب على جسد رطب … مخالفة الاشكال من صنعة الرب

تقيه الردا في ليله ونهاره … وان كان كالمسجون فيها بلا ذنب

اما ترى اللوز حين ترجله … من الاغصان كف مقتطف

وقشره قد جنا القلوب لنا … كأنه الدر داخل الصدف

ظافر الحداد: جاء بلون اخضر … اصغر مثل اليد

قف على قول الاطباء في القصب

قف على قول سيد البشر في التين

كأنما زبرجد … نبت عذار الأرض

كأنما قلوب … من فوقه وبرد

جواهر لا كنما … الأصداف من زبرجد

البدر الذهبي ما نظرت مقلتي عجبا … كاللوز لما بدا أنواره

اشتعل الرأس منه شيبا … واخضر من بعد ذا عذاره

ما قيل في المشمش

محيي الدين بن عبد الظاهر

حبذا مشمسا على الدوح أضحى … ذا شعاع يستوقف الأبصار

شجر أخضر لنا جعل الله … تعالى منه كما قال نارا

وقال وكأن صنو الشمس من أوراقها … في نقش أسوقة الغصون خلاخل

وكأن مشمشها بصوت هزارها … إن حركته به النسيم جلاجل

١٠ اخر ومشمش جاءنا من أعجب العجب … أشهى إلي من اللذات والطرب

كأنه وهبوب الريح تنثره … بنادق خرطت من خالص الذهب

ما قيل في النبق ابن الجبلي

انظر إلى النبق في الأغصان منتظما … والشمس قد أخذت تجلوه في القضب

كأن صفرته للناظرين غدت … تحكي جلاجل قد صيغت من الذهب

١٠ اخر وسدرة كل ذي هموم … من حسنها في فنون

كأنما النبق فيها … وقد بدا للعيون

جلاجل من نضار … قد علقت في الغصون

ذكر الحبوب والخضراوات والبقول في

سنابل البر والشعير القاضي عياض

انظر إلى الزرع وخاماته … تحكي وقد ماست أمام الرياح

كتيبة خضراء مهزومة … شقائق النعمان فيها جراح

١٠ اخر يا حبذا سنبلة … تبدو لعين البصر

كأنها سلسلة … مضفورة من عنبر

كأن سنابل الحصيد … وقد شارفت وقت أبانها

كنائس مضفورة رفعت … وأرخى فاض حيطانها

ابن رافع القيرواني

انظر إلى مقبل الزرع وقد … مرت عليه الجنوب والشمال

كأنه البحر في تموجه … يعلو مرارا ومرة يستفل

والماء للسقي في جوانبه … مسك للناظرين أو صندل

قال بعض الشعراء

وصوص برجد في غلائل … بأقماع حكت تقليم ظفر

وقد حاك الربيع لنا ثيابا … لها وجهان من بيض وخضر

ابن وكيع ١٠ اخر لي نحو ورق الباقلا … أحمار لهو ومهج

كأنما بيض … يلوح في ذاك الدعج

خواتم من فضة … فيها فصوص من سبج

ابن وكيع وكأنما ورق الباقلا فانظروا … عن مقلة تفتح جفنا عن حور

كمثل الحاظ اليعافير إذا … روعها من قانص وقع الحذر

كأنما منذ أهر من فضة … مجلوة فيها من المسك أثر

كأنها سوالف من خرد … قد زينت بياضها سود الطرر

في القثا عبد الرحيم بن رافع القيرواني

أحبب بقثاء أتانا … من فوق أطباق منضد

كقضائب قد حررت … أجرامهن من الزبرجد

نعم الدواء إذا الهوا … من الهواجر قد توقد

ابن المعتز انظر إليه أنابيبا منضدة … من الزبرجد خضرا ما لها ورق

إذا قلبت اسمه بانت حلاوته … وكان معكوسه إني بكم أثق

في الخيار لبعضهم

خيار أشبهه لبيب … كريحان الشرور به الخضار

كأن نسيمه أنفاس حب … فليس لمغرم عنه اصطبار

في العفوص

شبهت حين بدا العفوص بنهجا * على الرياض يحب فيه ملبور

مخازن من لجين لعب ظاهرها * بسندس حشوها جاءت بكافور

في الفقوع لعبد الرحمن بن رابع

وفقوع شدا للعيون كأنه * خراطيم افيال الكهون بن غبار

مررنا فعاينا بين فوارع * فاعجب منها حسنه كل ناظر

في الباذنجان لبعضهم

ابدت لنا الارض من عجائبها * ما سوف يزهو بمثله وقتي

اذ لا جاء الذي يشبهه * واحكم الوصف منه في النعت

قال كرات الاديم قد حبيت * بسمسم وقعت بكيمخت

اخر ومستحسن عند الطعام قد خرج * غذاء غير الماء في كل بستان

تطلع من اقماعه فكأنه * قلوب نعاج في مخالب عقبان

اخر وكانما الادرنج سود حمايم * او كان هار روض الربيع المسكي

لقطت مناقيرها الزبرجد شمسها * فاستودعته حواصلا من عنبر

اخر وباذنجانة حشيت حشاها * صغار الجوز واللبن الحليب

وغشيت البنفسج واستقلت * من الآس الرطيب على قضيب

في السلجم ابن رابع القيرواني

كأنما السلجم لما بدا * في حسنه الرائق من غير ميق

قطائع الكافور ملتوة * لمبصريها او كرات اللجين

في الفجل لبعضهم

لله فجل قد اتتنا به * جارية تخجل شمس النهار

كأنه في يدها اذ نبت * بد لنا غضا بضرب العطار

شبابيك من فضة قد صنعت * او مثل انياب الفيول الصغار

اخر احبب بفجل قد اتانا به * طباخنا من بعد تفتيش

منضد في طبق خلته * من حسنه قضبان بلور

اخر وبيضاء من حور الجنان ملكتها * ولمت عليها صاحبي ولي العذر

وما كسيت من سندس الخلد حلة * ولا تعمل لا كن ذوائبها خضر

في الجزر لابن رابع القيرواني

انظر الى الجزر البديع كأنه * في حسنه قضب من المرجان

اوراقه كزبرجد في لونها * وقلوبه صيغت من العقيان

اخر انظر الى الجزر الذي * يحكي لنا لهب الحريق

كمدية من سندس * فيها نصاب من عقيق

في الثوم لابن رابع القيرواني

يا حبذا ثومة في يد جارية * بديعة الحسن تسبي كل من نظرا

نظرتها وهي من عجب تقلبها * كصرة من لجين فيه حوت دررا

اخر الثوم مثل اللوز ان قشرته * لولا روائحه وطعم مذاقه

كالند لغرك منظرا فاذا اتى * تفضيله ينمى الى اعراقه

في النمام ابن رشيق

لم كره النمام اهل الهوى * اساءوا اخواني وما احسنوا

ان كان نماما فتنكيسه * من غير تكذيب لهم فامن

اخر لا بارك الله في النمام ان له * اسما قبيحا من الاسماء مهجورا

لولم ينم على العشاق سرهم * ما كان فيهم بهذا الاسم مشهورا

في النعناع

وجاءت بنعناع كأن غصونه * واوراقه مخلوقة من زبرجد

اذا مسه نفح الحرور رأيته * كاصداغ ريم فلفلت من تجعد

في النارنج لبعضهم

تأملها كرات من عقيق * تروقك في ذرى دوح وريق

صوالج من غصون ناعمات * عند تهادت العيش الانيق

اخر انظر الى منظر يلهيك منظره * بمثله في الورى يضرب المثل

نار تلوح على الاغصان في شجر * لا النار تطفى ولا الاغصان تشتعل

ابو الحسن الصقلي

ونارنجة بين الرياض نظرتها ، على غصن رطب كقامة اغيد
اذا ميلتها الريح مالت كاكرة ، بدت ذهبا في صولجان زبرجد
تنعم بنارنجك المجتنى ، ففيه حظ الشعر لما حضر
فيا مرحبا بخدود الغصون ، ويا مرحبا بنهود الشجر
كأن السماء همت بالنضار ، فصاغت لها الارض منها اكر
كانما النارنج لما بدت ، صفرته في حمرة كاللهب
وجنة معشوق راى عاشقا ، فاصفر ثم احمر خوف الرهب
وشادن قلت له صف لنا ، بستاننا هذا ونارنجنا
فقال لي بستانكم جنة ، ومن جنى النارنج نارا جنا

في الليمون

قال ابن وحشية الليمون والنارنج في الاصل شجر هندي ، السوبد

لله شجرات عطرها الطيب عطر ، فلك انجم الليمون من بيض وصفر
يا رب ليمونة حييا بها قمر ، حلو المقبل في بارد الشنب
كانها كرة من فضة خرطت ، فاستودعوها غلافا صيغ من ذهب
اما ترى الليمون لما بدا ، ياخذ من اشواقه بالعيان
كانه بيض دجاج وقد ، لطخها العاتب بالزعفران

كمل الكتاب المبارك بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد عدد ما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره الغافلون وكان الفراغ
منه يوم الجمعة تاسع يوم في
صفر عام ثلاثة و
تسعين ومائة
والف

[illegible]

عمر بن ابراهيم الخلالي ثلاثه ونصف

عمر الشمكي ثلاثه ونصف

قرره درسه ابو عبدالله حلمي ١٣٨٧ .